الدكتور أبو عمران الشيخ
الأستاذ محمد جيجلي

طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

الكشافة الإسلامية الجزائرية

(1935 – 1955)



إشراف وإعداد

د. أبو عمران الشيخ — أ. محمد جيجلي

الجزائر — قسنطينة

طبعة خاصة
وزارة المجاهدين

الكشافة الإسلامية الجزائرية
(1935 - 1955)

شارك في إنجاز هذا العمل:

القادة:

* محمد الصغير فرج
* محمد القشعي
* الشريف الغوثي
* محمد الصالح رمضان
* حطاب حسناوي (مبارك)
* عبد السلام بن لوصيف

وقام بترجمة بعض النصوص

الأساتذة: مولود طبّاب - د/ حسن وفوزي سعد الله

هذا الكتاب هدية من وزارة المجاهدين
بمناسبة الذكرى الـ45 لعيد الإستقلال والشباب

شركة دار الأمة

للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب ١٧٩ برج الكيفان 16120 الجزائر

E-Mail: Dar-el-Oumma @ mail.com

تصفيف ومعالجة النص ياسين أحمد

طبعة 2008

إيداع قانوني: 2007 / 1681

ردمك: 9 212 67 9961 978

http://alhaniq.blogspot.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

ظهرت منذ عدة سنوات بحوث ودراسات حول الأحزاب والحركات الوطنية منذ الحرب العالمية الأولى، وقد تناولت هذه البحوث حركة الأمير خالد (1918– 1923) ونجم شمال إفريقيا (1926– 1936) وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931–1962) وحزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطية (1936– 1962) وبيان الشعب الجزائري (1942–1962) والطلبة الجزائريين (1945– 1962)، وكان ضمن هذه الدراسات إشارات الى الكشافة الإسلامية، ونشرت مقالات في بعض المناسبات ولكن لا توجد دراسة تاريخية شاملة على ما نعلم، تتضمن فكرة شاملة عن الحركة الكشفية وتطورها وما واجهت من عوائق، وقد آن الأوان لبذل هذا الجهد، حتى ولو لم يمكن العثور على جميع الوثائق والشهادات الضرورية، وقد انقضى ما يزيد على ثلاثة عقود بعد الاستقلال ويجوز أن نفقد من قاموا بالحركة الكشفية وشهودها مع مرور الزمن وبالتدريج، فلابد من الشروع في كتابة صفحات هذا التاريخ مهما كانت العراقيل وأسباب القصور، وسيمكن كتابة تاريخ شامل للكشافة الجزائرية عندما تتوفر للكتاب جميع المصادر، وبعد تخلصهم من أهوائهم ومن جميع الأحكام المسبقة، إننا نريد أن نسهم في كتابة هذا التاريخ، مع الرجاء في إمكان مساهمة مسؤولين آخرين بتقديم آرائهم وشهاداتهم كما فعلنا، فالمسؤولون القدامى سواء في المدن المختلفة أو في الأفواج يمكن لهم أن يسجلوا ذكرياتهم وما قاموا به من أعمال.

وانطلاقا من هذه الشهادات المحلية التي نرجو أن تتعدد، يمكن للمؤرخين أن يحرروا كتابا شاملا نزيها عن الكشافة الإسلامية في بلادنا.

وقد ظهرت فكرة الاجتماع وتحرير دراسة شاملة لدى أفراد منا، نظرا لمعرفتهم بتطور الحركة الكشفية التي بذلوا جزءا كبيرا من حياتهم فيها، من جهة، ولرغبتهم في أن يخلفوا للمربين وللشباب في بلادنا نصا يمكن الرجوع إليه، من جهة أخرى، وهذا ريثما تظهر مؤلفات أخرى في مستقبل

الأيام، على أننا نقدر ان المهمة التي اقدمنا عليها ليست يسيرة، فقد امكن لنا جمع بعض الوثائق الثمينة ،لكن وثائق أخرى قد ضاعت اثناء حرب التحرير، وأن وثائق اخرى لا يمكن الوصول اليها نظرا الى ما وقع من نقل وثائقنا الى إيكس ان بروفنس (Aix en- Provence) والى مدن أخرى في فرنسا قبيل الاستقلال، ومن المأمول أن نجمع جميع الوثائق يوما ما، وأن يتمكن الباحثون من الاطلاع عليها.

وهناك صعوبات اخرى: منها حساسية كل طرف، والتعصب وتحريف الأحداث، وبالفعل فإن الكشافة الإسلامية كانت حركة تربوية وطنية ولا ينازع في ذلك شخص في جدواها، وقد اجتذبت بكل قوة كثيرا من الشبان والمربين الذين انخرطوا فيها متفانين، فكيف يمكن للمشاركين في عمل الحركة ولشهودها ان يتجردوا من مواقفهم الشخصية وآرائهم وحساسياتهم، ودون ادعاء لنزاهة كاملة غير ممكنة كما يعرف ذلك الجميع، سنحاول أن نمثل الحقيقة القصوى، مع الاحتفاظ بالهدوء ومراعاة التقادم الضروريين، وسنقدم وجهة نظرنا اعتمادا على أحداث وعلى وثائق مع الاجتهاد لتحليلها بنزاهة، وقد وزعنا تحرير الفصول على افراد المجموعة وراجعنا النص مجتمعين مع تبادل الملاحظات، فالعمل كان لذلك فرديا وجماعيا.

يشتمل الكتاب على خمسة أقسام: فالقسم الأول عرض تاريخي، والقسم الثاني يضم شهادات عدة قادة كشفيين، والقسم الاول يحتوي على أربعة فصول تصف تطور الكشافة منذ نشأتها سنة 1935 الى سنة 1955 وهي:

الفصل الأول: من الجمعيات المحلية إلى الاتحادية (1935– 1939).

الفصل الثاني: الكشافة والحرب العالمية الثانية (1939– 1945).

الفصل الثالث: الأزمة والانقسام (1946– 1948).

الفصل الرابع: قيام اتحاديتين مستقلتين للكشافة.

الفصل الأول والثاني من تحرير الدكتور الشيخ أبوعمران، والفصل الثالث من تحرير الأستاذ. محمد جيجلي، والفصل الرابع من تحريرهما معا. أما الشيخ صالح رمضان الذي اضطلع بمهمة الارشاد سابقا فقد اعتنى بالنص العربي.

أما في القسم الثاني فكل شهادة أو مقال قد أدرج في مكانه بإمضاء صاحبه، وقد ألحقنا في آخر كل فصل وثائق، بينما تشتمل الأقسام الأخرى على مقالات عن الحياة الكشفية وعلى وثائق مختلفة ومنها مصورات، وفي ختام الدراسة توجد معلومات عن المحررين الرئيسيين، تضم مجموعة القادة السابقين للكشافة المسؤولين عن هذه المساهمة:

1 – القشعي محمد (تيزي وزو) المكلف بالتنسيق.
2 – ابن لوصيف عبد السلام (قسنطينة).
3 – أبوعمران الشيخ (الجزائر) المكلف بالتحرير.
4 – بوبريط رابح (الجزائر).
5 – الشريف الغوثي (تلمسان).
6 – جيجلي محمد (الجزائر).
7 – فرج محمد الصغير (تيزي وزو).
8 – حطاب مبارك (الجزائر).
9 – رمضان محمد صالح (الجزائر).

ملاحظة: صدرت دراسة عن الكشافة الإسلامية الجزائرية بقلم قائد سابق درويش محمد[1]، نشر المؤسسة الوطنية للكتاب، وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (1984)؛ هذه الدراسة الفردية تتسم، بالرغم من جهد المؤلف، بالقصور والتحيز، وبما أن الكاتب قد توفي (رحمه الله) فلا يمكن تصحيح كتابه.

– كما أن محمد صالح رمضان كتب مقالين عن الكشافة في عددين من مجلة «الثقافة» سنة 1982، ومحمد قارش كتب مقالاً بالفرنسية في مجلة التاريخ بعد ذلك. – وتوجد كتابات أخرى عن الأفواج بأقلام مختلفة.

والله ولي التوفيق

الدكتور أبوعمران الشيخ
أستاذ بجامعة الجزائر
قائد وطني سابق في الاتحادية



فريق من قادة الكشافة في زيارة لغرناطة (1954)

الواقفون من اليمين إلى اليسار حمادة - حماري - ابو عمران - النجير - س -

• الجالسون حسيدي - ومعماد - مزهودي - حطاب - بابعماس سلمي

القسم الأول: لمحة تاريخية

* الفصل الأول: من الجمعيات المحلية إلى الاتحادية (1935 – 1939)
* الفصل الثاني: الكشافة والحرب العالمية الثانية (1939 – 1945)
* الفصل الثالث: الأزمة والانقسام (1946 – 1948)
* الفصل الرابع: قيام اتحاديتين مستقلتين للكشافة.



الشهيد القائد محمد بوراس (1908 - 1941)

مؤسس الكشافة الإسلامية

القسم الأول

الفصل الأول
من الجمعيات المحلية الى الاتحادية
(1935-1939)

بقلم الدكتور أبوعمران الشيخ

الكشافة الإسلامية في بلاد الجزائر، مدرسة تربوية وطنية يعترف كل جزائري بأهميتها في تكوين الشبيبة، ويمكن ان نقول إنها تمثل في بلادنا مع حركة الطلبة، المنظمة الأساسية الوحيدة للشبيبة. لقد ظهرت الحركة الكشفية في بداية القرن العشرين بمبادرة من الجنرال بادن باول الانجليزي[3]، وقد تصور هذا النظام للتربية انطلاقا من تجربته أثناء الحروب في إفريقيا وفي الهند، وبعد دراسة الديانات الكبرى: المسيحية والإسلام واليهودية، وقد قلد ايضا النظام العسكري باتخاذ بدلة خاصة واعتماد سلوك مميز وتقسيم الهيئة الى وحدات صغيرة وكانت غايته أن يوفر طريقة لتشغيل الأطفال والشباب العاطلين عن العمل الساكنين في الأحياء الشعبية من المدن الصناعية، وقد عرفت الكشافة في سنوات قليلة انتشارا واسعا، إذ تأسست في أغلب البلدان جمعيات أو اتحادات وطنية غير حكومية بالتكيف اللازم مع الحالات المختلفة، وفتح مكتب دولي للكشافة في لندن،[4] لتنسيق نشاط المنظمات المختلفة.

ومن القرارات التي اتخذت ان كان ينظم في كل اربع سنوات تجمع دولي (جمبوري) يسمح لها بالاجتماع في كل مرة في بلد ما، للتعرف وتبادل الخبرات ودراسة التدابير التي يستدعيها تقدم الحركة الكشفية في العالم، وتنضم الى ذلك مخيمات متوالية من فترة الى فترة تجمع بلدين أو

عدة بلدان. ويوجد في العالم العربي مكتب للكشافة العربية لتنسيق النشاطات الكشفية في الأقطار المغربية والأقطار المشرقية، وتنظم بالإضافة الى ذلك تجمعات دورية ومشاورات منتظمة بين الأعضاء.

1 - نشأة الكشافة الإسلامية الجزائرية.

استوحت الكشافة الإسلامية الجزائرية عند نشأتها الحركة الكشفية الدولية من جهة وراعت المتطلبات الوطنية الجزائرية من جهة أخرى، ومن الملائم أن نحلل باختصار الظروف التي تطورت فيها وتطورت. ففي سنة 1930 نظمت الإدارة الاستعمارية «الاحتفال المائوي لاحتلال الجزائر» بمظاهر فخمة، دون أي تقدير لكرامة الاهالي، وقد انتشرت خرافة «الجزائر الفرنسية» انتشارا واسعا حمل المعمرين وطائفة المحتلين البيض على تسيان وجود الجزائريين المسلمين الذين يمثلون الأغلبية في بلادهم، وكان من الم يبقة الحركات والأحزاب الوطنية أن تنبه بعد ذلك الناس الى واقع شعب محتل منذ قرن، لكنه غير خاضع بالرغم من فشل المقاومات، كمقاومة الامير عبد القادر والانتفاضات الشعبية كانتفاضات المقراني وبوعمامة وغيرهما من الانتفاضات الكثيرة.

كان رد الفعل الأهم الأول، بعد حفلات القرن والاحتلال، تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (مايو 1931) المعروفة ببرنامجها ونشاطها معرفة واسعة، وقد قام رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس بنشاط دائب في قسنطينة، متنقلا في جهات القطر، ليؤسس المدارس والمساجد والأندية الثقافية والرياضية، وكان يضرب المثل بما يقوم به من تدريس، ونشاط صحفي ومشاركة فعالة في السياسة الوطنية[4].

ففي هذا الجو السياسي والديني تأسست الكشافة الإسلامية الجزائرية، بسعي من محمد بوراس، وبعض الشبان الملتفين حوله، ولنا بهذا الشأن شهادة أحد رفاقه هو عبد الرحمن سعيدي[5]. عندما منعت الإدارة الاستعمارية العلماء من التدريس في المساجد، وقعت مظاهرات خاصة في العاصمة وشارك فيها بوراس وأصدقاؤه وتردد بوراس على نادي الترقي مقر جمعية

العلماء يحضر دروس الشيخ الطيب العقبي ممثل الجمعية في الجزائر العاصمة، واجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس الجمعية الذي أشار عليه بتأسيس فوج كشفي وتنظيم نشاطات سليمة في أحضان الطبيعة، وبذلك تأسس فوج «الفلاح» في عاصمة الجزائر سنة 1935 وكانت بذلك انطلاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية، وتسميتها شبيهة بتسمية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باتخاذ الصفتين المعبرتين للجمعيات الوطنية وهما «الإسلامية» و«الجزائرية»، ولم يكن المؤسسون للكشافة يفكرون في شبان 1935 فقط، بل في مآل جميع الجزائريين في المستقبل وحددوا بوضوح صورة مثالية للكشاف المسلم الجزائري الذي تتمثل فيه جميع الفضائل»[1].

ومن الواضح أن بوراس كان يعرف فروع الكشافة الفرنسية التي كانت تعمل بالعاصمة والمدن الأخرى، ومنها الجمعيات المحلية الممتدة للاتحاديات الكبيرة، منها الكشافة الفرنسيون (E.D.F) اللائكيون والكشافة الاتحاديون الفرنسيون (E.U.F) الإصلاحيون، الكشافة الإسرائيليون الفرنسيون (E.I.F) والكشافة الفرنسيون الكاثوليكيون، وكان أحيانا جزائريون منخرطين في هذه الجمعيات، من الكشافة الفرنسيين (E.D.F) اللائكيين والكشافة الكاثوليكيين، وكان القادة بصورة عامة من الفرنسيين بينما كان القادة في الجزائر العاصمة وغيرها من المدن من «الآباء البيض» المبشرين التابعين للكردينال لافيجري، على أن جميع هذه الجمعيات كانت تعتبر «الجزائر فرنسية»، ولا تقبل الاتجاه الوطني الجزائري، ولذلك لم يكن الشباب الجزائريون الذين تدربوا على التقنيات الكشفية بإمكانهم أن يبقوا منخرطين فيها مدة طويلة، بل التحقوا بسرعة في عالمهم بالكشافة الإسلامية الجزائرية حيث كانوا في راحة البال وفي جو ملائم»[2].

2 - الجمعيات الأولى (1935 - 1939):

بعد تأسيس فوج «الفلاح» بالجزائر العاصمة سنة 1935، تأسست جمعيات أخرى في مليانة، وهران، تلمسان، تيزي وزو، قسنطينة، سطيف، عنابة، بسكرة وتيارت.. وكانت الأفواج الأولى من الكشافة الإسلامية

جمعيات محلية، يسري عليها قانون 1901، ويسيرها مجلس إداري يتألف من رجال كبار وشخصيات من المكان. أما النشاط التقني فيفوض لقائد الفوج او القائد المحلي الذي يضم إليه مساعدا وقادة للاشبال والفتيات والجوالة، وفقا لنظام بادن - باول، وكان الأشبال مقسومين الى مجموعات من ستة افراد بينما كان الفتيان الكشافة موزعين على دوريات، وقسم الجوالة الى فرق. ويجري النشاط إما في محلات خاصة او خارج هذه المحلات في الخلاء. كانت الجمعيات الفرنسية وخاصة جمعيات الكشافة الفرنسيين (E.D.F) والكشافة الكاثوليكيين تنظر الى الكشافة الإسلامية لا كمتنافسين فقط، بل كأعداء، لان كل شيء يفرق بينها وبين هؤلاء، من البرنامج والاتجاه الإسلامي والشعور الوطني واللغة والثقافة. أما الهيئات الاستعمارية فقد أعربت عن ريبها ورفضت مساعدة الكشافة الإسلامية، منها البلديات ومصالح الولايات والدوائر، ومن الجائز ان تدرس تقارير إدارية وبوليسية سرية ذات معلومات مفيدة جداً[6].

وقد اتخذت الإدارة إجراءات إدارية ضد القادة او الأفواج اعتمادا على دعاوي باطلة مفتعلة؛ كما رفضت رخصاً لتنظيم حفلات او مخيمات واجرت استنطاقات للمسؤولين واعتقل بعضهم كما اغلقت المحلات الخاصة، وكان من النادر ان تحظى الأفواج الكشفية الجزائرية بإعانات من البلديات أو غيرها، في حين كانت توزع بسخاء على الأفواج الفرنسية، ومعروف أن المخيمات والحفلات قد يصدر الامر بمنعها في آخر لحظة، ويستدعي ذلك مساعي وتدخلات لإلغاء هذا المنع، لكن القرارات تثبت دون اي تفسير وبتحكم جائر.

3 - اتحادية الجمعيات المحلية:

كانت المساعي الأساسية من محمد بوراس ورفاقه تهدف الى التقريب بين الجمعيات الإسلامية المحلية، لتأسيس اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية (S.M.A) وقد راسل اغلب هذه الجمعيات وقام بزيارتها وهدفه إقناع المسؤولين عن هذه الجمعيات بأنه لا يمكن لهم ان يبقوا مستقلين

بعضهم عن بعض، وأنه باتحادهم في جمعية وطنية، يسري عليها قانون 1901 يساهمون في توحيد صفوف الشبيبة الجزائرية التي كان يريد أن تكون منها طليعة الأمة. تشعوره كان وطنيا قوميا بكل وضوح، وقد تضجت الفكرة بعد مناقشات ولقاءات استمرت سنوات، واجتمعت عدة جمعيات في جويلية 1939 في مدينة الحراش بدعوة من الرئيس محمد بوراس، [و] أسست بعد أعمال استمرت ثلاثة أيام اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية، واوضحت الاتحادية أهداف الكشافة وأكدت هدفها التوحيدي، فأصبحت في الحال هدفا لسخط الإدارة المتحكمة الجبارة.

وفي محل الجمعية الكشفية ينعقد في كل اسبوع اجتماع يضم أفراد الفوج في جلسات تكوين وتربية وترفيه بينهم، يقوم المرشد المعرب غالبا، بمسائل التربية الإسلامية ويقوم الكشافة بمناسبة الاعياد الدينية او غيرها من المناسبات بتنظيم حفلات او تمثيل روايات، ويدعى لحضورها أصدقاء الكشافة وسائر المواطنين، وبعد فترة غير طويلة اصبحت للكشافة الإسلامية بالرغم من الوسائل المتواضعة التي تملكها، سمعة كبيرة لدى الشبيبة ولدى الرأي العام الجزائري. فكان نشاط المخيمات، والجولات في الغابات القريبة، والألعاب الرياضية مما يجذب الفتيان والشبان، وكانت اللقاءات بين أفواج مدن أو جهات عديدة دائمة بحيث تؤكد أواصر الصداقة والتعاون. وقد لعبت الكشافة، دوراً هاما في التأليف بين شبان المناطق المختلفة.

على أن الأمر الذي تتصمم به الكشافة الإسلامية الجزائرية إنما هو الروح التي كانت تسري في ممارستها، فالتعليمات قد جعلت أساسا لخدمة مثل أعلى يبذل الكشاف جهده ليستشعره، وهو مثل يقوم على التربية الإسلامية والوطنية والثقافة، وباختصار إن الشبان الجزائريين كانوا يتعلمون تاريخهم ويذكرون حضارتهم، فلا مكان لتاريخ غيرهم او لوطنية غيرهم، وكانت سياسة التذويب والاندماج في وطنية أجنبية مرفوضة بكل صراحة. فالابطال والأعلام المعترف بهم هم ابطال الإسلام وأعلام البلاد، والتاكيد إنما كان على اعتبار الجزائر وطناً خاصا بالجزائريين، له علمه ولغته وثقافته وتاريخه،

وكانت الأناشيد التي يصدح بها الشبان الكشفيون وطنية، يؤلفها أصحابها بالعربية أو تقتبس من البلدان العربية الأخرى، وبذلك كان كشافونا متضامنين مع شبان أقطار المغرب العربي والمشرق والعالم الإسلامي وكانوا يعلمون أنهم من الأمة الإسلامية وأنهم من عالم آخر غير فرنسا وغير أوروبا.

4 - معارضات وازعاجات إدارية:

مثل هذا الاتجاه لا يمكن إلا أن يثير استياء الإدارة الفرنسية، كانت في أول الأمر غير عابئة بوجودنا لأن الكشافة الإسلامية كانت في بداية نشأتها ولكن الإدارة انقلبت بسرعة معارضة معرقلة، وكانت مراقبة الإدارة للقيادة وأعضاء اللجنة المحلية مستترة أولا ثم صارت صريحة، واعتبرت المسيرين الكشفيين «مشبوهين» «وطنيين»، وقد أخذت عليهم أنهم اعتنقوا مبادئ وأوامر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وغيرها من الأحزاب الوطنية. ولذلك نصبت عراقيل وصعوبات لمنع حفلات الكشافة ومخيماتها وأناشيدها ومسرحياتها، ولم تعترف بتجديد اللجان المحلية. وجاء في تقرير: «صار المسيرون هدف مراقبة ظاهرة؛ وبذلت مساعي لتفريق الصفوف»[9].

ويضيف التقرير قائلا: بعد افتراق المؤتمر «تأسست[10] اتحادية أخرى بمساندة إدارة العمالة، بعنوان «الرواد المسلمين الجزائريين» لم ينضم إليها إلا فرعان، أحدهما من العاصمة[11] هو فرع المصيدة البحرية Pêcherie والثاني هو فرع البليدة. «وهكذا صارت الكشافة الجزائرية إبان إعلان الحرب سنة 1939 منقسمة: الى اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية (S.M.A) برئاسة بوراس: ويسيرها صادق الفول وبوبريط من جهة، واتحادية الرواد المسلمين الجزائريين (E.M.A) التي يسيرها عمر لاغا ومحفوظ قداش، من جهة أخرى»[12].

لم تكن أسباب هذا الانشقاق واضحة كل الوضوح، والظاهر أن الرواد المسلمين كانوا ينتقدون في الكشافة الإسلامية الجزائرية ضعف تخشبانها، ولكن هذا السبب غير كاف، ويفسر الخلاف بدل ذلك، برفض البرنامج الوطني الذي صادقت عليه اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية كما يرجع الى ضغط الإدارة الفرنسية، وسنرى في الفصل الثاني أن الصعوبات والنهابدات ستتضاعف ضد اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية (S.M.A).

5- تنظيم اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية.

تمت أثناء الجمعية العامة التي عقدت في جويلية 1939، المصادقة على القانون الأساسي للاتحادية وقدمها بوراس إلى إدارة العمالة بالعاصمة[1]، وتفيد المادة الثانية من هذا القانون أن مهمة الاتحادية هي تشجيع الكشافة وترقية تربيتها من جهة، وتأسيس أفواج كشفية والعمل -من جهة أخرى- على تكوين الشبيبة في المجال الأخلاقي والصحي والبدني، وتدريبها على الممارسات، وهي تعتزم التعريف بنشاطها بواسطة دوريات ومصنفات ومناشير، وبتنظيم محاضرات ومسابقات ومظاهرات مختلفة (المادة 3)، وهيئاتها المسيرة هي اللجنة الإدارية (المادة 6 و7) والجمعية العامة التي يتولاها مكتب هو مكتب المجلس الإداري، (المادة 9).

ويتعلق المواد الأخرى بالجانبين الإداري والمالي، ولم تظهر بعد قضية القيادة العامة المسؤولة عن النشاطات التقنية تحت نظر القائد العام العضو في المجلس الإداري وبوضح بعد ذلك نص النظام الداخلي (المادة 12) كيف تكون الاتحادية مؤلفة وطريقة عملها في النطاق الوطني والنطاقين الجهوي والمحلي، وتنص مداولات المجلس الإداري بتاريخ 23 جويلية 1939 على قائمة أعضاء المجلس الإداري الأول، وتوضح مسؤولية أعضائه، ويتألف المكتب الاتحادي من الأعضاء التاليين:

- **الرئيس**: محمد بوراس (الجزائر).
- **نائب الرئيس**: لاغا عمر (الجزائر).
- **الأمين العام**. مادة محمد (الجزائر).
- **الأمين العام المساعد**: التجيني الطاهر (سكيكدة).
- **أمين المال الاتحادي**: روماك (الجزائر).
- **أمين المال المساعد**: بوعزيز مختار (الجزائر).
- **المستشاران التقنيان**: بوبريط رابح (تيزي وزو) صادق الغول (مليانة).

وبعد ذلك أي بعد وفاة بوراس (1941) التي سنتحدث عنها في الفصل الثاني، وجه المجلس الإداري نداء إلى شخصيات للدفاع عن الاتحادية واتقاء حلها بقرار من حكومة فيشي (Vichy) وإدارة الولاية العامة.

اسندت الرئاسة الى الشيخ ابن زكري مدير مدرسة الثعالبية بالعاصمة ونيابة الرئاسة الى السيد بوكردنة عبد الرحمن الصبالي (الجزائر)، اما الطاهر التجيني الاستاذ بسكيكدة فقد عين قائدا عاما ويحتفظ مع ذلك بالأفواج العامة، وله مساعد هو رابح بوبريط (تيزي وزو) بصفته قائدا تقنيا، وعين عبد القادر ميموني (الجزائر) أمينا عاما مساعدا؛ بينما اسندت امانة المال الى بوعزيز مختار (الجزائر) والنيابة الى عبد السلام بن لوصيف (قسنطينة) ومن بين أعضاء المجلس الإداري أيضا الشريف غوثي (تلمسان) ومحمد الحاج سليمان (تلمسان) وإبراهيم بن الباي (قسنطينة) وسلوم علي (تيزي وزو) والعربي بن تليس (قسنطينة).

وعين بالإضافة الى هذه القائمة ثلاثة أمناء مال جهويين، يساعدون امين مال الاتحادية، فوض إليهم القيام بجميع العمليات البريدية وفقا للمادة (10) من القانون الأساسي وهم:

– جبجلي محمد، أمين مال جهوي 15 نهج بيرلوني قسنطينة.
– لوامشي صالح: أمين مال جهوي، نهج بواسوبي تيزي وزو.
– الحاج حسن عبد الرحمن، أمين مال جهوي 8 نهج نارفيس وهران



محمد بوراس برفقة: حسان قبايلي (كشاف تونسي) ومختار بوعزيز ومحمد مادا

القسم الأول

ملحق بالفصل الأول

وثيقة ملحقة، القانون الأساسي للكشافة الإسلامية الجزائرية (S.M.A) تاريخ 7 أبريل 1939 (الجريدة الرسمية رقم: 2971، 23 أبريل 1939).

المادة 1: الغاية وأعضاء الجمعية.

تألفت باسم اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية جماعة تربوية، أسست سنة 1939 مقرها الجزائر العاصمة.

المادة 2: غاية الاتحادية هي تشجيع التربية الكشفية وطرقها ومبادئها.

– تكوين أفواج من الكشافة:

العمل على تكوين الشبيبة في المجال الأخلاقي والصحي البدني والتدريب العملي، وفقا للمبادئ والطرق والممارسات المحددة المعروفة باسم الكشافة.

– تكوين قادة كشفيين:

الاتحادية مفتوحة للجميع دون تمييز في الأصل، ولكل فرد من أعضائها ضمان للتمتع ضمن الاتحادية من طرف قادته ورفاقه بالاحترام والمودة.

المادة 3: وسائل عمل الاتحادية هي:

– التسيير العام لاتحاد الجمعيات المحلية المعروفة باسم الكشافة الإسلامية الجزائرية التي طلبت الانضمام الى الاتحاد وتعهدت بالامتثال للقانون الأساسي ولمبادىء الاتحادية.

– نشر دوريات ومؤلفات ومناشير خاصة، وتنظيم المحاضرات والمسابقات والتظاهرات المختلفة.

المادة 4: تتألف الاتحادية

– من الجمعيات المحلية للكشفيين المسلمين المصرح بها وفقا للمادة 5 ولقانون أول جويلية 1901 والتي قبل المجلس الإداري انخراطها في الاتحادية.

- ومن الأعضاء المنفردين والمسيرين الأفراد المؤسسين والشرفيين، يجب أن يصادق المجلس الإداري على الأعضاء المنفردين، بينما يتعهد الأعضاء المسيرون بالعمل على تطبيق المبادىء والطرق والقواعد السارية في الكشافة بصفة عامة، وفي اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية بصفة خاصة. أما الأعضاء الأفراد فهم في حالة عدم وجود جمعية محلية - المنخرطون مؤقتا في الاتحادية، المساندون لها معنويا أو ماليا ولكنهم لا يشاركون في إدارتها، والمجلس الإداري علاوة على ذلك يمنح لقب العضو الشرفي لكل شخص يقدم أو قدم الخدمة والعون للاتحادية يمنح لقب عضو شرفي لكل شخص يساندها مساندة معنوية، ولكن لا يمكن له أن يشارك في التسيير والإدارة.

٢ **الشارة:**

شارة اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية:

- ترس لونه الأساسي أزرق يقطعه خطان مائلان أخضر وأحمر.
- زهرة ياسمين ذات خمسة ورقات بيضاء.
- هلال ونجمة ذهبية فوق زهرة الياسمين.
- شريط مذهب فوق الترس.
- تحت ذلك شريط من القماش في طرفيه نجمة وفي وسطه كلمة «كن مستعدا» وهذه الشارة ملك خاص للاتحادية.

الإدارة ونظام عملها:

المادة 6: يسير الاتحادية المجلس الإداري يتألف من خمسة عشر الى خمسة وعشرين عضوا تنتخبهم الجمعية العامة بصورة سرية لمدة ثلاث سنوات، ويختارون من بين مختلف الأعضاء الذين تتألف الجمعية العامة منهم.

يجدد ثلث أعضاء المجلس الإداري كل سنة بتعيين الأعضاء الذين يجددون بعد سنتين، بالاقتراع، ويجوز إعادة انتخاب الأعضاء المخرجين.

يختار المجلس الإداري من بين أعضائه وبطريقة سرية، مكتبا لمدة سنة يتألف من رئيس ونائب رئيس وأمين مال وأمين مساعد وأمين سر وأمين سر مساعد ومراقب.

المادة 7: يجتمع المجلس الإداري مرة في كل شهر على الأقل وفي كل مناسبة يستدعيه الرئيس او بطلب من ربع عدد اعضائه.

ولابد من حضور ربع عدد اعضاء المجلس الإداري لتصح المداولات، ولابد من تحرير عرض حال للجلسات، ويمضيها الرئيس وامين السر، وتنقل محاضر الجلسات، بدون فراغ أبيض ولا تشطيب على سجل، ويرقمها ويمضيها عامل العمالة (الوالي) أو ممثله.

المادة 9: تتألف الجمعية العامة من:

- اعضاء المجلس الإداري.
- والأعضاء المسيرين الذين يضطلعون بمهمة قائد فوج او قائد وحدة منفردة.
- والممثلين الذين ينوبون عن الجمعيات كما توضح ذلك المادة 12 التالية:

تجتمع الجمعية العامة مرة في السنة في المكان والتاريخ اللذين يحددهما المجلس الإداري، وفيما عدا ذلك في كل مرة يستدعيها المجلس الإداري بطلب ربع اعضائه على الأقل، يحدد المجلس الإداري جدول عمل الجمعية العامة ومكتبها هو مكتب المجلس الإداري، تقدم الى الجمعية العامة تقارير عن عمل المجلس الإداري وعن الحالة الأدبية والمالية للاتحادية.

المادة 12: توزع الجمعيات المحلية (الأفواج) في جهات ومناطق وفقا لتقسيم ينص عليه القانون الداخلي، يعين المجلس الإداري لدى كل جمعية مندوبا او عدة مندوبين، وفي كل سنة وشهرا قبل انعقاد الجمعية العامة، تعين الجمعيات المحلية ممثليها الذين يحضرون الجمعية العامة (الاجتماع العام) للاتحادية.

يعين هؤلاء الممثلون بنسبة ممثل واحد عن كل جمعية محلية تضم خمسة اعضاء على الأقل ادوا اشتراكاتهم عند أول يناير من السنة الجارية بممثل واحد عن كل وحدة من وحدات الأشبال والفتيان والجوالة التي تتألف منها الجمعيات المحلية، وتضم ثمانية كشافين على الأقل أدوا اشتراكاتهم عند أول يناير من السنة الجارية.

المادة 18 : يجوز تعديل القانون الأساسي بموافقة الجمعية العامة، ولا يتم ذلك إلا باقتراح من المجلس الإداري او العشر من الأعضاء الذين تتالف منهم الجمعية العامة، ويعرض هذا الاقتراح على المكتب شهرا على الاقل قبل الاجتماع العام. يجب أن تضم الجمعية العامة ربعا من اعضائها العاملين على الاقل، وإن لم يتم هذا النصاب تستدعى الجمعية العامة من جديد بعد خمسة عشر يوما على الاقل، ويجوز في هذه المدة أن تصح مداولاتها مهما كان عدد الأعضاء الحاضرين ومهما كان الامر لا يمكن تعديل القانون الأساسي إلا باغلبية ثلثي الأعضاء الحاضرين.

الجزائر في 25 فبراير 1939
عن اللجنة العامة المؤقتة
الرئيس بوراس

القسم الأول

هوامش الفصل الأول

01 – درويش محمد – الكشافة مدرسة الوطنية – نشر الشركة الوطنية – الجزائر – 1984.

02 – بادن باول (1857 – 1941) انظر كتاب «الكشافون» (Eclaireurs) الذي نشر سنة 1908 وترجم الى عدة لغات وتكرر نشره عند دولاشو ونستلي (باريس).

03 – نقل المكتب بعد ذلك الى سويسرا.

04 – بخصوص جمعية العلماء انظر كتاب علي مراد: الحركة الإصلاحية في الجزائر، نشر موتون بأريس 1967.

05 – مقال نشر في جريدة الشعب بتاريخ 29 / 5 / 1982 واعاده بصورة أوسع كاتبه سعيدي عبد الرحمن (الجزائر).

06 – مقتطف من تقرير اللجنة الوطنية لشبيبة جبهة التحرير الوطني الجزائر (1975).

07 – نملك شهادة مسير فرنسي عن التفاف الفروع الكشفية الإسلامية باتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية.

08 – محمد فارس، قائد كشفي سابق، يبدو أنه اكتشف تقريرا من هذا النوع، والمرجو أن ينشره بتمامه.

09 – مقتطف من تقرير القائد الطاهر التجيني للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سنة 1958، ص 2.

10 – في سبتمبر 1939 أي في بداية الحرب العالمية الثانية، المقصود الكشافون المسلمون الجزائريون.

11 – الفوج الآخر هو فوج «الفلاح» (الجزائر) الذي أسسه بوراس كما عرفنا بذلك.

12 – مقتطف من تقرير القائد الطاهر التجيني المشار إليه.

13 – توجد كملحق لهذا الفصل مقتطفات من القانون الأساسي الموضوع سنة 1939.



المخيم المدرسي الأول لقادة (الك . إ.ج.) بمليانة – 1939.



المخيم الأول للكشافة مع خليفة بشير الأغواط – 1940

القسم الأول

الفصل الثاني
الكشافة والحرب العالمية الثانية
(1939– 1946)

بقلم: د. / أبو عمران الشيخ.

– 1 . شروع الاتحادية في العمل، وصعوبات في طريقها.

بعد التجمع الذي وقع في جويلية 1939 في الحراش دعمت الاتحادية نظامها، وعملت على توسيع نشاطها الى المدن الكبيرة والى القرى المعروفة بالتأكيد على تكوين الإطارات.

كان من العسير في هذا المجال اجتذاب العناصر المتعلمة المستعدة للعمل، لان الكشافة الإسلامية كانت تحيط بها التحوقات، لأنها قريبة من الحركات والأحزاب الوطنية، وتبدو شبه عسكرية، بما تتسم به من طاعة للنظام واتخاذ بدلة خاصة واناشيد وطنية، كانت الإدارة تنظر إليها بارتياب وتراقب مسيريها.

عندما أعلنت الحرب في سبتمبر 1939، انسحب الرواد المسلمون الجزائريون (E.M.A) من الاتحادية كما عرفنا بذلك، وبعد هزيمة 1940، ضمت حكومة فيشي الجمعيات الكشفية الفرنسية في هيئة رسمية تحت إشرافها، وبرأسها الجنرال لافون (Lafont)، وكانت بعثة الكشافة الفرنسية المقيمة بالجزائر لا تعترف إلا بالجمعيات الفرنسية، وبقيت اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية مقصية عن هذه الهيئة وكانت تعتبرها اتحادية غير قانونية، ولكنها تسمح مؤقتا بوجودها. لهذا سافر الرئيس محمد بوراس الى فيشي للتفاوض مع رئاسة الكشافة الفرنسية لاتقاء القضاء على الاتحادية الجزائرية، ولكنه واجه موقفا مبدئيا هو أن الكشافة الإسلامية يجب أن تذوب في الجمعيات الفرنسية الموجودة في الجزائر، وقد اقترح عليه أن تدمج إما

في الكشافة الفرنسية (S.D.F) أو الرواد الفرنسيين (E.D.F)، وفي السابع والعشرين ديسمبر 1940 وجه الأمين العام للكشافة الفرنسية رسالة رسمية للرئيس بوراس لهذا الغرض[14] ولكن مثل هذا الاقتراح لم يكن ليقبل، لأنه لا يعترف بأصالة الكشافة الإسلامية الجزائرية ويحاول الحاقها بالكشافة الفرنسية، وكان من المنطق ان تعترف بوجود كشافة إسلامية كما توجد كشافة كاثوليكية وتوجد كشافة إصلاحية (Protestants) وكشافة إسرائيلية.

وقد رفض أصحاب الامبراطورية الفرنسية هذا المنطق، وبما ان الجمعيتين الفرنسيتين الرئيسيتين الموجودتين في الجزائر كانتا غير متفاهمتين، استفادت الكشافة الإسلامية بنوع من المهلة لتقاوم إدماجها في احداهما، ولكن التهديد كان قائما، وأصبح هذا الخطر أكبر بعد إلقاء القبض على بوراس وإصدار الحكم عليه.

2 -الحكم على بوراس وإعدامه (27 مايو 1941):

إن محمدا بوراس مؤسس الكشافة الإسلامية الجزائرية، شخصية بارزة في تاريخنا، ونحتفل بذكرى وفاته في 27 مايو من كل سنة في بلادنا، منذ الاستقلال. ولد في مليانة سنة 1908 وتلقى التعليم الابتدائي ببلده ثم استقر بعاصمة الجزائر وانخرط في مدرسة الشبيبة العربية الحرة وبذلك حصل على تعليم متين باللغتين العربية والفرنسية.

وقد بكّر الى العمل، واسس جمعية «الفلاح» سنة 1935، ثم حاول ان يضم جميع الجمعيات في اتحادية، كما عرفنا بذلك في الفصل السابق، وفكرته الأساسية كانت إعلان عمل حربي على فرنسا من أجل الاستقلال، وقد سعى للحصول على الأسلحة بجميع الوسائل، دون أن يقدر الخطر الذي يواجهه، وبالفعل لم تكن توجد إذاك منظمة سياسية او عسكرية وطنية قوية، مبثوثة في كبار مراكز البلاد وقادرة على مساندة عمل جماعي ولم تكن الفكرة ناضجة بعد، وكان بوراس من السابقين الى فكرة كفاح مسلح فرضت نفسها تدريجيا ابتداء من سنة 1945 وكانت الإدارة الفرنسية تراقبه عن قريب والقت عليه القبض واتهمته «بالتعاون مع العدو» وحكم عليه مجلس قضاء

حربي بالاعدام، وتم إعدامه في 27 مايو 1941 في حسين داي. ومن الجائز ان نتساءل لماذا كان كل هذا التسرع ولماذا كانت هذه الشدة في الحكم؟ لابد من التذكير بان الحكومة الفرنسية المستقرة في فيشي، كانت خاضعة كل الخضوع لالمانيا المنتصرة، وكان يمثلها الجنرال فيغان (Weygand) في الجزائر ورأت انه من واجبها ان تدافع عن كل جزء من امبراطوريتها ولاسيما منها بلادنا التي كانت تعتبر مستعمرة ممتازة، وكل تيل بالامبراطورية كان يعاقب عليه اشد العقاب. وبذلك كانت الحكومة (حكومة فيشي) تعمل على صون سمعتها وسلطتها، وقد احتاط بوراس قبل ذلك بإرسال رسالة استقالة الى مساعده الصادق الفول لحماية الاتحادية، وقد أحدثت وفاته أسى بليغا وكادت الحركة التي اسسها ان تنهار، وكان الشهيد نموذج الإخلاص في العمل والتضحية، وسنذكره دائما بخير»[15]

3 - عسر العلاقات مع الكشافة الفرنسية:

إزاء التهديد بالقضاء على اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية حاول مسيروها البحث عن غطاء وحماية وتوجهوا الى المستشارين الجزائريين الذين يمثلون المسلمين في فيشي[16]، ونظمت الكشافة الفرنسية من جهتها مخيمات تدريبية للكشافة والفتيان الجزائريين في الجزائر، تمهيدا لادماج الاتحادية الإسلامية الجزائرية في وحداتها، وكان الغرض بصورة خاصة هو تحويل نظرتها المبدئية وإقناع شبابها بأنه من مصلحتهم ان يذوبوا في الكشافة الفرنسية، وصرح القائد أندري تريل من الكشافة الفرنسية لجريدة «الديبيش الجزائرية» قائلا: «إننا قررنا في هذه الهيئات التدريبية تنظيم دورات خاصة لاطلاع قادة المستقبل أو البعض منهم على الكشافة الإسلامية وسندعو لهذا الغرض مدربين مؤهلين بمعرفتهم للإسلام. إننا على استعداد فعلا، وعملا بتوجيهات الكشافة الفرنسية لالحاق وإدماج المسلمين في أحوال خاصة تسمح لهم بان يكونوا من كشافة فرنسا، مع كل الاحترام لدينهم»[17] اما القائد فرنسوا وهو من (E.D.F) فقد قرر أن يزور افواج الكشافة الإسلامية الجزائرية بدون موافقة الاتحادية، وقد وزع منشوراً

عامًا من القائد العام الطاهر التجيني بتاريخ 13 فبراير 1941، طلب فيه من أفواج الكشافة الإسلامية أن يشرحوا لممثلي الكشافة الفرنسية، بأنهم من اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية التي يوجد مقرها بالعاصمة الجزائرية وأنه ينبغي الاتصال بها، وقال في هذا المنشور إن الكشافة الفرنسية (EDF) و(SDF) ترغب في تأسيس أفواج من الكشافة الإسلامية على غرار فوج «بادن باول» الذي أسسه «الآباء البيض» الذين ادعوا أنهم لا يخوضون في المسائل الدينية، ولا يعنون إلا بالتدريب الكشفي ويمارسون كما كان شائعا العطف والاحسان على المسلمين[28]! وأضاف أن القيادة العامة للكشافة الإسلامية الجزائرية، هي المسؤولة الوحيدة لإجراء المناقشات مع الكشافة الفرنسية، وأشار المنشور الاتحادي الى أنه ينبغي قبول انخراط أكثر ما يمكن من الشبان الكشفيين، لأن العدد له أهمية كبرى في تلك الحالة، «وصرح المنشور بأن المسيرين الكشفيين الفرنسيين كان عليهم أن يحترموا منظمتنا واستقلالنا الضروريين للحفاظ على عقيدتنا الدينية التي نتمسك بها كل التمسك، ويطلبنا الانضمام الى الكشافة الفرنسية لم ترد اختفاء منظمتنا الاتحادية للسماح للمنظمات الأخرى أن نتعزز بعددنا».

وقد كانت نتيجة التدريبات في المخيمات التي نظمت بالعاصمة عكس ما كان ينتظر منها، فأتاحت للشبان المسلمين الذين قدموا للمشاركة فيها من نسمة الى ندرومة التعارف على بعضهم ببعض كعمال أو كطلبة، وأدركوا أنه يجب عليهم ممارسة عمل كشفي حقيقي وإقصاء كل استعلاء (من الكشافة الفرنسية)، وأدرك الشبان المسلمون المنخرطون في الجمعيات الكشفية الفرنسية (S.D.F) و(E.D.F) أنه يجب عليهم أن ينضموا الى صفوف الكشافة الإسلامية المستقلة عن الكشافة الفرنسية، ورفضوا الاندماج أو الحماية من قبل من يجهلون كل شيء عن دينهم وتطلعاتهم العميقة.

وقد وقع نزول القوات الانجليزية الأمريكية في 8 نوفمبر 1942 بينما كانت تجري تدريبات في مخيم «الرياض» بضواحي العاصمة، وقد انسحب الفرنسيون، وأسندوا المسؤولية لجماعة مرتحلة، بحيث يمكن تصور الجو السياسي في تلك الحالة.

إن أغلب هؤلاء القادة كانوا ممن تعاملوا مع حكومة فيشي وفضلوا تسليم الأمر لغيرهم والانسحاب، لأن اللجنة الديغولية اللندنية لم تكن لتقبلهم. إذاك عرفت الكشافة الإسلامية فترة هدوء مؤقتة ولم يعد يفكر أحد في ضمها الى الجمعيات الفرنسية، وذلك لأن الحكومة المؤقتة الفرنسية التي انتصبت في عاصمة الجزائر، كانت لها مشاغل أخرى.

4 - الاتحادية تتعزز.

ضاعفت اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية نشاطها، وأمكن انتشار جو سياسي ملائم لقيام حركة «احباب البيان والحرية» في مارس 1944، بمشاركة أنصار فرحات عباس ومصالي الحاج وجمعية العلماء، وقد ابتعد التهديد بحل الاتحادية أو إدماجها ولكن المسيرين للكشافة الإسلامية ظلوا على حذر واحتياط، وذلك لأن الإدارة الفرنسية لم تعدل عن رأيها ولاسيما أن الكشافة الإسلامية ازداد دعمها وتعزز واصبحت تحظى بالمساندة الشعبية. دعمت الاتحادية نظامها ونشاطها، وتحددت إطاراتها وعين قادة جدد: واصبح الشريف غوني (تلمسان) قائدا وطنيا للجوالة، وفارس محمد (بجاية) قائدا وطنيا للفتيان والقشعي محمد (تيزي وزو) قائدا وطنيا للأشبال، وعداد عبد القادر (تنس) مسؤولا وطنيا للتربية الدينية (الإرشاد)، وتولى ايضا قادة جهويون ومحليون وظائفهم: ومنهم فروبنة عبد القادر (وهران) ومحمد الصغير فرج (لمقاطعة الجزائر) وبودملي مصطفى (لمقاطعة قسنطينة)، وبعد تنحية الرئيس بوكردنة تولى القائد العام الطاهر التجيني مهامه بالنيابة عنه، ثم اثبت في منصبه، وتعين محمد قارس قائدا عاما مساعدا.

بذلك امكن تظافر الجهود لدعم وحدة الكشافة الإسلامية، وطلب فوج «القطب» بالعاصمة الانضمام الى الاتحادية، وكان مسيروه قد انسحبوا من الاتحادية في سبتمبر 1939، وجرى تبادل الرسائل بين رئيسه لاغا عمر والقائد العام الطاهر التجيني. وكان المسيرون للفوج لاغا عمر وقداش محفوظ، وابن ترمي عمر.

وفي ابريل 1944 استقبلت اللجنة الإدارية من الاتحادية الإسلامية قيادة فوج «القطب»، ابن تومي وقداش وصرح هذا الاخير قائلا: لقد انخرطت في فوج الرواد المسلمين منذ سنتين او ثلاث؛ ولم اكن اعرف فوجا غيره، وفي ذلك الحين انفصل فوج «القطب» من اتحادية الكشافة الإسلامية، وقد اتصلنا بمراسلات ولكننا لم نرد تاسيس اتحادية لتوسيع الخلاف، اتصلنا بمراسلات عندما وقعت احداث في الاتحادية الإسلامية ووجهت إذاك اتهامات ضد رئيسنا السيد لاغا ونحن رافضون لها. وقد احتججنا لدى السيد لوكوي (Lecuyer) في مخيم الإعلام»[19]، ولم يوضح الاحداث والاتهامات، ويبدو ان نزاعات وقعت في العاصمة بين الرواد المسلمين من فوج «القطب» وفوج «الفلاح» التابع للاتحادية.

وقد زالت تخوفات الرواد المسلمين وقبلت اللجنة الإدارية انخراطهم في الاتحادية، وعين لاغا عمر قائدا يمثل الكشافة الإسلامية في العاصمة والولاية.

برزت قوة الاتحادية وانسجام صفوفها بكل وضوح بمناسبة التجمع الاتحادي الكبير بتلمسان (جويلية 1944) الذي حضره نحو 450 شابا وكشافا يمثلون 60 مدينة وقرية جزائرية، وقد اجتمعوا في مخيم كبير في هضبة لالة ستي، واستمر نشاط المخيم عدة ايام في جو من الترحيب والحماس الظاهر من طرف السكان، وقد كثرت التبرعات والإعانات للمخيم الذي حضره من الشخصيات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والرئيس فرحات عباس والوزير الفرنسي روتيه كابتان (Capitant).

5 - تعديل القانون الأساسي الاتحادي:

ادخلت الاتحادية اثناء الاجتماع الفدرالي في ديسمبر 1943، بعض التعديلات على القانون الأساسي[20]، ولاسيما على المادتين السادسة والثانية عشرة، ففي المادة السادسة حدد عدد أعضاء اللجنة الإدارية بخمسة عشر عضوا. اما المادة الثانية عشرة المعدلة فهي تميز بين الأفواج الكشفية واللجان الشرفية؛ الافواج موزعة على جهات ومناطق كثيرة، وعلى راس كل جهة أو منطقة او فوج او وحدة قائد يضطلع بالتسيير وهو مسؤول امام الاتحادية.

أما اللجنة الشرفية فهي تمد مساعدتها للفوج دون أن يكون لها دخل في نشاطه؛ القائد المحلي يمثل اللجنة الإدارية ضمن اللجنة الشرفية، وله أن يعارض -بعد أن يخبر اللجنة الإدارية- كل قرار يخالف الأنظمة والتوجيهات الاتحادية، أو يسيء الى حسن سير الكشافة، وبذلك دعمت الاتحادية استقلالها عن اللجنة الشرفية وأكدت سلطتها على الفوج التابع مباشرة لها، وبذلك وضعت حدا للغموض وللتجاوزات التي ظهرت هنا وهناك.

6 - أحداث الثامن مايو 1945:

اعترفت الكشافة الفرنسية في الثامن مايو 1945 في آخر الأمر باستقلال الكشافة الإسلامية الجزائرية وقدمت إليها وثيقة الاعتماد، ولم يعد من الواجب إجبار أفواج الكشافة الإسلامية الجزائرية على الارتباط بجمعيات فرنسية، ولكن أحداث مايو 1945 في الشرق الجزائري (عمالة قسنطينة) قامت عائقا في سبيل هذا الاستقلال. ففي الثامن مايو شارك الجزائريون في المظاهرات الجماهيرية للاحتفال بانتصار الحلفاء على الدول الفاشية، وشارك الكشافون المسلمون في استعراضات بلباسهم الرسمي وأعلامهم مع الحركات الوطنية الأخرى التي تجمعت تحت قيادة «أحباب البيان والحرية»، ومن المعروف أن مؤامرة الجيش الفرنسي والمعمرين المسلحين حولت المظاهرات السلمية الى مأساة[2]، وقد هلك عدد من الكشافين أثناء عمليات القنبلة الخطيرة التي وقعت في سطيف وخراطة وقالمة، وقد أغتالت الميليشية الفرنسية جميع أفراد فوج مدينة قالمة وشارك فيها معتقلون إيطاليون.

وبمناسبة الأيام الدراسية التي نظمت في قسنطينة، أشاد القائد العام بالكشافين الشهداء ولاسيما بواحد من قادتهم: «واسمحوا لي بذكر أحد هؤلاء القادة، هو القائد (C.M) اسكندر[3]. إن أغلبكم قد عرفوه في تلمسان، كان صاحب ابتسامة دائمة ولا يكف عن الإنشاد، وهو غير قادر على تصور أي شر، ولم يعمل أي شر، ولكنه هلك مع رفاقه ضحية للشر. إنكم تعرفون هذا الشر وتتألمون منه على اختلاف درجاته وهو روح الأنانية وعدم التفاهم السائد في هذه البلاد، وهي أنانية ينكرها ديننا كما ينكرها القانون الكشفي، إذ أن ديننا وهذا القانون لا يحتويان إلا على الخير والأخوة وخدمة البعض للبعض».

وقد قررت السلطات إثر أحداث مايو 1945 تعطيل نشاط الكشافة الإسلامية في عمالة قسنطينة وفي بلاد القبائل، واستدعى ذلك القيام بمساعي مدة سنة كاملة لإلغاء القرار بتدخل من عبد الرحمن فارس وفرحات عباس، وقد ألقي القبض على عدة قادة مع شخصيات وطنية، وحكم بالأعدام على قادة فوج سعيدة لمشاركتهم في إحراق دار البلدية، وقد صدر العفو عنهم بعد ذلك، وأبدى قائد الكشافة الفرنسية « كاكلان» (Caquelin)[12] موافقته على السماح باستئناف نشاط الكشافة الإسلامية في جميع جهات القطر.

كانت مضاعفات هذا القمع الصارخ على الكشافة ذات أثر كبير فالاتحادية أكدت قبل كل شيء على جزائريتها وطابعها الوطني تأكيدا واضحا، ولم يقبل أي مسؤول كشفي أي تساهل بخصوص هذه النقطة، وقد رغبت الكشافة الإسلامية الجزائرية في تعويض قادة الكشافة الفرنسية باتحادية جزائرية للكشافة، ولكن الكشافيين الفرنسيين لم يقبلوا ذلك إلا بتحفظ واستمر الغموض حول القضية، وكان لابد من عمل صارم لاقناعهم كما سنرى ذلك فيما بعد. ومن ناحية أخرى وجهت الكشافة الإسلامية بمزيد من الوضوح نشاطها الى المنابات الوطنية والعلاقات المغاربية ثم الدولية، وفكرت في طلب الاعتراف بها من المكتب الدولي للكشافة بلندن (انجلترا) باعتبارها اتحادية جزائرية مستقلة، وقد عارضت ذلك الكشافة الفرنسية معارضة شديدة بدعوى أن الجزائر ما هي إلا ثلاث عمالات فرنسية! وانطلاقا من هذا الموقف لم تكف اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية عن المطالبة باحترام استقلالها الكامل، مهما كانت العراقيل، وسنعود الى الحديث عن هذه القضية الهامة وإليكم الملحقات التالية:

- **الوثيقة الملحقة رقم 1**: رسالة من السيد بادوفان (Basdevant) الى الرئيس بوراس بتاريخ 1940/12/27.
- **الوثيقة الملحقة رقم 2**: رسالة استقالة بوراس،
- **الوثيقة الملحقة رقم 3**: الرئيس بوراس في نظر رفاقه القائدين بوسريط وفرج.



فوج الرجاء تلمسان - 1940



فوج الفلاح برج بوعريريج - 1941



مدرسة الإطارات الرياض - الجزائر - 1942



فوج الكشافة الإسلامية الجزائرية - مليانة - 1947

القسم الأول

الفصل الثاني

الوثيقة الملحقة رقم 1: رسالة إلى بوراس

الكشافة الفرنسية 11 مكرر نهج دولاتور فيشي،
فيشي في 27 ديسمبر 1940.
إلى السيد بوراس دار مازيلا، رايس فيل سانت أوجين، الجزائر.
السيد المحترم

إنني سعدت كثيرا بمناسبة الزيارة التي قمتم بها إلي بتاريخ 26 أكتوبر 1940 في فيشي، ومنذ ذلك الحين لم أعرف ما هو القرار الذي اتخذتموه، ولكي لا تبقى في التردد فاريد أن أطلعكم على نوايا المجلس الوطني للكشافة الفرنسية وموقفه من منظمتكم.

إن الكشافة الفرنسية سترحب بكل فرح باستقبال المسلمين ضمن صفوفها كما فعلت ذلك قبل اليوم.

وفقا لرغبة الحكومة فإن الجمعيات الكشفية الوحيدة التي وافقت عليها، هي الجمعيات التي تتألف منها الكشافة الفرنسية حاليا دون أية زيادة ممكنة.

وفي مقابل ذلك فإن جمعية الكشافين الفرنسيين 10 شارع غالييني بفيشي، وجمعية الرواد الفرنسيين 11 نهج دولاتور فيشي تقبلان بكل ترحيب تكوين أفواج من الكشافة المسلمين في شمال إفريقيا، وفقا لقواعد خاصة.

إن حركة الكشافين الاتحاديين (Unionistes) يمكن لها أن تستقبل شبانا مسلمين لكن كل وحدة من وحداتها تبقى سائرة بروح بروتستنتي (Protestante).

وبإمكانكم هذا الانخراط في الكشافة الفرنسية، بالانضمام إما للكشافة الفرنسيين (S.D.E) او للفتيان الكشفيين (E.D.F) الفرنسيين والأفضل هو أن تردوا على محوليكم الميداني وبأسماء وعناوين القادة الراغبين في الالتحاق بإحدى الجمعيتين وتقبلوا سيدي القائد أسمى عبارات التقدير الكشفي.

الامضاء

أ. بادوفان

نسخة مطابقة

بتاريخ 41/1/3 رقم 12، الجزائر.

أندري بادوفان الأمين العام للكشافة الفرنسية.

القسم الأول

الفصل الثاني

الوثيقة الملحقة رقم 2: استقالة بوراس (1941)

الجزائر في 16 مارس 1941.

السيد الغول الصادق

القائد العام لاتحادية الكشافة الإسلامية، الجزائر، بمليانة

عزيزي القائد العام

إني أرفع إليك هذه الاستقالة من اتحادية الكشافة الإسلامية بكل أسف وللأسباب التالية:

منذ سنة 1922 كنت تحت توجيه السيد مهندس الطرقات والقناطر «دوكنوا» ومامور الشرطة «بونكرازي» (المشرف) ولم يكن عمري إلا إحدى عشرة سنة ونصف سنة واعتبرتني لجنة الاختبار بطل التوازنات في جمعية الرماية والإعداد العسكري «المليانية».

ثم انخرطت كحارس في جمعية كرة القدم فاحرزت على إعجاب السكان.

في سنة 1926 استقرت اسرتي بالجزائر العاصمة وانخرطت ابتداء من 1930 في الفرقة الأولى للمولودية التي أحرزت بها شهرتها بتسعة عشر نقطة زائدة على الفرقة الموالية لها.

وقد غادرت هذه الجمعية لاعداد شهادة (B P M E) ولكن احجمت عن ذلك بسبب إصابة في قدمي اليمنى فأجبرت على التخلي عنها، وذلك بقطع النظر عن المشاركة في المسافات العديدة التي فزت فيها في الاتحادية الرياضية، ولا داعي الى التعليق على عمليات (إنقاذ 3 فتيات وفتيين أوروبيين وثلاثة مسلمين) قمت بها مخاطرا بحياتي.

وفي سنة 1935 شرعت في التربية الأخلاقية والصحية البدنية للشبيبة وكان من ذلك العرض تأسيس الكشافة الإسلامية، وبالرغم من الصعوبات القائمة إذاك، فإن الكشافة صادفت إقبالا وحماسا من طرف الشبيبة، وقدرت أهم المدن الجزائرية جدوى النظام الكشفي من جهة التربية البدنية والاخلاقية وفقا للمثل... (كلمات غير مقروءة).

وفي سنة 1939، اجتمع مؤتمر الكشافة الإسلامية في الجزائر العاصمة (شهر جويلية) فنوه بالحركة ورفع من شأنها.

وبحلول الحرب عمل الكشافون الجزائريون بعيدا عن كل فكرة سياسية، في نظام محكم وسلوك مربين مهذبين، على تطبيق مبادىء الكشافة التي آتت ثمرتها الفائقة، واستحقت بها تهنئات السلطات المدنية والعسكرية المحلية، كل هذا جميل ولكنني مضطر مع الأسف الى أن أقول ما هي الحالة فيما يخصني شخصيا.

لقد عملنا على استمرار الحركة، ودعونا في كل مرة للصداقة وحاولنا التقارب بمحاربة جرثومة الأنانية في جميع صورها، ولم نعد دراستي للحقوق التي استمرت عدة سنوات ذات فائدة وذهبت سدى، ولم يقف الامر عند هذا الحد.

ففي سبتمبر 1940 قررت بمبادرتي الشخصية وبتكاليف مني ان اشارك في دروس التربية التي نظمت في «كليرمون فيران» تحت إشراف الوزير بورترا، ومن المؤسف لم تسمح لي الأحداث بالوصول في الأوان المناسب واصبت بمرض خطير في بلد لم يكن لي به قريب ولا صديق ولا معين يساعدني للتخفيف من الامي، والله أكبر.

وعند رجوعي الى الجزائر كانت تنتظرني هدية جميلة وبدون شرح طويل وبدون شفقة، أرسل الي رؤسائي إعفائي بعد 13 سنة من الخدمات المقدمة وبرضاء هؤلاء... وفي الحين بعد ذلك وبينما كنت في الفراش مريضا أخبرت باحتجاز ومصادرة مخزون لي من الزيت الذي اكتسبه والذي

المرحوم بجهوده ، وقد توفي وترك لي أربعة أيتام بحيث أصبحت حاليا مسؤولا عن ثمانية أطفال، يمثلون كل فقري.

إن كل اموري ضاعت من أجل مساعدة الغير، وهذا كل حبي ولكن مع الأسف... وقد قال رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام (كلمات غير مقروءة...).

ليس لي ان اطيل في هذا الموضوع إنني آواني لهذا السبب مضطرا الى الانسحاب من كل نشاط رياضي مهما كان لاعتني بعائلتي لا غير ولا احاول رفع معنوياتي، وبناء على هذا أرجو منك عزيزي القائد العام أن تعرب للكشافة الإسلامية التي لا تزال في قلبي عن كل تمنياتي بالنجاح الكامل.

بالتوفيق
تحية من أخيك بوراس

الإمضاء
م. بوراس
دار مازيلار رابس فيل سانت أوجين.

القسم الأول

الفصل الثاني

الوثيقة الملحقة رقم 3، الرئيس بوراس

بقلم محمد الصغير فرج ورابح بوبريط

ابرزنا في الشهادة التي قدمناها عن تأسيس اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية (F.S.M.A) الدور الكبير الذي قام به محمد بوراس[24] وأشرنا أيضا باختصار الى النهاية المأسوية التي كتبت على هذا الرجل العظيم، على اننا بصفتنا من قدماء رفاق الفقيد نرى أن ما ذكرناه في حقه كان غير شاف ولا كاف، وانه يحتم علينا وفاء لذكراه، أن نقدم مزيدا من المعلومات عن حياته ولاسيما أن نضيف بعض التوضيحات الى القضية التي ساقته الى المقصلة.

نعرف المراحل الاساسية من حياة محمد بوراس لأنه اختصرها هو نفسه في الرسالة المؤثرة التي بعث بها الى القائد العام الصادق الفول، ليقدم استقالته من اتحادية الكشافة الإسلامية الجزائرية[25]، وقد أوضح في هذه الرسالة انه في سنة 1926 في حين كان عمره 18 سنة، فارق مليانة مسقط راسه، ليستقر بعاصمة الجزائر. وقد واصل في العاصمة ممارسته للرياضة التي أحرز فيها امتيازا في شبابه الأول، ويبدو أنه لم يكتشف الكشافة إلا في سنة 1935 ثم ضحى بباقي حياته من أجلها، ولتفتح هنا قوسا لتفيد بمعلومات لها اهميتها التاريخية، وقد استقيناها من مصدر آخر[26]، وبالفعل فإن المرحوم «على فضي» يذكر الوقت الذي كان فيه بوراس (1933) يتلقى دروسا بالعربية للكبار في «مدرسة الشبيبة» التابعة لجمعية العلماء في العاصمة، وكان إذاك يحاول باستمرار لفت اهتمام اصدقائه إلى الكشافة.

عندما ذكر بوراس في رسالته سنة 1939 إنما كان ذلك للتأكيد على عدم ارتباط حركة الكشافة الإسلامية بالسياسة، وقد فعل ذلك بقصد تجنب

هذه الحركة العواقب السيئة لالتزامها السياسي، فهذا القصد وحده هو الذي حمل بوراس على الاستقالة من الاتحادية، اما فيما يتعلق بسفره الى فرنسا فقد كان يوهم العدو ويخفي نواياه.

ولننظر الآن في الباعث وفي السبب الحقيقي لهذا السفر، وكيف تمت خاتمته المحتومة، كل من عرفوا محمد بوراس سيقولون إنه كان يمتاز بالخصال النبيلة التي لا يجوز إنكارها، لقد كان مؤمنا صادقا ورجلا مخلصا كل الإخلاص، وكان الى ذلك وطنيا متحمسا، الأمر الذي يفسر تردده على «نادي الترقي» مقر جمعية العلماء، وبمدرستهم الحرة «الشبيبة» قد كان وفيا لدروس ابن باديس، مقتنعا بأن الكفاح من اجل الحرية لا يمكن ان يكون إلا بتعليم الشعب وتوعيته؛ ولذلك قرر ان يقوم بتربية الشبيبة عن طريق الكشافة بعد هزيمة الجيش الفرنسي في يونيو 1940 اعتقد أغلب الوطنيين بأن ساعة التحرير قد حلت، وكان بوراس من هؤلاء، بل كان على يقين من ذلك الى درجة أنه كان يظن لحسن نيته انه يكفي «السعي بجهد قليل» لتحرير البلاد من ربقة الاستعمار وكان هذا «الجهد القليل» يتمثل في نظره في القيام بانتفاضة مسلحة، بحيث كان لابد له من الحصول على أسلحة، وفي تلك الحالة من ظروف الحروب، الى من يمكن ان يتجه إليه، إن لم يكن الى خصم عدونا؟ وذلك ما فعله بوراس بالضبط.

وقبيل سفر بوراس الى فرنسا للاتصال بالألمان، جمع اقرب اصدقائه (بحن منهم) وأخبرنا بما ينويه، وقد كنا مجمعين على نصيحته لمنعه من خوض هذه المغامرة الخطيرة التي لا تؤدي الى نتيجة، ولم تعوزنا الحجج لاقناعه، وقد كان من الوهم أن ننتظر من المانيا النازية، ذات العقيدة العنصرية المتنكرة للحريات أن تساعدنا على تحريرنا، وكان لابد بالإضافة الى ذلك من مراعاة استراتيجية هتلر الذي كان لا يزال في حاجة الى مساعدة فرنسا (فيشي)، بحيث يستحيل عليه ان يفعل شيئا ما لفائدتنا، ولكن نصيحتنا لم تجد اذنا صاغية لديه، وفي نهاية هذه المقابلة كان بوراس يبدو وكأنه مقتنع بحججنا ولكنه اصر

في الحتام على ما عزم عليه وإذاك علمنا ان بوراس لا يمكن له ان ينجو من مصيره.

وقد القت مصالح الجوسسة الفرنسية (SDECE) في 8 مايو 1941 القبض على بوراس وكان الاعتقال خاتمة مدة طويلة من الرقابة والتتبع، وقد تم الحكم عليه وإعدامه في مدة شهر، وقد حيرت هذه السرعة وادهشت العقول، وكانت الرقابة المفروضة على الإعلام في نظام فيشي، لا تتيح إلا الصمت الكامل وزادت الحيرة التي تحيط بالقضية غموضا، لم تخبر وسائل إعلام النظام عن هذه القضية إلا في اليوم التالي لإعدام بوراس وقدمتها على انها قضية جوسسة صرفة وتعاون مع «العدو»، وأن بوراس كان يقبض الأجر على المعلومات وعلى الوثائق التي يزعم انه قدمها للالمان، وتقديم القضية والتنصص على هذه الصورة كان الغرض منه «الإعدام القانوني» لمعارض لم يقبل الاستسلام وتشويه سمعته من جهة أخرى.

وقد بذلت جهود محمودة منذ الاستقلال للتنويه بذكر بوراس والإشادة بتضحيته، ولكن المقالات التي كتبت عنه في الصحف وفي بعض المؤلفات كانت سطحية في اغلبها، وعلاوة على ذلك، إن اعتماد الصورة الرسمية للاحداث يمكن ان يدع مجالاً للشك لدى القارىء غير المطلع في نوايا بوراس الحقيقية.

وقد تساءل البعض: لمن كان يريد أن يبلغ الأسلحة التي كان يرجو الحصول عليها من الالمان؟ وقد ارتأى البعض أنه قد كان يريد أن يسلح الكشافين نظرا لان الكشافة تقوم بالتدريبات العسكرية، ومثل هذا التفكير مجرد عبث لان بوراس لم يكن معقلا الى درجة انه فكر في محاربة الجيش الاستعماري بالأطفال! والحقيقة أنه كان ينوي تسليم الاسلحة الى جنود حقيقيين هم بنو مناصر، سكان جبال زكار، وقد اكد له هؤلاء استعدادهم إن هو زودهم بالأسلحة والذخيرة اللازمة، وقد كشفنا عن هذا السر الذي اودعه عندنا المرحوم بوراس مساء يوم من أكتوبر 1940 في تيزي وزو كما يلي:

بمجرد رجوع بوراس الى الجزائر حرص على أن يقدم تقريرا عن سفرة الى من كانوا مطلعين على سر مساعيه من أصدقائه، وقد استقل الحافلة من العاصمة الى تيزي وزو ولكنه كان يعلم أنه في عين المراقبين؛ فنزل في «تادمايت» على بعد 17 كيلومتر من تيزي وزو، وقد بقي في «تادمايت» حتى وقت المغرب ثم واصل سيره مشيا الى تيزي وزو ووصل إليها ليلا، إذاك دق بابنا[27] عند الساعة العاشرة، وقد قدم لي عرضا طويلا، مفاده انه خابت آماله لأنه لم يحصل من الالمان إلا على وعود غامضة، وترصينه بالتوجه الى اللجنة الألمانية الكائنة بالجزائر العاصمة، وكان هذا آخر لقاء بيننا.

وفي الختام نقول إن هذا الوطني الشجاع الذي ضحى بحياته لتنظيم ودعم حركة الكشافة الجزائرية، قد انار السبيل لجيل كامل من الوطنيين الذين برهنوا انطلاقا من أحداث مايو 1945 الى سنة الاستقلال على أن تضحيته لم تذهب سدى.

القسم الأول

الفصل الثاني
الوثيقة الملحقة رقم 1: أحداث مايو 1945 وصداها على الكشافة الإسلامية الجزائرية في بلاد القبائل.

محمد الصغير فرج

إن الأشخاص الذين عاشوا أحداث ماي 1945 التاريخية يمثلون اليوم أقلية تتضاءل حتميا وانطلاقا من هذه الملاحظة، ارتأينا كشاهد وكمشارك بصورة ما فيها، في نطاق محلي طبعا، أنه من المفيد أن ننقل بعض الذكريات الهامة عن هذه الفترة.

فهذه المساهمة تعتمد على ذكرياتي الخاصة وعلى بعض الشهادات لرفاق يوثق بهم، وقد اعتمدنا أيضا على وثائق كثيرة جعلها تحت تصرفنا إخوان أصدقاء، وهي وثائق ومراسلات سرية من السلطات الاستعمارية من بينها تقارير بوليسية ومراسلات بين كبار الموظفين من الإدارة الفرنسية في تلك الفترة، وقد أكدت هذه الوثائق الأحداث التي تشير إليها فيما يلي، كما ساعدتنا على توضيحها وتحديد مكانها في ظروفها، ومن المعروف أن الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية، لم تكن الإدارة الاستعمارية تنظر إليها بعين الرضا وكانت تعتبرها «مدرسة تبث العداء ضد فرنسا». لهذا استطاعت بفضل مصالحها الاستعلامية وشرطتها وأعوانها أن تجري مراقبة شديدة على الكشافة الإسلامية الجزائرية وتقييد إطاراتها في بطاقات الشرطة، وقد بذلت الشرطة والدّرك جهودا ومساعي حثيثة لمحاكمة الحركة الكشفية التي كانت تشيع أصداؤها من تيزي وزو على سائر جهات بلاد القبائل، وقد لجأت هذه الشرطة إلى تدبير مؤامرات مختلفة مثل قضية الرسالة الموجهة إلى الدرك في تيزي وزو، التي سنشير إليها فيما بعد، واحتراما للترتيب التاريخي للأحداث نذكر أولا قضية سنتور «البيان» التي حدثت في فبراير 1945.

1 - قضية منشور «البيان»:

للاحتفال بالذكرى الثانية لميلاد «بيان الشعب الجزائري» الذي أعلن في 10 فبراير 1943، أرسلت الشعبة المحلية لحركة «احباب البيان والحرية» احد اعضائها، وبالصدفة بواسطة كاتب هذه السطور لينقل من العاصمة طردا من المناشير طبعت لهذه المناسبة وكان المرحوم عبد القادر- ميموني هو الذي سلم لي الطرد المخصص لشعبة تيزي وزو، وفكرنا في الحين في تكليف شبان الكشافة بتوزيع المناشير وكان القائد صالح لوانشي هو المسؤول عن تعيين العناصر التي تقوم بتوزيع المناشير عبر أحياء المدينة.

وهنا نفتح قوسا لنذكر ان الحرب العالمية لم تنته بعد في فبراير 1943، وان حالة الحصار كانت دائما معلنة، وبناء على ذلك فإن كل مكتوب يراد توزيعه، يخضع للرقابة المسبقة من قبل السلطات العسكرية، ولم يكن فيما يخصنا ما يحملنا على طرح اسئلة بهذا الشأن، علما بان المسؤولين عن «احباب البيان والحرية» واعون بما يفعلون، لكن بمجرد ما شرع الشبان في توزيع المنشور، أوقفت الشرطة هذه العملية والقت القبض على سبعة من الكشافين، استنطقوا في مقر الشرطة فاعترفوا بانهم استلموا المناشير من قادتهم، الأمر الذي ادى بطبيعة الحال الى اعتقال هؤلاء القادة [28].

وبعد الاستجوابات قدم المتهمون الى قاضي التحقيق بتيزي وزو، وقد قرر هذا القاضي نظرا لنوع المخالفة ولحالة الحصار أن القضية ليست من اختصاصه وسلم الملف وأحال المتهمون على قاضي التحقيق العسكري بالعاصمة، الذي اودعهم في سجن باب الوادي الواقع تحت الأرض، وقد قضى المتهمون عشرين يوما ولم يزالوا ينقلون من السجن الى المحكمة، وفي ختام الأمر اكتشف القاضي العسكري انه وقع خطأ وأن المنشور الذي كان سببا في إلقاء القبض على الكشافين قد صادقت عليه الرقابة بالفعل، وبذلك انتهت القضية ببطلان التهمة وسراح القادة.

2 - قضية الرسالة الموجهة الى الدرك في تيزي وزو [29]:

من الكشافين ابن ياحي مولود وعبد العزيز قرج.

قامت السلطات الاستعمارية إثر أحداث مايو 1945 بإلقاء القبض على عدة أشخاص من المناضلين الوطنيين على اختلاف نزعاتهم، وقد تم ذلك في تيزي وزو بتاريخ 13 يونيو فقط واعتقل الأشخاص المسجلون في بطاقات الشرطة المحلية.

وقد أحدث هذا الاعتقال اضطرابا في السكان المسلمين في تيزي وزو وتأثرت العائلات المعنية بالغ التأثر كما تأثر جميع أعضاء فوج «الهلال» للكشافة، وتأثر بصورة خاصة اثنان من أعضاء الفوج هما ابن ياحي مولود وعبد العزيز قرج البالغين من العمر 15 سنة و13 سنة، وقد ساءهما أن يشاهدا قادتهما مصفدين بالأغلال للمرة الثانية يسوقهما رجال الدرك والشرطة المدنية، فقررا كتابة رسالة للإعراب عن ثورتهما في أسلوب بريء غير ملائم وعبّرا عن مشاعرهما أمام الظلم الذي أصاب الضحايا المسلمين الجزائريين، وتحديا لما شاهداه وجها رسالة الى الدرك وكلفا اثنين من رفاقهما بتبليغ الرسالة، وفي اليوم التالي ألقي القبض على كاتبي الرسالة، واستنطقا بالرغم من سنهما استنطاقا طويلا مؤلما، أدليا، بل أملي عليهما التصريح التالي: «لقد جمعنا قادتنا في مقر الكشافة للتعليق بما يرضينا على أحداث 8 مايو 1945 وقالوا لنا على الخصوص «لو أن جميع المسلمين ثاروا كلهم في آن واحد كانوا ينتصرون في المعركة وكانت الجزائر مستقلة اليوم».

وبناء على هذا التصريح المزعوم وجهت التهمة «بالنيل من أمن الدولة» على بايليش والقشعي وفرج.

وقد أشار الكشافان في الرسالة التي تحدثنا عنها آنفا الى إلقاء القبض للمرة الثانية على قادتهما، وكان ذلك من تدابير الاعتقال الإداري التي اتخذها عامل عمالة الجزائر بتاريخ 13 يونيو 1945 ضد عدد كبير من المناضلين الوطنيين من جميع جهات العمالة، كان عددهم خمسة

والـعيب جمعوا في قاعة واحدة من سجن تيزي وزو، وبعد خمسة أشهر من الاعتقال الغيت تدابير الاعتقال الإداري وتم تسريح المعتقلين في أكتوبر 1945 وبقي المتهمون الثلاثة «بالنيل من السيادة الفرنسية» في خلايا الى شهر يناير 1946، وفي هذا التاريخ قرر قاضي التحقيق في تيزي وزو بأن القضية ليست من اختصاصه وأحالها على المحكمة العسكرية المؤهلة في المخالفات المتعلقة «بالنيل من أمن الدولة» وبناء على ذلك نقل المعتقلون الثلاثة الى السجن العسكري بالعاصمة الذي كانوا قد عرفوه بمناسبة قضية منشور «البيان».

كانت الخلايا في هذا السجن المعروف في العهد العثماني مظلمة ليل نهار، وكان بها كليا تقريبا مناضلون من حزب الشعب الجزائري (P.P.A)، وقد أقام المعتقلون تنظيما داخليا يسيره محمد طالب أحد المناضلين المخلصين الوطنيين الذي حرص على حسن سلوك المعتقلين المناضلين كل الحرص، وكان يستقبل الوافدين الجدد على السجن بكل إحسان وبامدادهم بما هو ممنوع مثل الكبريت والشمع والجرائد... الخ.

وكنا أثناء الفترات القصيرة المتاحة لنا خارج الخلايا كل يوم، تجتمع في فناء واسع ينفذ إليه نور النهار، ونلتقي إذاك بالمعتقلين الآخرين الذين كانوا من «المتعاونين» مع دولتي المحور (روما – برلين)، فرنسيين وغير فرنسيين.

على أن الحياة كانت في تلك الخلايا بالرغم من جهود طالب ورفاقه متعبة شاقة لأنها كانت مظلمة، تغمرها الرطوبة، ولذلك كان نظام السجن يفرض علينا أيام الاستحمام أن نخرج مجردين من كل ثيابنا مصطفين ننتظر دور كل واحد للاستحمام، ومن حسن الحظ أن اعتقالنا لم يدم طويلا، إذ أن البرلمان الفرنسي صادق على قانون العفو فتم تسريحنا في 16 مارس 1946. إن الأحداث التي سردناها كانت موضوع تقارير بوليسية وحركية، نذكر مقتطفات منها لأنها تدلنا على نوع تفكير هؤلاء الأعوان وعلى الريبة التي كانت تنظر بها السلطات في عمومها الى الكشافة الإسلامية الجزائرية.

ففي تقرير بتاريخ 23 فبراير 1943 أخبرنا مأمور البوليس بتيزي وزو أنه اخبر نائب عامل العمالة بقضية منشور البيان، بعد ذكر توزيع منشورات لم تجر عليها الرقابة واعتقال سبعة من المسلمين يحالون على المحكمة العسكرية. اضاف ان تحقيقا من رجال الدرك سمح بملاحظة لاشك فيها هي ان تواطؤ الكشافة الإسلامية والحركة الوطنية الأهلية امر واقع! ثم وجّه التهمة على المسمى فرج الذي يتولى منصب القائد الجهوي وصالح لوانشي نائبه.

ويذيل التقرير في الختام إن مصالح الاستعلامات العامة ستقوم بالتحقيق.

ويخبر تقرير آخر وضعه رجال الدرك وقدم الى نائب عامل العمالة بتاريخ 15 يونيو 1945، بقضية الرسالة التي كتبها الكشافان ابن باحي مولود وفرج عبد العزيز وهذا نص تقرير مسؤول الدرك في تيزي وزو: «يشرفني ان ابعث إليكم نسخة الرسالة التي سلمها الى المكتب النائب توري مصطفى والنائب ترمول محمد، وقد قالا إنهما وجدا هذه الرسالة عند نمثال الموتى وعنوانها مكتب الدرك في تيزي وزو» وعلى سبيل الإعلام فإن الاعتقال الاول الذي تشير إليه الرسالة يتعلق بتوزيع مناشير لم تجر عليها الرقابة خاصة بذكرى «البيان» ويرجع تاريخه الى 9 فبراير 1945 والمعتقلون هم محمد مبلود، لوانشي صالح (اعتقل مرتين) وأبو العينين حميدة وبابليش محمد (اعتقل مرتين) وفرج محمد (اعتقل مرتين) وسوفاته مزيان وحاوشين أحمد.

ولم تمس الأحداث التي اشرنا إليها إلا فوج «الهلال» بتيزي وزو.

ويجدر بنا الآن ان نلقي نظرة على عواقب أحداث مايو 1945 على افواج الكشافة الإسلامية الجزائرية المبنونة في منطقة القبائل الكبرى، ونعتمد لهذا العرض على الوثائق التي اشرنا إليها في بداية هذه المقالة. كانت اعلب افواج الكشافة اثناء الفترة التي نتحدث عنها ذات نشاط كبير، وذات التزام سياسي في أكثر الأحيان، ونذكر من بين هذه الأفواج الأخيرة افواج تيزي راشد، والواسيف وتسازيعت، زبني يني، والاربعاء بني راتن، وتساقت أوقمون، وعزيب زعموم (ناصرية حاليا) وبرج منايل ودلس.

وقد استعرض تقرير تحقيق عن الكشافة الإسلامية الجزائرية في بلاد القبائل[17]، حررته نيابة عمالة تيزي وزو بتاريخ 3 يوليو 1945 جميع الأفواج التي ذكرناها آنفا، وهو تقرير يعتبر بطاقة معلومات للشرطة، إذ يوضح صورة تنظيم كل فوج مع تقييم لإطاراته وذكر الأحداث التي شارك فيها، غير اننا لاحظنا فيه عدة اخطاء ترجع الى جهل المخبرين للشرطة او لمبالغتهم في فهم الأشياء. كانت السلطات الاستعمارية تملك لقمع الكشافة الإسلامية، علاوة على المخبرين العاديين، عمل «القياد» الذين يتلقون الأوامر من بعض حكام البلديات المختلطة، وقد تفوق من هؤلاء «القياد» «قائد» بلدية الأربعاء بني راتن بحقده وغلوه في تتبع الأفواج البارزة النشاط.

وتملك من بين الوثائق التي نملكها عدداً كبيراً من التقارير الرسمية ورسائل خاصة، ولعدم اثقال المقالة بالتكرار والتفاصيل التي لا اهمية لها، فضلنا أن نذكر بعض النصوص أو المقتطفات ذات غاية تتعلق بأفواج تيزي وزو وتمازيغت، وبني يني، وفوج تيزي راشد الراشيدية قائده العيمش علي[18]، واحداث 15 مايو 1945، وتمرد وعنف وكلام ضد المتصرف الرئيسي الذي حضر الى حل كل شعبة من «أحباب البيان والحرية»، وشارك في هذا التمرد ثلاثمائة شخص، وقد وجهت التهمة الى ستة عشر منهم عرفوا بكل تحقيق من بينهم القائد المحلي وأمين مال الكشافة الإسلامية، وهما أشد الناس عنفا وسيمثلان أمام المحاكم العسكرية[19].

فوج بني يني «الشهاب»: القائد المحلي جودر بلقاسم الرئيس السيد بعيش المعلم المتقاعد، أحداث بين قادة الكشافة الفرنسيين والكشافة الإسلامية بمناسبة وضع برنامج سهرة 8 مايو 1945 فالكشافة الفرنسيون كانوا يريدون اختتام السهرة بنشيد «المرسييز» بينما كان الكشافة المسلمون يريدون اختتامها «بنشيد المقاومين»، وبالحاحهم تمت ترضيتهم بانشاد «المرسييز» في بداية السهرة و«نشيد المقاومة» في الختام مع «نشيد الوداع».

وقد استخلص «الآباء البيض» من ناوربرت ميمون شعورا مؤلما ولم يكن شخص يفهم لماذا ينشد الكشافون القبائل ولو بغير مناسبة «نشيد المقاومة».

وفي 31 مايو 1945 اجتمع مكتب فوج الكشافة وادلى السيد بايش ببيان عن احداث سطيف لبوصي بتجنب أخطار السياسة، وفي الواقع إن مخبرا اوضح أنه وقع التعليق على سلوك فرحات عباس بما هو لقائدنه، وباستحسانه.

فوج تمازيغت: ببلدية اربعاء بني راتن المختلطة واسمه فوج «الإصلاح»، مندوبه المحلي شوغار سالم وقعت احداث بتاريخ 19 مايو 1945 في الساعة التاسعة والنصف مساء بمناسبة مرور سيارة الحاكم المتصرف ورفع هتافات عدائية تقول: «يحيى المسلمون والهلاك للفرنسيين نحن الكشافة المسلمون الجزائريون».

المسؤول الصريح عن الأحداث شوغار سالم، ويتحدث الحاكم المتصرف «بيكي» في رسالة وجهها في 21 مايو 1945 الى نائب عامل العمالة بنيزي وزو عن أعمال ضد فرنسا في تمازيغت وبوجه مباشرة التهمة إلى القائد المحلي للكشافة المسلمين شوغار سالم قائلا: «بناء على أن هذه الحالة من الاتجاه هي من عمل شوغار سالم بن محمد سعيد والبالغ 25 سنة تقريبا، قائد الكشافة الذي يمتد نشاطه الى مسافة بعيدة نظرا الى ان فوجه خيّم في المدة الأخيرة عند تمثال «إشريذن» أي بعيدا عن تمازيغت بنحو 16 كيلو مترا، وارجو منكم ان تنظروا في إمكانية اتخاذ قرار بإلقاء القبض على هذا المشاغب».

واخيرا إن هذا المتصرف «بيكي» نفسه وجه تقريرا بتاريخ 14 أغسطس 1945 الى نائب العامل، لاحظ فيه ما يلي: «لا شيء يذكر بشأن الحالة السياسية في المنطقة، باستثناء الدعاية السرية التي يقوم بها بعض المشاغبين (شوغار سالم من تمازيغت) و(العبصي علي من نيزي راشد) اللذين لم يجر بشأنهما أي تحقيق رسمي، بالرغم من المعلومات التي قدمت بشأنهما منذ اكثر من اربعة أشهر».

ماذا يمكن أخذه من العرض الوجيز الذي سردناه؟ وباختصار نقول إن أحداث ماي 1945 قد زعزعت النظام الاستعماري وأنها تفرض علينا التدبر، ففي المجال المحلي والجهوي لقد حملت الأحداث طائفتي السكان المتعارضتين لأسباب متضاربة على الوقوف وجها لوجه، وهما طائفة الأهالي الذين عاشوا وتكبدوا هذه الأحداث (بشهادتنا) وطائفة المستعمرين كما تثبت الوثائق الرسمية (السرية) الذين كانوا متمسكين بثقافهم وأنانيتهم لتبرير سلوكهم.

ونذكر على سبيل المثال حادثين توضحان بجلاء هذا السلوك، ففي رسالة سرية كتبها موظف كبير يشرح هذا الموقف وجهة نظره لمسؤوله الإداري عن الكشافة الإسلامية الجزائرية قائلا: «إنني على يقين صريح شخصيا بأن الكشافة الإسلامية الجزائرية، في بلاد القبائل لا يندرجون في إطار السيادة الفرنسية وأن الاتحادية تعمل لتحقيق أهدافها الانفصالية بالتعريب ونشر الإسلام فيما بين أهل القبائل»؛ ثم إنه بعد ذكر معلومات مطابقة عن المشاغبات العدائية الكشفية ضد فرنسا يقول في الختام: «ينبغي بناء على ذلك وفي نظري القضاء على الجرثومة، بحل جمعيات الحركة في سائر نطاق تيزي وزو ويحصر جميع الجرائم والمخالفات المنسوبة للكشافة الإسلامية الجزائرية لدى قاضي تحقيق واحد بحيث يتم الحكم على جميع المسؤولين وفي جميع المستويات حتى في مستوى المسؤولين عن الاتحادية». والمثال الثاني إنما هو مثال «الآباء البيض» الكاثنين بتاوريرت ميمون في بني يني، الذين استخلصوا بمناسبة «حادث نشيد المقاومين» شعورا مؤلما ولم يفهموا لماذا أنشد الكشافون القبائل بدون مناسبة نشيد المقاومة، ويمكن أن نتساءل بهذا الشأن كيف أمكن لعبيرة مثقفين عارفين مثل الآباء البيض أن نجهل أمرا واضحا هذا الوضوح، اللهم إلا إذا قلنا إن هذا الجهل يرجع إلى العمى الذي كان يصيب المعمرين وصغار الأوروبيين الجاهلين المتعنتين كما كنا نظن، ولم يفهموا ما أصابهم حتى حلت سنة 1962.

القسم الأول

هوامش الفصل الثاني

(14) سجلت رسالة بادوفان لدى اتحادية الكشافة الإسلامية تحت رقم: 12 بتاريخ 3 – 1 – 1941 وهي في الوثيقة الملحقة من هذا الفصل.

(15) بمساعدة عائلته ومن عرفوه، يرجى أن نكتب ترجمة حياته

(16) الشيخ ابن زكري مدير مدرسة الثعالبية بالعاصمة، وعبد الرحمن بوكردنة الصيدلي بالعاصمة

(17) «الدبيش الجزائرية» بتاريخ 23 يناير 1941.

(18) منشور من القائد العام التجيني.

(19) محضر من لجنة الإدارة بتاريخ 9 أبريل 1944، ص: 1 – 2.

(20) يمكن مقارنته بقانون أساسي سنة 1939.

(21) انظر بخصوص أحداث مايو 1945 الكتب الخاصة بالحركة الوطنية الجزائرية ودراسة ثابت عبنانه نشر ديوان المطبوعات الجامعية 1985.

(22) تقرير أدبي، نشرة الكشافة الإسلامية الجزائرية رقم: 14 نوفمبر ديسمبر 1946، ص: 5.

(23) محامي ببجاية شخصية ليبرالية.

(24) ر. بوبربط وم. ص فرج شهادة تأسيس اتحادية ك. إ. ج.

(25) انظر ما سلف وثيقة رقم: 2 فصل 2.

(26) درويش محمد: «الكشافة مدرسة الوطنية» النص المشار إليه بشهادة الممثل علي يحيى فضي.

(27) هنا يتكلم م. ص. فرج.

(28) الأشخاص الذين اعتقلوا هم: مبلود محمد بابليش محمد، أبو العيش حمدة، سقطة مزيان، حاوشين أحمد، لوانشي صالح وفرج محمد الصغير

(29) نذكر كملحق نسخة من هذه الرسالة.

(30) من بين الخمسة والأربعين منهم 7 من تيزي وزو، الدكتور أحمد واكلي، بابليش محمد، لوانشي صالح، خناف أرزقي، القشعي محمد، بلحسين سعيد، فرج محمد الصغير.

(31) انظر في الملحق نص هذه الوثيقة الهامة.

(32) العيمش علي الذي عرفناه كان وطنيا حازما جرى البحث عنه بعد انتفاضة 8 ماي، والتحق بالجبال، وبعد سنتين من الاختفاء أصيب بمرض قضى عليه في 6 أغسطس 1947.

(33) المتصرف كان أخطأ، لأن العيمش لم يقع قط القبض عليه.

القسم الأول

الفصل الثالث
الأزمة والانفصال

بقلم: محمد جيجلي
قائد فدرالي سابق.

تمهيد

كتبنا في تلك الفترة مقالا مخصصا لتلك الأزمة وتطوراتها (المرجع 34) جاء فيه بالخصوص: «إن الأزمة التي عرفتها حركة الكشافة الإسلامية في الجزائر والتي كنا شهودا مباشرين لها بفعل مشاركتنا في الجمعية العامة بسيدي فرج، كانت في درجة من الخطورة لعدة اعتبارات لا تسمح بالتفكير لأنها جاءت كعارض عفوي».

فإن ارتأينا فتح هذا الملف اليوم من جديد، فلأننا نرجو إظهار بعض الحقائق المتعلقة بهذه الحادثة التاريخية التي شكلت منعرجا هاما في تاريخ الحركة الكشفية، فإن هذه الوقائع جزء لا يتجزأ من الحقبة التاريخية التي كانت البلاد برمتها تمر بها، وبناء على هذه الملاحظة نرى انه من الواجب علينا ان تعتمد النظرة الشاملة في سياق دراستنا هذه وان تحاول قدر الإمكان التقيد بالموضوعية التي ينبغي التمسك بها في مثل هذه الحالة.

وإننا لمقتنعون بأننا سنحترم هذا الالتزام لعدة عوامل من بينها:

أولا: لقد مر على هذه الحوادث من الوقت ما هو كاف للتطرق إليها باقل عاطفة وبكل هدوء.

ثانيا: يتوفر الآن لدينا العديد من الشهادات المكتوبة ادلى بها اشخاص عاشوا تلك الحوادث وباشروها.

ثالثا: لدينا كتابات في الموضوع وضعها مؤرخون ينتمون الى عدة اتجاهات سياسية، وهذا مما يعيننا على تحليل حوادث أثير حولها الجدل لحقب طويلة.

ومن أجل كل هذا سنعرض الأسباب العميقة للأزمة كما ستبرز الأسباب المستحدثة التي اتخذت ذريعة لاستدعاء الجمعية العامة الاستثنائية في سيدي فرج.

بعد ذلك، سنحاول تحليل هذه الأسباب ومناقشتها، كما سنشفع هذا النقد بإلقاء بعض الأضواء على لقاء «سيدي مدني» مع الكشافة الفرنسية، وعلى الخلافات التي أثيرت أثناء المهرجان العالمي للشباب في «براها»، ثم نتعرض لملتقى «مواميرن» سنة 1947، كما سنتحدث عن الجو الذي ساد الجمعية العامة لسنة 1948 والنتائج التي تمخضت عنها، وفي الختام سنذكر المحاولات التي بذلت من أجل المصالحة وأسباب فشلها والنتائج المترتبة عن الانفصال.

أ - الأسباب العميقة للأزمة.

أ - 1 - تصاعد الإحساس الوطني في الحركة الكشفية وردّ فعل الإدارة الفرنسية.

لكي نجيد فهم تطوّر الأزمة والنتائج التي انتهت إليها، يتعين علينا أن نرجع الى حوادث ماي 1945، لا لروايتها بل لتقصي الآثار المباشرة التي مست الحركة الكشفية أو التي زادت في سرعة سيرها نحو التأزم.

لم تكن الكشافة الإسلامية الجزائرية تعيش على هامش المجتمع الذي تنتمي إليه، ولم تكن بعيدة عن الأجواء السياسية السائدة غداة الحرب العالمية، فلقد فقدت فرنسا بانهزامها في هذه الحرب، قسطا وافرا من نفوذها، كما انبعثت بالمناسبة مشاعر وطنية عند المسلمين الجزائريين وتوطدت عزيمتهم على كسر القيود الاستعمارية في ظروف عالمية رأوها ملائمة، كما تميزت تلك الفترة بركود مستمر ورفض بات لكل تنازل من طرف السكان الفرنسيين بالجزائر، ومن طرف الإدارة الفرنسية، لقد دفعهم تمسكهم بسياسة النفوذ الى محاولة استرجاع سيطرتهم الكاملة والى خنق كل محاولة تحررية فهم يرون في كل محاولة من هذا القبيل مساسا بمصالحهم وسيادتهم.

إن القمع الوحشي الذي سلط على الجزائريين بعد مظاهرات 8 ماي 1945 لم يستثن الكشافة الإسلامية الجزائرية (المرجع 35)، فلقد قطعت رؤوس الحركة، ومنعت من النشاط خاصة في مناطق قسنطينة والقبائل، فإن فظاعة هذا القمع الذي لم يعرف حدودا، أظهر أن الإدارة الفرنسية كانت تقرأ ألف حساب لحركة شبانية بدأت ترعبها لكونها قوية ومتحدة وضاربة جذورها في كل شبر من القطر الجزائري، فلقد كانت تجمع بين شبان صاعدين مثاليين ومربيي الاستجابة للنداءات الوطنية التي تنشرها الأحزاب السياسية والحركات الوطنية المنضمة تحت لواء « أحباب البيان والحرية ».

أ - 2 - رد الفعل من لدن الأحزاب والحركات الوطنية.

لم تكن الإدارة الفرنسية هي الوحيدة في إعطاء الاهتمام لتلك الحركة الشبانية؛ فالأحزاب، ولأسباب مغايرة تماما، كانت تقدر كل الفائدة التي يمكن أن تستخلص من هذه الأداة المؤلفة من شباب فتي، منظم ولين، فلقد أدركت بعض العناصر من « حزب الشعب الجزائري » « والحركة من أجل انتصار الحريات والديمقراطية » أن هذه الحركة قادرة على القيام بدور الرائد في المعركة القاسية والطويلة التي يفرضها الكفاح من أجل تحرير البلاد.

إن هذا الخيار السياسي هو الذي يفسر الاستيلاء المتزايد للأحزاب السياسية على الحركة الكشفية، فعلينا أن نلقي نظرة أدق على تطورات هذا الاستيلاء الذي أدّى بعد إنجازه الى تفجير أزمة خطيرة داخل الحركة الكشفية.

من المضاعفات الوخيمة التي أفرزتها حوادث ماي 1945 تصدع الوحدة التي كانت تجمع في كنف حركة « أحباب البيان والحرية » كلا من « أحباب البيان » و« جمعية العلماء » و« حزب الشعب الجزائري ».

وقد يبدو انفصام الأواصر بين التيارات الوطنية التي كانت تكافح جنبا لجنب من أجل الإطاحة بالنظام الاستعماري انفصاما عجيبا، في فترة اليمة من تاريخ وطننا، نجد في أحد الكتب التي تحدثت عن هذه المشكلة تفسيرا لايخلو من الصواب.

كانت التيارات الوطنية التي تتطلع الى تحرير الشعب من قيود الاستعمار، تحمل في طياتها كما يقول الكاتب فروقا متفاوتة الحجم. تبدو في عمقها كلها محترمة تترجم اختلافات في الآراء، ولكل وجهة نظر منها، اعتبارات تنم عن واقع يعيشه المجتمع» (المرجع 36).

يشكل هذا الواقع وتأثيراته في المجتمع الجزائري عاملا هاما يوضح تصرفات بعض الإطارات الكشفية في ظروف الأزمة.

ويقول نفس الكاتب في موضع آخر من كتابه: «إن التحالفات او الانشقاقات بين هذه التيارات السياسية تكتسي طابعا دوريا حسب فترات التفاهم او الاختلاف في المواقف السياسية او في الأهداف والوسائل المسخرة لتحقيقها».

كانت لهذه النزاعات الداخلية ولتذبذبها انعكاسات مباشرة على الحركة الكشفية التي لا تعيش في برج من عاج، بل تتأثر بالمحيط تأثرا عميقا.عندما يتتبع ذلك الكاتب فترات التفاهم نراه يلاحظ: «إن الصراعات الداخلية خفّت حدّتها مثلا حين اتفقت التيارات السياسية الجزائرية على برنامج من طرف «احباب البيان والحرية» مدة امتدّت الى غاية عام 1945، وليس من قبيل الصدف ان تناسب هذه المدة زمن ازدهار في تاريخ الحركة الكشفية الجزائرية، فلقد بلغت أوج تطورها مع انعقاد مؤتمر تلمسان المشهود، ولقد تجلّت في هذا المؤتمر قوة الحركة واشتدت وحدتها عندما اندمجت وتوحدت الجمعيات». ويؤكد نفس الكاتب في اتّجاه مضادّ ان العلاقات بين الأحزاب السياسية تأزمت في فترات تزامنت مع الخلافات حول اختيار السبل والوسائل لبلوغ اهدافها.

كانت الحقبة التي أعقبت حوادث ماي 1945 من بين هذه الفترات التي افتتحت عادة خلافات حول البرامج السياسية، فتدهورت العلاقات بين الرفاق الوطنيين القدامى في «احباب البيان والحرية»، فعاشت البلاد حقبة اخرى من الاضطرابات، تتخللها نزاعات ومزايدات انعكست آثارها على الحركة الكشفية، التي مازالت تُحافظ – رغم هذا الجو المعكّر – على وحدتها وتماسكها، فكان ذلك يثير شكوك الإدارة الفرنسية وقمعها من ناحية ومحاولة الاستيلاء على الحركة من طرف الأحزاب السياسية من ناحية اخرى.

أ - 3 - موقف الحركة الكشفية:

ماذا كان موقف الحركة الكشفية المهددة من عدة جهات يا ترى أمام هذه الظروف؟

نجد الجواب الأول على هذا السؤال في التقرير الشامل الذي قدمه القائد العام الطاهر التجيني أمام المجلس الفدرالي الذي انعقد في قسنطينة في سبتمبر 1946.

كان القائد العام واعيا بالخطر المحدق بالحركة وعبر عن انشغاله العميق بكل وضوح. «أخذت حركتنا - كما قال - تنمو بسرعة مفرطة، وأنا مسرور جداً بذلك، لكن هذا التطور السريع قد يؤدي بحماتها إذا لم نأخذ حذرنا» (المرجع 38).

ولتفادي هذا الخطر يوصي المقرر بالتكوين المتواصل للقيادة ولا يتحقق هذا التكوين بالارتجال، بل يقتضي من طرف الكلّ جهدا متواصلا حتى نخرج من درجة التلاميذ لترتقي الى درجة الأساتذة». (مرجع 39).

وبعد مرور سنة، يعود القائد العام الى الموضوع فيكرّر نصائحه من جديد في افتتاحية عنوانها: «مع الجميع، ولا ضد أي أحد». يغتنم هذه الفرصة ليحدد موقف الحركة بكل صراحة ويستطرد قائلا: «الكشافة الإسلامية حركة تربوية، ونحن عازمون على إبقائها في هذا الخط الذي يمثل جادة الصواب، إن وعي الكشافة المسلمين الجزائريين بما يجري في بلادهم من تصرفات تهدّد أركان دينهم هو الذي جعلهم يولون اهتماما كبيرا لحركة الإصلاح الديني التي تميز أتباعها ببذل جهد معتبر للقضاء على البدع الدينية التي علقت بنفوس الفئات الشعبية وصدتها عن تلقي أي فكرة جديدة.

أتراهم -تحت تأثير هذا الوعي يصادفون علانية- في بعض الأحيان على مشروع من مشاريع الإدارة التي لم يكن مع ذلك سعيها موجّها الى يومنا هذا نحو منفعة الجميع؟ وإذا ما تدبرنا هذا التوازن الذي يدعو إليه هذا المسؤول الرئيسي للحركة أمكن لنا أن ندرك أنه أملاه عليه حرصه على

مراعاة النزعات المختلفة داخل الكشافة الإسلامية الجزائرية في تلك الفترة بالذات. وإن اختل هذا التوازن لسبب أو لآخر فإن الاستقلالية ووحدة الصف التي تتمتع بها الحركة ستتضرر لا محالة، وهذا سرعان ما سيقع بعد حين.

وفي الحقبة التي سبقت بقليل أزمة الكشافة تفاقمت الاختلافات تتيجة حل حركة «أحباب البيان والحرية»، وبدأت هذه الاختلافات تظهر للعيان كل يوم ظهورا واضحا، في مثل هذه الظروف أصبحت استقلالية ووحدة الحركة الكشفية مهددة وتدرجت حتما نحو الانشقاق.

ب - تظاهرتان في الخارج وانعكاساتهما على الحركة الكشفية

- اعتبارات أولية:

لكي يتتبع القارىء بمزيد من الفائدة ما سنعرضه عليه في هذا الباب من حوادث وجب عليه أن يتذكر:

- أن الكشافة الإسلامية الجزائرية حصلت على الاعتراف الرسمي بها ضمن الكشافة الفرنسية - وكان ذلك يدعو للعجب في نفس الأيام التي اندلعت فيها حوادث 8 ماي 1945 الدموية في الجزائر.

- إن هذه الحوادث التي استهدف من ورائها متعمدوها خنق كل محاولة تحرير الحركة ولزمن طويل، تحولت في الواقع الى توطيد دعائم الكشافة الوطنية، وتدبرنا الاتصالات مع جمعيات الكشافة الفرنسية على ضوء هذه الحوادث المتزامنة، فوجدنا أنها أثمرت نتائج مزدوجة المعنى. وعلى صعيد التكوين التقني لقادة الكشافة الإسلامية كانت الحصيلة إيجابية، وعادت بالمنفعة على الفرق المحلية. أما على الصعيد الإيديولوجي فإن النشاط الوطني لبعض القادة داخل الاحزاب الوطنية والجمعيات الدينية والثقافية والرياضية قد أحدث توترا في العلاقات، ومما زاد الطين بلة ما تراكم على مكتب قائد الكشافة الفرنسية من تقارير صادرة عن الشرطة.

فإن عبارات «الوطن» و«العلم» و«الوطنية» التي تؤول بمعاني مختلفة لدى الطرفين أصبح التعارض بينهما يزداد عمقا يوما بعد يوم، وكان انتماء كليهما

لنفس المؤسسة يثير لدى كل واحد منهما شبهة كان من الضروري رفعها في يوم من الأيام. ثم بدأت هذه الشبهة تتحول تدريجيا الى خلاف مؤكد لا التباس فيه، وفي الأخير اوشك الخلاف أن ينتهي الى القطيعة بمناسبة انعقاد مهرجانين عالميين كبيرين في نفس الوقت تقريبا، وهما: المهرجان العالمي للشباب في «براغا»، والمخيم الكشفي في «مواسون» بباريس.

كان للمهرجانين في تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية أثران:

– **أولهما**: يتمثل في تصرفات قادتنا الكشافة، فلقد تحرروا لمدة من الجو الاستعماري الذي كانوا يعيشون فيه حتى الآن واستطاعوا أن يعبروا بأكثر حرية عن الشعور الوطني الذي كان يبعثهم على النشاط، فزادوا بذلك من حدة التوتر في العلاقات التي تربطهم بالكشافة الفرنسية.

– ثانيهما: يتعلق بتأثير التظاهرتين على الصعيد الداخلي ذلك التأثير الذي لم يخل من أن يلعب دوراً في نشأة أزمة الكشافة الجزائرية.

2 – المهرجان العالمي للشباب في «براغا» (جويلية 1947)

نظمت الفدرالية العالمية للشبيبة الديمقراطية هذا المهرجان. تأسست هذه المنظمة في لندن في أكتوبر 1945 وكانت تجمع حركات الشبيبة من حوالي 50 بلدا وتضم حوالي 40 مليون عضوا وكانت مقاليد إدارتها بين أيدي البلدان الشرقية بالدرجة الأولى، لكن هذا لم يمنع حركات الشبيبة غير الشيوعية من الانضمام إليها، كما أنها لم تكن تضم حركات دينية ما عدا بعض الهيئات. وبالعكس انضمّ إليها جمع غفير من الشبيبة السوفياتية واليوغسلافية والإسبانية المناهضة للفاشية والشبيبة الرومانية والبلغارية، وكذلك الكثير من شبيبة البلدان المستعمرة كالهند واندونيسيا وفيتنام وجمع كبير من الشبيبة اليهودية. كانت لجنتها في فرنسا تضمّ عدداً من الحركات والجمعيات نذكر من بينها اتحاد الشبيبة الجمهورية بفرنسا، (الشبيبة الشيوعية سابقا) والفدرالية الرياضية للعمل والحركة اللائكية لدور الشباب ورابطة المعلمين وكشافة فرنسا، (المرجع 41).

2 - 1 - مبررات مشاركة الكشافة الإسلامية الجزائرية.

كان الوفد الجزائري الذي يرأسه «علاق» و«قرابة حمو» يتألف من 120 عضوا لكنه لا يضم سوى 12 من الكشافة الإسلامية الجزائرية. إن العناصر التي تنتمي الى الحركة الشيوعية لا يهمهم من الجزائر سوى مظاهرها الفولكلورية والتقليدية، أما الكشافة المسلمون الجزائريون الذين كانوا تحت قيادة «عمر لاغا» و«محمد المشعي» فقد عقدوا العزم على اغتنام فرصة التجمع هذا لإسماع صوت الشبيبة الجزائرية الحقة، المتعطشة للحرية والمتواقة لبناء وطن مزدهر يسود فيه السلم والعدل.

فلا غرابة إذا توترت العلاقات ضمن الوفد الجزائري بين الفرنسيين الموالين للشيوعية والمسلمين اثناء السفر ثم الإقامة في «براها»، فلقد تخلل هذه العلاقات عدة حوادث ذات دلالة وأولها وقع اثناء عبور الحدود الألمانية عند جسر «كيال». فبمجرد انتهاء إجراءات الرقابة الحدودية استرجع الكشافة الجزائريون جوازات السفر ليضمنوا لانفسهم حرية العمل ويظهر التباين بينهم وبين عناصر الوفد الآخرين، ولم يرق ذلك لقادة الوفد طبعا لانهم كانوا يفضلون إبقاء الكشافة الإسلامية تحت مراقبتهم. والحادث الثاني الذي يعتبر الاكثر خطورة وقع في اليوم الموالي لوصول الوفد الى «براها»، فلقد نشرت اليومية التشيكية «رود براقو» وثيقة بإيحاء الكشافة الإسلامية الجزائرية تندد بحوادث 8 ماي 1945 وتتهم الوزير الفرنسي للطيران السيد «تييون» المنتمي الى الحزب الشيوعي بتحمله مسؤولية قصف قرى الشرق القسنطيني، الذي تسبب في مقتل العديد من الابرياء. ترتّب الاطلاع على هذه الوثيقة التي لفتت انتباه الوفود الاجنبية الانفصال النهائي بين الكشافة الإسلامية وباقي الوفد (مرجع 42). وحاول رئيس الوفد جعل حد لدعاية هؤلاء «المهيّجين» فأرسل الى رئيس المهرجان طلبا يلتمس فيه طردنا لكنه لم يحظ بالقبول[43].

2- 2 - برنامج المهرجان:

من الملاحظ أن تحليل مشاكل الشباب تحليلا عميقا قد أهمل نسبيا وتغلبت في هذا الملتقى مشاكل السياسة العالمية، فكانت تلقى كل يوم محاضرات في مواضيع متنوعة ومفيدة معظمها يتعلق بتنظيم الشباب والنضال ضد الفاشية والاستعمار، وتظمت عدة تظاهرات رياضية وثقافية وفولكلورية وسينمائية، فأتيحت لنا الفرص لحضور مسابقات للرقص وللتمتع بالاستماع لمجموعات صوتية واجواق موسيقية واقامت الوفود المختلفة معارض تبرز مقاومة الاحتلال الألماني ومنجزات الشباب في مختلف ميادين الحياة الوطنية، ومن احسن تلك العروض ما قدمه اليوغسلافيون والأندونوسيون والمجريون. أما السوفيات فقد ذهبوا الى أبعد من ذلك فارسلوا فرقا من «أوبرا» لينينغراد وموسكو. فمن الممكن ان يتصور المرء بُعد ما نالته هذه الدعايات السياسية ذات التأثير العميق في نفوس حساسة متفتحة[44].

2- 3 - نشاط الكشافة الإسلامية الجزائرية في المهرجان.

إن مشاركة الكشافة المسلمين الجزائريين في الاستعراض جديرة بالذكر لأنها تمّت وفي مقدمة الوفد كان علم الجزائر مرفوعا يُرفرف بارزا، ورغم قلة عددها استطاعت الكشافة الإسلامية الجزائرية الحضور في كل التجمعات، وكلما سنحت لها الفرصة نادت بوضعية الجزائر المضطهدة؛ وبفضل برمجة محكمة استطاعت المشاركة في كل النشاطات والاتصال بالعديد من الوفود،ومن اكثرها فائدة تلك التي جرت مع وفد إيران وسوريا ومصر والمغرب ومع شبيبة الشعوب المستعمرة في مادغشقر والفيتنام... إلخ.

وكانت هذه الاتصالات فعلا خير مناسبة لكل وفد ليبلّغ الآخرين اخبار وطنه وسكانه وتاريخه والنظام السياسي والإداري الذي يسود في بلاده.

شاركت الكشافة الإسلامية الجزائرية في اجتماع الاتحاد العالمي للطلبة في «براها» وحصلت فيه على تسجيل عضوية جمعية الطلبة المسلمين لشمال

إفريقيا في هذا الاتحاد وكان «محمد يزيد» يمثلها آنذاك، وقد أصبح هذا الأخير عضوا في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فيما بعد[9].

وهكذا يمكن القول بأن وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية قام بمهمته على اكمل وجه ومثل الجزائر المسلمة بكل شجاعة وكرامة.

3 - مخيم مواسون (باريس).

انعقد مخيم «مواسون» قرب باريس في نفس الفترة التي انتظم فيها المهرجان العالمي للشباب في «براغ» تقريبا، وكان هذا المخيم يرمي الى ربط الصلة بين شباب العالم، ولقد تربع على مساحة 625 هيكتارا، أقيمت عليها بلدة كاملة من بيوت وخيم ذات جدران مزوقة وألوان متنوعة، تأوي ليلاً أكثر من 30.000 كشاف جاؤوا من 42 بلداً، ووزّع هؤلاء على 15 فرقة تعيش ضمن الكشافة.

3- 1 - البلد المنظم:

تولت فرنسا تنظيم هذا المخيم الذي سمي «بمخيم النصر»، وعقدت العزم على إعطائه رونقاً خاصاً وتحملت من أجل ذلك أعباء مادية جسيمة، وفُسحَ داخل الوفد الفرنسي مجال مرموق للشبيبة الفرنسية وللشبيبة التي جاءت من وراء البحار، كما خصصت قروض هامة لهذا الغرض في ميزانية الولاية العامة في الجزائر.

3- 2 - مشاركة الكشافة الإسلامية الجزائرية:

كانت الكشافة الإسلامية الجزائرية تواقة الى كل اتصال مع الخارج فاستغلت هذه الفرصة المواتية لتحتل – رغم تحفظات الولاية العامة – مكانها الذي كان لها الحق أن تحتله ضمن الحصة المخصّصة للجزائر، فركبت على متن البارجة «جورج لائق» المجهزة خصيصا للوفد الجزائري ٤ فرق من الكشافة الإسلامية الجزائرية تتكون كل واحدة منها من 36 فرداً، وكان يرأس الكل القائد العام الطاهر التجيني.

3- 3 - طريقة اختيار أعضاء الوفد (مرجع 46):

اختير أعضاء مجموعة الكشافة الإسلامية الجزائرية على أساس مقياسين:

الأول: أملته متطلبات التجمع الذي عقد من أجل تسهيل الاتصال بين شرائح الشبيبة في العالم،والذي ينطوي على تظاهرات من أهمها استعراضات واحتفالات رائعة، والمشاركة في مخيم ضخم... إلخ.

اما الثاني: فكان يمليه على المسؤولين الجزائريين الاهتمام بإيفاد ممثلين من كافة أنحاء القطر حتى يضمنوا العودة من المخيم بأكثر ما يمكن من فائدة تبلّغ الى اكبر عدد ممكن من الفرق.

3- 4- أهداف الكشافة الإسلامية الجزائرية:

كانت للكشافة المسلمين الجزائريين أهداف مسطرة خاصة ودقيقة تنوي بلوغها من خلال مشاركتها في التجمع.

كانوا يتطلّعون الى الإفلات من العزلة السياسية التي طبّقها عليهم نظام غاشم، إذ هُم على يقين من انّ وجودهم بالخارج سيسمح لهم التعبير بحرية بالغة عن رغبتهم في التحرّر من قيود النظام الاستعماري، وسيمكنهم من إبلاغ البلدان المشاركة تحيات أخوية من الجزائر المسلمة كما سيتمكنون من مشاركتها في بناء عالم جديد مؤسس على الأخوة الحقيقية.

3- 5 - الحوادث:

من الملاحظ ان اهداف الفريقين الذين كان الوفد الجزائري يتركب منهما متناقضة في كل النقاط، فلا غرابة إذا تولدت عن هذه الوضعية حوادث عديدة عكرت صفو العلاقات بين الفريقين المتنافرين طول الرحلة وأثناء الإقامة في باريس، وشبت شرارات الخلاف منذ الانطلاقة، ففي ليلة الرحيل رفع العلم الجزائري الملون بالأبيض والأخضر لأول مرة وجاب شوارع القصبة على رأس استعراض هام نظمه الكشافة المسلمون الجزائريون وخصه الجمهور بحفاوة بالغة، وكانت الشرطة في العاصمة في حالة استنفار، وقبل الركوب على متن الباخرة كان من المقرر ان يُبارك الأسقف «لينو» في العاصمة فرقة الكشافة

المسيحيين على الرصيف، فاشترط الكشافة المسلمون حضور وفد من جمعية العلماء المسلمين بقيادة رئيس الجمعية الشيخ البشير الإبراهيمي.

وعلى متن الباخرة رفض الكشافة المسلمون ارتداء الراية الفرنسية وقد كان ارتداؤها فرضا على كل الوفود الواردة من فرنسا أو من مستعمراتها، ونظرا الى ان ارتداء الراية الجزائرية لم يكن في الحسبان إلا أن الطربوش الذي فرضته قيادة الكشافة الإسلامية الجزائرية يعتبر ميزة كافية.

وغدنا رفض وضع خيمه في المكان المخصص لافواج الكشافة الواردين من الاتحاد الفرنسي، وأثناء حفل تحية العلم رفع العلم الجزائري، وتجدر الإشارة كذلك الى ان العديد من المناشير الوطنية قد وزعت على الوفود الاجنبية.

حرصنا على ذكر هذه الحوادث لما لها من دلالة على الروح التي كانت تدفع الكشافة المسلمين الجزائريين في ذلك الزمن الى اتخاذ هذه المبادرات. كانت تلكم الروح ولبدة الحرص على التوازن المتآلف بين تاثيرات المناخ الاجتماعي والسياسي وبين آثار التربية الوطنية والإسلامية التي كانت الجمعية تبثها بنجاح.

3- 6 - مغزى هذه المشاركة:

انضم وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية الذي شارك في المهرجان العالمي للشباب في «براها» الى الوفد الذي مثلها في مخيم مواسون، وهكذا شاركت الكشافة الإسلامية الجزائرية في التظاهرتين العالميتين للشبيبة، اللّتين انعقدتا في فترتين متقاربتين.

فكان لهذه المشاركة المزدوجة مغزى عبر عنه القائد العام الطاهر التجيني في مقال تحت عنوان: «مع الجميع ولا ضد اي احد» (مرجع 47)، فعبّر هذا العنوان بوضوح عن فكرة الحياد الصارم الذي التزمته الكشافة الإسلامية الجزائرية حيال المعسكرين الإيديولوجيين الذين طبعا التظاهرتين، فلقد كان مخيم مواسون عبارة عن حشد ضخم للشبيبة المنتمية الى المعسكر العربي، اما الآخر فكان عبارة عن ملتقى استثنائي للشبيبة الشيوعية.

3- 7 - تصرفات وفدنا على الصعيد الكشفي:

كيف كانت تصرفات أعضاء وفدنا على الصعيد الكشفي وهم يشاركون لأول مرة في مهرجان عالمي؟

سنستخلص الإجابة على هذا السؤال من شهادتين، جاءت أولاهما من قائد كشفي عاش تجربة المخيم، فلقد صرح هذا القائد بأن الكل وبدون استثناء قاموا بواجبهم الكشفي على أحسن ما يرام، إنهم كانوا يقومون باكرًا فينقادون مجدِّين لأوامر قادتهم ويبتكرون العديد من المبادرات، دائمي النظافة والاستعداد (مرجع 48).

في الحقيقة كان ذلك التأطير في غاية الإحكام، فوضعت الفرق الأربع تحت قيادة «توار» من عنابة و«محمود بن محمود» من سطيف و«عمر أبو داود» من تيزي وزو و«الشيخ بوعمران» من مليانة.

أما الشهادة الثانية فقد جاءت من القائد العام الطاهر التجيني، بعد أن قارن تصرفات وفدنا مع باقي الوفود وذكر في تصريحاته ما يلي: «لقد أثلج صدرنا ما شاهدناه في مخيم مواسون، فلم تكن الفرق الأربع للكشافة الإسلامية الجزائرية أقل مستوى من مئات الفرق الأخرى. لو شاهدنا «بادن-باول» لرأى فينا خير تلامذة له بدون شكّ ولم يبق سوى أصحاب النوايا السيئة ليدعوا العكس ويزرعوا الشكوك» (مرجع 49).

3- 8 - العبر الناجمة عن المخيم.

سنستخرج هذه العبر من التقارير التي كتبها المسؤولون الذين شاركوا في المخيم فلقد اجتهدوا وتدبّروا ما جرى فيه وأبرزوا أهم الآثار التي تركتها الأحداث في العناصر الفتية من كشافة الوفد.

يقول القائد العام الطاهر التجيني في هذا الصدد ما يلي: «استفاد الكشافة المسلمون الجزائريون من هذا المخيم كل حسب مؤهلاته، لكنهم عادوا كلهم بنظرة جديدة إلى العالم المحيط بهم أشمل وأكثر واقعية».

اما القائد قداش فقد أكد على هذه الاستفادة وعللها قائلا: «استفاد الكل من الاتصالات العديدة والمتنوعة التي عقدها الكشافة المسلمون الجزائريون مع عالم الشبان الذين اتوا من كل صوب، وكان اولائك الشبان لا يشتكون من خلفيات ذهنية كثيرة كانت تطبع الواقع المعيش، تقدموا للكبار درسا في السلم والتآخي بين البشر».

وعندما تحدث المرشد بوزوزو (مرجع 51) عن هذه العبر واستشهد بالتاريخ الحديث للحرب العالمية الثانية التي اثارت رياح الحرية قال: «لقد انبهر الشباب الذين جاؤوا من البلدان المستعمرة في أول الأمر، لكن سرعان ما تفطنوا الى ان ذلك النور لا يشملهم فتفتحت عيونهم لحقيقة وضعيتهم فلم تبق تنخدع بالاكاذيب التي تخدم مصالح انانية واجرامية. فكان الكشافة المسلمون الجزائريون يعبرون عن إيمانهم بمصير وطنهم وتحريره واقتنعوا بأن هذا التحرير لا يصنع إلا بالاعتماد على النفس».

وكان مسؤولو الوفد يعتنون بالعلاقات خاصة مع كشافة العالم الإسلامي والعربي نظرا لما يجمع بينهم من مودة ووحدة في التفكير وتقديس للحرية والإسلام. ومن الجدير بالتنويه في هذا المجال ان الكشافة المسلمين الجزائريين هم الذين بادروا ببناء مسجد في معسكرهم واستدعوا كل الكشافة المسلمين للاحتفال بليلة القدر ثم بعدها بإقامة صلاة عيد الفطر، ولم يكن الكشافة المسلمون الجزائريون يهدفون من وراء هذه المبادرة إلا ليقيموا الدليل على ان الإسلام مازال في أعينهم المعتقد الجامع والثابت والأداة لتوحيد الشعوب الإسلامية لا بديل عنه.

اما المناوشات الجزئية التي كانت تنشب بين الحين والآخر بين الكشافة المسلمين الجزائريين والكشافة الفرنسيين طيلة أيام المخيم فلم تكن تصدر عن حزازات او كراهية شخصية بل كانت عن حصول الوعي بالشعور الوطني الذي بعد نقطة انطلاق لإرادة اعتزاز بهوية مقالة تدعو الى إعادة النظر في نظام استعماري رجعي شل حركة الفرد ومنعه من كل حرية في العمل.

3- 9 - حادثة قاعة واغرام:

نشبت هذه الحادثة بمناسبة حفل تنظمه الكشافة المسلمون الجزائريون بالتعاون مع الطلبة المنتمين الى حركة انتصار الحريات والديمقراطية (M. T. L. D.) بعد انتهاء المهرجان، وكان هذا الحفل مخصصا لجاليتنا في المهجر، والسبب في هذا الحادث الخطير بين المتعاونين على تنظيم الحفل كان اختلافهما على مآل الحصيلة المالية.

في تلكم الأيام التي صادفت قرب الانتخابات البلدية في الجزائر كان الحزب يعاني من صعوبات مالية حقيقية وكان ينوي إيجاد مخرج منها، وبالمقابل كانت خزينة الكشافة الإسلامية الجزائرية قد انهكتها مصاريف المشاركة في المهرجانين فكانت في حاجة ماسة الى تزويدها لضمان عودة الكشافة الى أرض الوطن في ظروف عادية.

فاشتدت لهجة المفاوضات وكادت أن تؤدي الى القطيعة لولا تدارك الموقف في آخر دقيقة واللجوء الى حل وسط يقضي باقتسام المحصول بصفة عادلة. انتهت إذن حادثة قاعة واغرام بهذه الطريقة وعادت الكشافة الإسلامية الى الوطن في ظروف حسنة جدا، لكن الجمعية بدات تواجه جملة من المشاكل في غاية الخطورة في الخارج والداخل، وهي التي ستنال من وحدة الحركة وتؤدي الى الانفصال.

ت - الأزمة والانفصال (1947-1948):

ت. 1 - الذرائع المختلفة لدعوة الجمعية العامة. تحليل ونقد.

تجد هذه الذرائع في رسالتين سريتين (مرجع 52) سلمهما بعض الكشافة للقائد العام الطاهر التجيني في مخيم سيدي فرج حيث كان مقررا عقد الجمعية في شهر مارس 1948.

– الذريعة الأولى: «سوء التنظيم الداخلي للحركة وخاصةتنظيم اللجنة المديرة».

من المعلوم ان تنظيم أي مؤسسة يقاس على أساس النتائج التي حصلت عليها، وهذه النتائج مرهونة اساسا بجودة التأطير وبالمجهودات

التي تبذلها هذه المؤسسة في تكوين القادة. وبالفعل كانت السنوات التي سبقت الأزمة من أغنى الفترات في هذا المجال، فبعد قبول الكشافة الإسلامية الجزائرية في عضوية هيئة الكشافة الفرنسية استطاعت مثل باقي الجمعيات الحصول على منح من مصلحة الشبيبة من ناحية ومن إدارة الإصلاحات من ناحية أخرى، كما فُتح في وجهها المخيم للتكوين المتواصل في «مخيم الرياض» بصفة رسمية.

قدم القائد العام هذه النتائج في تقريره الأدبي أمام الجمعية العامة والمجلس الفدرالي المنعقدين في قسنطينة، في ديسمبر 1946 (مرجع 53)؛ ومما جاء فيه:

- في ديسمبر عقد مخيم تكويني لمدة أسبوع لصالح رؤساء الفصائل.
- في عطلة الربيع مخيم مدرسي تكويني للأشبال.
- استفاد أكثر من 200 قائد بحصة تدريبية في «مخيم الرياض».
- شارك 6 قادة في مخيم للقيادة (Cappy).
- كل القادة القادرين على التقدم مدعوون للمشاركة في حصة تدريبية تنظمها إدارة الشبيبة تحت إشراف مراكز التدريب لطرق التنشيط في التربية، وقد شارك بعض الكشافة المسلمين الجزائريين في هذه الحصص، منهم عضوان من اللجنة المديرة وتحصلوا على شهادات منشطي المخيمات الصيفية، كما شارك القائد فارس في الهيئة المشرفة على هذا المخيم بموافقة القائد العام.
- تنظيم مخيّم للمرشدين لمدة أسبوع في «دراودة البحري» وكانت نتائجه مرضية جداً.

لكل هذا اعترف بأن ذاكرتي الكشفية لم يسبق لها أن سجلت مجهودات للتكوين من هذا القبيل، ومن الإنصاف أن نعتبر الحصيلة كشهادة سلامة صحية للحركة.

أما اللجنة المديرة التي وضعت في قفص الاتهام فقد انبثقت من الجمعية العامة العادية التي عقدت بقسنطينة في سبتمبر 1946، وانتخبت

بطريقة شرعية من طرف هذه الهيأة المؤهلة، وكانت تتركب من ١٥ عضوا من بينهم قدماء الكشافة الذين كانوا الباعثين لنهضة الحركة وقادة محنكين في تأطير مختلف الفروع، كما كان من بينهم قائد تعدت شهرته حدود الجمعية. وإذا ما اعتبرنا الجانب الإيديولوجي وتتبعنا كل العناصر المكونة للجنة المديرة وجدنا فيها توازنا بين جميع الحساسيات السياسية والثقافية الموجودة في المجتمع. وكنا نلاحظ وجود قادة مسنين لا ينتمون الى جهة سياسية معينة، لكن يتمتعون بتجربة وسمعة لهما وزن هام في تمثيل الحركة (مرجع 54).

حاولنا في بداية هذا الباب المخصص للأسباب العميقة للازمة، إظهار تطورات الوطن في تلكم الحقبة، ولا حاجة للعودة إليها من جديد، وإذا كانت هذه الفترة مليئة بالاضطرابات ولا شيء يسير فيها على ما يرام في الميدان السياسي، فإنه يحق للمرء أن يتساءل إذا كان الظرف مواتيا حقا لإثارة ذريعة «سوء التنظيم داخل اللجنة المديرة» وإحداث انقلاب داخلها مع العلم أنها تضم ممثلين عن كل الحساسيات، لاشك أن ذلك يؤدي الى اختلال توازنها وزيادة في تدهور المناخ الاجتماعي.

ـ اما الذريعة الثالثة فكانت في عيون محرري الرسالتين السريتين أهم من الاوليين لانهم ارفقوها بتعليق سنعود إليه بعد حين.

سنعرض فيما ورد في الرسالتين اولا الاحتجاج الذي قدم في شأن: «الاتصالات بين الكشافة المسلمين الجزائريين وممثلي الوفود الفرنسية في سيدي مدني»، أما التعليق الذي تبع الاحتجاج فقد كان يهدف اساسا الى تحميل القائد الطاهر التجيني وحده مسؤولية الاتفاق المبرم أثناء اللقاء، وبالتالي رفض كل ما جاء في مضمونه (مرجع 55).

ثم تلي التعليق تعليمات صارمة تحث المرسلين إليهم على طلب استدعاء الجمعية العامة الاستثنائية وانتخاب لجنة مديرة جديدة والقيام بدعاية مكثفة لهذا الغرض.

ت.2 - لقاء سيدي مدني (البليدة) في نوفمبر 1947 (مرجع 56)

كان الهدف الرسمي من لقاء سيدي مدني في شهر نوفمبر 1947 هو دراسة طلب انخراط فدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية في المكتب العالمي للكشافة، لكن الداعين إليه وهم الشكافة الفرنسيون كانوا يقصدون في الحقيقة استبيان موقف الحركة لتاويلها، في خضم تصاعد النزعة الوطنية، لمفاهيم «الموطن» و«العلم»، هذه التاويلات التي لا يرونها ملائمة مع الانضمام الحديث للكشافة الإسلامية الجزائرية الى الهيئة الجزائرية للكشافة الفرنسية.

فقد كتب احد القادة للكشافة الفرنسية، القائد زووركير الى القائد لاغا ما يلي: «لقد انخرطت الكشافة الإسلامية الجزائرية في هيئة الكشافة الفرنسية، وهذا يعني الالتزام والاحترام لفرنسا، موطن كل الجمعيات الكشفية العربية، فإن الموطن حقيقة ملموسة... والى حد الساعة لا نعلم لموطن جزائري وجودا». (مرجع 57).

كان وفد الكشافة المسلمين الجزائريين الى هذا اللقاء يضم القائد العام الطاهر التجيني مرفوقا بأربعة قادة وطنيين هم: محمد جيجلي، محمد القشعي، محفوظ قداش وعمر لاغا.

وفي المقابل الوفد الفرنسي كان يضم كافة الإطارات العليا للجمعيات المكونة للكشافة الفرنسية وهي: كشافو فرنسا، الرواد الفرنسيون، الكشافة الوحدويون ودليلات فرنسا.

كانت المشاكل المشاكة التي تدرس بين اعضاء الوفد الجزائري تجري بكل حرية وكانت القرارات تؤخذ بالاجماع، ثم تطرح في الجلسة العامة من طرف القائد العام، فقد كان تركيب الوفد وروح التشاور الدائم بين أعضائه، لا يترك المجال لاي مبادرة فردية.

فكان إذن من باب التضليل ان يدعي البعض ان القائد الطاهر التجيني قد اتخذ الموقف الذي نُسب إليه بمفرده بينما كان في الحقيقة موقف الجميع.

لقد كان لقاء سيدي مدني مسرحا لمناورات سرعان ما تطورت في بعض الأحيان الى تهديدات من طرف قادة الكشافة الفرنسية... يُمكن أن تؤدي الى القطيعة، ولقد صرّح القائد العام الطاهر التجيني في إحدى تلك الفترات الحرجة بما يلي:

«لم يبق لنا إلا أن نطوي بدلاتنا الكشفية في الكافور وننتظر أياما أفضل، وعلينا أن نحرر أتباعنا من كل التزام تجاه الحركة الكشفية».

كان هذا التصريح يعبر عن إرادة راسخة في احترام المبادىء التي لا يمكن التنازل عنها، وهي كما قال:

«رفض إدماج حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية في أي من جمعيات الكشافة الفرنسية» من ناحية. أما تأويل عبارتي «الموطن» و«العلم» فيعرف مهما قاموس «لاروس» وليس هنالك مجال للشك. وبالنسبة للوفد الجزائري، فإن «الموطن» هو الجزائر و«العلم» هو الرمز الوطني. لا يمكن ولا يحق لأي أحد أن يعتقد أن لنا موطنا أو علما آخر. غير هذا الموقف الحازم والثابت عن مقاومة معلنة، وشجاعة نادرة في تلك الزمن؛ والحركة فخورة بها، أن أفصحت عنها أمام قادتنا داخل البلاد وطبقتها في الميدان في الخارج على الصعيد العالمي في مهرجان الشبيبة العالمية في «براها» وفي مخيم «مواسون» كما أشرنا الى ذلك من قبل.

وإن تشبث كل وفد بموقفه في قضية الموطن والعلم لم يمنع ذلك الوفدين من وُجود مجال للوفاق خوّل لنا مواصلة نشاطنا الكشفي، إذ كان من واجبنا المباشر تجنب حل الكشافة الإسلامية الجزائرية، الذي يؤدي الى عواقب وخيمة مع التمسك باستقلالنا، وكان الحل الوسط الذي تمّ الاتفاق عليه يقضي بإنشاء فيدرالية جزائرية للكشافة مستقلة عن الكشافة الفرنسية.

وبهذا الاتفاق لم تعد الحركات الكشفية الفرنسية تفرض على الكشافة الجزائرية رأيها، بل ذهبت الى أبعد من ذلك وتوصلنا الى قبول جزارة الكشافة وهذه الجزارة تطبّق في الميدان، التي تفصل بين تقليص

الآراء المختلفة وذلك بإدخال دراسة المحيط الجزائري في برامجها، وبعبارة أخرى كان على كل الأطفال الذين يعيشون في الجزائر أن يتعرفوا على هذا المحيط.

وفي الختام يمكن القول بأن أهم العوامل التي ساهمت في إيصال المفاوضات الى هذه النتيجة الإيجابية كان روح التضامن والتماسك الذي كان يتحرك به الوفد الجزائري طيلة اللقاء، بينما لم يكن هذا شأن الفدراليات الاخرى، والادعاء القائل بأن هذا المآل كان نتيجة التعرف الشخصي للطاهر التجيني دون باقي أعضاء الوفد، يُعدّ تشويهاً متعمداً للحقيقة.

ج- الجمعية العامة الاستثنائية بسيدي فرج 27– 28– 29 مارس 1948:

ج-1 - التطور الذي أدّى الى عقد الجمعية العامة الاستثنائية.

قبيل انعقاد هذه الجمعية العامة تلقى الأمين العام للحركة عدة طلبات للمصادقة على إنشاء أفواج جديدة، وكانت هذه الأفواج تتولد بسرعة خارقة للعادة، خاصة في العديد من أحياء العاصمة.

وردت بعد ذلك طلبات من نوع آخر تطالب باستدعاء جمعية عامة استثنائية، وكان بعض المسؤولين في المستوى العالي يتلقون أخبارا عن صدور تسريبات موجهة الى بعض القادة، وأتحدث من القائد العام التجيني هدفا لهجمات تتهمه بأنه المسؤول عن القرار المتخذ في لقاء سيدي مدني، هل كان من شأن هذا التصاعد في الأخطار المحدّقة بالمنظمة والهادف الى نسف جهاز القيادة أن يترك مسؤولي الحركة مكتوفي الأيدي؟

طبعا لا، كانوا يشعرون بالخطر وكانت تساورهم مخاوف، والدليل الصادق على ذلك نجده في المبادرة التي قام بها القائد العام التجيني برفقة القائد القشعي لدى رئيس الحزب آن ذاك مصالي الحاج، وهو في إقامته الجبرية ببوزريعة، وهذا فحوى تصريحات هذا الرئيس:

«بعدما أثنى بحرارة على حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية قال إنه يتتبع خطواتها بكل اهتمام، وذلك رغم غياباته العديدة، ثم عبر لنا مصالي

الحاج عن عدم رضاه على مواقف بعض إطارات حزبه، فوعد بدراسة الملف ووضع حد للتدخلات التي اشتكينا له منها».

بعد التعليمات التي تلقاها مسؤولو الحركة ظنوا ان العلاقات بين الحزب والكشافة الإسلامية الجزائرية قد اتضحت على اعلى مستوى ولا باس إذن في الاستجابة لمطالب عقد الجمعية العامة الاستثنائية، وكانوا يأملون في ان هذه الجمعية ستستغل لجمع الصفوف وتوطيد وحدة الحركة.

ج.2 - الجمعية العامة الاستثنائية في سيدي فرج

استدعيت إذن الجمعية في اول الأمر الى تيزي وزو حيث اتخذت الاحتياطات المناسبة، لضمان الرقابة المحكمة ومنع التسربات المحتملة، والعريب في الأمر ان حركتنا تلقت قبل ايام قليلة من انعقاد الجمعية العامة قرارًا ولائيا يمنع هذا التجمع في تيزي وزو.. وبالرغم من تدخل الأستاذ أحمد بومنجل المحامي المستشار للكشافة الإسلامية الجزائرية، السياسي ذي النفوذ الواسع، اصر والي الجزائر العاصمة على منع الجمعية في تيزي وأشار بعقدها في غابة سيدي فرج، قبلت حركتنا الاقتراح البديل رغم أنفها نظرا للمصاريف التي بذلت والتحضيرات التي تمت، لكن جهاز الرقابة الذي تم إعداده بإحكام في تيزي وزو لم يتيسر إعداده من جديد بنفس الفعالية وفي الآجال الضيقة الجديدة التي فرضتها الإدارة، وقد حال دون ذلك ضيق الوقت والنقص في الوسائل البشرية. وبات من الواضح ان هذا الوضع سيخدم مصالح الذين أوحوا بتحويل الجمعية العامة من تيزي وزو الى سيدي فرج.

وفي اول يوم من انطلاق الجمعية اخطر القائد العام للظاهر التجيتي بخبر الرسائل السرية فاطلع عليها وقد تحدثنا عن محتوى هذه الرسائل في الجزء الثاني من هذا الباب.

ونعود الآن الى الرسالة السرية الثانية لنتفحص محتواها، وننظر في الاتهامات الجديدة الموجهة الى القائد العام وفي التوصيات الموجهة لمتسلمي هذه الرسائل قبل انعقاد الجمعية العامة الاستثنائية.

فضلنا تأجيل الحديث عنها حتى الآن لما لها من علاقة مباشرة بالجمعية العامة الاستثنائية، وأهميتها كامنة في كونها تنذر بشدة الى ما سيجري في هذه الجمعية من مداولات تكشف المدبرين لكل هذه المناورات.

نلاحظ إذن أن الرسالة الثانية تعيد التهمة الموجهة الى القائد العام وتدعي بأنه هو الذي قرر تاريخ الاجتماع، أسبوعا واحدا قبل انطلاق الحملة الانتخابية «لحركة انتصار الحريات الديمقراطية» قصد عرقلتها (M.T.L.D.)، وتدعو من جهة أخرى كل القادة المتعاطفين مع الحركة لإشراك كل الكشافة المنخرطين والمتعاطفين الذين تزيد اعمارهم على 18 سنة وتحثهم على القدوم الى الجزائر العاصمة ليلة انعقاد الجمعية حتى يتسنى لهم الإطلاع على المخطط المدبر لتسيير هذه الجمعية وتلقي التعليمات الأخيرة في هذا الشأن.

انعقدت الجمعية بالفعل حسب الخطة المدبرة وبتواطىء مع بعض القادة الذين كانوا وراء كل هذه الحملة التشويهية، فأصبح جو الجمعية خانقا يشبه ذلك الذي يسود العمليات الانتخابية، حيث تخضع أصوات المعارضة الى ضغط الأغلبية الساحقة والمجحفة، وقد جاءت الوفود مصممة لتنفيذ الأوامر وفرض إرادتها، هكذا لم تول تلك الأغلبية أي اهتمام للرسائل السرية التي ازعجت القائد العام ورفاقه وتليت في الجلسة العلنية الملفقة دون جدوى. ولم تنتظر الأغلبية سوى شيئا واحدا، وهو الشروع في الانتخاب واختيار اللجنة المديرة الجديدة كما تقرر.

هناك نقطة تبدو ثانوية ولكنها تحمل العبرة في نفس الوقت لأنها تزيح الستار عن مؤامرة مدبّرة بدقة في كل خطوة من خطواتها فلابد من الإشارة إليها. القائد العام التحيمي الذي كان من خلال الرسائل السرية وطوال المداولات هدفا لسهام دعاة الانقلاب، أعيد انتخابه من جديد بعكس ما كان يُنتظر، لكن مدبري العملية حرصوا على عزله التام بإبعاد كل العناصر الذين يشتبه أنهم من أنصاره.

ج.3 - نتائج الجمعية العامة الاستثنائية بسيدي فرج.

في امسية اليوم الثالث للجمعية العامة الاستثنائية في سيدي فرج أظهر مديروها بهجتهم للانتصار الذي أحرزوه من خلال استيلائهم على جهاز الحركة، لكن بعمليهم هذا كسروا الجبهة الموحدة للكشافة، التي صمدت حتى ذلك اليوم صمودا معتبرا أمام الحملات المتتالية للإدارة الاستعمارية.

وبالفعل فقد أدّت العملية التي حيكت في الجمعية العامة الاستثنائية بسيدي فرج بانزواء الحركة على التقس ورفضها للتعايش مع الذين انخرطوا في صفوف حزب سياسي، وأمام هذه الظاهرة الانفصالية التي كشفتها الانتخابات التي احتضنت بها الجمعية العامة الاستثنائية، يحق لنا ان نتساءل ماذا سيكون رد الفعل من طرف العناصر التي احست الآن ان المناخ الأخوي الذي ألفت ان تعمل فيه حينا لجنب قد تغير وأصبح فجأة عدوانيا، ذلك ما سنعرض الآن لدراسته.

ج.4 - رد الفعل.

لم يطل رد الفعل، ففي الأيام التي تلت الجمعية العامة الاستثنائية في سيدي فرج، رفض العديد من القادة الاعتراف باللجنة المديرة الجديدة.

وكان من بين الرافضين قادة لم يحضروا الجمعية، وآخرون لم يدركوا في الحين ما حدث ولكنهم تغلبوا على المفاجأة بفضل تبصرهم، ومنهم أيضا قسم من القادة الذين حضروا الجمعية العامة وادركوا دون جهد كبير ما وقع من مناورات يقصد بها قطع أوصال وحدة الحركة وهي الوحدة التي كانت تمثل اسمى ما كان يصبو إليه مؤسس كشافتنا محمد بوراس (الشهيد).

وفي يوم 17 ماي من سنة 1948 اجتمع ممثلو الرفض في مليانة وقرروا مواجهة التحدي بإنشاء حركة كشفية مستقلة، فكانت نقطة انطلاق ليعث روح الحياة في الأفواج التي انضمّت الى هذه الحركة التي بدات تنشط تحت العنوان التالي: «جمعية الكشافة الإسلامية الجزائرية» (B.S.M.A).

وأعلن مؤسسوها الأسباب التي دفعتهم الى اتخاذ هذا القرار، في مقال نشر في مجلتهم الداخلية «الحياة» تحت هذا العنوان: «مبادئنا» ويتلخّص مضمونه الاساسي في جمل موجزة معبّرة «هل من الحق وقد حملنا اعباء مصير أطفال ينتمون الى أوساط مختلفة أن نفرض عليهم معتقدات معينة؟ إن الكثير من هؤلاء الأطفال عاجزون عن إدراك هذه المعتقدات، وعلى التربية المدنية أن تهْدف الى بثّ روح التسامح وسعة النظر. إن المهمة المناطة بعاتقنا هي إعداد مواطنين نزهاء وصالحين لهم عقول متحررة يقظة. ليس النضال السياسي همنا، بل هو هم الاحزاب، إن الروح الكشفية تدعو الى الأخوة فكيف نرضى بالتعصب والشقاق ؟».

وبعد تأسيسها حصّلت الجمعية الجديدة لشبيبة الكشافة الإسلامية الجزائرية وقتًا نسبيًا لتبرير وجودها والحصول على موافقة التربية الوطنية، وبمجرد الحصول على هذه الموافقة أصبحت الجمعيتان الكشفيتان الجزائريتان تنشطان جنبًا الى جنب، لكن في استقلالية تامة.

ج.5 - تداعي الحركة الكشفية الجزائرية ومحاولات الصلح.

لا يمكن أن يترتب عن الانفصال سوى تقويض وحدة الحركة الكشفية، فقد أتيحت الفرصة للولاية العامة تحت وصاية «نجلاد» أن تنال مبتغاها، فتضرب كل واحدة من الحركتين بالأخرى. أثّر الانفصال تأثيرًا سلبيا على بعض الإطارات فنال من عزيمتهم وجرّهم الى ترك الحركة، أما القادرون على الصمود فقد حافظوا على حماسهم وقاموا بعدة محاولات لإصلاح ذات البين التي فصلت بين الجمعيتين.

فإن انفصام الوحدة داخل حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية في ظروف الاستعمار حدث هام من شأنه أن يدفع الجزائري الجديد بهذا الانتماء الى ردّ فعل ملائم، وهذا ما يفسر المحاولات العديدة التي بذلت من اجل لمّ الشمل بعد القطيعة.

وإنه لمن الواجب التنويه بهذه المحاولات التي تبقى مفخرة لصانعيها ولو باءت بالفشل؛ وإمعان النظر فيها يزيد الأزمة التي زعزعت الحركة الكشفية وضوحا.

ج.4) - محاولة فوج الحياة في سطيف.

على اللذين يريدون المزيد من المعلومات في شان هذه المحاولة أن يراجعوا المنشور 2 الذي وزعته لجنة المساعدة وقادة الكشافة الإسلامية، «الحياة» بسطيف (مرجع 65).

أما نحن فسنكتفي هنا بتوضيح هذه المحاولة التي قام بها فوج «الحياة» بسطيف، وهو من أهم الأفواج في الشرق الجزائري، قام بهذه المبادرة وهو لم يتخذ بعد موقفا في اختيار الجمعية التي ينضمّ إليها.

اتّصل هذا الفوج من أجل الوساطة «بلاغا وبوزوزو» ممثلي الكشافة الإسلامية الجزائرية من جهة، ثم بعد فترة قصيرة، بالنجيبي ورفاقه، ممثلي شبيبة الكشافة الإسلامية الجزائرية من جهة أخرى.

يظهر من قراءة تقرير المهمّة أن ممثلي الكشافة الإسلامية الجزائرية اعترفوا بعدم شرعية اللجنة المديرة الجديدة الناجمة عن جمعية عامة فرضها حزب سياسي، لكن هؤلاء الممثلين لم يكونوا يملكون – مثل النجيبي – حق اتخاذ القرار، إذ كانت الاقتراحات التي عرضها الفوج وقبلت من الطرفين الحاضرين في محاولتين تراجع عنها مسؤولو الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجزائر العاصمة.

وبعدما لاحظ الفوج المتوسط الذي وافق عليه الطرفان من أن اللجنة المنبثقة عن سيدي فرج ترفض كل الحلول الوسطى الكفيلة بالحفاظ على الوحدة، قرر انضمامه لحركة شبيبة الكشافة الإسلامية الجزائرية، لأنها أسست على مبادىء تطابق مبادئه بالتمام، ولقد نص عليها في آخر المنشور (مرجع 66).

ج.7 محاولة جمعية العلماء.

إذا ما اعتمدنا على وثيقة التوضيحات التي ارسلتها حركة الكشافة الجزائرية سنة 1958 الى جبهة التحرير الوطني تطلب منها الدعم والتوجيه من جهة وعلى ما جاء في شهادة القشعي من جهة أخرى، ولعلّ ذلك بدقتنا – إثر قراءة سريعة للوثيقتين – الى القول بأنهما تتناقضان فيما يخص محاولة الصلح التي قامت بها جمعية العلماء.

اما الوثيقة الأولى فتتحدث عن فشل تام للمحاولة وأما الثانية فتتحدث عن نجاحها النسبي، (المرجع 67).

إذا أمعنا النظر في الوثيقتين أمكننا ان نوفق بينهما، إن الأولى تشير بدون شك الى المقترح الثاني الذي قدّمه فوج «الحياة» بسطيف والقاضي برفع القضية بين المتخاصمين إلى العلماء، ونعلم ان هذا الاقتراح الذي وافق عليه بوزوزو، في البداية رفضه قادة اللجنة في الجزائر فهو إذا إحباط اقتراح وليس فشل محاولة لان العلماء لم يتحركوا بعد في اتجاه المصالحة.

أما الوثيقة الثانية فهي تتحدث عن تدخل مباشر للعلماء بواسطة رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي.

يقول القشعي إن الشيخ «لم يتحصل سوى على تخفيف حدة النزاع وإنهاء خصومات نشبت في بعض الأماكن حول مشاكل بسيطة مثل المحلات والمحفوظات وما الى ذلك».

لقد أشرنا الى ان محاولات المصالحة التي قام بها فوج «الحياة» بسطيف ادت الى انضمامه الى الشبيبة الكشفية الإسلامية الجزائرية، ومن الاهم ان نذكر في هذا الصدد ان محاولة المصالحة التي قامت بها جمعية العلماء انتهت هي الأخرى بمنح دعم الجمعية الكامل لشبيبة الكشافة واختير رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي مرشدا عاما لها.

القسم الأول

الفصل الثالث

الملحقات

الجزائر في 30 ديسمبر 1947

1 - نص الرسالة السرية الأولى.

ايها الأخ الكريم

قبل الدخول في الموضوع الذي نتناوله هذه الرسالة، أود ان اقدم إليك اخلص تحياتي الاخوية.

تبعا لاتصالنا الأخير أعلمك بأن الوقت قد حان لطلب استدعاء الجمعية العامة، وذلك للأسباب التالية:

1 – سوء التنظيم الداخلي للحركة خاصة في اللجنة المديرة.

2 – تطور الحالة الراهنة في بلادنا.

3 – الاتصال الذي جرى بين الكشافة الإسلامية الجزائرية وممثلي الوفود الفرنسية في سيدي مدني.

واعلمك -إن لم تكن على علم- ان التجيني أعطى موافقته بصورة استبدادية؛ ولقد أرسل محضر الجلسة في سيدي مدني الى كافة القادة الجهويين، وكان الهدف من هذا اللقاء تأسيس شبه فيدرالية للكشافة الجزائرية، ومن اجل ذلك وافقت الفدراليات الفرنسية على التصريح التالي كشرط لانضمامها:

1 – إنها تريد ان تحافظ على حركتها بعيدة عن كل سياسة حزبية.

2 – إنها تترك للاعضاء كامل الحرية في الراي على شرط ان لا يورطوا ابداً الحركة الكشفية.

3 – إنها تتعهد بان تذكر القادة والجوالة الراشدين بانه ليس من حقهم فحسب، بل من واجبهم ان يتبنوا آراء سياسية فيما يخص المؤسسات السياسية، ولكن من الممنوع عليهم ان يمارسوا هذا الحق امام

الاطفال الذين أوكلت لهم تربيتهم، ومن باب أولى وأحرى أن يشركوهم في حياة حزب سياسي.

4 – لا يجوز لقائد كشفي أن يكون في نفس الوقت مناضلا أو من مسؤولي حزب سياسي، فإن هذا الحظر لا يمليه أي عداء للاحزاب السياسية وإنما يمليه الحرص وحده على إبقاء الحركة الكشفية بعيدة عن كل تيار سياسي.

إنني حريص على أن ألفت نظرك الى ما تلاحظه بنفسك أن الكشافة الفرنسية قد أدركت أن نشاطنا قد أخذ منحى مواليا للوطنية، فاصبحت تحاول عزلنا عن شعبنا، إذ هم أظهروا في البندين الاولين إرادة لاحترام حرية آرائنا، لكنهم في الأخيرين يتبنون موقفا معاكسا، إذ يصرحون بأنه لا يجوز لقائد أن يناضل في حزب سياسي، وهناك حجّة أخرى تدفعنا الى التبرّم من هذه الفيدرالية الوهمية.

يقال من جهة أخرى أن تمثيل كل جمعية في المجلس العام سيكون بواسطة نائب واحد، والجدير بالذكر أنّ هذا المجلس العام هو الذي سيتولى قيادة هذه الفدرالية، ونظرا الى أن عدد الجمعيات الفرنسية 6 فستكون لهم الأغلبية لا محالة.

إنني اعتمد على روحك النضالية لحثّك على نشر دعاية مكثّفة من أجل استدعاء جمعية عامة، وشرح سوء نية اللجنة المديرة الحالية؛ كما أرجوك أن تحرض رؤساء الأفواج من حولك على إرسال طلب الى الكاتب العام يطالبون فيه باستدعاء جمعية عامة وانتخاب لجنة مديرة جديدة، خلال شهر ديسمبر.

إنني اعتمد عليك في تنفيذ هذه الأوامر بحذافيرها.

مع تحياتي الكشفية الخالصة.

استدراك:

تدبر مليا هذه البراهين الأساسية واذكرها في طلب استدعاء الجمعية. أعلمك من جهة أخرى أن رؤساء الأفواج الذين يشاطروننا الفكرة قد أشعروا بهذه التعليمات.

2 - نص الرسالة السرية الثانية.

وجهت الرسالة الثانية الى «مناضلي» الحزب لابلاغهم اوامره قبل الجمعية العامة، فهي مؤرخة بيوم 26 مارس يعني قبل الجمعية بيومين.

ايها الأخ الكريم

كما علمت من المنشورات التي بلغتك من دون شك، ستنعقد الجمعية العامة ايام 27، 28، 29 مارس.

إنك لاحظت أن هذه الجمعية ستنعقد اسبوعا فقط قبل الانتخابات الجزائرية، وهذا يصدنا عن الانشغال بالدعاية الانتخابية للحزب.

ولا حاجة للتنبيه من ان هذا كان من تدبير النجيبي الذي يرجو ان يحصل مناضلونا على اقلية الأصوات (في الجمعية)، وإن جرت الأمور طبقا لهذا الرجاء فما علينا سوى الإذعان، لذا اطلب منك أن تُشارك في هذه الجمعية مع أكبر عدد ممكن من الكشافة والجوالة. أما فيما يخص مشاركة الكشافة الذين تفوق اعمارهم 18 سنة، فإن النجيبي قد رفض ذلك متخوفا بذلك بندا من نظامنا الداخلي، فإني أدعوك إذن الى إشراك كل الكشافة (مناضلين ومحبين) الذين تزيد اعمارهم على 18 سنة وذلك رغم موقف النجيبي غير المشرف.

ولرفع التحدي عليك أن تحضر لكل مشارك تسجيلا مطابقا للذي ارسله إليك الكاتب العام وبلّغه للمعني بالأمر، وفي حالة استحالة حضورك لمانع قاهر، فعليك أن تسلم لكشاف آخر سواء كان مناضلا أو محبا وكالة تخوله ان يتكلم باسمك.

وقبل توديعك أطلب منك ان تكون في الجزائر العاصمة يوم 26 مارس صباحا كآخر اجل لنطلع على مشاريعنا الخاصة بهذه الجمعية ولنسلمك التعليمة الأخيرة.

مع تحياتي الأخوية

العنوان الجزائر العاصمة.

القسم الأول

هوامش الفصل الثالث

34 – انظر في مجلة «الحياة» 1948 المقال الذي يحمل العنوان التالي: «حول أزمة»
35 – انظر الباب السابق.
36 – أ. محساس، «الحركة الثورية في الجزائر» الناشر «لارمتان» باريس 1979، ص.9.
37 – أ. محساس المصدر نفسه.
38 – انظر نشرة الكشافة الإسلامية الجزائرية: (ك.ا.ج) عدد 14. نوفمبر ديسمبر 1946.
39 – انظر نشرة الكشافة الإسلامية الجزائرية: التي نشرت في خريف 1947.
40 – انظر نشرة الكشافة الإسلامية الجزائرية: المذكورة في الحاشية رقم 6.
41 – انظر المقال الذي يحمل عنوان: (ك.ا.ج) في المهرجان العالمي للشبيبة بقلم لاغا عمر رئيس وفد الكشافة المسلمين الجزائريين في هذا المهرجان والذي صدر في النشرة الكشفية – فصل خريف 1947.
42 – تعززت الكشافة الإسلامية الجزائرية بحضور الطلبة الجزائريين بباريس تحت قيادة محمد يزيد. كما وزع الطلبة والكشافون الجزائريون وثائق سياسية لتونسيين ومغاربة حرموا من حضور المهرجان.
43 – انظر فيما يخص هذه الأحداث شهادة القائد القشعي المذكورة في الحاشية.
44 – انظر المقال المذكور في الحاشية.
45 – هذا زمن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تأسست في سبتمبر 1958
46 – انظر المقال الذي يحمل عنوان: «تأملات بمخيم السلم» بقلم القائد قداش والصادر في نشرة (ك.ا.ج) سنة 1947، ص. 9.
47 – انظر نشرة (ك.م.ج) الصادرة في خريف 1947.
48 – انظر المقال الذي يحمل العنوان الآتي: «إلقاء نظرة على المخيم» بقلم فار الذهب، ص. 16، الصادر في نشرة (ك.م.ج) في سنة 1947.

49 – انظر المقال الذي يحمل العنوان: «مع الجميع ولا ضد أي أحد» بقلم القائد العام النجيبي الصادر في نفس النشرة، ص. 4.

50 – انظر مقاله الذي ذكر في الحاشية رقم 4.

51 – انظر مقاله الذي يحمل عنوان: «الإسلام في المخيم» الصادر في نشرة (ك.م.ج) سنة 1947.

52 – انظر نشرة شبيبة (ك.م.ج) «الحياة» 1948.

53 – انظر نشرة (ك.م.ج) عدد 14 نوفمبر، ديسمبر 1946.

54 – انظر نشرة (ك.م.ج) عدد14 نوفمبر، ديسمبر 1946.

55 – للحصول على النص الكامل لهذا الشرح، انظر نشرة «الحياة» سنة 1948.

56 – لقد شاركت في هذا اللقاء وأشهد عليه كما فعل من جانبه القائد السابق محمد القشعي.

57 – نرجو من القارىء أن يراجع شهادة القائد شريف غوثي على نفس المسألة بمناسبة مؤتمر برج الكيفان مع الكشافة الفرنسية (24 ماي 1945).

58 – فلينظر القارىء شهادة القائد شريف غوثي المتعلقة بنفس الاشكالية والخاصة باجتماع برج الكيفان مع الكشافة الفرنسية (24 ماي 1945).

59 – فصلت هذه الحوادث في العلاقات الدولية.

60 – انظر شهادة القشعي محمد التي توجد في القسم الثاني من هذا التأليف.

61 – يجب التذكير بأن الخلافات ما بين «المصاليين» و«المركزيين» بدأت بالظهور في تلك الظروف، حسب هذه الشهادة لم يكن مصالي الحاج راضياً عن استحواذ البعض من عناصر حزبه على الكشافة الإسلامية الجزائرية.

62 – انظر شهادة القشعي المكلف بتنظيم هذه الجمعية العامة.

63 – كامل النص لهذا الرسالة موجود في الملحق، مكان الاجتماع محدد وهو «نادي الرشاد» الذي يضم مدرسة ينشطها عبد الكريم بن الشيخ الحسين.

64 – انظر النص الكامل لمقال أبوعمران الشيخ الصادر في مجلة «الحياة» الخاصة بالأزمة 1948.

65 – انظر في القسم الثاني النص الكامل للمنشور الذي أعيد في مجلة «الحياة» عدد 1، 1948.

66 – انظر مجلة «الحياة» 1948.

67 – توجد هتان الوثيقتان في الملحق.

القسم الأول

الفصل الرابع
النشاط المستقل للفيدراليات

بقلم أبوعمران (ش) و جيجلي (م)

غداة الأزمة التي تشبت في مارس 1948 في سيدي فرج، (طالع الفصل السابق) انتقلت كل من الفيدراليتين على حدة، وقامت بنشاط مستقل، فسطرت برنامج عملها وحاولت الانتشار بجمع أكبر عدد ممكن من الأفواج الكشفية عبر الوطن. حتى تقسيم المحلات التي كانت مشتركة حتى ذلك الوقت بدون صعوبة تذكر، وهذا راجع الى كون كل فوج قد اختار انتماءه الى إحدى الفيدراليتين بكل حرية.

استأنفت الأفواج القديمة انطلاقتها بصفة عادية إذ كانت لها محلاتها وعتادها وإطاراتها وأعضاؤها. اما الفرق الجديدة فقد بذلت جهودا كبيرة من اجل تألقها مستعينة في ذلك بالسكان المحليين. وقامت بتظاهرات وحفلات مستهدفة بذلك جمع الشبان وأوليائهم ولجان الأصدقاء حول (ك.إ.ج)، ورغم الانفصال بقي تعاطف الجماهير ودعمهم مقسمرتين للأفواج التي وجدت هكذا سندا ماديا ومعنويا. لم ينل الانفصال من حركة الفيدراليتين، بل خلق التزاحم نوعا من المنافسة بين الجمعيتين، ثم انخفض شيئا فشيئا على مر السنين.

استمرت كل فيدرالية من جهتها في توسيع مجال نشاطها، بتنظيم المخيمات والحفلات السنوية والتجمعات المحلية والوطنية بين الأفواج، كما اتخذت من المخيمات الصيفية وسيلة لتنمية الحماس الكشفي وظهرت اتجاهات جديدة دعمت هذا النوع من النشاط.

وفي أثناء السنة في 1948 وهي سنة الانقسام، أصبحت شبيبة الكشافة المسلمين الجزائريين (BSMA) تضم 15 فوجا من الأفواج القديمة،

واخذت الانضمامات تكثر شيئا فشيئا وازداد معها تعاطف لجان الاولياء حيوية، بحيث تضاعف عدد الأفواج في مؤتمر «معسكر» سنة 1954 حتى بلغ أربعين فوجا.

اما على الصعيد الخارجي فقد شاركت كل من الفيدراليتين في تجمعات أو مخيمات الفيمت سواء في المغرب العربي او في المشرق أو في أوروبا.

اما العلاقات مع الإدارة فلم تتغير في جوهرها. فباستثناء بعض المحاولات لاستغلال الانفصال نستطيع ان نقول إنها بقيت صعبة تزيد وتنقص في مضايقاتها حسب فترات التوتر او الانفراج السياسي مع الجمعيات والأحزاب الوطنية. وبقيت على هذا المنوال أو شبه عادية حسب الحساسيات الخاصة بكل جمعية وحركات تعاطفها المتقلّبة مع كل من الفيدراليتين. وفي الواقع كانت كل جمعية تبحث عن دعائم تساعدها على الصمود أمام ضغوط الإدارة عند اشتدادها.

وسنعرض في هذا الفصل نشاط منظمتنا خلال الفترة التي تتراوح بين 1948 و1954 اي من الانفصال الى غاية انطلاق حرب التحرير الوطنية. ونترك لإخواننا من الفيدرالية الأخرى المجال لوصف نشاطهم الخاصّ بهم.

القسم الأول

الفصل الرابع
أنشطة فيدرالية شبيبة الكشافة المسلمين الجزائريين (BSMA).

- الهياكل

تأسست الفيدرالية (BSMA) سنة 1948 واتخذت لنفسها أنظمة فيدرالية تضم مجلس إدارة وقيادة عامة.

1 - مجلس الإدارة:

يتكفل هذا المجلس بتسيير الفيدرالية ويضم القادة والموظفين الآتية أسماؤهم:

- **الرئيس**: الطاهر التجيني - الجزائر.
- **نائب الرئيس**: محمد جيجلي - قسنطينة.
- **الكاتب العام**: أبوعمران الشيخ - الجزائر.
- **نائب الكاتب العام**: صادق الفول - مليانة.
- **أمين المال**: يوسف قصد علي - مليانة.
- **المساعدون**: مصطفى علون - سوق أهراس.

بن محمود محمود - سطيف.
أحمد بن مشطة - برج منايل.
مالك بن نابي - تبسة.
الأخضر دومي - سطيف.
بن علي قاضي - فرندة.
عبد القادر ميموني - الجزائر.
محمد مراوي - بسكرة.
محمد تكفة - مليانة.

2 – المكتب:

يتكون من الأعضاء الخمسة الأولين في مجلس الإدارة ويشغلون فيه وظيفة تنفيذية.

3 – القيادة العامة:

وهي مكلفة بالنشاطات التقنية وتتكون من:

القائد العام: الطاهر التجيني.

القائد العام المساعد: محمد جيجلي.

القائد للأشبال: محمد القشعي.

القائد الوطني للكشافة: الصادق القول.

القائد الوطني للجوالة: ابوعمران الشيخ.

القائد الوطني للاناث: محمد جيجلي.

ويمثل الفيدرالية قادة ثلاثة مفوضون كل في جهته وهم:

جهة وهران: غوثي شريف من تلمسان.

جهة الجزائر العاصمة: عبد القادر ميموني من الجزائر.

جهة قسنطينة: محمد جيجلي من قسنطينة.

4 – النشاطات الداخلية.

كانت تنظم الفيدرالية في ميدان التكوين مخيمات وطنية كل سنة لتكوين الإطارات في مخيم «الرياض» في 1949، 1950 و1951 وفي سكيكدة عام 1952 ثم في مخيم «الرياض» من جديد عامي 1953 و1954.

تعقد مختلف فروع الكشافة (اشبال – كشافة – جوالة – فتيات) مخيماتها عادة في العطل المدرسية في الشتاء والربيع. أما مصائف الأطفال فتنظم في الصيف في مختلف جهات الوطن، رغم قلة الموارد.

لقد بذلت مجهودات خاصة لتكوين بنات في المنظمة الكشفية لسد الطريق امام محاولات مصالح الشبيبة التابعة للولاية العامة التي كانت تسخر إمكانات معتبرة من أجل استقطاب الكشافة النسوية. وقمنا بهذه

التجربة الصعبة في قسنطينة والجزائر وتيزي وزو، ذلك لما لنا في هذه العواصم من إطارات كفأة ولما منحته العائلات هناك من ثقة للفيدرالية.

وفي تلمسان خص المخيم الذي نظمته الكشافة الإسلامية (ش.ك.م.ج) (BSMA) عام 1950 بحفاوة من طرف الأهالي. وقد ساهم مساهمة معتبرة في إرساء حركة الكشافة للاتاث سلوك القادة في التأطير والعناية المستمرة التي قدمتها إليهم لجان خاصة مكونة من اصدقاء الكشافة.

كانت مهمة قادة الفيدرالية تنسيق نشاطات الفرق المحلية. فكان عليهم أن يجمعوا المكتب ومجلس الإدارة بصفة دورية وكذا أعضاء القيادة العامة وكان القادة الفيدراليون يعدون برامج الأنشطة كل عام، وذلك على المستوى الوطني، أما البرامج المحلية فكانت مجالس الأفواج هي التي تعدها، كان مختلف القادة يتنقلون داخل الوطن لمعاينة المشاكل التي تطرح في الميدان ولإعانة الأفواج المحلية على حلها.

وتنظم هذه الأفواج حفلاتها السنوية ومصائفها للأفواج ومخيمات التكوين للقادة، وتقوم بحملات لإعانة وزيارة المرضى وختان الأطفال في الأعياد الإسلامية.. وتنظم نشاطات تطوعية لصالح بعض الأحياء والقرى، كما تنظم دروسا مسائية للكهول او الأطفال المتأخرين.

وفي الإجمال، كانت مهمة الفيدرالية ترمي الى توسيع دائرة التربية للشباب والمساهمة في تطوير الوطن بإحياء الروح الوطنية وتأصيل القيم العربية الإسلامية في قلوبهم.

أما مؤتمرات الفيدرالية فانعقدت بانتظام كل سنتين، المؤتمر الأول في سطيف سنة 1950 والثاني في ولد عيسى (تيزي وزو) عام 52 والثالث في ضواحي معسكر خلال صيف 1954.

وفي اثناء هذا المؤتمر اتخذ قرار بإجراء بعض التعديلات على هياكل الجمعية والقيادة العامة... ففصل بين وظيفة الرئيس ووظيفة القائد العام بعد ان كانتا مجموعتين في يد شخص واحد. بقي جمع الوظيفتين ضروريا لفترة طويلة، لكن استقرار جذور الحركة جعل فصلها ممكنا، فانتخب القائد المنسي من تيزي وزو رئيسا وأقر القائد النجيبي من الجزائر في منصب القائد العام..

5 - العلاقات مع الإدارة:

إن الاتجاه الذي اتخذته جمعية الكشافة الإسلامية (BSMA) لم تكن لتتقبلها الإدارة في ذلك الوقت بسهولة. وبروز حركة كشفية إسلامية مستقلة لا يتلاءم مع سياستها الإدارية وإخضاع الاهالي تحت وصايتها، فكانت تبدي شكها في الجمعية للوهلة الأولى، وقامت بمضايقات عدة ضد الحركة. ولقد رأينا أن اعتماد الكشافة الإسلامية الجزائرية القديمة لم يتم إلا في سنة 1945 بينما تم تأسيس الفيدرالية سنة 1939 ولم يتيسر هذا إلا بعد موافقة الكشافة الفرنسية. وبعد الانفصال بقيت الموافقة سارية المفعول بالنسبة للكشافة الإسلامية الجزائرية، أما بالنسبة للجمعية الجديدة (BSMA) فاضطرت الى تقديم طلب جديد والى إعادة نفس الإجراءات تحت رعاية الكشافة الفرنسية، وكان من الضروري إجراء عدة مساعي قبل الحصول على الموافقة عام 1950 أي بعد سنتين من تسليم الطلب. أرادت الكشافة الفرنسية اخذ المتسع من الوقت للتفكير في الأمر، والتحقق من نوعية التكشيف الممارس ومن القيمة التقنية لقادتها، وفي الواقع كانت الإدارة على علم تام بحقائق الأمور لكنها كانت تسعى لتغذية الارتياب، فكان هذا الوضع المفروض مبعث قلق مصحوب بإجراء تفتيشات.

وكان نص الاعتماد يفرض على الفيدرالية الانضمام الى هيئة تنسيقية بين الجمعيات الكشفية في الجزائر، كما كان الشأن قبل الانفصال، فتبنى مؤتمر سطيف لائحة احتجاج ضد الشرط (المرجع 68)، وبقيت علاقاتنا مع الإدارة صعبة بسبب هذا الجو الناشيء عن عدم الثقة.

كانت هذه الإدارة تراقب عن كثب كل حركاتنا وكل حفلاتنا بصفة أخص، فكانت الموافقة المشروطة قبل انعقادها سببا في الكثير من الخصومات، وفي بعض الأحيان تقابل بالرفض بلا مبرر. ومن جهة أخرى كانت الاجراءات في ذلك الوقت تمكّن من منح اعتمادات مالية لكل الحركات الكشفية كي تنظم مصائفها لمنخرطيها. فكانت هذه المنح تعطى للكشافة الفرنسية بصفة عادية، أما الجمعيات الجزائرية فلا تعطى

لها إلا بصعوبة أو تحرم منها تماما، وكانت الرقابة الصارمة مفروضة على مصائفنا، وكانت المصلحة الإدارية لحركات الشبيبة ترسل مراقبين يعاينون في الميدان اعداد المشاركين وحسن سير المصائف، وكانت لا تعطى المنح إلا برضى المفتشين.

وكانت النشريات مراقبة وفي بعض الاحيان محظورة، ولقد حجزت مثلا مجلة «الحياة» الناطقة باسم الكشافة الإسلامية بمدينة تيزي وزوو يوم 5 جانفي 1952 بدعوى ان مقالا خاصا بمخيم «النمسا» كان يمس بشرف فرنسا! كان هذا المقال في الواقع يحكي قصة الخلافات التي وقعت بيننا وبين الكشافة الفرنسية (المرجع 69).

6 - العلاقات مع الحركات والأحزاب الوطنية:

كانت عادية مع اغلب الحركات والأحزاب السياسية التي ادركت المهمة التربوية للكشافة واحترمت استقلالها ما عدا بعض الاستثناءات.

وفرت لنا جمعية العلماء المرشد العام الشيخ محمد العسيري ونائبه الشيخ محمد الصالح رمضان ومرشدين آخرين لافواج الكشافة الإسلامية في أغلب المدن، فكانوا مسؤولين عن التربية الدينية ويشاركون في النشاطات الكشفية بصفة عادية. وكانت مدارس العلماء تشاركنا في احتفالنا بالأعياد الإسلامية وفي حفلات الافواج، ونوهت الجمعية (BSMA) في لائحة لها (المرجع 70) بالدور الإيجابي الذي أداه العلماء في الميدان الديني والاجتماعي والثقافي والتربوي وتبنت الكشافة الاهداف التي ترمي الى تحقيق المساعي الدينية لجمعية العلماء.

أما الأحزاب السياسية فلقد كانت الفيدرالية تشاطرها تعلقها بالوطن وبالمطالب الوطنية. وأكدت الجمعية على دورها التربوي وعلى حيادها تجاه أي حزب سياسي. وأكدت من جهة أخرى بأنها لا تعادي أي حزب سياسي ورددت مرارا انه بإمكان القادة، بل من واجبهم، ان يتخذوا موقفا سياسيا دون توريط الجمعية، كما كانت تطلب في بعض الاحيان دعم الأحزاب السياسية إذا دفعت الى ذلك ضرورة التصدي لتعسفات الإدارة.

بقيت علاقاتنا في حدود اللباقة مع كل احترام لاستقلالية كل الأطراف، وقد صادف ان اتخذت الفيدرالية مواقف موحدة أو شاركت في اجتماعات خاصة بمنظمات الشباب، وهكذا دُعيت مثلا للمشاركة في الجبهة الوطنية للشبيبة الجزائرية التي أنشئت سنة 1952 (المرجع 71).

كانت فيدرالية الكشافة لا تتردد في اتخاذ المواقف المتعلقة ببعض المشاكل ذات الطابع الوطني او الدولي في هذه الاجتماعات الدورية وهذه المؤتمرات، وعلى الصعيد الوطني مثلا تددت بسياسة الظلم والقهر الاستعماري في المجال التربوي بصفة خاصة، ودافعت على الطفولة الجزائرية وتددت بالحالة المزرية التي كانت تعيش فيها وتادت الى بذل جهود الجميع من أجل تحسين مستواها المادي والمعنوي (مرجع 72).

وجهت الفيدرالية من جهة اخرى برقية الى الحكومة الفرنسية لتلفت انتباهها الى حالة الشبيبة الجزائرية.

وعلى الصعيد الدولي تددت الفيدرالية بتوقيف نشاط الكشافة التونسية وطالبت بقبول الفيدرالية عضوا في المكتب الدولي للكشافة في لندن، وانضمت الى الجمعية العالمية للشبيبة (WAY) - (مرجع 73).

7 - النشاطات الدولية:

عزمت الكشافة الإسلامية (ش.ك.م.ج) إعادة العلاقات الأخوية مع البلدان المجاورة، ومع بلدان اخرى، حتى ينفتح فكر الكشاف على مشاكل العالم ويطلع على قضايا الجزائر الحقيقية.

كان أول دليل على حيوية كشافتنا الإسلامية في سنة تاسيسها الاولى قد تبلور في إرسال وفد الى المُخيم الدولي المنعقد في جربة (بتونس) في ديسمبر 1948، وكان هذا المخيم يجمع زيادة على الكشافة التونسية كشافة من المغرب وفرنسا.

وتواصل التعاون مع الكشافة الإسلامية التونسية (EMT) بصفة منتظمة فور دخولنا في شهر سبتمبر 1949، ترأس جيجلي محمد نائب القائد العام وفدا من الكشافة الإسلامية (ش.ك.م.ج) (BSMA) يتألف من 4 اعضاء،

شارك في مؤتمر الكشافة الإسلامية التونسية المنعقد في بئر الباي بضاحية تونس، فاستقبل الوفد بحفاوة من طرف القائد العام الهادي الصافي والدكتور ستمراد رئيس الجمعية (74).

وشاركت وفود أخرى في مخيمات نظمت على التوالي في بئر الباي والجزائر وتيزي وزو وقسنطينة وعنابة. وكانت هذه المبادلات في الأطر الكشفية مفيدة للغاية وسمحت بتطوير الحركة الكشفية وساهمت بصفة خاصة من خلال تبادل النشريات والكتب في اعتماد المصطلحات والتقنيات الكشفية باللغة العربية. فكانت للكشافة التونسية في هذا الميدان خبرة واسعة وحصلت على نتائج إيجابية استفادت منها الجمعية (BSMA) استفادة مؤكدة.

ومن ناحية أخرى، قادت الكشافة الإسلامية (BSMA) أنشطة اخرى الى أوروبا والشرق الأوسط؛ في صيف 1952 قاد القائد بن محمود وفدا يضم 24 عضوا الى مخيم «باد إيخل» «بالنمسا» واتصل فيه بعدة وفود وبالخصوص وفود لبنان وسوريا والسودان والمغرب والسينغال. أما الوفد الفرنسي فقد توترت العلاقات معه بسبب العديد من الحوادث ادت في الأخير الى القطيعة الفعلية. وكان سبب هذه القطيعة رفض الكشافة الإسلامية الاندماج داخل الكشافة الفرنسية ولباس المنديل الذي يحمل ألوان العلم الفرنسي. اما استقبال النمساويين فكان بالعكس يتسم بالتفاهم التام. إن احتلال الحلفاء لهذا البلد ساهم في تفهّم النمساويين وضعية الشعوب التي كانت تخضع لهيمنة الأجانب (مرجع 75).

وفي صيف 1953 اقيم المهرجان الدولي للشبيبة في «بوخاريست» (برومانيا) شارك فيه أزيد من 30 الف شاب من مختلف البلدان، ومثل القائد عبد الصمد بولنوار من مليانة الكشافة الإسلامية في هذا المهرجان (مرجع 76). فاجرى عدة اتصالات مع الرومانيين ومع وفود أخرى واعتنى بصفة خاصة بالوضعية الاقتصادية والثقافية لرومانيا.

كما شاركت كشافتنا الإسلامية في المهرجان الدولي للشبيبة الديمقراطية «بفارسوفيا» سنة 1952 وقاد وفدها الى هذه التظاهرة القائد دومي الأخضر (من سطيف) وكان يتألف بالخصوص من الشيخ محمد الصالح رمضان (من الجزائر) والحفناوي هالي (من بسكرة)» (المرجع 77). وشاركت الكشافة الإسلامية بعده في مهرجان «بودابيست» (بالمجر) وفي الجمعية العالمية للشبيبة (WAY).

وتوجهت الى الشرق الأوسط على متن حافلتين سياحيتين قافلة في عام 1952 وأخرى في عام 1953 . اما الأولى فقد أتاحت لقادةالكشافة الإسلامية وأعضاء اللجان أداء فريضة الحج (المرجع 78)، أما الثانية فقد توجهت الى القاهرة استجابة لدعوة الكشافة المصرية، وترأسها القائد العام التجيني مرفوقا بالقائدين ابن محمود والعسيري (المرجع 79) واستقبل الوفد في طريقه من طرف الكشافة الليبية، واثناء إقامته بالقاهرة أدى زيارة للرئيس محمد نجيب ولرئيس الكشافة المصرية، كما زار الوفد رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان مقيما بالقاهرة آنذاك.

وبصفته مرشدا لفيدراليتنا تفضل الشيخ البشير على الوفد بمساعداته ونصائحه وبقي على اتصال دائم معه بواسطة المرشد الفيدرالي الشيخ محمد الغسيري، ولقد زار الوفد المعالم التاريخية في القاهرة واهتم بالحركة الاقتصادية والثقافية للبلد الذي قام بثورته السياسية وأتاح اكتشافه للشبيبة الكشفية ان تعيد ربط العلاقات مع المشرق وتتفتح أذهانها لمشاكل العالم العربي، ولم يرق ذلك للإدارة الفرنسية التي اظهرت موقفها في عرقلة منح جوازات السفر واضطرت الفيدرالية الى طلب التدخل من طرف العديد من النواب الوطنيين في المجلس الجزائري للحصول عليها بصعوبة.

8 - نحو توقيف النشاط.

في اوائل خريف عام 1954 كانت الثورة وانطلقت حرب التحرير في فاتح نوفمبر فاستقبلت الفيدرالية الحادث بكل اهتمام فاتصل القائد القسنطيني بجبهة التحرير الوطني. وسرعان ما طلبت هذه الأخيرة من كل المنظمات

الانضمام الى صفوفها بصفة فردية وتوقيف كل نشاط جماعي. امتثل المكتب الفيدرالي لهذا الأمر ووضع تحت تصرف جبهة التحرير الوطني كل ما كان يملك من اموال وعتاد ومخيمات وبدل وخرائط جغرافية...

واجتمعت الإطارات الفيدرالية في بيت الشباب بحسين داي (الجزائر) من 9 الى 11 ابريل 1955 واحتججت على حالة الطوارىء التي اعلنت آن ذاك.

وصدر الأمر الى كافة الكشافة الذين ينتمون الى جمعيتنا بالالتحاق بجبهة التحرير الوطني كل واحد منهم في مقر إقامته، وتعرض مقرنا للتفتيش (في 3 شارع اناتول فرانس) وحجزت الشرطة وثائقنا ولم تستطع استعادتها أبدا.

وحصل للكشافة ما حصل لكل مواطن من مضايقات من طرف الإدارة الاستعمارية، فقد اعتقلوا وحكم عليهم. والتحق الكثير منهم بالجبال حيث استشهدوا، وقائمتهم طويلة للسرد (المرجع 80). ولقد انتشر الاضطهاد في كل مكان بدون مراعاة لرأي هذا او ذاك او لانتمائه لتلك الحركة أو هذه. وانه لمن الواجب ان تجري دراسة خاصة لمشاركة الكشافة في حرب التحرير الوطنية، ولتحقيق ذلك يجب القيام بتحقيق طويل المدى لدى العديد من الأفواج والشهود، كما يمكن أن يضطلع بهذا التحقيق فريق من القادة الأكفاء الأمناء.

ورغم القمع، فقد بقيت بين مختلف المسؤولين البارزين من أعضاء جمعيتنا اتصالات سرية الى غاية جويلية 1962.

وغداة الاستقلال، استدعت جبهة التحرير الوطني مؤتمرا للكشافة في سبتمبر 1962 في الجزائر، وطلبت من الفيدراليتين إعادة وحدة الحركة الكشفية الإسلامية وتكونت لجنة تحضير من الجمعيتين. ولما انعقد المؤتمر قرر استرجاع اسم الفيدرالية القديم مثلما سماها المرحوم محمد بوراس: «فيدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية» فضمت القيادة مسؤولين من الحركتين القديمتين.

اما تاريخ الحركة بعد الاستقلال فهو ينتظر الكتابة، وهذه مهمة ممكنة الانجاز، لأن الوثائق والشهود متوفرون، ونأمل ان تضطلع بها جماعة متكونة من القادة والباحثين المقتدرين فتكون تكملة لعملنا هذا.

هوامش الفصل الرابع

70) راجع ص 347 – ط
71) راجع ص 347 – ز
72) راجع ص 346 – و
73) راجع ص 345 – ج
74) راجع ص 322 – 323 – ص 342 – 343.
75) راجع تقرير القائد ابن محمود.
76) راجع تقرير عبد الصمد.
77) ألف الشيخ محمد الصالح رمضان كتابا في الموضوع اسمه «رحلة الى فارسوفيا» حيث قدم انطباعاته وتحدث عن نشاط الوفد.
78) راجع تقرير الشيخ الحاج معزوزي.
79) راجع ص 349: فئة نحو مصر.
80) يكفي ذكر اعتقال الرئيس الشعبي، والحكم على القائد العام النجيني بعشرين (20) سنة سجناء إلا أنه استطاع الفرار في آخر الأمر والقائمة طويلة.
81) واصلت الكشافة الأخرى نشاطها طيلة هذه الفترة من 54 الى 62. فلماذا لم تمتثل لأوامر جبهة التحرير؟ طرح هذا السؤال على قيادة الكشافة في الجزائر فأجابت بأنها حصلت على إذن من الجبهة من تونس لمواصلة النشاط! والملاحظ أن قيادة الجبهة عام 1955 كانت في الجزائر لا في تونس، وإن كان لهذا الإذن وجود اليس من الأحسن إظهاره لاحترام الحقيقة التاريخية؟

القسم الثاني:

شهـــــادات

01- ميلاد الحركة الكشفية الإسلامية بتيزي وزو
(ر. بوبريط - محمد الصغير فرج)

02- التوازي (الصديق الفول)

03- استمرارية (الطاهر التيجيني)

04- تجربتي الكشفية (القشعي محمد)

05- حياتي الكشفية (الشريف غوثي)

06- حول الأزمة (جيجلي محمد)

07- مبادئنا (أبو عمران الشيخ)

08- شهادة من مدينة سطيف (ل. دومي وم. سماتي)

09- الحركة الكشفية النسوية (جيجلي محمد)

10- ميلاد فوج «بودرقة» - (بوعلام باقي، بالسعيد محمد، التيجيني تبون، صافي أحمد)

11- شهادة الشيخ محمد الصالح رمضان

12- شهادة القائد حطاب حسناوي (مبارك)



فوج الفلاح الجزائر – 1936– يوجد بوراس في الوسط

١ - ميلاد الحركة الكشفية الإسلامية بمدينة تيزي وزو وتأسيس فيدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية.

رابح بوبريط ومحمد الصغير فرج،
من القادة القدامى.

أ - ميلاد الكشافة الإسلامية بتيزي وزو.

عندما فتحت المدرسة الابتدائية العالية (EPS) بتيزي وزو أبوابها، أرسلت لها مدارس جبال منطقة القبائل عددا من تلامذتها الذين كانوا يرغبون في مواصلة الدراسة. ومن بين هؤلاء التلاميذ، كانت نسبة معينة لها إمكانياتها المتواضعة. لم يكن بمقدورهم تحمل أعباء النظام الداخلي للمدرسة ولا أعباء السكن في المدينة على حسابهم الخاص. لذا إضطروا إلى الاتصال بالجمعية البروتستانتية التبشيرية «رولاند» القريبة من المدرسة الابتدائية العالية بحثا عن المأوى.

لم يطلب الراهب من ضيوفه مقابلا للإيواء، ولكنه اشترط عليهم الحضور بانتظام للمراسيم الشعائرية. كان «إميل رولاند» يستعين في مهمته التبشيرية بمتطوعين كانت ترسلهم له من حين لآخر «الدار - الأم الفرنسية»، وخلال الفترة التي تهمّنا، تدعّمت الجمعية التبشيرية هذه بمهندس شاب اسمه «روتيون» له تجربة في الممارسة الكشفية كان قد زاولها في أوساط «الكشافة الاتحادية الفرنسية»، وقد ألهمه طبعًا وجود التلاميذ الفتيان التابعين للمدرسة الابتدائية العالية لدى البعثة الدينية المسيحية فكرة اختيار بعضهم لتلقينهم عقيدة «بادن - باول»، وقد نجح كثيرا في ذلك بحيث أنه في فترة وجيزة أسّس فوجًا من الكشافة لم يمرّ أثناء خرجاته الميدانية دون إثارة انتباه شباب تيزي وزو.



فوج الشبات بتيزي وزو - 1950

في سنتي (1934–1935) تمكنت نشاطات الأحزاب السياسية المسلمة ونشاط جمعية العلماء المسلمين من تحسيس الجماهير الجزائرية المسلمة، وقد كانت الشبيبة بصفة خاصة متعطشة للحرية والكرامة والقومية ومتفتحة على التطوّر.

على غرار بقية المدن الجزائرية الأخرى، كانت تيزي وزو تحتوي على فرع لجمعية العلماء المسلمين ومدرسة حرة (الشبيبة) وتادي ثقافي (نادي السلام).

في خضم هذه الأوضاع بدا شاباً من تيزي وزو يُدعى رابح بوبريط يهتم بالحركة الكشفية التي كانت تمارس عند الراهب «رولاند». وبدافع وطني بحت، تجرأ بوبريط على تحدّي رأي أهله وشرع في التردّد على بعثة «رولاند» من أجل غاية وحيدة هي تعلم الممارسة الكشفية بنية مسبقة تتمثل في إنشاء كشافة إسلامية بتيزي وزو.

خلال بضعة أشهر، استوعب رابح بوبريط جيّدا الممارسة الكشفية وعُيّن بالتالي قائد فرقة، وبطلب منه، سمح له «القائد» «روتيون» بتجنيد البعض من أصدقائه لتدعيم فرقته، ففرح الراهب «رولاند» بهذه المبادرة التي اعتقد انها سوف تسمح له بتوسيع حقل نشاط بعثته. هكذا إذن التحق كلٌ من عمر أبو عداو ورمضان آيت اعمر وبلقاسم علوّش ببوبريط الذي تكفّل بتكوينهم من اجل تأطير الفوج الذي كان ينوي تأسيسه، واثناء فترة التربّص كان على بوبريط وزملائه الالتزام بالشعائر البروتستانية التي لم يُؤمنوا بها بطبيعة الحال. وللتحايل على الراهب، لجأوا الى الحيلة الآتية: كقائد للفوج كان بوبريط مكلفا بتعليم كشافته تعاليم «الكنيسة الإصلاحية» في غرفة مخصصة لهم، لكن بالإضافة الى الإنجيل الذي منحته له البعثة، كان بحوزة بوبريط ترجمة للقرآن تجح في إدخالها الى الغرفة دون علم الراهب، فكان إذن لا يقرأ ولا يشرح إلاّ كتاب الإسلام المقدّس باستثناء لحظات الدخول الخاطف للراهب لرؤية «مريديه»، في هذه اللحظات كان الإنجيل مفتوحا بجلاء أمام انظار الجميع!

في أكتوبر 1936، ذهب رابح بوبريط لأداء الخدمة العسكرية، وتم تعيينه بالحراش حيث قضى سنتين هناك. كان ذلك في الفترة التي أسّس فيها محمد بوراس، رائد الحركة الكشفية الإسلامية، بمدينة الجزائر أول فوج كشفي إسلامي، سُمّي «الفلاح»، كما يمكن أن نتوقعه، حاول بوبريط الاتصال ببوراس من أجل الاستفادة من نصائحه والمعلومات الضرورية لإنجاز مشروعه. فمنذ أوّل اتّصال به قدّر فيه بوبريط أديه وتفتحه. وقد سلّمه بوراس وثائق باللغة العربية تحتوي على «قانون عهد الكشاف» بالإضافة إلى كتاب للأناشيد، فمنذ هذه الاتصالات الأولى ارتبط هذان الشابان بصداقة متينة وبأواصر تعاون خالص، سوف تستفيد منها كثيرا الكشافة الإسلامية الصاعدة.

في تيزي وزو عندما كان يتردّد عليها أثناء الإجازات العسكرية، كان بوبريط يجتمع بأصدقائه ليحيطهم علما باتصالاته بكشافة مدينة الجزائر، ويطلب منهم تهيئة الطريق لإنجاز مشروعهم.

لم يعد بوبريط إلى الحياة المدنية إلاّ في بداية شهر أكتوبر 1938. ودون تضييع الوقت، شرع في العمل بعزم وبمساعدة بعض الأصدقاء، وهكذا خلال نفس الشهر تأسست لجنة مؤقتة للمساعدة والرعاية مُشكّلة من بعض شخصيات المدينة كما تم إيداع قانون الجمعية لدى الدائرة.

الرخصة لم يطل انتظارها كثيرا وجاءت في شهر ديسمبر 1938 إلى جمعية الكشافة الإسلامية «الهلال».

لكن الفوج، حتى قبل الترخيص له بالنشاط، كان موجوداً كهيكل له إطاراته، لهذه الغاية تم كراء محل وتهيئته وكان يجمع كل مساء قيادة الفوج المتكونة من بوبريط وآيت أعمر وأبو عداو. (علوش اختار رياضة كرة القدم، لذا لم يمارس النشاط الكشفي سوى بصورة متقطعة). وبعد الترخيص له بالعمل، فتحت جمعية «الهلال» مقرّها للناس وبدأت في تجنيد الفتيان الذين بدأوا يتوافدون عليها بأعداد متزايدة باستمرار من أجل الانخراط، كما تواقد عليها المتعاطفون لتقديم التشجيعات للمسؤولين، أو لعرض خدماتهم.

وإذا كانت المشاكل التقنية قد حلّت لتسمح بانطلاق النشاطات، فكانت مهام أخرى تنتظر المسؤولين وفي الحقيقة كان عليهم أن يفكروا في تجهيز كل الفوج بالبدلات، والخيام والعتاد. لذا أصبح وجود مصلحة للإدارة المالية أمرا ضروريا، كما كان عليهم أيضا أن يفكّروا في تلقين الكشافة بعض المبادىء الدينية والثقافية، وهي المهمّة التي لم تكن تشمل سوى الذين يحسنون اللغة العربية، وذلك من أجل تعليمهم بواسطتها القانون والعهد والأناشيد الكشفية الوطنية.

قلنا في ما سبق بأن المتعاطفين أقبلوا لتقديم خدماتهم إلى قادة «الهلال»، ففي أوساطهم سوف يعثر الفوج على شابين، منذ البداية هما: محمد قريع ومحمد القشعي اللذان دعّما المجموعة المؤسسة للفوج.

كان الأول مُزدوج اللغة وفي نفس الوقت رئيس فرع جمعية العلماء المسلمين بتيزي وزو، لذلك كان العنصر المناسب لشغل منصب المستشار الثقافي في الفوج. أما الثاني فشاب مناضل في حزب الشعب الجزائري وكانت له قدرات على التسيير والتنظيم، وبالتالي تمّ تكليفه بالإدارة المالية وسرعان ما أصبح رئيس الأشبال، بينما كان المشرف على الفتيان رمضان آيت اعمر، وعلى الجوالة عمر بوعداو.

- فوج «الهلال» يتظاهر لأوّل مرة في تيزي وزو:

بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي تزامن في 1939 مع بداية شهر ماي سيظهر فوج «الهلال» علنيا في الشارع أمام جمهور تيزي وزو. الاستعراض المقرّر من طرف المنظمين تمّ تحضيره بدقّة، ولكي تعطى له هالة أكبر، استقدم المنظمون الجوق التابع لنادي «بلكور» الرياضي بمدينة الجزائر.

ففي يوم المولد النبوي الشريف إذن، تجمّع عناصر الكشافة أمام المقر الواقع بالمدينة الأوروبية في نظام مُحكم، انطلق الاستعراض بإشارة القائد بوبريط، تقدّمه الجوق، فعبرت الكشافة الشارع الكبير تحت أنظار مندهشة وقلقة إلى حدٍّ ما للأوروبيين، عند بلوغ مفترق طرق البلدية، عاود الموكب

الصعود نحو اعالي المدينة حيث استقبل بالتصفيقات والهتافات المفعمة بالحماس بالنسبة للرجال وبالزغاريد التي كانت تنطلق من حناجر النساء.

هذه المسيرة المشهودة للكشافة عبر ازقة المدينة الصغيرة على انغام الحوق والاناشيد الوطنية، فتحت عهدا جديدا دون شك ومستقبلا واعدا بالحرية والكرامة بالنسبة للمسلمين.

ب - ميلاد فيدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية

عندما أنشأ محمد بوراس في 1935 بمدينة الجزائر فوج الكشافة الإسلامية «الفلاح»، سرعان ما اقتدى به غيره، بحيث لم تمر سنتان أو ثلاثة حتى ظهر حوالي 12 فوجا بمختلف مناطق التراب الوطني. وكان هذا النجاح، دون شك، وراء اختمار فكرة الجامعة في ذهن بوراس.

إن محاسن مثل هذا التنظيم كانت جلية، لانه فضلاً عن التماسك الذي يجده الشباب في مختلف جهات البلاد، فإن الجامعة هي الوحيدة القادرة على توحيد منهجية وبرامج الكشافة وفرض الانضباط الضروري الذي يمنح الأفواج صلابة أكبر كما يسمح بتوسع الحركة الكشفية.

عندما شرع بوراس في عملية التوحيد قام بالترحال في مختلف جهات البلاد لضمان التحاق الأفواج الموجودة في ذلك الوقت به، وبما أنه لم يكن يمتلك سيارة، فإنه اضطرّ في معظم الأحيان الى قطع مسافات طويلة بواسطة الدراجة، لكنه كان يتحمل بسهولة هذه المتاعب، لانه كان رياضيا مكتملا، لقد شاهدنا فيما سبق بان بوراس وبوبريط كانا مرتبطين بصداقة منذ 1936 وبأنهما كانا على اتصال مستمر، فبوراس كان كثير التردد على تيزي وزو خصوصا اثناء بداية فوج «الهلال» في خطواته الاولى، في خضمّ ذلك أخبر بوراس بوبريط وأصدقاءه قبل غيرهم بمشروع جامعة الكشافة، وبعد أن ضمن التحاق فوج «الهلال» بالجامعة، طلب بوراس مساعدة قادته الذين كان يُقدّر فيهم الجدية والإخلاص والحماسة الوطنية.

بعد عدة أشهر من المجهودات المتواصلة، اقترب بوراس من الهدف الذي سطّره لنفسه بإنشاء اللجنة المؤقتة لجامعة الكشافة الإسلامية

الجزائرية. أودعت الجمعية قانونها الأساسي يوم 31 مارس 1939، وتحصلت على الرخصة في 23 افريل الذي تلاه، وهكذا بدأت اللجنة المؤقتة تحضر الجمعية العامة، وحدّدت تاريخها بيوم 10 جويلية.

هذه الجمعية العامة، التي ستكون في ذات الوقت اول مخيم فيدرالي للكشافة الإسلامية الجزائرية (ك. إ. ج)، تمثلت مهمتها الأساسية في انتخاب الهيئات المسيِّرة للجامعة حسب ما نصّ عليه القانون الأساسي، والتنظيم المادي للمخيم كان شاقا، لكنه فعالٌ جداً. وبفضل مجهودات بعض القادة الذين التحقوا ببوراس، مثل بوبريط والقشمي من تيزي وزو، تمّ تذليل كل الصّعاب، وفي اليوم المحدّد افتتحت الجمعية العامة أشغالها، في يوم 11 جويلية، إثر جلسة عمل، أعلنت أمانة الجمعية العامة عن انتخاب اللجنة المُديرة للجامعة والتي كان أعضاؤها:

- **الرئيس**: محمد بوراس.
- **نائب الرئيس**: عمر لاغا.
- **الأمين العام**: محمّد مادة.
- **نائب الأمين العام**: الطاهر التجيني.
- **مسؤول الخزينة**: رومان.
- **نائب مسؤول الخزينة**: مختار بوعزيز.
- **المستشارون التقنيون**: رابح بوبريط وصادق الفول.

وبعد هذا الانتخاب الذي جاء بالميلاد الرسمي لجامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك. إ. ج)، بدأت الإدارة الجديدة فورا في العمل، إذ كان عليها الإسراع بإتمام إنشاء الهياكل الكشفية والاهتمام بالآفاق التي كانت تتفتح من الآن فصاعدا في وجه الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية.

في تلك الاثناء واصل الكشافة ممارسة نشاطهم بحماس في إطار المخيم من خلال مختلف أنشطتهم التقنية والثقافية، لكن الفائدة الأساسية لهذا المخيم تكمن في كونه سمح لأول مرّة لشباب قدموا من جميع جهات الجزائر بالالتقاء والتعارف. في ختام اشغال هذا التجمّع

المشهود، برمج المنظمون استعراضا عبر شوارع العاصمة شارك فيه حوالي 250 كشافا كانوا قد نصبوا خيامهم في الصنوبر البحري بالحراش.

هذا الاستعراض الذي برز فيه فوجا سطيف وتيزي وزو، خاصة في أوساط الجمهور العاصمي الذي احتفى بالكشافة كثيرا حيثما مروا عليه. المسيرة الطويلة التي قام بها الكشافة انطلاقا من مخيمهم ستنتهي عند قاعة السينما الكبيرة «ماجستيك» في باب الوادي، هناك كان مقرّرا إحياء صبيحة ترفيهية من طرف الكشافة احتفالاً بالميلاد الرّسمي لجامعتهم ولاختتام أشغال المؤتمر الأول للكشافة الإسلامية الجزائرية.

إن الشيخ عبد الحميد بن باديس حرص على حضور هذا الاحتفال وجاء في الوقت المناسب لإلقاء كلمته، رغم التّعب الذي بدا عليه، أثر كثيرا في الحضور واختتمت هذه التظاهرة التاريخية.

2 - التــــوازي

بقلم القائد الصادق الفول

إن القائد الفول صادق الذي كان المسؤول عن الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك. إ. ج)، والقائد القشعي احد الاعضاء المؤسسين لهذه الجمعية يعودان الى الكفاح الى جانبنا، ولا يمكننا ان نقدم رأيا اكثر موضوعية حول القطيعة من راي هؤلاء الذين عاشوا بدايات الكشافة وتابعوا تطوراتها.

هيئة التحرير لنشرة «الحياة»

الحركة الكشفية الإسلامية شهدت ميلادها بمليانة سنة 1930؛ تطورت في البداية في ظروف اتسمت بعدم المبالاة أو الاهتمام بها من قبل الرأي العام لم يتبين في الحين مبادئها وأخلاقها. فنعيت الحركة الجديدة مدة أعوام وكانت مجهولة من قبل. إن مجموعة من الشباب - رغم السخرية - عزمت على التعريف بها وتوسيع رقعتها من اجل خير شبيبتنا.

فنشأت الأفواج في كل مكان، حتى ولو بقيت معزولة عن بعضها البعض، وفي 1935، بمبادرة من المرحوم بوراس ظهر فوج «الفلاح» في مدينة الجزائر، ثم انفجرت خلافات خطيرة داخل هذا الفوج بمجرد مرور سنة تقريبا على ميلاده وذلك لأسباب شخصية؛ المنشقون انفصلوا عن هذا الفوج وأسسوا فوجا جديدا منافسا للاول سُمّي «القطب»، ومنذ ذلك الحين ظهر الصّراع بين المُربّين الصادقين النزهاء من جانب، وضيِّقي التفكير الذين لا وازع لهم من جانب آخر، ونفس الرجال الذين احدثوا الشقاق آنذاك نجدهم اليوم، واين؟ «كمُدافعين» عن الكشافة الإسلامية الجزائرية التي حرّبوها من قبل! لم نتوقف كشافتنا رغم الأحداث ومحاولات ارتشاء رجالها، بل توصلت سنة 1939 الى توحيد كل الأفواج التي بقيت الى غاية ذلك الوقت متفرقة ومستقلة بنفسها. وبإمكاني ان

اشهد بأن هذه الوحدة انجزت رغم المشقين في مدينة الجزائر ولم يدّخروا وسعًا لإجهاضها، لكنهم سيُعاودون الكرة، دون كلل.

لقد نجح المؤتمر الوطني للكشافة الإسلامية الذي انعقد في الحراش سنة 1939 وحاول المنشقون الاستيلاء على قيادة الحركة، لكن دسائسهم باءت بالفشل،وبعد منافشات ساخنة، تمكّنت الجمعية التأسيسية من إخماد الانشقاق. فأعطيت نيابة الرئاسة الى قادة فرج «القطب» وكذلك الكتابة العامة وامانة مال في اللجنة المدبرة لحركتنا. (انظر: مداولات 16 جويلية 1939).

بدأنا نطمئن بعودة السّلم، لكن للأسف كانت فترة قصيرة؛ وإذا المنشقون السابقون تشاوروا من جديد وانسحبوا، وكان علينا تسجيل استقالتهم واحدة بواحدة في الفترة الحرجة – وكم كانت مؤلمة – الممتدة من (1939 الى 1941) وتأكد موقفهم المعادي لنا والتهجمات والقذف لم يتوقف ضدنا من طرفهم من خلال جمعيتهم التي سموها «الرواد المسلمون الجزائريون» الذين خلفونا على رأس الكشافة الإسلامية مددنا لهم ايدينا مرة أخرى من اجل تحقيق الوحدة، وقد كلّفوا في هذه المرّة القائد العام التجيني، كتقدير له دون شك، حيث قام في مخيم تلمسان (1944) بتحقيق هذه الوحدة، وافق المنشقّون «المنتكسون» على عجل، وتظاهروا بالرغبة في التعاون التام بإخلاص، وحرصوا على إعطاء صورة جيدة عن انفسهم. هكذا بدت الوحدة التي طالما تمنيناها وكأنها عادت بصرامة. لكن المظاهر، للأسف، كثيرا ما تخدع، لأن تصديق تظاهر هؤلاء الناس بالنية الحسنة لم يكن سوى ضرب من الحلم والمثالية. إذ بمجرّد ما استقروا جيدا في المقرّ العام، اتخذوا كل احتياطاتهم لتحضير ضربتهم بكل هدوء وبكل ثقة، كل واحد يعلم كيف نفذوها في سيدي فرج، ولن اعود الى ذلك.

سقطت الأقنعة من جديد ونفس عناصر الأمس ونفس منشقي مدينة الجزائر طفوا على السطح من جديد تحت غطاء اغتصبوه، لانهم لم يتوقعوا ابدا عن محاربة حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية، ولطالما تستروا خلف

شرعية خادعة أو نسبوا أنفسهم الى مذهب مستعار، لكن لا فائدة من ذلك، ومن جديد علينا مكافحة هؤلاء الذين يريدون التقسيم دائما، وهم المخربون المنكالبون، لنمارس حركة كشفية ظاهرة كما تصورناها منذ عشر سنوات بدونهم ورغما عنهم، في الكشافة المسلمين الجزائريين (Boys-Scouts Musulmans d'Algérie) الذين نشرفت بالالتحاق بهم، إنهم اختاروا السير بالضبط حسب تقاليد هذه الحركة الكشفية الأصيلة وعلى كل واحد تقييم المهمة التي عليه إنجازها وإذا كان مستعداً فليأت إلينا.

القائد صادق الفول

3 - استمرارية

بقلم الطاهر التجيني: القائد العام

تمر الحركة الكشفية في الجزائر بأزمة خطيرة، هذه الأزمة بلغت حد الانشقاق، وهي غريبة بالنسبة لحركة تربوية. وهذا هو التناقض الذي سنحاول تفسيره لجميع المهتمين، لأسباب مختلفة، تتعلق بالكشافة الإسلامية، لجميع قادتنا أولاً هم الذين ضحوا بأعز ما لديهم كي يمنحوا لشبابنا أسلوب حياة يتطابق مع مثلنا الأعلى ثمّ لأولياء كشافتنا الذين ائتمنونا بكل ثقة على أبنائهم وهم أعز ما يملكون، وأخيرا الى أولئك المكلّفين بتنفيذ المناهج التربوية بصفة عامة والمناهج الكشفية بصفة خاصة.

هل يعود الخلاف الى صراع بين الرجال؟ أو تضارب المبادىء؟ أو ببساطة الى النية السيّئة للبعض؟ كل العوامل يمكن عرضها في الواجهة، ولكن المسألة أعمق من أن يكون حلّها بهذه البساطة وهذه النظرة الساذجة. لذا يبدو لنا من الضروري إعطاء لمحة تاريخية لهذه المسألة حتى ولو وقعنا في الإطالة والتكرار بالنسبة للذين لم يتتبعوا جيّدا هذا الأمر.

شهدت الحركة الكشفية الإسلامية، التي ظهرت متزامنة مع حركات النهضة الجزائرية، مراحل سواء على المستوى المذهبي أو على المستوى الميداني.

إنها مجرّد حاجة الى التقليد، في الأصل دفعت بالشباب المسلم في المدن الى تنظيم نفسه، فأول الجمعيات الكشفية نشأت على يد أشخاص تقل أعمارهم عن 25 سنة، كل ما أرادوه هو بكل بساطة دخول تجربة الكشافة كغيرهم من كثير من الشبان عبر العالم، لقد كنت أحد هؤلاء.

هي الحاجة الى التحرك التي تُميّز كل مراهق أو شاب، والجولات الطويلة، والهواء الطلق، والألعاب، والتجديد، والبحث عن أسلوب حياة متطابق مع المرحلة، أو كذلك ببساطة، كراهية للأجانب بالنسبة للبعض، كل ذلك شكل العناصر الجذّابة الى ممارسة الكشافة.

إن الجانب التربوي، أي الشيء الأساسي، لم يفرض نفسه إلاّ تدريجيا على هؤلاء الشباب الذين يفتقرون بطبيعة الحال الى الخبرة، لكن ما يُثير الانتباه هو ان الشعور بهذه الحاجة جاء في نفس الفترة في كل مكان، في مدينة الجزائر، في تلمسان، مطيف، مليانة، قسنطينة، تيزي وزو وفي جهات اخرى، وهكذا جاءت الى الوجود الجمعيات الكشفية الاولى، لكن عراقيل كثيرة وقفت في وجهها، بعضها راجع احيانا الى عدم تفهّم جماهيرنا التي كانت معادية لكل ما هو جديد، واحيانا أخرى الى إدارة مُرتابة همُها المضايقات ولم تهتم دائما بقيادة الآخرين، بل كثيرا ما اكتفت بمراقبتهم، لذلك بحث شباب الكشافة عن الذين يحمونهم حيثما وجدوهم، لكن هؤلاء الحُماة لم يكن لديهم نفس التصوّر للحركة الكشفية ولا نفس الغايات والأهداف ومع ذلك كانت مجالس الإدارة التي سيّرت فعليا نشاطات افواج الكشافة تتشكّل منهم، وحدث ايضا إثر خلافات قد تمّت الإشارة إليها ظهور فوجين من الكشافة يتعايشان في نفس المدينة، وفي ذلك تعبير واضح عن وجود جماعتين او اتجاهين سياسيين، لكن الشبيبة كانت تتعلّم وتشعر شيئا فشيئا بدورها التربوي.

وبالتالي، في سنة 1939 تجذّرت حركة موحّدة في نفس الشبيبة واثمرت ميلاد جامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية في جويلية من نفس السنة، والشباب بعملهم هذا لم يقوموا بأكثر من تقليد الحركات الفرنسية الكبيرة التي كانت تنشط على مرأى ومسمع منهم في الجزائر، غير ان الوحدة التي تحققت في جويلية لم تعمّر إلاّ لفترة قصيرة بحيث عند حلول سبتمبر 1939 وجدنا انفسنا امام جامعتين، من جهة (الكشافة الإسلامية الجزائرية) التي كان يرأسها ويُسيّرها فعليا المرحوم بوراس، ومن جهة اخرى (الروّاد المسلمون الجزائريون) الذين كان يقودهم عمر لاغا. وحتى اتوخى الامانة، كان صعبا عليّ جدّا في ذلك الوقت ان ابيّن إنْ كانت المسألة صراع رجال، ام تضارب مبادىء، ام مسألة سوء نية البعض، وتطلّب الامر حدوث الأزمة الحالية كي نرى الاشياء بوضوح.

انطلقت الحركتان في العمل، كل واحدة من جهتها؛ إنّ الصدفة، أو بالاحرى الحرب التي جنّدت القادة الرئيسيين، جعلتني على رأس القيادة العامة للكشافة الإسلامية الجزائرية في أكتوبر 1941، فكان هدفي الاول هو توحيد الحركة وتوعيتها بمهمتها النبيلة التي تتمثل في التربية وإبعاد كل عناصر التقسيم عن طريقها، لذا في ديسمبر 1943 أثناء المجلس الفيدرالي الاول الذي جمع كل القادة النشطين في مناصبهم، كلّفنا بالإجماع بعض قادة الكشافة بمسؤولية الأفواج وقلّصنا بالتالي من دور مجالس الإدارة التي جعلنا منها لجانا محلية مكلّفة فقط بالمساعدة المعنوية والماديّة للافواج. وكنّا بالتالي نعتقد أنّ خطر الخلافات الحزبية قد ولّى الى الأبد.

بهذه المناسبة قدم لزيارتنا (الرواد المسلمون)، فاستقبلناهم ككشافة بالترحاب دون أن نأخذ بعين الاعتبار أهميّتهم، «القطب» التابع للجزائر الوسطى كان الوحيد الذي ينتمي الى (الرواد المسلمين) ولا الأهداف التي حرّكت بعضهم، عملنا كل شيء من أجل إقناعهم وقلنا لهم الماضي لا يساوي شيئا عندما يتعلق الأمر بصالح الطفل الذي يعتبر موضوع اهتماماتنا الوحيد، ومرّة أخرى أصبحت الحركة حركة واحدة.

لكننا في خضم الحرب كانت أفكار جديدة تنتقل والجزائر تتمخض كبقية العالم. إن جمعيات أخرى نشأت، وتأسست أحزاب سياسية جديدة. فهذه أحداث ماي 1945 وكادت الحركة أن تتحطم لولا يقظة بعض مسؤولينا، ثم جاءت نهاية الحرب.

الصراعات السياسية تواصلت على الساحة العمومية، ولم يكن بإمكان شبابنا البقاء غير مبالين امام كل هذه التحولات. كنا نعلم ذلك. لذلك لم نفوّت أيّ فرصة لتذكير قادتنا بدورهم.

هذا هو النداء الذي وجّهناه قبل بضعة أيام من انتخابات جوان 1946 الى المسؤولين المحليين:

«أصدقاءنا الأعزاء،

عشية الانتخابات التي ستُجرى في 2 جوان 1946، اعتقد انه من واجبي تذكيركم بأنكم كقادة للكشافة الإسلامية الجزائرية يجب عليكم التزام الحذر الذي تفرضه عليكم هذه المكانة. طبعا، سوف يتصرف القادة الرئيسيون كرجال احرار وسيقومون حسب ما تمليه عليهم ضمائرهم بواجبهم المدني.

من أجل استمرارية الحركة، من أجل استقلاليتها، من أجل حرية تصرفاتها الآنية والمستقبلية أرجوكم ان لا تعرّضوها للخطر. صحيح اننا فتيان وسنُنا هو سنّ التحمّس والرغبة الملحة في التحرك، لكننا وعدنا، وهذا الوعد يتطلّب منا تضحيات كبيرة وأكبر هذه التضحيات يتمثل في الوقت الراهن في بذل مجهود حتى لا نستدرج الى التورط ضد أو مع أيّ كان، خاصة إذا كان ذلك باسم الحركة. كاشخاص انتم احرار في التصرّف كما يحلو لكم، لكن يجب ان تبقى الحركة خارج اية معركة، وهذا متطابق مع غايتنا ومع دورنا».

تحية كشفية إليكم

التجيني الطاهر

في بداية السّنة الكشفية (1947–1948) وضّحنا من جديد في تعليمة 30 سبتمبر 1947:

«لقد اننا السّنة التي نفتحها حاليا بموعدين انتخابيين في أكتوبر وجانفي، لذا أذكّر مرّة اخرى بقوانيننا الداخلية (المادة 2 – الفقرة 3).

اضيف باننا جمعية غير سياسية نحترم جميع الاتجاهات، لذا فكل واحد منا يجب ان يجد نفسه مرتاحا في بيتنا المشترك. ذكّروا قادتكم باننا تحت مراقبة شديدة، بل نحن موضوع تجسّس ايضا. البالغون سوف يمارسون حقوقهم المدنية دون توريط الحركة الكشفية، مهما كانت الظروف، وإذا تواجد في افواجكم مناضلون في أحزاب، ومن المعروض أن

بتواجدوا، وإذا وجب عليهم التدخّل في السياسة، فليبقوا في عطلة أثناء الفترة الانتخابية.

إن هذا أقل ما يمكن أن تطلبه منهم.

بالنسبة للبعض يجب عليّ أن أكرّر وألحّ، فمعذرة لكن هناك أشياء مهما كرّرناها فإن ذلك يبقى غير كافٍ.

بالتوفيق مع تحياتي الأخوية
«التجيني»

ومن جديد، في 30 أكتوبر 1947 في توجّهنا الى المحافظين العامين، ذكّرنا:

«إن عبئكم ثقيل. بلدنا يمر بأزمة ضمير خطيرة سوف تكون لها إرتدادات لدينا دون شك، في أوساط قادتكم وفي داخل أفواجكم، مع ذلك يجب التسلح بالشجاعة، لقد رضيتم بالعمل في الخفاء دون انتظار أيّ مقابل من طرف المواطنين بحيث كل ما تنالونه هو الرضى على النفس بعد إتمام الواجب. إنكم مقيّدون بأتم معنى هذه الكلمة، لكن يجب تحمّل ذلك. لقد رضينا برعاية الطفولة، لذا يجب أن نكرّس حرءا من حياتنا لهذا الغرض.

تحياتي إليكم
التجيني الطاهر

تداعاتنا لقيت آذانا صاغية رغم بعض الحالات الاستثنائية، لكن مجموع الحركة بقي خارج الصراعات السياسية حتى اكتوبر 1947.

للأسف هذا السلوك لم يُرضِ الجميع، فهناك حزب يصف نفسه بالمسلم، والوطني ومن دعاة الوحدة زرع بذور التفرقة داخل الحركة الشبانية المسلمة الجزائرية الوحيدة في الساحة. فأعطى الأوامر - والوثائق المكتوبة موجودة عندنا - لمناضليه كي يستولوا على الحركة الكشفية لجعلها أداة سياسية، وكان ردّنا بالرفض الصارم،

لأن في نظرنا السياسة والتربية شيئان متميزان عن بعضهما البعض وسيبقيان كذلك.

ليس لدينا أية نية في تغذية العداء تجاه أيٍّ كان، لقد كنا وسنبقى، «مع الجميع ودون معاداة أيّ أحد»، أوفياء للحركة الكشفية كما تصوّرها مؤسسها بادن-باول (ب.ب) وللحركة الكشفية الإسلامية كما ابتدأها مؤسسوها، هذا هو مبدأنا، ولن نحيد عن مهمتنا. نفس الذين اعتبرونا في 1939 متطرفين كثيرا من أجل زرع الشقاق جعلوا اليوم من أنفسهم أبطالاً للوطنية الخالصة من أجل تولّي مسؤولية أحداث الانفصال، لسنا متطرفين ولا وحليين، فنحن نضع كل إرادتنا وإيماننا في خدمة قضية نبيلة.

إن شعبنا الذي شُوّهت باسمه الحركة الكشفية لا يحتاج الى الكلام الفارغ، بل هو بحاجة الى التعلّم والى الثقافة والى التربية. إنه يريد أن يلتحق بالركب البشري للقرن العشرين. من جهتنا سوف نقوم بكل ما في حدود الطاقة البشرية لمساعدته، لقد قطعنا وعداً على ذلك ولن نحيد عنه.

التجيني الطاهر.

4 - تجربتي الكشفية مع فوج «الهلال» بتيزي وزو

بقلم: محمد القشعي
قائد فيدرالي سابقا

مقدمة

لقد خرجت الكشافة الجزائرية من حرب التحرير الوطنية عظيمة في اعين الراي العام وخاصة لدى العديد من إطارات الجزائر المستقلة. فعدد كبير منهم تكوّن لدى الكشافة. إن الكشافة عبارة عن حركة تربوية متكاملة. إنها مدرسة لإعداد مواطنين نشطين سعداء وصالحين لوطنهم. فبالإضافة الى البحث عن النمو الجسدي والرقي الفكري والروحي لأعضائها، تضع نفسها في خدمة الآخر والوطن، كلّ هذا قيل وكتب في جميع لغات العالم.

في الجزائر تكوّن جيل بأكمله لحسن حظه بهذه الأفكار، والمحظوظون منا الذين خرجوا احياء يُرزقون من حرب التحرير الوطنية وشاركوا في مؤتمر الاستقلال حلموا بمستقبل زاهر للكشافة في بلادنا.

فيما يخصّنا نحن، في إطار كتابة تاريخ الكشافة، نتمنى من خلال هذه الشهادة تحسيسكم بالإيمان والحماسة الكبيرة اللذين كانا يُحركاننا في ذلك الوقت واللذين كانا أساس نجاح الحركة. لكن من الضروري أن ننبه الى اننا لا نطمح الى اعتبار انفسنا مؤرخين ولا نزعم اننا نمتلك كل الحقيقة. سنقول فقط كل ما عشناه بعمق خلال الثلاثينات بإخلاص ما يمكن.

فوج «الهلال»

إن نشاط الحركة الكشفية وخاصة ما قام به فوج «الهلال» وكل منطقة القبائل بصفة عامة في تأسيس جامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية يكتسي اهمية اساسية سواء من الجانب الإيديولوجي او الجانب التقني، وذلك لما يتميّز به موقع المنطقة والخبرة التي اكتسبها العديد من قادة الكشافة (E.U.) و (S.D.F.) (الفرع العربي).

في مدينة الجزائر، التقى محمد بوراس بكشافين مصريين في رحلة الى إفريقيا الشمالية. هي الفرحة التي حركت فيه الاهتمام والتحمس اللذين تميز بهما بعد ان اكتسبهما من الحركة الإصلاحية ومن التشجيع الذي لقيه من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس. في 1935 أسس فوج «الفلاح» في مدينة الجزائر، وهي التجربة التي ستنتشر كالزيت. هذه التجربة ليست فريدة من نوعها، بل سبقتها تجارب اخرى مثلما هو الحال بالنسبة لفوج «الرّجاء» القسنطيني وفوج «ابن خلدون» بمليانة.

كان بوراس على اتصال كتابي مع مختلف الأفواج التي كان كثير التردّد عليها. كما حثّ أصدقاءه على تأسيس افواج اخرى وتوحيدها في حركة واحدة. وفي هذه الظروف جاء اللقاء الاول لمحمد بوراس مع رابح بوبريط الذي كان في ذلك الوقت يؤدي خدمته العسكرية بالحراش (Maison Carrée). لقد مارس بوبريط الكشافة لدى «الرّوّاد الاتحاديين» بتيزي وزو، واغتنم فرصة اللقاء هذه ليتقرب من قادة الكشافة الإسلامية الجزائرية لفوج «الفلاح» وخاصة محمد بوراس، فيما بعد واسّس فوج «الهلال» بتيزي وزو.

فوج «الهلال» الذي نشأ على هذا النحو ساعد على نشوء افواج اخرى عبر منطقة القبائل: برج منايل، عزازقة، الأربعاء نايث إيراثن، الاربعاء نايث واسيف، تاساقت، دلّس،... – اثناء المؤتمر الفيدرالي في جويلية 1939 شارك فوج «الهلال» لتيزي وزو مشاركة واسعة وأطّر العديد من قادة الوحدات التي تأسّست في المخيّم، وتكفّلت بمسؤوليات عديدة. بوراس تردّد كثيرا على تيزي وزو واتصل بإطارات فوج «الهلال»: فرقي الحركة الكشفية وتقنيانها؛ كان جوالاً وكان يسافر دوْمًا على متن دراجته.

مازلت اتذكر الحادث الذي تعرّض له مرّة مع حلول الليل اثناء نزوله عبر منعرجات طريق «لمزيب» (الناصرية حاليا)، هناك أحزنه كثيرا ضياع طربوشه أكثر من اهتمامه بالجروح التي اصابته في يديه وركبتيه.

فامضى ليلته في مقر الفوج وكم كانت مفاجأته كبيرة في الصباح بعدما استيقظ من نومه ووجد تحت سريره طربوشه الذي تأسف كثيرا على ضياعه. عادت فرقة من الفوج الى مكان الحادث مع طلوع الفجر بحثا عن الطربوش واهتدت إليه من خلال وصف بوراس له عندما قصّ عليهم مغامرته بالأمس.

في ماي 1945 تم توقيف النشاط الكشفي في منطقتي قسنطينة والقبائل، وصحبة القائد العام الطاهر التجيني، اتجهنا في البداية الى المسؤول عن إدارة البلدية المختلطة في عين الحمّام (ميشلي سابقا) للاحتجاج وطلب إلغاء التوقيف لأن تقرير هذا المسؤول هو الذي تسبّب في قرار التوقيف.

بعد رفضه لاستقبالنا ومحاولة إهانتنا بواسطة عناصر «الحركة» الذين يشتغلون معه، قام المسؤول الإداري باستقبالنا وارانا «الأدلّة» التي كانت وراء تقريره: طرود بريدية مُرسلة الى قادة الكشافة الإسلامية لافواج تاساقت اوڤمّون (ولد حمّودة)، آيت سعادة (اوداشي)، آيت منقلات (عبُو)، كل هذه الطرود كانت تحتوي على مناشير وأوراق انتخابية طُبعت من طرف حزب سياسي منحلّ. كما اخرج من درج مكتبه خنجراً (بوسعادي) ملطّخًا بالدم كان قد استعمله مراهق في الليلة السابقة لذبح امّه التي اتّهمها اهلها بالزنى. كما قرأ علينا ترجمة نشيد وطني بالبربرية بنشده الكشافة الصغار لفوج «ميشلي» الذي كان مقرّه محاذيا للجهة السفلى لمكاتب الإدارة الاستعمارية.

بعد زيارتنا للمسؤول الإداري، قمنا بتفقد كامل المنطقة ولاحظنا هناك استعداد أغلب قادتنا للعمل وطلبنا منهم بقاء الاتصال بالمقر العام في انتظار العودة الى النشاط.

بعد بضعة أيام، جاءت عملية اعتقال ابرز مسؤولي الكشافة والاحزاب السياسية في منطقتنا، بين أيدينا المبرّرات التي قدّموها لهذه العملية أي للتهم: «عضو سري لحزب الشعب الجزائري، مناضل مقتنع بحزب فرحات

عباس، قائد حجري للكشافة الإسلامية الجزائرية الذين يشكلون خطرا أكيدا على أمن الدولة».

بعد أن حبسونا في السجن المدني لتيزي وزو، نُقلنا فيما بعد الى السجن العسكري بباب الوادي (الجزائر)، ثم افرج عنّا بعد 10 أشهر بمقتضى قانون العفو الذي صوت عليه البرلمان الفرنسي، وهذا الذي وضع حدًا لتحريات الضابط القضائي التي لو تمت لادت الى حبسنا لمدة 20 سنة على الأقل مع الأشغال الشاقة حسب ما جاء على لسان المحامي الذي كلفته اللجنة المديرة لجامعة الكشافة بالدفاع عنا، وهو الأستاذ كاكلان (Caquelin)، وهو نفسه قائد وطني «لرواد فرنسا» ولاجيء في الجزائر. لقد مات في حادث مرور بمنطقة بجاية وهو مدفون هناك، بعد اعتقالنامن المهم ان نشير الى ردود فعل عناصر «فوج الهلال» لتيزي وزو بصفة خاصة ومواقف البعض من صغار الكشافة على الخصوص، أي الفتيان الذين لم يتعدّ سنهم 10 الى 12 سنة. ثلاثة من بينهم على سبيل المثال: مولود بن ياحي، بن فرج عبد العزيز، مصطفى نوري حرّروا رسالة تهديد تحتوي ايضا على المطالبة باستقلال الجزائر ووزعوها. وفي هذا ما يشهد على الالتزام الوطني للحركة الكشفية.

بعد 10 سنوات سوف تستمد جبهة التحرير الوطني احسن عناصرها من بين الكشافة. وليس صدفة إن كان من بين الكشافة الصغار الثلاثة المذكورين اعلاه، قد استشهد اثنان وهما يحملان السلاح؛ اما الثالث فقد حُكم عليه بالسجن المؤبد، وتمكن من الفرار بأعجوبة، ثم اصبح رئيس بلدية تيزي وزو لأكثر من 12 عاما في بداية الاستقلال.

لقد كان الفاتح من نوفمبر 1954 مفاجأة، لكن الاتصالات الأولى انطلقت في تيزي وزو (بابوش، ملاطة، اوعمران). وبعد الاتصال بهم، قرر قادة الكشافة الإسلامية (B.S.M.A) بمدينة الجزائر مساعدة جبهة التحرير الوطني / جيش التحرير الوطني.

في افريل 1955 التقت إطارات الكشافة الإسلامية (B.S.M.A) في حسين داي لدراسة الوضع. هناك تقرّر توقيف النشاطات والسّماح بالتجنيد الفردي لكل عضو من جمعية الكشافة واعطيت التعليمات. فوضعنا في خدمة جبهة التحرير الوطني كل العتاد النافع (الآلات الراقنة – المالية – المفرقات). امتثالا لامر الصادر عن جبهة التحرير المُوجّه الى كل المنظمات الوطنية.

ابتداءا من هذه المرحلة، أصبح الشعب الجزائري هو الذي سيُناضل، في الداخل وفي الخارج، في صفوف جبهة التحرير الوطني دون ايّ تحزّب لأية مرجعية سياسية.

5 - حياتي الكشفية

بقلم الشريف غوثي
قائد فيدرالي سابق

ربما من المُمِلّ وصف كل فترة للحركة الكشفية الممتدة على مدى عشرية من النشاطات الديناميكية. إن الأفواج الثلاثة أو الأربعة التي كانت موجودة حوالي سنة 1938 اصبحت في 1946 تقدّر بـ 32 فوجاً.

تطوُّر الحركة الكشفية جرى في خضم نفسٍ عجيب للشبيبة الحيوية، الخالصة والمسؤولة وسط أجواء صادقة ومشبعة بالروح الوطنية العالية. وبما أنه لا يمكننا كتابة كل شيء، فسوف أكتفي بالأحداث التي بقيت راسخة في ذاكرتي.

1 - لقائي الأول بالكشافة الإسلامية الجزائرية (ك. إ. ج).

– **نوفمبر 1938**: لقاء طارىء مع فرقة تابعة لـ (ك. إ. ج) تلاها قرار نهائي بالالتحاق بهذه الحركة، ثم إدماجي في اللجنة كأمين عام إلى جانب الرئيس بُريكسي رفيق محمد وباقي الأعضاء: الطيب ملوكة، محمد بودغن، محمد بوقلي حسن، عبد العزيز بو عبد الله، محمد الحاج سليمان، فلايجي بوسلطان.

2 - المخيم الوطني الأول 1939.

جويلية 1939 بالحراش بمدينة الجزائر: شاركت كأحد المسيِّرين، وخلال هذا المخيّم تعرفت على القادة محمد بوراس، صادق الفول، بوبريط امقران رابح، محمد القشعي، وكذلك على المسيِّرين: إبراهيم عمّوشي من قسنطينة وبوشامة من عنابة.

كلّفني الرئيس محمد بوراس بتحمل عبء مسؤولية منطقة وهران، أي مدينة وهران ومستغانم، ثم بتحركات عديدة نحو وهران، مليانة وتيزي وزو.

لقد نالت إعادة تنظيم فوج «المنصورة» ونفسها الطويل إعجاب كل الأشخاص الذين أتوا من منطقة وهران، وكانت سبباً في تطور الحركة الكشفية. لا يمكن وصف الجو الرائع الذي ساد وقتذاك في تلمسان، لكن مجيء قادة الشباب مثل عبد القادر بن ديمراد، وعبد القادر سلعاجي أعطى دفعا قويا للحركة التي كانت تتمتع أيضا بأسس متينة بفضل النشاط الفيّاض الذي قام به إدريس ابن رسطان.

وهكذا فإن النشاط اليومي تمثّل في الاجتماعات واللقاءات، والخرجات من أجل عقد ندوات والسّباقات والتنقلات في المدن والقرى. كما نشير أيضا الى المشاركة المكثفة في جميع التظاهرات الرياضية الدينية والسياسية، كما منح التحاق كلّ من دحمان غمري، عبد القادر بريكسي والسنوسي الماحي وغوثي الحاج سليمان وعبد الله وحسان فار الذهب ونهواحي بوب والعربي مزّور الخ... بالفوج نفساً كبيراً للكشافة الإسلامية كما أذكر أيضا حسين فازي كمُرشد.

إن التحاق غمري الثاني وبريكسي وتدعيمهما للصفوف أعفاني من تلمسان، فتمكنت من تكريس اهتمامي بمقاطعة وهران لانني عُيّنتُ آنذاك «قائدا جهويا» لهذه المقاطعة اثناء مؤتمر القادة بمدينة الجزائر في ديسمبر 1943.

في تلك الفترة جاء اعتقال الرئيس بورباس، وقصدتنا الشرطة، أنا وإدريس وابن رسطان، وغوثي الماحي، ومحمد معروف.

تميّزت هذه الفترة بقيام ابن ديمراد عبد القادر بإعداد اول علم للكشافة، وهو علم احاطته هالة كبيرة من الحماسة الوطنية، كما تميّزت كذلك بزيارة القائدين صادق الفول وبوبريط فكانت تظاهرة ضخمة: منها استقبال كبير في المحطة واستعراض في المدينة ومشاعل المخيّمات في الملعب وزيارات وخرجات.

نشير ايضا الى اول خرجة للفوج الى «المفروش» (حيث تعلّم القائد ابن رسطان قواعد الطبخ) والتنقلات العديدة للفوج الى مستغانم وسعيدة

وندرومة والغزوات ومغنية وبني صاف وسبدو والحناية، وسيدي بلعباس. هذه التنقلات كان لها وقعٌ كبير لدى الجماهير المسلمة والأوروبية ولدى الكشافة الفرنسية والسلطات المدنية والعسكرية. طوال 5 أيام كانت حفلات وزيارات وسهرات ونشاطات كشفية. وخلال إحدى السهرات ألف المطرب عبد الرحمن عزيز أغنيته: «بلادي، بلادي» و«هذا مقام».

أتذكر بصفة خاصة القائد إدريس ابن رسطان أحد مؤسسي الكشافة الإسلامية الجزائرية بتلمسان. لا يمكن أن أنسى تفانيه وإخلاصه اللامحدود. وحبه العميق لـ(ك. إ. ج) وللجزائر وللإسلام بصفة خاصة.

كما يجب أن أذكر الإخلاص الكبير لأعضاء اللجنة، من بينهم محمد رفيف، والطبيب ملوكة، ومحمد الحاج سليمان ومحمد بوفلي حسن وعلال غمري وعبد العزيز بو عبد الله وبوسلطان قلابجي وحسين قازي الثاني.

أول تظاهرة في المدينة حدثت في ظل نظامٌ «بيتان» العسكري؛ كنا نريد استعراض فوج المنصورة وفرض نفسنا أمام الإدارة.

هل كان من الأحسن لنا طلب رخصة للتظاهر بالمدينة؟ ثم اتحد قرار بعدم تقديم الطلب، ومن أجل التمكن من عبور كامل المدينة، قررنا الذهاب لتناول الشاي عند الرئيس ملوكة بمناسبة عيد الفطر. كان بيته في الطرف الآخر للمدينة عكس مكاتب (ك إ ج). وبالفعل كان استعراضا رائعا. فلم نقم فقط بعبور كل المدينة، بل أدهشنا الجمهور.

إلا أن رد السلطات العسكرية لم يطل انتظاره بحيث تم استدعائي عند الجنرال (روبير) منذ العاشرة صباحا، وهو قائد منطقة تلمسان، فذهبت إليه برفقة القائد ابن رسطان.

لقد كان استقباله لنا مفاجأة كبيرة خصوصا وأننا كنا نتوقع منه التوبيخات أو حتى التوقيف، فاستقبلنا الجنرال نفسه فاتحا الباب وهو يقول: «تفضلوا يا أبنائي!» «ما قمتم به كان رائعا، ممتازا، لذا حرصت على تهنئتكم شخصيا مادمت قد تمتعت بمشاهدة الاستعراض؛ أطفالكم كانوا رائعين بحيث ساروا بخطوات أحسن من رجالي وخاصة قدماء

المحاربين منهم». ثم اختتم بهذه العبارات: «انا هنا لمساعدتكم، وبابي مفتوح على مصراعيه لخدمتكم».

3 - شرف كبير لمدينة تلمسان، جويلية 1944.

اثناء مؤتمر القادة الذي انعقد في ديسمبر 1943 بمدينة الجزائر بإصرار من القائد الشجيني، أختيرت تلمسان لتنظيم المخيّم. كنت منحفظا في ذلك الوقت لتفحص عتاد المخيم وتفحص المواد الغذائية والوضعية المالية الصّعبة و500 شخص تقريبا كان علينا إعالتهم. قبل انطلاق المخيّم، تم تحسيس وتعبئة تلمسان من طرف الحركات السياسية والدينية والرياضية والثقافية (النوادي الجمعيات، دار الحديث، حزب الشعب الجزائري، احباب البيان)./

وهكذا، فمنذ اليوم الثاني للمخيّم، اظهر الجمهور، الذي لم يتوقف عن زيارته في كل الأوقات، في النهار وحتى في اللّيل، عناية مستمرة وتعمّم مصاعبنا، وقدّم لنا يد المساعدة على المستوى الغذائي مثال: حصّة الخبز كانت 250 غ للشخص يوميا. وبدعم رائع من اعضاء «نادي السّعادة»، أصبحت حصّة الخبز تقدّر بـ: 500 غ، كما قاموا بجمع التبرّعات المالية والغذائية واللحوم. ثم تجنّدت مدرسة «دار الحديث»، وبعدها كل الناس قدّموا بحماس رائع هبات فاقت حاجات المخيّم. وطوال 12 يوما اظهرت الجماهير تضامنا جديرا بالشكر والثناء الى درجة أنهم اذهلوا السّلطات، وعلى رأسها الوزير (Capitant)، الذي تتبع حجم التظاهرة وتأثيرها على الحياة اليومية لأهل تلمسان.

مثال آخر من هذه العناية التلمسانية الثانية يتعلّق بالسيد فورصو عبد الرحمن؛ هذا الشخص وحده قدّم هبة تقدّر بـ 100.000 فرنك في شكل حبم ولوازمها المطبخية من محلات (Vidal) و(Manegat) بوهران، إضافة الى أشخاص آخرين لا يسعني المجال، مع الأسف، لذكرهم، لكنّه من واجبي شكرهم عبر هذه الشهادة التي انا بصدد تسجيلها.

يستحيل علي أن أصف الاستعراض الرائع في المدينة والزيارات إلى معالمنا الأثرية ومساجدنا وصلاة الجمعة تلك التي بقيت خالدة في الذاكرة بدار الحديث تحت إدارة المرحوم الشيخ الإبراهيمي ثم تلا ذلك الدعوات إلى مأدبات الطعام من طرف مختلف العائلات التي كانت تختطف الكشافة اختطافا من أجل الغداء معهم، كل ذلك في روح تضامنية وكرم لا نظير لهما.

وقد اتحفنا سكان تلمسان بتنظيم سهرات داخل المخيّم كلّها لهو واناشيد ورقص، ومشاعل كشفية في المدينة. كانت سهرات رائعة في جوّ من الالتحام والتضامن الكامل والحماس الفيّاض.

هذا المخيّم كان له صدى كبير في مدن الجزائر وكان مصدر عزّة وافتخار لمدينة تلمسان، قد يستغرب البعض مما حدث في تلمسان، لكني اعرف مدينتي جيدا منذ سنة 1920، وحضرت عدداً كبيراً جداً من المبادرات الوطنية والثقافية والرياضية والدينية التي رفعت سمعتها عاليا وزادت في مجدها.

4 - استقبال الوزير (Capitant) (كابيتان).

نُظّمَ حفل استقبال ضخم متبوع بمأدبة غداء رائعة. في بقعة من الغابة محاطة بالستائر، صُفّفت حوالي خمسمائة عشرة مائدة منخفضة الارتفاع على الأرض، محاطة بالمطارح؛ كل مائدة مُزينة بقطع الخزف الضرورية وأغطيتها وفرها لنا اعضاء «نادي السّعادة» وخاصّة بن ديمراد محمّد وحساين محمد وبوفلي حسن وبومدين وفورصو عبد الرحمن، وفازي محمد الصغير، وآخرون، وهم الذين نظموا كل شيء وحضّروا الغداء. لقد كان حفل الاستقبال مُفتيساً من أجواء ألف ليلة وليلة. وقادة (ك. إ. ج) لم يتمكنوا من إخفاء فرحتهم الكبيرة وعبّروا عن تشكراتهم العميقة لكل ما تم فعله في هذه المناسبة التي شرّفت الكشافة الإسلامية.

5 - النشاطات الجهوية في مقاطعة وهران.

بمجرد تعييني كقائد جهوي لمقاطعة وهران، تخلّيت عن فوج تلمسان، وشرعت في تنظيم فوج وهران الذي كان قد بدأ يعرف بعض الانتشار وعيّنت بعدها أعوانا تقنيين:

- فرويشة عبد القادر: فرع الأشبال.
- حمّو بو تليليس: «فروخ الرواد» والجوالة.
- الحاج حسين عبد الرحمن: المسؤول الجهوي للخزينة.

فتهيكلت وهران منذ ذلك الحين وكان نشاطها ثابتا: فيه زيارات وندوات ومخيّمات للمباريات والمسابقات. هذه الحالة أقلقت كثيرا السلطات الفرنسية ولكنها أحدثت لدى الشعب بصفة عامة والشبيبة بصفة خاصة حماسا وطنيا فياضا.

تميّزت هذه المرحلة باتصالات عديدة مع كشافة الجنوب الوهراني بواسطة علالي فويدر والشيخ بو عمران. كما كانت هناك أيضا اتصالات مع سي مصطفى بلهاشمي من أجل إنشاء حركة كشفية بوجدة.

إن إعدام الشهيد بوراس لم يُضعف عزيمة الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج)، بل تدعّمت أكثر بشبان جُدُد، لكن من جهة الإدارة، تعرّضنا دون انقطاع الى المشاكل والمضايقات من طرف البوليس: مديرية الأمن الترابي وشرطة المخابرات العامة ومصلحة الأمن الترابي وشرطة الدّولة، والشرطة القضائية.

نُشير كذلك الى التصرّف المشؤوم لمدير مدرسة الرسمية السيد مرْسي Marçais ضد (ك. إ. ج) التي كان يضمر لها كُرها شديدا. حدث ذلك في عهد الماريشال بيتان Pétain ، بينما وجدنا مساعدة كبيرة وكذلك الحماية من طرف النقيب بوشوكة من «اللفيف الثلاثي الالوان».

وظهر نشاط كبير في القطاع الوهراني: مخيّمات تربّص ومخيّمات متحركة ومباريات ومدارس للقادة ومخيّمات للأطفال في كل الفصول ومشاركة في المباريات ومخيّمات وطنية بين الكشافة، ومع الكشافة الفرنسية وأظهر من خلالها قادة الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج)

دائما خبرة عالية في مستوى مسؤولياتهم ومهامهم، وبفضل حماس دائم وإخلاص كبير، أصبحت عمالة وهران مهيكلة جيّداً واشتملت على 32 فوجا في كل المدن والقرى رغم غياب حمّو بوتليليس الذي عُوّض بتعيين الشيخ بوعمران. وتخرّج قادة جُدد مخلصين، فالمستقبل كان مضمونا.

6 - جويلية 1946.

شاركت في المخيّم الوطني بقسنطينة حيث عُيّنت قائداً وطنيًا لفرع الجوالة، وهي مسؤولية ثقيلة نسبيا، لأنه من واجبي التحضير التقني والمدني للجوالة (ابتداء من 16 سنة) أي تكوين قادة مستقبليين؛ قادة الوحدات للأشبال والرواد تم دمجهم في هذه التشكيلة التي تشتمل على الدرجات العليا في الكشافة.

وضعت تصوّرا ليوم عمل مشترك كل ثاني ورابع يوم أحد من الشهر، إضافة الى برنامج عمل محدّد زمنيا بدقة بالنسبة لكل فرع، وذلك كأدوات تنسيق وتكوين.

في كامل الجزائر كانت تُنفّذ نفس المهمّة في نفس الساعة، وكل يوم كانت له رسالته التي يرسلها القائد «بالمورس» أو «السيمافور»، وكل رسالة تحتوي على موضوع للدراسات على سبيل المثال، أذكر الرسالة الأولى: «أسوأ ألم يُلمّ بإنسان ذي مُروءة هو مشاهدته لوطنه وهو يزيد انحطاطا، وأكبر سعادة له هي الموت من أجله».

إن إدخال هذا اليوم رسميا في النشاطات أحدث أصداء عبر البلاد الى درجة أن القيادة العامة أمرت بمشاركة جميع قادة الأفواج فيه والمقاطعات وبقية المسؤولين.

7 - الفاتح من أكتوبر 1946.

تمّ تعييني كنائب للقائد العام وكُلّفت بفرع «أصدقاء الكشافة الإسلامية ك. إ. ج».

8 - ديسمبر 1946 - جانفي 1947.

شاركت في سباق القبائل الصغرى: بجاية، القصر، سيدي عيش، أقبو، تازمالت، بني منصور، أي كل منطقة وادي الصومام. وقد بقي ذلك راسخا في ذهني كذكرى جميلة جدًا. تمكنت من مصاحبة أناس فقراء لكنهم كرام بضيافتهم البسيطة والرائعة في بجاية والقصر وسيدي عيش وأقبو، ومازلت اتذكر حتى الآن شدة ذلك السباق الذي تزامن مع وجود مصالي الحاج ثم فرحات عباس اللّذين كانا في جولة بالمنطقة.

9 - سنة 1947.

كانت تلك الفترة الأصعب في حياتي الكشفية. فوظيفتي الجديدة جعلتني اكتشف عمق انعكاسات الأزمة، التي ضربت الحركة الوطنية المتمثلة في حزب الشعب الجزائري، وتسربت داخل الكشافة (ك. إ. ج) وبعض القادة المسؤولين لم يترددوا في الظهور على المستوى العمومي وحتى القيام بتصرفات سياسية بالزي الخاص بالكشافة. هكذا برزت مشاكل كثيرة مع الإدارة الفرنسية التي لم تتردد في القيام باعتقالات عديدة عبر كامل البلاد.

أشير الى أن مسؤولي الحركة الوطنية لم يُوافقوا أبدا على هذه التصرفات. وقد تأكدتُ من ذلك جيدًا بعد أن تمّت دعوتي الى اجتماع بدار صديقي ابن عصمان عبد الكريم حيث كان عنده قائدٌ مسؤول عن مدينة الجزائر؛ طرحت عليه السؤال الآتي: «اخي، ما هو موقفكم من الكشافة؟ جوابه كان عفويا: «حياد خيِّر». فرددْتُ عليه: «اخشى أن لايكون حيادا فاعلا». فظهر على وجهه اندهاش كبير ثم جاء ردّه: حيادٌ مطلق.

هكذا تأكدّ أن الوضعية التي ظهرت داخل الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) كانت من إنجاز بعض قادتها فتأثرت كثيرا لذلك ومنذ هذه اللحظة بدأ انسحابي التدريجي حتى سنة 1948 حيث تركتُ هذا الميدان نهائيا. وقد تزامن هذا الانسحاب النهائي مع مسؤولياتي العائلية الجديدة (منها وفاة خالي الذي كان في نفس الوقت ربّ العائلة)، فانتهت على هذا النحو عشرية في خدمة بلادي، أطلب من الله أن يتقبل ما فعلت.

10 - الكشافة الفرنسية.

عندما تأسست في فرنسا الكشافة الفرنسية (ك. ف)، أبقيت الكشافة الإسلامية جانبا. فقرّرت أن أكتب الى الجنرال لافون (Lafont) لنذكيره بوجودالكشافة الإسلامية. فبعث القائد «نوال» (Noel) بُغية دراسة إمكانية «القضاء على الكشافة الإسلامية او إدماجها في فوج فرنسي، ومن الأفضل في كشافة فرنسا (S.D.F) !

إزاء هذا التهديد، تقرّر القيام بعمل سيكولوجي كبير، وهو مضاعفة عدد الأفراد او جعلها أكبر بثلاث مرات عمّا كانت عليه. وهكذا حيلما مرّ القائد «نوال» (Noel) كان يندهش لعدد الشباب وقدّر إذن الانعكاسات الخطيرة التي قد تصيب الأهالي المسلمين في حين ان بيتان (Pétain) كان يستعمل كل الإمكانيات لكسب الجزائريين الى جانب حركته، وبالتالي سلمت الكشافة الإسلامية.

يجب ان نحدّد جيّدا هذه الفترة، إثر إعدام الشهيد بوراس، وقع ارتباك كبير، فالفيدرالية لم تكن قد بلغت بعد صلابتها، لذلك بفضل النشاط الديناميكي لبعض قادة مدينة الجزائر مثل الغول وبوبريط والنجيمي والقسمي وفرج، تأسست لجنة شرفية من القادة الوطنيين الذين عيّنهم «بيتان» وهم: بوكردنة وابن زكري وميسيان وابن شيحة وفرحات عباس كأمين عام. هذه اللجنة نجحت في حماية حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية من الزّوال.

إن روابطنا بالكشافة الفرنسية كانت تتسم دائما بالبرودة، ولم يحدث أي تعاون تقريبا معها. فيما بعد جاءت زيارات أخرى، من بينها زيارة القائد الوطني (Pierre François) (بيير فرانسوا) (E.D.F) (رواد فرنسا)، لكن لم تكن لها نتائج إيجابية.

11 - لقاء مع الكشافة الفرنسية على المستوى الوطني.

أ- مخيّم القادة في جانفي 1945 ببرج الكيفان (الجزائر): هذا اللقاء الأول جمع قادة من الكشافة الفرنسية وأعضاء من القيادة العامة للكشافة

الإسلامية، ففي هذا اللقاء تم الاعتراف بوجودنا ونوقشت كل المسائل من اجل القيام بعمل مشترك.

لكن المسألة الاساسية التي اثارت نقاشا ساخنا هي مسالة «الأبناء البيض»، إذ قررت الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) عزمها بقوة على عدم السكوت في المستقبل عن نشاطهم في أوساط الشباب. لقد كانت حركة كبيرة ادلى فيها كل القادة بتصريحات وامام صرامتنا، لم يُخف اغلب القادة دهشتهم وعملوا بالتالي على التخفيف من حدة غضبنا.

أثناء تدخّلي، سجّلت هذا التصريح الذي قام به القائد (Carles) من الكشافة الفرنسية (ك. ف) (S.D.F) :« هذئ، تفسك ايها القائد ما دُمتَ قد اخذت كل كشافة بادن- باول للمحبوب الوهراني»، وبالفعل كانت الأفواج الخمسة التابعة لبشار، وعين الصفراء والبيض ومشرية وبوقطب قد التحقت بـ: الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج). لقد كانت تلك الفترة من أحسن فترات حياتي الكشفية.

كان بودّي أن اذكر كلّ تدخّلات قادة الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) إني احتفظت بصفة خاصة بالذكرى الحيّة لتلك التي قام بها التحيحي، بوزوزو ولاغا والفول وميحوتي.

ب - مخيّم ماي 1945 ببرج الكيفان - الجزائر: اقيم هذا المخيم بعد 10 ايام من أحداث مقاطعة قسنطينة في 8 ماي 1945، من بين قادة المقر العام الاثني عشر لم يحضر معي سوى لاغا وقدّاش. اصطحبت معي قادة المقاطعات: ابن دبمراد من تلمسان، بخلوف من مستغانم ومدّاح من معسكر وطهراوي من وهران؛ بسبب الأحداث، لم يتمكن قادة الشرق والوسط من التنقل إلينا. عند افتتاح الجلسة، اعتذر قدّاش وانسحب، وبقينا انا ولاغا الى جانب قادة المقاطعات.

وحضر حوالي 60 شخصاً من قادة الكشافة الفرنسية (S.F) وكذلك بضعة عناصر من البوليس الجزائري، وبمجرّد ما انطلقت أشغال الجلسة، تسيّس الجوّ بتقديم الكشافة الفرنسية لتصريح يتعلق بالاحداث التي عاشتها الجزائر في سطيف 1945).

رفضنا هذا التصريح من حيث المبدأ، لكن أمام إصرار الكشافة الفرنسية (ك.ف) قررنا السماح لهم بقراءته، ورفضنا كل ما يتعلق بالأحداث، كما اتفقنا على أن أقوم أنا أولا بالرفض بصراحة تحسبية ثم أن يواصل لاغا ليؤكد هذا الموقف. وعندما بلغت القراءة إلى عبارة تؤكدُ على أحاسيسنا الفرنسية، «رفعت يدي وقلت: «لسنا فرنسيين». فأثار تدخُّلي صيحات استنكار عامة حامية من طرف قادة المستعمرات (colonies) الذين كانوا يعتقدون بأن الجزائر «فرنسية»!

عندئذ طلب لاغا الهدوء مصرِّحا بأن الوضعية تتطلب أن يتمَّ التعبير عن المواقف بصراحة «فقال بأن تصريح القائد الشريف يعبر عن موقفي أيضا، وأتمنَّى أن يقابل بصراحة مماثلة، أما سؤالي فأطرحه على القادة الفرنسيين التابعين للجزائر وأودُّ أن يتفقوا على موقف واحد. إني أطلب منهم جوابا كشفيا أي صريحا». فطرح عليهم السؤال: «هل تعتبروننا في أعماقكم حقًّا فرنسيين؟» فطأطأوا جميعا رؤوسهم، ثم التفت لاغا إلى الآخرين مشيرا بيده إلى القادة الجزائريين ثم قال: «إن الإجابة بين يديكم». وطوال 5 أيام، لم تكن هناك سوى نقاشات مناسبة تسيبا في جوٍّ مكهرب بما فيه الكفاية، لكن يجب أن أشير بأننا وجدنا تفهُّما كبيرا لدى بعض قادة فرنسا وقادة المستعمرات (colonies) والكثير منهم أكدُوا لنا أنهم فهموا جيِّدا المسألة الجزائرية. وأذكر على سبيل المثال تصريح قائد فرنسي: «أيها القائد، لقد فهمتُ بأنكم ككشافة حقيقيين تحبُّون وطنكم، فماذا تطلبون من فرنسا للإسراع بتحريره؟». كان جوابي عفويا: «العدالة». وهنا انتهى النقاش وبمجرَّد انتهاء اللقاء، انتقلت مباشرة إلى سعيدة بواسطة القطار حيث كنتُ أشعر بأنني مُراقب.

وفي سعيدة التي وصلتها على الساعة التاسعة ليلاً لم أجد سوى قائد شاب والرئيس لزرق مصطفى. كان الاستقبال محتشما، وكان الأمر طبيعيا مادام القادة عثماني حمادوش ومجبوبي ومبارك قد دخلوا السِّرِّية ومع ذلك،

تمكنتُ من مُلاقاتهم حوالي منتصف الليل بقرية «بودية»، ثم في حدود الواحدة صباحا ركبت القطار متجها نحو بوحنيفية، ومن هناك الى معسكر ثم الى وهران.

ج – 25 ماي 1945 بوهران: وقع اجتماع في بيت على شاطيء «كاناستيل» (Canastel) بين جميع قادة مقاطعة وهران تحت إشراف القائد حمّو بوتليليس، طوال 3 ايام وجرت مناقشات عميقة لحل مشاكل كثيرة ومهمة بالنسبة للكشافة الإسلامية (ك. إ. ج)، على غرار وضعية قادة سعيدة الذين كانوا في السّرية، وقصة قضية بلحلفاوي (معسكر) الذي تعرّضت له الشرطة واشتدت تصرّفات السلطات إزاء الحركة نظرا للوضع الذي كانت تمرّ به البلاد.

اما فيما يخص الكشافة الفرنسية على المستوى الجهوي، فاصبحت علاقاتنا بها ضعيفة أكثر فأكثر. واشير ايضا الى روح التفهّم الذي تميّز به رئيس الدائرة «ڤاليجيي» والرائد «بروس» المكلف بالشؤون العسكرية الخاصة بالمسلمين والذي كان مقرّه عمالة وهران.

من واجبي أن اذكر ثلاثة جزائريين ساعدوا كثيرا الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) سواء على المستوى المحلي او الجهوي،هم رواد فرنسا (E.D.F) بن بقرة بوهران وكاهية ثاني وابن علي بتلمسان اللذان كانا عُضوين في رواد فرنسا (E.D.F) التابعين لوهران وتلمسان كانا يُخبراننا بكل ما كان يُحبك ضد الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج).

واذكر كذلك فارور (من الغزوات) خريج المدارس العربية الذي كان يحيطنا علْما بالتصرفات الخطيرة إزاء (ك. إ. ج) التي كان يقوم بها مدير حركات الشبيبة في نظام بيتان (Pétain).

كما تحضرني ايضا ذكريات كل هؤلاء المجهولين الذين دعمُونا مادّيا ومعنويا عبر كل مقاطعة وهران، لأن نظرتهم الى (ك. إ. ج) كانت نظرة امل وطني وديني، امل خفي في رؤية تحول هذا التنظيم إلى جيش.

د -هناك واجبٌ اعتبرتُه مقدسًا: كيف يمكنني ان احيّي كل قادة (ك. إ. ج) في مقاطعة وهران ومعسكر وتلمسان وسيدي بلعباس ووهران ومستغانم وسعيدة وتيارت وغليزان ومعسكر وهؤلاء القادة في فرنسا وفي الجنوب الوهراني؟ في كل مراتب حزم المسؤوليات، برهنوا عن حيوية فيّاضة، وإخلاص لا يعرف الكلل، وتضحيات كاملة، (بالوقت، بالصحة، بالإمكانيات المادية، بالعمل وأحيانا بالعائلة).

مثال واحد بإمكانه تجسيد كل هذه الفضائل. إنه الشهيد حمو بوتليليس الذي قضى عدّة سنوات معي جنبا الى جنب كنائب في مقاطعة وهران بالفرع التقني. لقد تعرّفت على هذا الوطني العظيم الذي لم يدخر أية تضحية من أجل الوطن والكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) وكان مناضلا صادقا في حزب الشعب الجزائري، قدّم نفسه قربانا جسدًا وروحا لمُثله، امّا الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) فقد كانت ميدان نشاطه المفضّل للتكوين الإيديولوجي والتطبيقي للمناضلين الأوفياء.

بنزاهته الكبيرة، عرف دومًا كيف يُدافع عن (ك. إ. ج) التي كانت عرضة لتهجّمات السّلطات الفرنسية والمثال الآتي يؤكد سموّ روحه.

عند ذهابه الى معتبة لأداء الخدمة العسكرية، اضطررت الى تقاسم المسؤولية التقنية التي كانت تقع على عاتقه في مقاطعة وهران بين عدّة قادة – (قادة جهويون). وعند عودته، أكّدت له بأن منصبه مازال شاغرا؛ وبعد تفكير عميق، أسرّ لي بما يلي: «أيها القائد لقد علمتنا دائما الصراحة وسوف أكون صريحا معك، قرّرت أن أناضل بشدّة في حزب الشعب الجزائري، لذا لا استطيع البقاء في (ك. إ. ج)». هذه المُسارة زادته أكثر عظمة في قلبي.

ذكرياتي تتزاحم وتضغط عليّ، اريد أن استحضر تلك التي زالت. الشيخ فريمشة عبد القادر من وهران الذي رغم سنّه الكبير بقي دائما بنشط ببشاشة والشاذلي منوّر من غليزان بلطفه الكبير والآخرون من معسكر ومبموني من سعيدة والعديد من الآخرين.

كما لا يفوتني أن أعبّر عن تألمي للمرض الأليم والطويل الذي حلّ بالقائد مالامان بومدين من مغنية. كما أذكر كذلك مقدم براز من سيدي بلعباس والرئيسين بنّاي من الغزوات ولزرق من سعيدة.

نشكراني الكبيرة أوجّهها الى جمعية العلماء المسلمين والى الأحزاب السياسية خاصة حزب الشعب الجزائري وأحباب البيان لمساعداتهم السرّية، الدائمة من أجل المساعدة فقط دون انتظار المقابل، كما أشرك في كل هذا جميع الأشخاص الذين قبلوا عندما تحلّ بنا صعوبات، تحمُّل مسؤوليات كأعضاء لجان الأفواج، كأصدقاء الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) مُدافعين نزهاء عن (ك. إ. ج) في جميع الميادين الإدارية، القانونية، الرياضية، الدينية والسياسية.

من أجل الجميع، أطلب من الله عزّ وجلّ أن يتقبل تضحياتهم العظيمة من أجل الشبيبة الإسلامية والوطن الجزائري والإسلام.



المخيم الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية – 1939.



مخيم اللقاء الجميل – فور دو لو (برج الكيفان) · 1944.



استعراض المخيم الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية لتلمسان - 1944



الشيخ البشير الإبراهيمي يخاطب الإطارات الكشفية المجتمعة بتلمسان.

6 - حول الأزمة

بقلم: القائد جبجلي محمد

تعتبر الكشافة الإسلامية الجزائرية الحركة الوحيدة التي تمكنت الى غاية اليوم من جمع الشبيبة المسلمة في صفوفها مع منحيا للأفواج المنتشرة عبر البلاد إمكانية توجيه تسليتها نحو نشاطات خالصة، ثم تسييرها وفق غايات تربوية تتطابق مع خط الكشافة، وتأخذ كثيرا في الحسبان الميول الفردية، المزاج، ومثل الشاب المسلم الجزائري.

صمدت هذه الحركة الى حد الآن في وجه كل الهجمات على مسيريها من أي كان مصدرها لأن الانشغال الرئيسي والثابت لمسيريها كان الى غاية حدوث الأزمة التي نجم عنها الانشقاق، الحفاظ على الوحدة مهما كان الثمن. هذا الانشغال كان يتقاسمه جميع الأعضاء المسيرين، ولهذا السبب نجد في داخل الحركة امتزاجا هائلا لعناصرها. في تجمعاتنا كنا نرى جنبا الى جنب وفي التحام أخوي الشخص التلي والقادم من الهضاب العليا أو الصحراء والعامل والموظف أو المثقف. الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية قدمت أيضا خدمة كبيرة للبلاد بتسيير شبيبتنا المكافحة في معظم الغالب حيث أعطتها فرصة التعرف على البعض، والتعبير والتحابب والعمل معا من أجل غاية تربوية نعرف، نحن الجزائريين، ثمنها جيدا.

هذه الوحدة التي حافظت على بقاء الحركة وأعطتها أهميتها، كانت، كما قلت، الغاية الصادقة لكل المسؤولين دون استثناء؛ لقد كانت حلم كل أعضائها ايضا في القاعدة. يبدو إذن لأول وهلة، امرا غريبا أن تتمخض هذه الرغبة العامة في الوحدة عن أزمة ضخمة في نهاية المطاف أنتجت انشقاقا غير قابل للعلاج مادام انه قد تحقق بصفة رسمية وهو موجود فعليا.

إن أفواجا عديدة، خاصة تلك التي لم ترسل ممثلين عنها الى الجمعيات العامة الأخيرة، بقيت مذهولة قبل أن تتمكن من الفهم؛ البعض منهم لم يأخذوا بعد موقفا لأنهم لم يكونوا مهيئين نفسيا للانشقاق وبقوا

دائما يأملون في إيجاد الطرفين لأرضية تفاهم كفيلة بإعادة الوحدة والفعالية المفقودتين الى الحركة.

إني أتوجه بصفة خاصة، الى هذه الأفواج بالذات التي رغم إغراقها بالتعليمات لم تدرك حقيقة الوضع وأقوم بالكتابة اليوم وأكتب أيضا لهذا الجمهور الذي تابع دائما الحركة الكشفية بتعاطف، ولهؤلاء الذين يهتمون من قريب أو من بعيد بتربية النشء وبمستقبله في البلاد. غايتنا هي أن تشرح لهم كيف نشأت الأزمة وأسبابها الأساسية.

لفهم الأحداث جيّدا، يجب في نظري، التأمل فيها وفحصها على ضوء المبادىء الدائمة والملموسة الكفيلة بتحقيق إجماع ذوي النوايا الطيّبة، أول هذه المبادىء هو أن أزمة بهذا الحجم ليست حادثا عرضيا في حياة حركة في مستوى أهمية حركتنا، فبقدر ما تكون الأزمة خطيرة، بقدر ما يجب الاعتقاد بأن جذورها كانت عميقة في الماضي.

المبدأ الثاني يتمثل في أنه عندما يُجمع مسؤولو حركة ما، أو أي حزب، على الرغبة في الحفاظ على الوحدة ويبذلون في هذا الاتجاه قصارى جهودهم ونواياهم الطيبة دون تحقيق نتيجة إيجابية، يمكن أن نفترض بأن الخلافات لا تتعلّق بمسائل ثانوية، بل بإيديولوجيات مختلفة متعارضة.

يكفي الرجوع قليلا الى الوراء لنتصوّر أجواء اجتماعات القادة على المستوى الجزائري ولندرك بأنه منذ أعوام، كانت الأزمة تختمر ببطء، لكن بصورة أكيدة.

فقد قام مسؤولون عن الكشافة أو قادة مُنخرطون في حزب سياسي، بدفع من هذا الأخير، أو فقط بتطبيق إيديولوجي، بتجنيد مُكثف في الأفواج لعناصر تنتمي الى الحزب، أو متعاطفة معه من أجل أن تضمن أغلبية كافية في الجمعيات العامّة. والذين حضروا مثلي في هذه الجمعيات التي تلت المخيّم الفيدرالي، يستطيعون التأكيد دون أن ينازعهم أحد في ذلك بأن نسبة القادة المتحزّبين قد ارتفعت بنسب وبسرعة غريبتين لا يمكنهما أن يكونا وليدتي الصدفة، بل كانت نتيجة مخطط موجه ومُحضّر بإحكام ومُنفّذ

بطريقة مُنظمة. هذا العمل، كان واسعا جداً، ودقيقا جداً بما لا يسمح لنا بالاعتقاد بانه من عمل شخص واحد، ولا يُمكن ان يكون مخططا ولا ان يُنجز إلاّ من طرف حزب مُنظّم له فروعه عبر كل انحاء الجزائر.

هذا العمل كان يراد له ان يؤدي الى غايتين: يسمح بادىء ذي بدء بالتعرف على القادة والافواج المعارضة لهذه الإيديولوجية داخل الجمعيات من أجل التخلّص منهم او تحييدهم على الاقل، ثم تهيئة الميدان للاستيلاء على مقاليد الحركة نهائيا. هذه هي الاحداث التي ادّت الى الأزمة التي عرضتها بصورة مقتضبة واعتقد انني بيّنت بما فيه الكفاية ان هذه الأزمة لم تكن وليدة الجمعية غير العادية التي جرت في سيدي فرج، والقرارات التي خرجت منها لم تكن سوى النهاية الطبيعية لعمل طويل ودقيق تمّ القيام به في السابق وامتدّ على سنوات.

– اعتقد أيضا انني حطّمت الهيكل الذي تمّ تركيبه بصعوبة أثناء الجمعية غير العادية بسيدي فرج من طرف صنّاع الأزمة. وفي هذه الجمعية أرادوا، بُغية تحقيق أغراض حزبية، في ظلّ نقص في الاطّلاع على الامور من طرف القادة، ان يُركّز النّقاش حول شخصية قائدها العام، بعد ان جمعوا ضدّه نسيجا من المآخذ التي استعملت لجعله كبش الفداء ومصدر كل المآسي، ومع ذلك لم تنطل الحيلة حتى على من كانوا الاقل إطلاعاً على الأمور، لان السّوابق كانت جد معبّرة والمناورة كانت ناقصة الحبك وكان لدينا حدس بانّ التعجيل هو آخر جدار إذا تمكّنوا من إجباره على الرّحيل سهل على انصار الحزب الاستيلاء على الجمعية.

الى جانب هذه الكتلة من المتحزّبين او المتعاطفين معهم، حتى في صفوف الجمعية من قادة الكشافة من أرادوا الحفاظ على الطابع التربوي للحركة والتمسك بايّ ثمن باستقلاليتها، فكافح بعضهم بقوة من أجل تحقيق هذا المثل الأعلى، لكنهم خسروا واستسلموا، وكان عاديا وطبيعيا ان يفشلوا ويستسلموا لانّ الصراع لم يكن متوازنا والاختلال كان كبيرا، فمن جانب كان حزب يُفكر ولديه قادة منضبطون مستعدّون لتنفيذ الاوامر، ومن جانب آخر لم يكن هناك سوى أشخاص من بينهم عدد رغم انهم لم تنقصهم لا قوة الشخصية ولا الحزم لكنهم كانوا يتصرفون

كأشخاص احرار، جهودهم المتفرقة إلى التفكير الجماعي والنضج المُسبق، ولم تكن مُنسقة وموجّهة لتحقيق هدف دقيق ومحدّد بشكل منظم.

هذا التوازي يُبيّن جيدا الإيديولوجيتين الحاضرتين اللتين كانتا وحدهما، حسب اعتقادي، وراء الأزمة. إن مسألة الأشخاص لم يكن لها أيّ دور في ذلك. ولختام هذا العرض الموجز، سجلت كلام قائد شابّ من قسنطينة يتميز بنظرة نقدية للأمور، وهو كلامٌ يؤكد، إذا كان التأكيد ضروريا، رؤيتي للأزمة، لأنه يُعبّر عنها بطريقة بريئة وخلال الاجتماع، طلب مني هذا القائد ببراءة: «عندما يأتي لاغا إلى قسنطينة يقول بأن ليس لديه ما يُؤاخذ عليه جيجلي، وجيجلي يقول لنا بأن ليس لديه أيّ مأخذ ضد لاغا. لماذا لا يتفاهمان إذن؟!».

أنا لا ألوم لاغا في أيّ شيء كما لا ألوم القادة الذين اتبعوه. أقول فقط إنه في ميدان الكشافة أو بعبارة أدق، في مجال المبادىء التربوية الكشفية، لدينا إيديولوجيا أو وجهة نظر مختلفة تجعلهم يقولون بصدق: لم يعد ممكنا لنا أن نتعاون مع جيجلي، وتجعلني أقول بنية حسنة مماثلة: لا يمكنني أن أستمرّ في التعاون معهم.

وفي النهاية، أقول، إذا كُنت لا أخشى أن أتهم بدوري بالسياسي، بأنه لا يجب أن نفصل مُشكلة الكشافة عن المشكلة الجزائرية كلها حتى نتوخّى الموضوعية والوضوح وفي أوساط نخبتنا لدينا أشخاص مؤهّلون وأليق مني لدراسة المسألة من هذه الزاوية.

أما فيما يخصّني، فلا أستطيع أن أغامر سوى بدراسة مطوّلة لإيديولوجيتنا لأوضح حدودها وأُطلع الجميع على العبقرية التي نتصوّر بها تربية المسلم الشاب في الإطار الجزائري الحاضر وكي تُحدّد بطريقة لا يشوبها أيّ غموض كيف سيكون موقفنا تجاه الإدارة حتى تُزيل كل الشوائب. إن الموضوع واسع بما فيه الكفاية ويسمح بتناوله في مقال آخر على حدة سوف أنشره في النشرية القادمة.

قسنطينة 29 سبتمبر 1948

القائد محمد جيجلي

7 - مبادئنا

مقلم القائد أبوعمران الشيخ.
«النقاش، بمجرّد ما يصبح صادقا، يفترض
أن نفس العبارات تعني نفس الأفكار» (آلان، أفكار)

الأزمة، كما نتوقع، ليست نتاج صُدفة. فمنذ زمن بعيد، ولو اختلفت المظاهر، والهذيانات واللاانسجام لا يمكنها أن تؤدي إلا إليها. مهما كانت المراضاتنا، فإنها أبْعد من أن تكون من فعل شخص. كثيرا ما نوحي أو نقول بطريقة غير مباشرة بأن خلافاتنا سببها الصراعات الشخصية. نحن نريد الحقيقة ورأينا العام الذي ينتظر منّا الحقيقة، فنقول إن أسباب القطيعة هي خلافات مبدئية أساسا. فالمشكلة إذن تعود في جوهرها إلى الاختيار التالي.

– حركة جماهيرية أو حركة تربوية؟
– احترام القيم أو البراغماتية؟
– الوطنية أو النضال الحزبي؟

1 - الانشغال بالعدد.

إذا كان الانشغال بتوسيع الكشافة الإسلامية الجزائرية عند بداياتها من الناحية العددية بأكبر عدد ممكن له ما يُبرّره، فإن هذا التصرف أصبح خطيرا فيما بعد. ونحن نرى مساوىء ذلك، بما فيها الأزمة نفسها. آنذاك لم نعرف كيف نقلّص من حجم التجنيد الذي بقي ضخما. فقد وجدت أفواج تحتوي على مائة عضو بمجرّد تشوئها، كما لم نهتمّ بتكوين الإطارات. وعددٌ كبير من الأطفال والمراهقين جاؤوا إلى الكشافة، لكن كم عدد الذين تشبعوا منهم بمُثلها العليا؟ وقد لوحظ أن الاهتمام بالليهو فاق تقديم خدمات وتغلبت «الموضة» الكشفية على صقل النفس وترقيتها. لذا فكيف نتعجب، انطلاقا من كل هذا، لحدوث الإفلاس؟

نحن نُريد تعويض هذه الحركة الجماهيرية بحركة نخبوية، دون ان اقصد أبدا تحصيص طاقاتنا وإمكانياتنا لبعض المحظوظين وأصحاب الامتيازات. كل ما أعتبه هو ان المنهاج الكشفي يجب ان يخدم أولاً القادرين على الاستفادة منه والاكثر احتياجا إليه، وان نرفض الذين يطمحون الى خدمة أغراضهم المُعلنة حيث لا مكان للتربية في تصوّراتهم. هذه هي نقطة الخلاف الاولى. فبينما يبقى اهتمامنا منصبّاً على النوعية والمردودية، والقدرات، في الجهة الاخرى كان الاهتمام مركزا على زيادة المنخرطين قبل الاهتمام بشيء آخر! نحن نريد «تقديم الخدمات» من أجل التطوير والتنوير، أي التربية، وآخرون يريدون وضع الحركة الكشفية في خدمتهم! إنهم يبحثون عن أداة لتحقيق أغراضهم الشخصية.

2 - ما نوع الرجال الذين نُريد تكوينهم؟

هذه هي النقطة الثانية التي نختلف فيها. الحياة هي التي تتكفّل بإعداد شخصية كل كائن بشري. وما يُمكن أن نفعله هو تهيئة الطفل لوظيفته كرجل ولكن عبر أي مسار؟ الطرق الى ذلك متنوّعة بطبيعة الحال. لقد اخترنا الكشافة لانها، بالنسبة إلينا، تضع بين أيدينا مثَلاً أعلى للحياة نقيا وقادراً على صنع رجل مستقيم، مُخلص، ظريف، خدوم، رجل شهم وشريف، دون عيوب ودون شوائب مُلوثة لشخصيته مهما كانت الظروف والمكان. هذا المثل الاعلى نريده جميلا ومعتداً بنفسه بما فيه الكفاية، فهو يحمل قيمته في ذاته. العهد والقانون لا معنى لهما إلاّ إذا كانا عاملين مطلقين يحترمهما الجميع حيثما وُجد الانتماء الى «بادن باول» (Baden Powell).

لكن ماذا شاهدنا؟ عملية كذب وغش جدّ مُخجلة ولا مثيل لها في الحركات الكشفية، نفّذت أمام أعيننا في سيدي فرج من طرف رجال «مُرتبطين بنفس المبادئ» إذن نفس الكلمات لا تعني نفس الافكار، والنقاش لم يعُد صادقا، حيثنا بعض «القادة لتخضع للأمر الواقع ونُسلّم به»، فقد قررت «الأغلبية» حتى ولو كانت «مُفبركة» قطعة بقطعة. لكن لماذا المكر والنميمة والتزوير؟ هذه تصرفات تافهة في رأيهم، وهنا يكمن الخطر، وبعدما نجحوا هل نقبل بالأمر الواقع حتى ولو كان يتنافى مع مبادئنا؟ وإذا تم نكران العنصر الاساسي وهو التربية ومن الافضل لنا أن

نتسحب. نحن نؤمن بالنقاء الاخلاقي وبالطريقة الكشفية، وبالشرف، لذا نرفض ان نُصفق لانتصار الكذب. ماذا يعني النجاح الذي يعتمد على الغش وعلى الغاية التي تُبرِّر الوسيلة؟ وهذه مواقف تبقى غريبة عنا، ولا يمكن ان نقبل بأيّ مساومة حول هذه النقطة.

3 - الروح الوطنية ليست النضال:

إن القطيعة تأتي من هنا وقانون الكشافة يجعل، كما نعلم ذلك، من الوطنية واجباً؛ حبُ الوطن وخدمته امران اساسيان، في هذا المجال. ولسنا بحاجة الى دروس من أيّ كان. فالوطنية، كما قلنا، ملك للجميع، ولا يمكن لأيّ حزب او حركة ان تستولي عليها او تحتكرها. لكن ما يُراد منا فعله هو إحلال إيديولوجية حزب محلّ تربية النشء، وهذا غرور كبير. من يضمن أن حزبا سياسيًا سيسود غداً؟ قانون الاغلبية لا يعني شيئا في المجال التربوي، والكفاءة لا علاقة لها بالعدد، والحقيقة كذلك. وقد حدث ان يكون رجل واحدٌ محقا في وجه أعداد كبيرة من أصحابه وهم على خطأ؛ فالإصلاحيون والمجدِّدون ينشرون في غالب الأحيان افكارهم ضدّ اغلبية من معاصريهم. وبالإضافة الى ذلك هل يُعتبر امرا شرعيًا فرض عقيدة معيّنة على الأطفال، الذين نقوم بتربيتهم والقادمين من اوساط متنوعة؟ أغلبهم غير قادرين على استيعابها. وظيفتنا هي تكوين مواطنين نُزهاء وصالحين ونفوس حُرّة ومُتنورة، حتى ولو لم يعجب ذلك «ثوارنا» المختبئين في غرفهم، لأنّ النضال ليس شُغلنا، بل هو دور الأحزاب. إن الروح الكشفية تعتمد على الأخوة، فكيف نقبل بالحقد والفتنة؟.

هذه هي المبادىء التي نُدافع عنها وهي الأسباب التي دفعتنا الى إنشاء كشافة مُجدّدة ومخلصة، مُتطابقة مع أحسن إرث الإسلام ونظام بادن-باول (Baden-Powell) وتتّسم بتربية حقيقية وفعّالة. لا يُمكن لأيّ شيء ان يكبح إرادتنا في التوصّل الى تحقيق هذه الغاية، بما فيها الكذب الذي يطلقه البعض وعدم تفهُّم البعض الآخر. ايّها الحزبيون، إننا نريد أن نبقى هكذا من أجل خير شبيبتنا وشعبنا.

القائد أبو عمران الشيخ

8 - شهادة من مدينة سطيف

قبل أن تُصبح القطيعة نهائية، قبلنا بالمناقشة. إنّ فوج سطيف، وهو أحد أقدم وأهم أفواج الكشّافة الإسلامية، حاول، بموافقة لجنته المحلية، التوسّط في الخلاف. أمام النيّة السيئة لخصومنا، قرّر توجيه تقرير مفصّل وموضوعي عن خطّة عمله في صيغة تقرير إلى قادة الكشّافة الإسلامية (ك. إ. ج) ونشره حرفيّا، لنتمكن من كشف النيّة السيّئة للذين يصرخون بنفاق في وجه «المنشقين» وهم المنشقون:

تقرير تمّ توزيعه برعاية لجنة الرعاية والإطارات.
للكشّافة الإسلامية «الحياة» لمدينة سطيف.

إخواننا الكشّافة،

بعد الجمعية العامة التي جرت بسيدي فرج، تمّ تعيين لجنة غير قادرة على تحقيق إجماع الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) حول نشاطها بسبب خلافات مذهبية.

لم يستطع مسؤولونا تحقيق اتفاق كامل حول توجّهات الحركة. فظهر اتجاهان متناقضان تماما، الأول يهدف إلى إعطاء الطابع التربوي العام طابعا سياسيا، والآخر يُطالب ببقائنا فوق كل الأحزاب، حسب وجهة نظر لا دخل لها في السياسة، وكل واحدة من هذه الأطروحات كان لها أنصارها ومُعارضوها. شاركت أفواج تابعة للكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) في تجمع سيدي فرج، ساندنا مع بعض إخواننا وجهة النظر التي أملتها علينا الحكمة والعقل. وتبقى آخرون وجهة نظر اخرى. ومن قلب الأزمة التي تبلورت، انتخب القادة الحاضرون في التجمّع لجنة مديرة.

من جهتنا، لا نعود إلى الطريقة التي تحققت بها هذه الأغلبية ولا إلى الأوامر التي أعطيت من أجل إنجاحها، نقول بأن منذ هذه الفترة ظهرت آثار تدخل خارجيّ عن الحركة، وتم بذلك وقوع قادتنا في الخطأ. إننا نتأسف بشدة لقيام حزب سياسي بتحمل مسؤولية عمل كهذا قادر على تخريب مستقبل الشبية في بلادنا لفترة طويلة، وستكون المضاعفات دون شك أخطر ممّا نعتقد.

نحقق التنشئ دون أن تُعالج المشكلة. لكن تم الاتفاق على حل وسط يقضي، فيما بعد، انعقاد جمعية عامّة اخرى في الظرف المناسب للمصادقة على قرارات سيدي فرج أو إلغائها، لكن كان من الواجب ان لا تبقى الأمور هكذا.

1 - التّحكيم.

استقبل فوج «الحياة» مُمثلي الاتجاهين، وعرض علينا قادة كل طرف وجهة نظرهم وطلبوا الاطلاع على وجهة نظرنا. ورغم حساسية الأمر افترحنا وساطتنا التي اعتبرناها امراً أوكيا. وكمُربين واعين بدورنا، فقد أدّينا دورنا بحدّية واصبعين نصب أعينا هدفًا واحدا: وحدة كل إخوتنا الكشافة ومسيرة بنّاءة وتقدمية. لهذا الغرض بالذات اتخذنا اليوم مبادرة الكشف عن محادثاتنا مع الطرفين لإعلام كل القادة المهتمين بمستقبل الجمعية وعلى كل واحد أن يحتير بعمق ضميره ويختار الاتجاه الذي يبدو له انه الأفضل. القرارات التي يجب اتخاذها هي قرارات ثقيلة، لذا على كل واحد ان يتأمّل في معطيات المسألة قبل أن يقوم بأيّ حكم حتّى لا نندم عن أيّ شيء إن شاء الله في المستقبل.

2 - محادثاتنا.

أ – زيارة القادة لاغا وبوزوزو.

تمّت في سطيف يوم 23 ماي 1948، وتمّ تسجيل الحديث في محضر، لقد تنقل إلينا القائدان عضوا اللجنة المنبثقة عن سيدي فرج خصّيصا ليعرضا علينا وجهة نظرهما ولمعرفة موقفنا.

وبحضور لجنة الرّعاية والإطارات التابعة لفوجنا، قبلا بإعطاء الشروح الضرورية حول سير جمعية سيدي فرج وحول الأزمة التي تلتها. من هذه المحادثات ظهر ما يلي:

ا) يعترف لاغا وبوزوزو بأن جمعية سيدي فرج كانت خاضعة لأوامر سياسية؛ إنها جمعت المعنيين لمناقشة جدول أعمال يتعلّق بمسائل مُحدّدة، لكنّها لم تتطرّق الى أيّ واحدة منها؛ إن حزبًا سياسيًا معيّنا هو الذي قرّر أن تُنظر هذه الجمعية العامّة (رسالة منشور في المخيم)، اعترفا بأن هذه الحالة تتنافى مع طبيعة الحركة الكشفية.

2) يعترف القائدان ضمنيا بعدم شرعية اللجنة الحالية التي انبثقت بأمر من حزب سياسي. وفضلا عن ذلك تغيب عدة مندوبين وأعضاء من اللجنة المسيِّرة السابقة ولم يشاركوا في المناقشات إن حضور شخصيات لا تنتمي الى الكشافة أو كانوا حديثي العهد بها لم يُعارضه أحد. بوزوزو اعترف انه ساند فكرة حركة لا سياسية ولو كان الثمن هو التشتت.

3) باقتراح لجنتنا التزم لاغا وبوزوزو بمجرد عودتهما الى مدينة الجزائر المحددة بيوم 24 ماي باقتراح تشكيل لجنة ثلاثية على زملائهما تشتمل على عنصر مُحايد: الشيخ بوزوزو، وهو عنصر لا سياسي، وعنصر ثالث له نزعة سياسية. مُهمة هذه اللجنة كانت تتولى تسيير الحركة وتحديد المناهج التطبيقية لتنظيم جمعية عامّة مُنظمة.

وكان على فوجنا أن يتصل بممثلي الاتجاه اللاسياسي إضافة الى القائد التجيني. إن الشيخ بوزوزو تطوّع بنفسه للقاء التجيني بمدينة الجزائر والحديث معه حول هذا الاتفاق الوسط. وبعد التوصّل الى هذا الاتفاق الذي رضي به بوزوز ولاغا، قرّر القائدان العودة من حيث أتيا.

ب – زيارة القائد التجيني:

حضر القائد العام يوم 10 جوان 1948، كما حدث مع القائدين السابقي الذكر، حضر مع التجيني لجنة الرعاية وإطارات الفوج وتمّ تسجيل محتواه في محضر. سألنا التجيني هل تمّت مفاتحته بتعيين لجنة مُصغّرة مكلّفة بتسيير الفيدرالية أثناء شغور القيادة المنبثقة عن جمعية سيدي فرج، منذ 24 ماي 1948 وهو تاريخ عودة لاغا وبوزوزو.

أجاب التجيني بالنّفي قائلا: لا أحد من هذين القائدين أطلعني على موضوع زيارته لمدينة سطيف وبالقرارت التي اتُخذت. وأكد انه التقى عدّة مرّات بوزوزو الذي لم يتطرق أبدا لهذا الموضوع.

ردًا على سؤالنا إذا كان هذان القائدان يحترمان الاتفاق القاضي بأن اللجنة المُسيِّرة اعتبرت نفسها غير شرعية وغير مُؤهلة لاتخاذ أيّ قرار الى غاية تنظيم جمعية عامة منتظمة، أجاب التجيني: «إن هذه اللجنة تعتبر نفسها لجنة

نهائية مادام لانها قد استولى على مبالغ الحساب الصكّي البريدي التابع للفيدرالية. كل يوم يبلغُني ان لجان الإطارات رفضت الأعتراف باللجنة الجديدة وتعرضت بالتالي للتنحية وعوضت بعناصر اخرى، كما حدث في مليانة. امام التراجع عن الألتزام الذي تبتره بحرية وعدم احترام وعدهم، ارتأيت بانه من المفيد أن انسحب نهائيا وان اشكل فيدرالية بعيدة عن السياسة».

طرحنا على التجيني سؤالاً ثالثا: رغم خطورة القرارات المتّخذة من طرف اللجنة المسيّرة، هل تقبل بوساطتنا من اجل إيجاد حلّ لهذه المسألة والتوصل الى توحيد الحركة؟».

ردّ التجيني: «بانه يقبل بصدر رحب وساطتنا حتى ولو ان عملية الاستيلاء على الفيدرالية قد تمّت. وفي حالة نجاح خطواتنا يقبل ايضا بالتخلّي عن مشاريعه من اجل إنشاء فيدرالية جديدة، كما يوافق على كل الخطوات التي ستخطوها في هذا المجال». وقد سجلنا كلامه.

فتمّ تكليف قائد بالاستماع الى راي بوزوزو؛ هذا الاخير، بعد ان تمكنّا من الاتصال به هاتفيا، ردّ بانه وزُملاءه يرفضون اقتراحنا بتشكيل لجنة ثلاثية. وتمّ تسجيل كلامه، باسف، ثم اقترح عليه امرٌ آخر في الحين هاتفيا: «من أجل إنقاذ الوحدة، تُحيل المسألة للتحكيم من طرف جمعية العلماء التي تمتلك ضمانات أخلاقية كافية للفصل في الخلاف، إن الشيخ بوزوزو عبّر عن قبوله لهذه التسوية الجديدة مشيعا انه سيطّلع على موقف قادة لجنته التي كانت ستجتمع في يوم الغد الأحد 13 جوان 1948، ثم يُحيطنا علما بذلك عن طريق البريد.

في يوم الاربعاء 16 جوان، بلغتنا رسالة بتاريخ 14 جوان مُوقعة من طرف بوزوزو، وُجهت الى جميع قادة الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج)؛ لكن بدلاً من عرض اقتراحاتنا، كما كنا نامل، وطرح رأي بناء، لم يزد على تأكيد الخلاف ونقله الى مجال العموميات.

بصفتنا الفوج المكلف بالوساطة بين الطرفين، يحقّ لنا أن نقول إذ نحن سيدي فرج ترفض كل التسويات القادرة على إنقاذ الوحدة.

هذا هو ما جرى في محادثاتنا كشفنا عنه في محتواه الأساسي.

استنتاجات.

قبل ان نعطي رأينا حول هذه المسألة، نُقدر بأنه من المفيد ان نُذكر ببعض الاعتبارات الهامة الى حد كبير:

1) كل أشكال الكشافة التي مُورست في العالم منذ «بادن باول» (Baden-Powell) كانت مبدئيا غير سياسية. الحركة الكشفية الأنجليزية، وهي الأولى والرائدة ابدا لم تكن مُحافظة او عمالية او شيوعية او أيّ شيء آخر، بل اكتفت ببنائها أنجليزية.

2) الكشافة، في جوهرها، لا يمكنها ان نفرض على نظامها التربوي اتجاها سياسيا يجلب لها عداء كل الرجال والأحزاب الذين لا ينتمون الى نفس المذهب.

لماذا وبصفتنا حركة شعبية، إننا نحتاج الى مساعدة من طرف كل مواطنينا.

3) من الأطفال الذين نقع على عاتقنا قيادتهم على درب الكشافة يتراوح ما بين 7 و18 سنة، ونعتقد بأنه يستحيل علينا تحديد الشكل السياسي الذي سيسود عندما يصبح الطفل مواطنا في بلد يعيش تطوّرا دائما.

4) الاغلبية الساحقة من أولياء الكشافة يمكنها ان تسحب منّا ثقتها وأبناءها عندما نتخلى حركتنا عن شكلها التربوي.

لذلك، يتلخّص واجبنا في: « تكوين مواطنين جزائريين جديرين بهذه التسمية، سليمي الجسد والرّوح، والذين عندما يبلغون سن الرشد سيختارون بأنفسهم المثل الأعلى السياسي الذي يستهويهم».

وننتهي إذن الى ان ضمائرنا لا تسمح لنا بالانخراط إلاّ في حركة غير سياسية ونطلب من كل الذين اهتمامهم الوحيد هو إنجاز مهامهم كمُربين ببسالة ونزاهة ان يلتحقوا بنا على هذا الدّرب.

هنا يكمن خلاص شبيبتنا ومستقبل حركتنا.

لجنة الرعاية لفوج «الحياة» بسطيف.

الرئيس: م. سماتي.

إطارات فوج «الحياة» سطيف

القائد المحلي ل. دومي.

9 - الحركة الكشفية النسوية

بقلم القائد جيجلي محمّد

أ - ظروف نشأة الحركة الكشفية النسوية الإسلامية في الجزائر

انطلقت الحركة الكشفية النسوية إثر الجمعية العامة التأسيسية التي انعقدت بقسنطينة في 1946 بهدف تجديد اللجنة المديرة وتحسين تنظيم الحركة. يمكن القول إن التاريخ الذي اختير لإنشاء هذه الحركة لم يكن مناسبا. فهي تزامنت مع انعكاسات الأزمة الكبيرة التي أوقعتها أحداث 8 ماي 1945 داخل الحركة والتي بلغت آثارها السلبية بصفة خاصة إلى صفوف كشافة ولاية قسنطينة والقبائل الكبرى والصغرى.

لكن من القيام بتحليل أكثر عمقا للظروف السائدة في تلك الفترة تبينت الأسباب الشرعية التي حفزت على اتخاذ قرار كان يُنتظر منه كلّ خير.

إذا كان بعض قادة الكشافة لقوا حتفهم كضحايا أبرياء لقمع أعمى، إذا كان على مستوى أقلية افتقد بعض القادة الحماسة، فإن الأغلبية التي بقيت، كان يُحركها إيمان لم يتزعزع وكانت عازمة على المضي إلى الأمام.

المكان الذي اختير لعقد الجمعية العامة التأسيسية له مغزاه في هذا المجال، فالأمر يتعلّق كما وضح ذلك القائد العام أثناء تقديم تقريره الأدبي: بإظهار « تعاطفنا الفعّال مع منطقتنا الشرقية التي تألمّت كثيرا في السنة الماضية وثم الاحتفال في قسنطينة بالذكرى العاشرة لإنشاء الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية في هذه المنطقة».

وما أكده القائد العام بخصوص هذا التاريخ، يمكن تعميمه تقريبا على كل الأفواج المحلية الكشفية التي نشأت ونشطت بطريقة مستقلة والتي يعود تاريخ تأسيس أقدمها مثل جمعية قسنطينة إلى 1935.

يمكن أن نُقدر إذن بصفة عامة بأنه عند تاريخ اجتماع الجمعية التأسيسية بقسنطينة كانت قد مرّت عشرية من النشاط الكشفي بمرحلتين

متميزتين عن بعضهما البعض: مرحلة الجمعيات المستقلة ذاتيا بين 1935 حتى 1939، ومرحلة الاندماج تحت وصاية الجامعة الكشفية التي تبدأ من 1939 حتى تاريخ الجمعية النسوية.

من المهم أن نؤكّد بأن الحيرة التي تكونت خلال هذه العشرية من النشاط لم تمسّ سوى فرع الذكور. وقد ساهمت على الأقل في التحسيس بالفراغ الموجود فيما يخص الكشافة النسوية، وقدّمت خدمات ثمينة في الوقت المناسب حيث استفادت منها الإطارات التي تحمّلت مسؤولية الفرع النسوي.

وعشية تأسيس الكشافة النسوية، من المهمّ أن نسجّل قلقا آخر مُنافيا لهذه العملية. هو قبول الكشافة الإسلامية الجزائرية في فيدرالية الكشافة الفرنسية فأصبح مكسبًا انتهى الحديث عنه. وبما أنّنا لا ننوي أن نروي تاريخ الكشافة الجزائرية بواسطة وجهة نظر مُحرّفة مُسيئا للحقائق، نقول فقط بأنه كتأكيد للإنجاز ذكّر القائد العام في النشرة الداخلية رقم ٣ لشهر ماي 1945 في رسالة القائد بخصوص هذا الحدث بأن الأمر يتعلق: «بحدث تاريخي هام وبإنجاز أساسي، وبمشوار الحركة بسلام».

إن المسيرة المطبّقة لهذا القبول الذي لم يتمّ دون صعوبات، ومغزاه والظروف التي جاء فيها، لا يدخل ذكرها في هذا المقام. لذا، نتطرق إليها بإنجاز سريع عبر نص العبارات الواردة في البيان الصحفي الصادر عن القيادة العامةللكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) بتاريخ 28 مارس 1945 والمتعلقة بهذا القبول في الكشافة الفرنسية: «الكشافة الإسلامية الجزائرية تنخرط في فيدرالية الكشافة الفرنسية مع احتفاظها بخصوصياتها الروحية واستقلاليتها التامة».

ستتمكن أخيرا جامعة الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) في هذا الإطار من الاستفادة من المساعدات المخصّصة من قبل الدولة، من التربصات ما بين الفيدراليات ومن المخيّمات الدائمة بالرياض (El-Riath) ومن تربّصات تكوين المدراء ومنشطي المخيمات الخاصة بالعُطل هذه الفوائد التي

يستفيد منها في البداية فرع الذكور، ستمتدّ الاستفادة منها بصورة آلية، عندما يحين الوقت، الى فرع الإناث.

وخلاصة القول، رغم ازمة الحركة الكشفية الإسلامية الجزائرية بسبب أحداث ماي 1945، سيظهر الى الوجود الفرع النسوي في ظلّ طالع سعيد. فقد نشأ داخل فيدرالية موحّدة، سيستفيد من الخبرات المتوفرة لدى فرع الذكور خلال عشرية من النشاط، وكذلك من الآثار الإيجابية للالتحاق الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) بالحركة الكشفية الفرنسية، كما يسمح له هذا التطوّر الجديد باختصار الطريق وتفادي فترة التعثر والعزلة التي عاشتها الجمعيات الكشفية الإسلامية للذكور في بداياتها. وهذا ما يُفسِّر الاندفاع والتطوّر السريع اللذين عرفتهما الافواج النسوية الاولى التي نشأت في المراكز الكبرى بالمدن حيث وجدنا تجنيد الإطارات والبيئة المحيطة المناسبة.

2 - مبادىء وأسس عامّة.

المبادىء تُشكّل ارضية لتاسيس حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية النّسوية التي تنجت عن تمازج جدلي بين النظرية والتطبيق. على المستوى النظري، لدينا وثيقة أساسية هامة، لحسن الحظ، عُرِضت على الجمعية التأسيسية بقسنطينة التي انعقدت سنة 1946 من طرف القائد العام السيّد التجيني الطاهر. اما على المستوى التطبيقي، فلدينا شهادات المسؤولين الذين مازالوا على قيد الحياة والذين أطّروا الافواج النسوية التي ظهرت في ظروف ملائمة ودامت لفترة طويلة نسبيا تسمح بالتعميم والاستنتاج من خلال نشاطاتها المتعدّدة نقاط القوة التي كانت تسندها.

أ)- مبادىء عامّة.

إن تقديم الوثيقة الخاصة بالكشافة الإناث من قبل القائد جيجلي يثير الانتباه الى:

1 – ضرورة تحقيق التزامن بين تربية الفتيان والفتيات حتى لا تحدث اختلالات في التوازن لا يمكنها ان تؤدّي سوى الى المشاكل.

2 – البؤس والجهل اللذان يُشكلان قدر الجزائريين المسلمين واللذين تزيد حدتهما لدى الإناث. هذه الحالة من المفروض أن تدفع المربّين الواعين الى تكثيف جهودهم حسب درجة تخلّف العنصر النّسوي.

3 – الطابع الثوري للكشافة في بداياتها الذي فرض علينا كحركة تربوية أن ننطلق في العمل وان نكرّس لهذا الواجب حبّنا وديناميكيتنا الشابة للكفاح ضد الاحكام المسبقة وتحمُّل مسؤولياتنا في هذا المجال.

4 – صعوبات المهمّة الناجمة اساساً عن التفاوت بين المسألة التي تطرحها تربية البنات بصفة عامة والإمكانيات الضعيفة المُتاحة لجمعيتنا التي يقع على عاتقها مع ذلك الانطلاق في هذه المهمّة التربوية.

التقديم ينتهي بخطّة العرض الذي يليه ويرتكز أساسا على ثلاثة محاور: التنظيم العام وتكوين القائدات، والتربصات التكوينية.

ب) - المبادىء المكونة لأساس البناء.

فيما يخص المبادىء المُشكّلة لأرضية البناء الكشفي الإسلامي الجزائري النّسوي، يبدأ مُحرّر الوثيقة بإخبارنا بانه لا يوجد أيّ تحديد في هذا المجال. ويذكرنا بأنه يكفي احترام المبادىء الكبرى القاعدية للكشافة، التي تُعتبر العامل المشترك بين الفرعين للذكور والإناث، في بلورة برامج التكوين.

ويرجو، مع ذلك، أن تُوجّه البرامج «نحو الحياة» مع أخذها بعين الاعتبار للمبادىء الأساسية. ثم يشرح هذه الصّيغة بضرورة الأخذ في الحسبان:

1) الواقع الجزائري؛

2) حاجيات المستفيدات من هذا التكوين.

3) بيئتهن.

يبّين على هذا النّحو النقطة الأولى من واقعنا: «إننا نعني بالواقع الجزائري، الجهل والفقر الذي يضرب أغلبية شعبنا، هذان الجرحان وما يتبعهما من البؤس ومن وفيات الأطفال، ومن الأوبئة، ومن الفوضى، ومن

التطيّر، وكل الاخلاص والتفاني اللذين يتطلبهما أي عمل هادف الى تقليص حدة الجراح.

أما في النقطة الثانية من الثلاثية، فيتحدث الكاتب عن عدة عوامل كفيلة بتحويل وجهة نشاطنا نحو اتجاه مُعيّن.

يجب قبل كل شيء توجيه تكوين أخواتنا وبناتنا بتحديد الحياة العائلية في البيت كهدف يجب تحقيقه خصوصا وأن مآلهن هو البيت العائلي. ثم يُصحح هذه النظرة المقيْدة للمرأة بالقول في محلّ آخر: «وهذا ليس معناه أننا نرى وجوب عدم السّماح لها بالقيام بدور اجتماعي». فالجانب التطبيقي، أي نشاط الأفواج النسوية، سوف يتخطّى بسرعة الحدود الضيّقة لهذا الدّور البيتي.

ودائما في إطار النقطة الثانية من الثلاثية، يُسجّل عقدة لدى البيئة أو الأسرة المسلمة يفسّرها «كنقص في إرادة الانتصار على الخجل الحاد أو كعجز عن تحقيق الذات بصفة كاملة» ويُسجّل في الأخير في نفس الإطار نتيجة مباشرة للجهل الشائع لدى أغلب أخواتنا جعل من «الدين يتحطّ عندهن الى درجة أنه لم يعُد سوى نسيج من المعتقدات الخرافية السافجة والمضرّة في غالب الأحيان».

اما النقطة الثالثة للثلاثية التي تتعلق بالبيئة، فلم تتعرّض لها الوثيقة مباشرة، ولكن تظهر بين السّطور في الرّكن الذي يحمل عنوان: «الفائدات» حيث يُؤكد الكاتب على ضرورة استقطاب ثقة الاولياء وإعطائهم جميع الضّمانات الاخلاقية المرجُوّة، كما تظهر ايضا في الخلاصة حيث يطلب من مؤسّسي أفواج الإناث ان يأخذوا في الحسبان ردود الفعل المحلية الممكنة الحدوث «إذا كانت الدّراسة المُنظّمة للبيئة أو المحيط السّائد غائبة، فهذا دون شك لأنها جارية عفويا في كل برامج التكوين الكشفي».

الى هذا الحدّ، لا يبدو على الوثيقة أنها، إذا أعدنا وضعها في سياقها، اغفلت، من جهة اخرى، الذكر بأن كاتبها يقترح التأكيد أكثر على مسألة تكييف البرامج وعلى الاحتياطات الواجب إحاطة النفس بها من النّجاح، وبأن نظرتها تركيبية واقعية تنطوي على دراية بالوسط.

- النظام العام.

يوجد في الوثيقة اقتراح بإنشاء «جامعة الرّائدات» المسلمات تكون فرعًا لجامعة الذكور. هذه الوصاية التي تبرّرها المساعدة المالية والمعنوية والإدارية والتقنية لهذه الأخيرة لصالح الأولى الحديثة النشأة التي تفتقر الى الخبرة، يجب ان تتقلّص تدريجيا بالتوازي مع تكوين وتطوير الإطارات للإناث. هذا البناء الهيكلي في قمة الهرم في الوقت الذي لا يوجد فيه شيء في القاعدة بدا لنا غير واقعي للوهلة الأولى. وفي فرع الذكور، لاحظنا عملية معاكسة، أي خمسُ سنوات من وجود جمعيات مستقلة لم تفكّر في الاتحاد في إطار جامعة كشفية إلاّ بعد كل هذه الفترة. فليس هناك إذن ما يدعو للدّهشة عندما تلاحظ ان هذا الاقتراح حتى في صيغته المُعدّلة بالطريقة المُشار إليها اعلاه من طرف الكاتب لم ير ابدًا النّور.

فيما يخص الباقي، يقال: «إن حركة المُرشدات المسلمات سوف يتم تنظيمها على منوال حركة الذكور، وإنها «سيكون لها مقرّ عام، وإشارتها وقانونها» وانها ستحمل اسم «جمعية المُرشدات المسلمات الجزائريات».

المقرّ العام لجمعية المرشدات المسلمات الجزائريات، مثله مثل الجامعة، لم يعرف النور أبداً. إلا ان الافواج النسوية لم تنْمُ كمًّا بالوتيرة المرجوة وانحصر نموّها فقط في بعض المراكز الكبرى حيث تتوفر الظروف الملائمة لنشاتها؟ نحن لا نضع في نفس الكفّة وجود مقرّ عام كان بإمكانه ان يلعب دور المحفّز والمُنسّق ووجود جامعة وُلدت قبل ميعادها.

- تكوين القائدات.

المنهجية المتّبعة في هذا الميدان «ستُمليها، حسب الوثيقة، الخبرة المكتسبة داخل منظمة الذكور». وهذا ليس لأنه يجب التقبل بصفة عمياء للسّيرورة المتّبعة من طرف هذا الفرع، بل فقط الاستفادة منها لتفادي الاخطاء والتعثر اللّذين اعترضا طريقه. الجامعة مدعوة للإحتياط ضدّ التأسيس الفوري لأيّ فوج «للمرشدات» قبل التكوين الجيّد للقائدات المؤهّلات لان الوثيقة تقول: إنشاء فوج باستعجال وإئتمان أيادي فتاة لا

خبرة لها عليه، فتاة لم تتلق تربيةً مُسبقا يُهيئها لممارسة مسؤوليتها كقائدة، يُعتبر حكمًا على الفوج بالعيش في حمول أو بأن يُصاب بالجمود ويتحوّل الى مدرسة لكل شيء إلاّ للكشافة».

من جهة أخرى، بما أنه من المفروض أن تكون القائدة قادرة على استقطاب ثقة الأولياء وإعطائهم كل الضمانات الأخلاقية المرجُوة، تبدو الوثيقة مُتشدّدة كثيرا على مستوى التوظيف.

تطبيقيا، تدعو الى اختيار الإطارات المستقبلية بدقة من بين الشابات المسلمات اللائي يتردّدن على المدرسة العربية والمؤسسات التعليمية الثانوية أو الجامعية، تقول الوثيقة: «الى جانب الضمانات الأخلاقية المطلوبة من القائدات، يجب أن يتمتّعن بمستوى ثقافي قاعدي حتّى يتمكنّ على الأقل من استيعاب المنهجية الكشفية ثم تطبيقها فيما بعد بذكاء داخل الأفواج التي سوف تُشرفن عليها».

وتنتهي الوثيقة بالتوصية أن القائدات المختارات بهذه الطريقة في مختلف المراكز، تجمعن في مخيّمات للتكوين تحت الإشراف الفعلي لقائدات الكشافة الفرنسية.

أمام الواقع الذي تطرحه هذه المجموعة من التوصيات والتي تعبّر عن واقعية وحكمة، سوف يكون توظيف الإطارات في المستقبل أمراً صعباً. لم يكن ممكنا أن تسير الأمور على غير هذا النحوّ في ظلّ ظرف يتطلب التوفيق بين المُتطلبات على المستوى النوعي ومستوى التعليم الذي كان ما يزال أقلّ تطوّرا منه لدى الذكور. في قسنطينة التي لم تكن تمتلك جامعة، تم التوظيف بصفة أساسية في المدارس العربية وبصفة أقل أهمّية في المؤسّسات الثانوية.

إن الروابط القوية بين جمعية الكشافة الإسلامية، من جهة، وجمعية العلماء من جهة أخرى، ووجود المُرشد العام بالمقرّ العام والمرشدين المحلّيين المكلفين بالتربية الدينية لدى الأفواج قد سهّلت التوظيف في المدارس العربية. لكنها طرحت مشكلة على الأقل بالنسبة للفتيات اللائي

لا يُحسن سوى اللغة الفرنسية. مع ذلك سوف يُذلّل الوقت هذه العقبة باحتكاك العناصر الناطقة بالفرنسية او بالعربية بعضها البعض، إضافة إلى سيولة الاستيعاب التي برهنت عليها.

هناك مسألة شائكة أكثر من الأخريات، وتتمثل في المشكلة المطروحة من طرف إدارة المخيّمات التي وُضعت تحت مسؤولية قائدات الكشافة الفرنسية. تظم المخيم الثاني من هذا النوع في تواحي تلمسان ولم يوضع تحت مسؤولية قائدة فوج عادية التي تُكّلف عادة بتلقين كفاءتها لزميلاتها المسلمات في المستقبل، بل كُلّفت به الآنسة «سوجيي»)مزيشثرا(أستاذة حائزة على شهادة الليسانس في التاريخ والسّاعد الأيمن للمفتش العام لحركات الشبيبة. إلا ان الشيخ البشير الإبراهيمي الذي زار هذا المخيّم الخاص بتكوين القائدات المسلمات لم يترك الفرصة تمرّ دون أن يسجل استغرابه لتكليف شخصية غريبة عن الحركة بكل هذا الثقل الذي تمثلكه وبدون حذر او احتياط بإدارة وتسيير المخيم. لذلك لم تتكرر هذه التجربة ابدا بهذه الصيغة. إن القائد العام، بمجرد ما بلغته مُلاحقات رئيس جمعية العلماء المسلمين أوقد فورا القائد جيجلي لمساعدة الآنسة سوجيي (Sugier). ولا داعي للقول بأنه استُقبل ببرودة من طرف المعنية بالأمر لأنها أصبحت مقيدة ولم تعد حُرّة في التصرّف حسب هواها مع القائدات.

على كل حال وطبقا لرأي المسؤول المكلّف بنشاطات الفوج القسنطيني، تحقق التكوين الفعّال للقائدات الى حدّ ما بفضل هذه المخيّمات التكوينية العابرة التي كانت تدوم فترة أسبوع فقط، لكن بمجهودات لا تعرف الكلل تُبذل بمواظبة داخل الفوج، وحتّى أثناء المخيّمات الصيفية أثناء العطل التي كانت تُنظم لنفس الغرض خلال شهر يُستغل في متابعة تكوين القائدات وتلقينهم أقصى ما يمكن من أسس التأطير الكشفي ووسط أجواء من التسلية والترويح على النفس. إن المسؤوليات التي كانت تُعطى للقائدات الناشئات، والتي كانت تتوسع تدريجيا سمحت لهن بالحصول على خبرة نضجت شيئا فشيئا، ومنها

تقرير المرشد العام المعاصر للوثائق السابقة الذكر والتي وردت في «نشرة الكشافة الإسلامية الجزائرية» العدد 14 الخاص بشهري نوفمبر وديسمبر 1946. هدفنا يتمثل في إعطاء فكرة دقيقة عن التوجّه العام الذي يرغب في صبغ التربية الدينية به.

لهذا الغرض، سنقتبس من التقرير التعريف الأصلي الذي حدّده لمفهوم الإرشاد. وننقله بكامله لأنه يُبرز صفة الرجل المتنوّر التي لجأنا الى استعمالها عندما ذكرنا أعلاه المرشد العام للجمعية.

– التعريف.

ماذا يجب أن نفهم من كلمة إرشاد؟ البعض يظنّ أنه يتمثل في تقديم تعليم عقائدي للدّين، اي تعليم الطفل سُوراً من القرآن والقيام بالصلاة، والاحاديث النبوية. ويقول آخرون أنه يتمثل في القيام بخُطب ودروس حول الدين وحياة الرسول ﷺ، ومناقب الرجال العظماء. أما البقية فإنها بعيدة عن الطريق الصحيح لانها بدلاً من القيام بتربية روحية وأخلاقية، فإنها تكتفي بإعطاء تربية دينية. الإرشاد يجب ان يعني صقل الروح وجعل النشاط قيما، وخلق حياة داخلية لدى الاطفال تبعث الوعي الاخلاقي فيهم. والذين لا يتصوّرون هذا المفهوم على هذا الشكل قد يتحولون الى معلمين وليس الى مرشدين. هذا التصوّر الخاطىء للإرشاد لا يمكنه ان يأتي بنتائج مُرضية. وقد برهنت التجربة بقوة على ذلك: «كم من مسلم متعلّم نراه حولنا يُتقن جيّدا تعاليم الإسلام، ويُهمل واجباته أمام الله والمجتمع؟ هذا الإهمال ناتج عن كونه تلقى تعليما وليس تربية».

10 - ميلاد فوج «بودرقة» بالبيّض

1 - شهادة بوعلام باقي مُرشد الفوج.

خلال شهر ديسمبر 1945، اتفقنا على تأسيس فوج للكشافة الإسلامية الجزائرية بالبيّض. القرار اتّخذ بعد تفكير عميق للقادة أبوعمران الشيخ، وابن سعيد محمد والمرحوم راشدي قادة وتيّون التجيني وأنا. الفكرة كانت تختمر في نفوسنا منذ فترة إذ الحركة الكشفية كانت موجودة في مدينتنا ولكنها كانت تابعة «للآباء البيض» (الكشافة الكاثوليكية)، وكنا نُريد فوجا مستقلا، تابعا لجامعة الكشافة الإسلامية بمدينة الجزائر. وكان علينا ان نتحرّك من الدّاخل والعمل في سرية بالاحتكاك بالشبيبة التي كانت تُمارس الرياضة وتهتم بالنشاطات الكشفية والعديد منا تردّد على هذه النشاطات سواء بطريقة مباشرة أو في إطار الرّعاية.

كنّا أبوعمران الشيخ وأنا مُدرّسيْن بمدرسة البيّض، هو كان عليه ان يُسيِّر الفوج، أما أنا فتكفلت بالتربية (الإرشاد)؛ وابن سعيد شغل مهمة قائد فريق الفتيان وتيّون قائد الجوالة، في البداية اجتمعنا في بيت أحد الأشخاص، ثم أصبح لدينا مقرّ ملك لعمّ أبوعمران الشيخ. أثناء العطلة السنوية، شرعنا في تهيئة المقر. ومن جهته توجّه أبوعمران الى تلمسان لزيارة القائد الجهوي الشريف عوشي، وعاد بتعيينه كقائد محلّي وبقوانين الفيدرالية، لتأسيس الفوج على أن يكفي تقديم التصريح بالوجود وإيداع القوانين الأساسية لدى الإدارة. بعد سلسلة من المشاورات مع أعيان المدينة، انشأنا لجنة احباب الفوج التي تكونت بصفة خاصة من حميتو محمد ولد قادة، رئيسا وبن عبد الواحد محمد مسؤول الخزينة وحمّو دحّو (الهاشمي) وتيّوت محمود ولعمارة محمد وآخرين.

اسم فوجنا هو «بودرقة» وهو اسم الجبل المُطلّ على المدينة؛ وعندما تمت التحضيرات لتدشين المقرّ والشروع في العمل، تدخّلت الإدارة العسكرية، وتمّ استدعاء القائد المحلّي ورئيس اللجنة. حيث

تصحتهما بالبقاء ضمن الكشافة الكاثوليكية مع الاحتفاظ بالاستقلالية الداخلية! وعندما رفضنا الإذعان تعرّضنا للتهديد. فأوضحنا أن فوجهما تابع للجمعية الجزائرية التي تملك الرّخصة العامّة، ولا شيء إذن يمنع نشاط الفوج. فسجّلت الإدارة هذه الحركة الجديدة دون أن تُخفي عداءها لها. فحضّرنا الرايات ودشّنّا المقر في اليوم المحدّد. لقد كان حدثا عظيما. إن الخروج الى التنزّه في الطبيعة المحاذية والاستعراضات في المدينة في كل خميس عند العودة من المخيّمات والاناشيد التي كان صداها يتردّد في كل مكان قد عودت السكان في فترة وجيزة على نشاطاتنا وانطلقت الحركة الكشفية الإسلامية إنطلاقة جيّدة وتلقاها مواطنونا بالترحيب.

احتفلنا مثلا بالمولد النبوي الشريف بأسلوب جديد، حيث نُظّم استعراض كبير تتقدمه الراية ورُفعت الألوية الصغيرة من طرف اعضاء الفوج (الفتيان والجوالة) والنشيد في مدح الرسول ﷺ انشدناه جماعيا (طلع البدر علينا...) وجالت الكشافة في الشوارع الرئيسية، تحت تصفيقات وتحيات الجمهور وزغاريد النساء... عدد من الشبان اقتربوا من الراية لتقبيلها سرّاً، ورشّنا السكان بالعطور؛ الأولياء اتونا بأبنائهم لتسجيلهم منذ هذه اللحظة وكانت ثقتهم كاملة في القادة وفي حركة الكشافة المرتبطة بثقافتنا ولغتنا وعقيدتنا. ثم اقيم حفل في المقر، حيث اعجب الضيوف بالرسوم على الجدران، والكتابات العربية: (آيات قرآنية، أحاديث، أناشيد، رسوم...)، وقدّمنا لهم مشروبات وحلويات، والقى قادة الكشافة كلمات وجيزة صفّق لها الجمهور، كما عُرضت مسرحيات اثارت إعجاب الجمهور منها «بلال»، مسرحية للشيخ محمد العيد، التي نالت نجاحاً كبيرا وعُرضت فيما بعد بالمشرية وعين الصفراء واستُحسنت كثيرا. وهكذا شهد فوج «بودرقة» بالبيض ازدهاره والتحق بنجاح بالعائلة الكبيرة للكشافة في بلادنا.

2 - شهادة القادة بالسعيد وتبون.

استقطب «الآباء البيض» في مدينة البيّض اغلبية الشبيبة المحلّية موفرين لهم كل وسائل التسلية في شكل رعاية وجمعيات رياضية ونشاطات مسرحية داخل حركة الكشافة الفرنسية (S. D.F) هذه الوضعية شجّعتها كثيرا الإدارة الاستعمارية آنذاك (1945) خصوصا وأنها كانت ما تزال إدارة عسكرية.

في خضمّ ذلك قرّرت مجموعة من الشباب الوطني تأسيس فوج من الكشافة الإسلامية الجزائرية. الاجتماعات الأولى بقيت سرّية لفترة من الزمن، الإخوة ابوعمران سي الشيخ وواشدي قادة وبالسعيد محمد وباقي سي بوعلام وتبّون التجيني التقوا مرارا لتنظيم الفوج الجديد، ترأس هذه اللقاءات سي أبوعمران، الذي تحمّل أكبر المسؤوليات سواء على مستوى الهياكل او على مستوى العلاقات الخارجية وازدهرت حركة الكشافة الإسلامية في البيّض (1945-1947).

الأهداف الأولى حُدِّدت: سي بوعمران الشيخ تكفّل بإجراءات الحصول على رخصة فوج الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج)، لدى الإدارة الاستعمارية والبحث عن مقرّ للشروع في العمل، ثمّ عُيِّنت الإطارات:

أبوعمران الشيخ: قائد محلّي.

محمّد بالسعيد: قائد الفتيان

التجيني تبّون: قائد الجوالة.

بوعلام باقي: مُرشد الفوج.

ولجنة المساندة اشتملت على: محمّد حميتو ودحّو الهاشمي ومحمد لعمارة ومحمود تيوت ومحمّد بن عبد الواحد. استلزم الأمر أن تجلب وتستقطب أكبر عدد ممكن من الفتيان الذين كانوا ينشطون لدى «الآباء البيض» والتوصّل إلى تأييد الشعب.

في بضعة أشهر، نجحنا في التغلب على معظم المشاكل واستقطاب تعاطف المواطنين بتنظيمنا لتظاهرات عديدة. وتمكن الجمهور لأول مرة من مشاهدة استعراضات لستين (60) فردا من الكشافة والجوالة بأزيائهم

الخاصة وهم يشدون أناشيد وطنية عبر شوارع المدينة بمناسبة المخيمات العملية والأعياد الدينية. وفي الطليعة، كانت راية خضراء تحمل رمز الكشافة الإسلامية صنعها الأخ بوعلام سلفي باهتمام خاص.

شاركنا في عدة مؤتمرات ولقاءات من أجل تكوين الكشافة والجوالة. لذا، شارك أربعة من كشافتنا الى جانب سي أبوعمران الشيخ في وفد الكشافة الإسلامية بالمهرجان (Jamboree) الذي جرى في 1947 بمنطقة (Moisson) بفرنسا. بهذه المناسبة اتخذنا مبادرة الحصول على خيمة بدوية من شعر الجمل بكل توابعها لعرضها بفرنسا، وحسب عناصر كشافتنا، شكلت هذه المبادرة نجاحا كبيراً بالنسبة لوفد الكشافة الإسلامية زارها عدد كبير من المعجبين بفضل اصالتها وطابعها الجزائري الخالص. وقام كشافتنا باستقبال الزوار من مختلف الجنسيات؛ وقدموا عروضا عن الجزائر وشعبها وثقافتها وتطلعاتها.

دام المهرجان شهرا، تنقل القائد ابن سعيد الى مدينة الجزائر لاستقبال الكشافة الذين كانوا عائدين على متن باخرة فرنسية تحمل اسم (Georges Leygues). برفقة الأمين الدائم لـ: (ك. إ. ج) ذهب الى رصيف الميناء ينتظر وصول الباخرة وترأس الشيخ البشير الإبراهيمي حفل عودة وفد الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) بعد نزول الكشافة من السفينة وتحرك الموكب نحو مقر الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) بسوق السمك (pêcherie) بحضور جمهور كبير وزغاريد النساء التي كانت تمتزج بالأناشيد الوطنية، في وسط الطريق تجمد الجميع في أماكنهم: ورأينا الشيخ البشير الابراهيمي على تلة ليرى الناس؛ فالقى خطابا ذا محتوى وطني كبير داعيا الناس الى اتباع تعاليم الإسلام وخدمة البلاد بإخلاص. أثناء هذا الخطاب ووسط الزغاريد، سمعنا ذكر أسماء كبار الزعماء الوطنيين لبلادنا.

وقبل المهرجان، نظم فوج «بودرقة» (وهو اسم فوجنا) تظاهرات مسرحية بالبيض وعين الصفراء، والمشوية عرفت نجاحا كبيرا، سمحت لنا بالتمكن من تحمل المصاريف الضرورية وانتقالنا الى عين الصفراء ثم عبر

مرحلتين: البيض – بوقطب (100 كلم) وبوقطب – عين الصفراء (170 كلم) وفي هذه المدينة الأخيرة وقبل بداية العرض الذي تمّ ليلاً، تظاهرنا في الشوارع بالأناشيد الوطنية والرايات الخضراء في جوّ عمّته بهجة مواطنينا وأمام أوروبيي المدينة الذين بدوا مُندهشين. الإخوة شامي من عين الصفراء وضعوا تحت تصرّفنا مسكنا لإيواء كشافتنا وجوالتنا الذين قُدّر عددهم بستين فردا. أثناء العودة جرى نفس الاحتفال بالمشرية؛ الجماهير كانت متحمسةً ومتعاطفة الى حدّ أن عددا منهم جاؤوا ليدعونا للأكل عندهم.

أما الإدارة الاستعمارية التي لاحظت نجاح حركة الكشافة وتأثيرها القوي فلجأت الى وسائل التهديد والقمع تجاه مسؤولينا منها تحويل وطرد الموظفين وسجن عدة جوالة، بحجة أن الاستعراضات كانت مظاهرات سياسية معادية للنظام الاستعماري! المهم أننا بالتزامنا القومي من خلال نشاط الكشافة الإسلامية، نجحنا في تلقين شبابنا وأطفالنا روح الواجب والتضحية من أجل الوطن؛ إنها الذكريات التي مازلنا نحتفظ بها عن كل هذه الأحداث وبقيت حيّة ومازلنا نتداولها بالحديث مرارا فيما بيننا.

محمّد ابن سعيد والتجيني نبّوت.

3 . شهادة الجوال صافي أحمد.

عندما تمّ اتّخاذ القرار من أجل إنشاء فوج الكشافة الإسلامية الجزائرية، تلقّى «الآباء البيض» في مقرّ الرعاية الحبر كفتيلة؛ فسادت البلبلة والفوضى؛ في وصلة عين تم جمع الكلّ لدراسة الوضع، «الأب» (Dutilleul) تحدّث بعصبية، ثم طرح السؤال الآتي للحضور: أنتم على علم بما يُحبك داخل «تنظيمنا»! فالذين يُريدون البقاء معنا فليبقوا جانبا؛ والذين يريدون الذهاب مع الفريق الآخر هم أحرار في الانصراف» اختارت الأغلبية – باستثناء ستة أفراد – الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج) فكانت القطيعة التامّة؛ وبعد التشاور، انعقد الاجتماع الأول بقيادة «الخمسة» بسيد الحاج بحوص في الهواء الطّلق بسبب عدم امتلاك مقر. ووعد القائد سي ابوعمران الشيخ بإيجاد مقرّ في غضون أسبوع، ووفى بوعده واستقر بنا المقام في محلّ عمّه.

II - شهادة: المرشد محمد الصالح رمضان

عضو الهيئة الإدارية العليا
للكشافة الإسلامية الجزائرية (BSMA) بالعاصمة

متى التحقت بالكشافة ولماذا؟

في اواسط الثلاثينات كنت طالبا في قسنطينة أزاول دراستي على العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس ومساعديه في الجامع الأخضر وفروعه (سيدي قموش، سيدي بومعزة، سيدي فتح الله). كنت أرى فرقا للكشافة الفرنسية بلباسها المميز، تجوب شوارع المدينة في العطل الاسبوعية، او في ضواحي المدينة وخاصة في العطلة الصيفية، ومع كل فرقة قائدها وهي تمشي بنظام وانسجام بقيادته ورعايته، وقد تنشد الأناشيد العذبة الجميلة على وقع اقدام ارجلها، فيزيد ذلك في لفت الانظار إليها والإعجاب بها.

أما في المخيمات الصيفية فلها أعمال ونشاطات أخرى مختلفة ترفيهية وعسكرية وغيرها. فيعجبني منها كل ذلك وأتساءل عن هوية الهيئات والمنظمات او الجمعيات المسيرة لهذه الفرق من الأطفال والفتيان، وما الفائدة من هذه الأعمال بالنسبة لنا نحن المسلمين الجزائريين؟ وهل في الإمكان الانضمام إليهم؟ أو العمل مثلهم مستقلين عنهم؟ وأسئلة أخرى كثيرة تراودني خصوصا عندما ارى مع تلك البراعم المتفتحة المرشد الديني: (الأبيض والأسود)؟!

فيخيل الي ان هذه الاعمال فخاخ ومصائد مسيحية تبشيرية، تسعى لاصطياد الأطفال المسلمين وغيرهم، بتلك الاعمال المشوقة لتلقينهم الديانة المسيحية، فاستريب في هذه الحركة الكشفية التي يشرف عليها راهب مسيحي ومن المبشرين خاصة!...

وأنا أعلم أن في الجزائر هيئات أخرى حبرية وغير خبرية لجمعيات تبشيرية فرنسية وإنجليزية كثيرة تربي وتعالج أو تحسن للأيتام المسلمين والفقراء المعوزين، وغايتها من ذلك ليس وجه الله ولا البر بالضعفاء والمساكين، بل تنصيرهم وانتزاع أعز شيء عندهم وهو الإسلام، واقتلاعهم من بين قومهم وعشيرتهم، وصبغهم بصبغة أخرى غير صبغتهم، فيخسرون أنفسهم ويخسرون قومهم، ورغم أن هذه الجمعيات والهيئات التبشيرية حرة مستقلة ليست حكومية، ولكنها تحظى بالدعم المادي والأدبي والتأييد الظاهر العلني والمساعدة والمساندة من الحكومة التي تزعم أنها لائكية لا تهتم بالشؤون الدينية!... كان ذلك هو رأي معظم الجزائريين الواعين في الحركة الكشفية من بداية الثلاثينات التي انتشرت فيها الحركة، لما يعلمون من مكر ومكائد الاستعمار الفرنسي الذي سلبنا كل شيء وكاد يقضي على جميع قيمنا ومقوماتنا، ولعله يريد بهذه الحركة اصطياد أطفالنا وتغذيتهم بألبان أخرى وأفكار أخرى تخرجهم من محيطهم، فيتشاون بعيدين في تربيتهم وتكوينهم عن قومهم ودينهم وأخلاقهم.

ومع ذلك كان يلتحق بهم أطفال وشبان جزائريون على استحياء، رغبا أو رهبا من أوليائهم، أو جهلا وغباء منهم بالمكر الاستعماري والخبث والكيد التبشيري الصليبي.

أول نواة للكشافة الجزائرية وفضل ابن باديس عليها:

ما راعني ذات يوم إلا وجماعة من الشبان المصلحين في قسنطينة يؤسسون جمعية للكشافة الجزائرية يوم 27 ماي 1936 برعاية وإشراف الشيخ عبد الحميد بن باديس، كان من بينهم السادة: بلعطار محمد وبلعموشي إبراهيم وبلوصيف عبد السلام وابن شعبان مولود وابن الجودي وابن تليس، ثم كونوا فوجا كشفيا باسم (فوج الرجاء)، وبعد أيام قرأت في جريدة (البصائر) لسان حال (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) نشيدا رائعا للشاعر الفريد محمد العيد تحت هذا العنوان: (نشيد كشافة الرجاء بقسنطينة) هذا بعض ما جاء فيه:

خضناك للمجد والعـــلا يا أرض نيهي على السماءْ
فنحن كشافة (الرجــاءْ) ونحن جوالـــة البـلادْ
إنـا على ربنـا اعتمدنـا إنا بتاريخنـا اعتددنـا
إنا على الناس قبل سدنا وسيد النـاس لا يُسادْ
(سرنا) لنا معقل حصين ونحـن جنـد لها أمين
(سرنا) لأبنائنـا عرين وهم ليـوث بها شدادْ
في عزمنا اليوم أن نُعيـدا تاريخنا الماضي المجيدا
ومن يكن عزمه شديـدا لابـد أن يبلغ المـرادْ[1]

فأخذتْ بروعة النشيد وسموّ معانيه وعذوبة ألفاظه، فنقلته وحفظته ورحت أتغنى به وأردده، وبعد أيام طلع نفس النشيد في مجلة (الشهاب) للشيخ ابن باديس، فعلمت وتحققت أن الشيخ راض كل الرضا على هذه الحركة ومؤيد لها، ولا استبعد أن يكون الشيخ هو الذي أشار على الجماعة أن تطلب من محمد العيد وضع نشيد لها. أو يكون هو الذي طلب منه ذلك، فغيرت رأيي السابق الذي كنت عليه في الكشافة الفرنسية، وقلت العبرة بالمسيرين لا بالحركة نفسها، خصوصا وقد تحقق لديّ أن الجماعة اتخذوا الشيخ ابن باديس رئيسا شرفيا لفوج (الرجاء).

هكذا التحقت بالكشافة الجزائرية في سنة 1936 بقسنطينة، وأعمال ذلك الفوج الفني (فوج الرجاء) الرائعة وتنامي أفراده بفضل تأييد ومباركة ابن باديس له وتزكية الشاعر محمد العيد بما نظمَ لهُ من شعر، وبدأت أعمال هذا الفوج تظهر، بخرج أطفاله بلباسهم الرسمي (الكشفي) يجوبون الأنهج والشوارع في نظام وانسجام بقيادة قادتهم وهم ينشدون بالعربية نشيدهم الجميل الرائع، فيلفتون الأنظار، ويدغدغون عواطف الشعب، ويبعثون فيه الحماس والحمية العربية والنخوة الوطنية. وكان مما ساعد هذه الأعمال والسماح لها بالظهور، وغض النظر عنها من طرف السلطات المحلية التي لم تكن قبل تسمح بها، تغيّر نظام الحكم في فرنسا، إذ تكونت حكومة اشتراكية يسارية باسم (الجبهة الشعبية: Le Front populaire) فتنفس الشعب الصعداء في عهدها، وبدأ يتنفس ويتحرك، وأصبح للعامل

بالخصوص والمواطن عموما كيان يذكر، فكانت الظروف مناسبة لظهور الحركة الكشفية الجزائرية. وغيرها من المنظمات والجمعيات والاحزاب في كامل الوطن، وكان من اجلّها واعظمها: المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي جمع كل الشرائح الجزائرية في كتلة واحدة للمطالبة بحقنا في الوجود، وتاسيس **حزب الشعب الجزائري** المطالب بالحرية والاستقلال.

انضمامي لفوج الرجاء: زارني ذات يوم القائد (عزوز بن عجيلة)، وهو من قدماء تلاميذ مدرسة التربية والتعليم الإسلامية، وكلمني في الحركة الكشفية واهميتها في تربية الأطفال والشبيبة الجزائرية، ورغب مني الالتحاق بهم وتدعيم صفوفهم فقبلت والتحقت بهم وشاركت في اعمالهم ونشاطاتهم كلها، ثم عينوني مرشدا دينيا لهم، فكنت أول مرشد لأول واقدم فوج كشفي بقسنطينة (فوج الرجاء) الذي يرأسه شرفيا الشيخ ابن باديس، وما يزال هذا الفوج إلى اليوم بنفس الاسم، ويعتبر من أقدم أفواج الكشافة الجزائرية. وبعد شهور تكون فوج آخر بالمدينة باسم (الصباح) واعلن عنه في الصحف، ووضع له الشيخ محمد العيد نشيدا خاصا به نشر في (البصائر) و(الشهاب) هذا بعض ما جاء فيه:

نحن كشافة (الصباح) المُجَلّى — نحن صُبابة الشباب المُعَلّى
يا (صباحا) لنا أغر تولّى — قيلَ هلاّ نعود من بعدُ هلاّ؟

يا (صباحا) لنا من الشرق لاحا — وغزا الغرب أفقه واستباحا
عد كما كنت مغنما ومراحا — ومفازا لنا وأمنا وظلاّ

نحن أبناؤك الكرام البُنُوّة — نحن فتياتك العظام الفُتُوّة
قد أخذنا من قوة الله قوّة — واعتصمنا بالله عزّ وجلاّ[3]

والى هذين الفوجين (الرجاء) و(الصباح) يشير الشيخ ابن باديس في نشيده المشهور والمعروف:

(شعب الجزائر مسلم — والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله — أو قال مات فقد كذب)

الذي ألقاه في احتفال (جمعية التربية والتعليم الإسلامية) بالمولد النبوي الشريف سنة 1356 هـ و1936م في (كلية الشعب) بقسنطينة، يقول فيه مخاطبًا تلاميذ مدرسته (التربية والتعليم) التي يرأس جمعيتها، ويشير إلى كشافة الفوجين (الرجاء والصباح) المشاركين لتلاميذ المدرسة في هذا الحفل البهيج:

(ربنا نشءٌ أنت (رجاؤنا) وبك (الصباح) قد اقتربْ
خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهبْ)[1]

وفي ذلك ما فيه من التورية الجميلة والتضمين البديع، والتحق بالفوجين كشافون جزائريون كانوا في الكشافة الفرنسية، وإلى هؤلاء يعود الفضل في إتقان التقنيات الفنية لكشافتنا الذين لم يسبق لهم التعرف عليها، واقترح عليّ قائد (فوج الرجاء) أن أضع نشيدًا يُعرّف بالفوج ويُنشد به يكون على لحن نشيد (نحن الشباب لنا الغد ومجده المُخلّد نحن الشبابْ) الذي يعرفونه ويحسنونه، فقلت أما يكفيكم النشيد الرائع الذي وضعه لكم الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة؟ قال: ذلك نشيد عام للعموم، وهذا خاص يُعرّف بالفوج ويشيد به، قلت لا بأس، ووضعت نشيدًا للتعريف بفوج الرجاء هذا مطلعه ولازمته:

نحن (الرجاء) طول الزمنْ كشافة في كل فنْ
والمرتجى في ذا الوطنْ كشافنا من غير منْ
(نحن الرجاءْ)

وبعده بعض أدواره:

لفوجنا سرٌّ نفيسْ: (عبد الحميد بن باديسْ)
كأن فيه مغنطيسْ يزجي الصفوف ويسوسْ

فرقتنا: (صلاح الدينْ) حاضرة في كل حينْ
لشبابنا قرة عينْ للرجا والمسلمينْ
(نحن الرجاءْ)[2]

وكثر أتباع (فوج الرجاء) خصوصا بعدما اندمج فيه (فوج الصباح) بطلب من عامة الكشافين وأعضاء الجمعيتين الإداريتين توحيدا للصف وتحديداً للهدف. ثم زدنا فصيلة ثالثة للفصيلتين السابقتين: (سرب بن باديس) و(فرقة صلاح الدين)، هذه الفصيلة هي (فريق الجوالة) للشبان الذين مرّوا على الفصيلتين السابقتين وتجاوزت أعمارهم الستُّ عشرة سنة، وأطلقنا عليها اسم (عقبة بن نافع) وتعيين لقيادة (فريق عقبة) الشاب النشيط المتحمس (رواق عمار) الذي يتعاطى دروسا عربية مسائية في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية، وانضم الى فريق جوالته كشافون آخرون كانوا في الكشافة الفرنسية فتدعم بهم (فريق عقبة).

وطلب مني قائد الجوالة وضع نشيد لـ (فريق عقبة) يكون على لحن (العُلا إنّ العُلا واجبات المسلم) ففعلت وهذا بعض ما جاء فيه:

نحن جوّالو الأميرْ	(عقبة بن نافع)
قائد العُرْب الشهير	في (الشمال) الأمنَع
نحن من نسل الألى	عبر مجرى الزمانْ
بعرْب وحط العُلا	من أشادوا (القيروانْ)
للعلا لا ننثني	لا ولا ننكو المثَلْ
في سبيل الموْطن	كلُّ مُرٍّ كالعسَل
كل غال سيهونْ	عندنا في الزَّمن
وليكن ما قد يكونْ	في سبيل الموْطن[4]

وبعد سنة أو أكثر من ذلك النشاط الدائب لهذه الحركة المباركة تكوّن فوج آخر بالمدينة هو (فوج الإقبال) بقيادة القائد (عبد الكريم منيع)، وكان مرشده زميلي في مدرسة التربية والتعليم الأستاذ (محمد الغسيري)، ووضع له شاعرنا الكبير محمد العيد نشيداً بطلب من هذا الفوج. هذا مطلع نشيده:

نفديك بالروح والبَدنْ	يا موطن الأشبالْ
فنحن في السر والعَلنْ	حماتك الأبطالْ
ونحن إنْ أعرض الزمنْ	(كشافة الاقبالْ)[5]

هكذا انتشرت الحركة الكشفية في قسنطينة بسبب الدعم والتأييد لابن باديس وأنصاره وأتباعه. كما انتشرت وذاعت من بعد في ارجاء الوطن بسبب رضى (جمعية العلماء ورجالها) عنها كالعقبي والإبراهيمي وتأييدها والتنويه بها في جرائدها، فلولا (ابن باديس والجمعية) لما انتشرت وذاعت، وقد كان الشعب يتوجّس خيفة من مكائد الاستعمار والتبشير المسيحي، وما الحقاد بقومنا ووطننا من خراب ودمار لقيمنا ومقوماتنا. وكان يرى ان الكشافة من حبائله او من مصائد المبشرين.

أهم ما قدمت للكشافة في قسنطينة:

انطلقت مع الحركة الكشفية (فوج الرجاء) بجميع فصائله: (الاشبال والفتيان والجوالة) اشاركهم في الأعمال الفنية وفي الاجتماعات والمخيمات والاحتفالات، لا ادخر وسعا كلّما كان لي فراغ من اعمالي في (مدرسة التربية والتعليم الإسلامية) التي لم تكن بعيدة عن مقر (فوج الرجاء) وبذلك تعرفت جيدا على الحركة الكشفية واهدافها ومراميها التي ضمنتها في كتابي (الحادي الفتوة)الذي وضعته خصيصا (لاشبال وفتيان وجوالة فوج الرجاء)، وهو عبارة عن مجموعة أناشيد وقصائد كشفية وطنية تربوية. وأجلُ عمل قمت به لها في الحقيقة هو التعريب الذي كانت في حاجة ماسة إليه. حتى تعربت تماما وتخلصت من الطابع الفرنسي، الذي كان سائدا في جميع أعمالها ومظاهرها. ومما ساعدني على ذلك تجاوب الكشافين وحبهم للعربية، ومعظمهم من تلاميذنا بمدرسة التربية والتعليم، او من تلامذتها القدماء، تابعهم في ذلك من لم يسبق لهم تعلم العربية خاصة الذين تكونوا في الافواج الفرنسية.

ومن مظاهر التعريب تلقين الاناشيد العربية مما تختاره لهم من اناشيدنا الوطنية الجزائرية مثال: شعب الجزائر مسلم، إشهدي يا سماء، فداء الجزائر روحي ومالي، جزائرنا يا بلاد الجدود، أرض الجزائر يا امنا، بلادي انا لا اهوى سواك، من جبالنا الخ... او ما تختاره لهم من الاناشيد الشرقية مما كان يصلنا من كتب وصحف، وخصوصا أناشيد (قليقل إخوان) التي

كانت أناشيدها مضبوطة اللحن بالنوطة الموسيقية، وساعدنا على تصويتها وتلحينها أفراد موسيقيون من جمعية (الشباب الفنّي للموسيقى العربية) مثل إبراهيم بلعموشي وعبد القادر التومي.

من أشهر تلك الأناشيد: موطني، عَلَمي، نحن الشباب لنا الغد، بلاد العرب أوطاني، كشاف هيا، عليك مني سلام يا أرض أجدادي الخ... كان لتلك الأناشيد فعل السحر في الشباب وفي كل من يسمعها، مما حبب إليهم اللغة العربية وحب الوطن. وكان الكشافون يتناقلونها عن بعضهم في المخيمات والملتقيات التي تجمع فرقا وأفواجا من خارج قسنطينة، وبذلك عمت وانتشرت، ومما زادها انتشارا وتعميما في الوطن تكوين (جامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية) ففي مؤتمراتها ومخيماتها العامة ينقل الكشافون عن بعضهم الأناشيد التي لم تكن عندهم.

وهكذا تظافرت جمعيات إصلاحية في قسنطينة هي: (جمعية التربية والتعليم الإسلامية، وجمعية الشباب الفني، وجمعية كشافة الرجاء) على خدمة الشباب والمجتمع ككل، ثقافيا وفنيا ورياضيا، حتى جاء ختم ابن باديس لتفسير القرآن الكريم سنة 1938، واحتفل به الشعب الجزائري وجمعية العلماء احتفالا بهيجا بالختم في الجامع الأخضر وكان الدرس الختامي خاصا بتفسير المعوذتين (الفلق والناس)، واحتفال في كلية الشعب تكريما لابن باديس وتعظيما للقرآن، وابتهاجا بضيوف القرآن. وكان تعاون القسنطينيين وتلك الجمعيات بالخصوص جليا في هذه الظاهرة الوحيدة من نوعها. وفي ذلك يقول ابن باديس في كلمة ختام حفل التكريم بكلية الشعب مخاطبا الجمهور ومشيراً الى تلك الجمعيات الثلاث بالخصوص:

كلمة الأستاذ الإمام ابن باديس:

«أيها الإخوان: الإسلام دين الحياة والعلم والفن، والحياة قوة وإيمان وجمال. والعلم يمثل القوة، والفن يمثل الجمال؛ وبهذا تحتفل بكم يا ضيوف القرآن جمعيات قسنطينة المحبوبة التي تمثل القوة والإيمان والجمال.

«أيها الإخوان: إذا كنت أستمد القوة والحياة فإنما أستمدها ممن أولوني شرف الثقة والإخلاص لديني ولامتي، وأخص بالذكر منهم الاسود الكبار، وهم إخوتي الأقوياء من رجال العلم الذين أجدني مهما وقفت موقفا إلاَّ وجدتهم معي كالأسود. وأما الأشبال الصغار فهؤلاء الأبناء الذين تشاهدونهم يحتفلون بكم الليلة. ولقد جاءت قسنطينة تحييكم بكبارها وصغارها كما تشاهدون، فذكراكم يا ضيوف القرآن خالدة، وهي منقوشة في قلبي لا تفارقني ولا تمّحي»[1].

في الهيئة الإدارية العليا للكشافة:

امضيت نحو عشر سنوات في الحركة الكشفية بقسنطينة، مع كشافة (الرجاء) وجوالة (عقبة) أعطيتهما كل ما أملك من جهد وفكر، أحببهما وانتفانى فيهما. وفي أكتوبر 1943 ارسلني رئيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الشيخ البشير الإبراهيمي مديراً لاول مدرسة للجمعية في غيليزان بعمالة وهران، ولم يكن في هذه البلدة حركة كشفية، فانقطعت للتعليم هنالك ولم أشتغل بالكشافة.

ثم عينتني (جمعية العلماء المسلمين) مديراً لمدرسة (دار الحديث بتلمسان) في آخر سنة 1945، وكانت (جامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية) – بعد ويلات الحرب العالمية الثانية واستشهاد القائد (محمد بوراس) – قد انقسمت الى جامعتين بسبب تدخل السياسة الحزبية فيها فانشطرت الى (جامعة تعمل بتوجيه حزب معيّن) و(جامعة غير متحزبة) كما هو الشأن في الكشافة عموما، فهي لا لا تتأثر بالتيارات السياسية ولا التوجيهات الحزبية.

وكان في تلمسان أحد قدماء الكشافة الجزائرية (السيد الشريف غوثي) من أصحاب الشهيد محمد بوراس. كان هو قائد ومؤسس (فوج المنصورة بتلمسان)، اتصلت به وكلمته في الحركة الكشفية بتلمسان فقال: «الكشافة هنا دخلتها سوسة السياسة (تسيست وتسوست) والسوسة كلما دخلت في شيء افسدته فتركت الكشافة وانا لا اريد كشافة يشرف عليها حزب سياسي.» قلت وأنا معك في هذا الراي لان الكشافة حركة تربوية تهذيبية سامية لا تخضع للتوجيهات السياسية وتقلباتها.

وكان الصديقان (محمود بوزوزو) و(محمد الغسيري) قد قبلا الأمر الواقع في الكشافة وانقسام الجامعة الى جامعتين: الأول مرشد عام للجامعة المتحزبة (SMA)، والثاني مرشد عام لغير المتحزبة (BSMA)، وكان الأخ (الغسيري) يخبرني بكل ما يجري في الحركة الكشفية بحكم الصداقة الوطيدة والزمالة القديمة بيننا، ويرغب مني الانضمام الى جامعته، فأجيته مرة: إن (فوج المنصورة) هنا ينتمي اليوم الى (حزب الشعب) ومرشده هو (محمد بابا احمد) المعلم عندي في (دار الحديث) وانا لا أحب التحزب في الكشافة، وقد تخلى عن (كشافة المنصورة) مؤسسها (شريف غوثي)، وعليه فلا يمكنني ان التحق بكم عمليا وانا في تلمسان وليس لكم هنا فوج تابع لكم يمكن ان أساعده.

وزارني مرة الأخ (محمود بوزوزو) الى تلمسان ورجاني الالتحاق بجامعته فقلت له: معذرة يا أخي لا أحب كشافة يشرف عليها حزب سياسي.

وفي أكتوبر من سنة 1953 عينتني (جمعية العلماء) مفتشا عاما لمدارسها بعدما كنت مفتشا جهويا بدائرة تلمسان مع إدارتي لمدرسة (دار الحديث). فانتقلت الى مركز الجمعية بالعاصمة، حيث مقر عملي الجديد في (لجنة التعليم العليا) التي انا عضو سابق فيها، ثم صرت عضوا في مكتبها الدائم مفتشا عاما للتعليم العربي الحر التابع لجمعية العلماء، أخرج الى التفتيش وأعود الى مقر اللجنة في مركز الجمعية.

هنالك احتضنتني جامعة الكشافة غير المتحزبة (B.S.M.A) التي يرأسها القائد العام الأستاذ (الطاهر التجيني) ويتولى الإرشاد العام فيها زميلي الأستاذ (محمد الغسيري)، وقال لي هذان الاخوان: الآن لم يبق لك عذر في البقاء خارج الكشافة، فمقر عملك اليوم بالعاصمة ومقر كشافتنا في العاصمة وبإمكانك الجمع بين العملين، ونحن بحاجة ماسة إليك، فقبلت. وعينوني عضواً إداريا في القيادة العامة لجامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية (B.S.M.A) ومحرراً في مجلتها (الحياة).

هكذا عدت الى الكشافة من جديد لكن في القمة هذه المرة لا في القاعدة وفي العاصمة لا في قسنطينة، أشارك في الأعمال الإدارية التوجيهية وغيرها

في (القيادة العامة) وأشرف على تحرير القسم العربي في مجلتها (الحياة) مع المرشد العام الشيخ العسيري، وأكتب فيها معه ومع الأديب الشيخ الحمناوي هالي، وهما عضوان أساسيان معي في المكتب الدائم للجنة التعليم العليا، أما القسم الفرنسي في المجلة فيشرف على تحريره ويكتب فيه: القائد العام للكشافة الأستاذ الطاهر التجيني وبعض القادة العربيين أمثال: بوعمران والجيحلي وابن محمود الخ... وقبل صدور العدد تجتمع هيأة التحرير من القسمين العربي والفرنسي لتنسيق العمل والنظر فيما يصلح للنشر مما يقدم للمجلة من مواضيع وما الى ذلك من تبويب وترتيب وتصليح الخ.

وقد أحضر المخيمات الكشفية في المواسم والعطل الصيفية التي تقام في العاصمة ونواحيها، وقد شاركت في تمثيل جامعتنا الكشفية خارج الوطن في (مهرجان الشباب والطلاب العالمي) الذي عقد (بفرصوفيا في بولونيا) سنة 1955 ضمن وفد فيه: الأخضر الدومي وابن محمود وعلي خياري والحمناوي هالي وغيرهم.

أما (مخيم الكشاف العربي) الذي وقع قبل ذلك في القاهرة سنة 1953 - وقد كنت معينا فيه - فقد حرمتني السلطات المحلية في تلمسان من المشاركة فيه بعدم إعطائي جواز السفر.

ولعلني أول من أرخ للكشافة في الجزائر قبل: (درويش وقداش ومحمد فارس)، فقد كتبت مقالين مسهبين في عددين متواليين من مجلة (الثقافة) الجزائرية: (69) و(70) في بداية الثمانينات، وقبل ذلك كنت عرّفت بالحركة الكشفية في الجزائر في تصدير لكتابي (ألحان الفتوة) في الأربعينات، وتكلمت عنها قبل وبعد ذلك مظهراً قيمتها ومزاياها لشبيبتنا في بعض الملتقيات والمخيمات.

وفي ختام شهادتي هذه أرجو وآمل أن يكون هذا العمل الجماعي المشترك في كتابة (تاريخ الكشافة الجزائرية) عملا جاداً بناء موفقا وموثقا بالوثائق الرسمية، ومدعما بالشهادات الحية مكتوبة بأقلام الذين شاركوا في تشييد هذا الصرح التربوي وتثبيت دعائمه وتوطيد أركانه، وان يكون

قد وضح الطريق الصحيح المؤدّي إليه. فهذا العمل الجماعي قبل وبعد كل شيء هو أفضـل وأجَلّ من الأعمال الفردية مهما بلغت من الكمال والجدية والموضـوعية، فالجماعة غالبا لا تخطىء ولا تتفق على ضلال، والله هو الهادي لما فيه الخير والصلاح.

محمد الصالح رمضان

الهوامش

(1) مجلة الشهاب الجزء (6) المجلد (12) عام 1936.

(2) مجلة الشهاب جزء (1) مجلد (14) عام 1937.

(3) انظر: تحية المولد الكريم في الشهاب ج(4) م(13) عام 1937.

(4) انظر: ديوان (ألحان الفتوة) الطبعة (3) ص (73).

(5) نفس المرجع (ألحان الفتوة) الطبعة (3) ص (87).

(6) مجلة الشهاب ج(3) م(13) عام 1937.

(7) مجلة الشهاب ج(7) م(15) عام 1939.

القسم الثاني: شهادات

12 - شهادة القائد حطاب حسناوي مبارك (الحراش) حول المؤتمر التأسيسي جويلية (1939)

حضرت المؤتمر التأسيسي بصفة كشاف حرّ إذ لم يكن في الحراش فوج منظم للكشافة الإسلامية ورافقني عدد من الكشافة الاحرار منهم معالي محمود وحداد العربي (المعروف بالعربي السكيكدي)، جادر محمد وتملغغت عبد الرزاق وهو أكبرنا سناً. وسبق لنا أن شاركنا أحيانا في نشاط فوج «الفلاح» (بالعاصمة) وخاصة في بعض مخيماته التي كانت تنظم في نواحي الحراش. كان آباؤنا على علم بذلك وشجعونا على الالتحاق بنشاط فوج «الفلاح»، وتعرفوا على الحركة الكشفية بفضل «نادي الترقي» الذي كانوا يترددون عليه في العاصمة ويلتقون فيه مراراً بالرئيس بوراس. وأشار عليّ والدي أن أتصل بالكشافة، وهكذا تم التحاقي أنا وبعض الرفاق بفوج «الفلاح»، الأمر الذي سمح لنا بالمشاركة في المؤتمر ضمن فرقة خاصة أشرف عليها القائد «قدور» من العاصمة.

انعقد المؤتمر في الحراش بفضل مناضلي الحركة الإصلاحية بإشراف الشيخ الطيب العقبي ممثل جمعية العلماء، أذكر منهم السادة:

1 – حطاب العربي (رئيس شعبة الإصلاح بالحراش) وهو والدي.

2 – الحاج معالي محمد (نائب رئيس الشعبة) وهو والد معالي محمود.

3 – بوعبيسة أحمد (عضو في الشعبة).

4 – سماوي (تاجر) من أنصار الشيخ بيوض (ميزابي).

5 – صحراوي أحمد (صديق بوراس) وهو الذي أسس فوج الكشافة في الحراش فيما بعد.

كانت هذه المجموعة تموّل المؤتمر بالخبز والخضر وغير ذلك وكان دعمهم المادي والمعنوي فعالا جداً. وتفرغ القائد بوراس ورفاقه كلهم

لتنظيم المخيم وتسيير المؤتمر. وهذا ما يفسر انتخاب البعض من الخمسة المذكورين أعلاه في المجلس الإداري للكشافة الإسلامية في نهاية المؤتمر (جويلية 1939):

- الحاج محمد معالي.
- صحراوي أحمد وسماوي...

وبعد اعتقال الرئيس بوراس وإعدامه (مايو 1941) اعتقلتهم الإدارة الاستعمارية لأنهم كانوا مخلصين له ومسؤولين معه عن الكشافة الإسلامية. وسمعت من والدي فيما بعد أن «مؤامرة» وقعت في المؤتمر وكاد القائد بوراس أن يبعد من الرئاسة وتسبب فيها بعض الأفراد، ولكن الأمور عادت الى مجراها بعد وصول فوج سطيف بقيادة السيد الحسن بلكيرد وأفواج أخرى، وتم انتخاب القائد بوراس رئيساً لجمعية الكشافة الإسلامية الجزائرية، واكد صحة ذلك القائد القشعي محمد (تيزي وزو) في مذكراته (سنة 1997 ص 24). والجدير بالذكر أن الذين لم يرضوا بانتخاب القائد بوراس رئيساً قد انسحبوا من الجمعية شهرين فقط بعد عقد المؤتمر.

تنبيه: تولى القائد حطاب عدة مناصب في الحركة الكشفية الإسلامية منها قائد الاشبال في فوج «الأمل» (الحراش) ثم رئيس هذا الفوج وبعد ذلك عيّن رئيساً للاقليم وصار عضواً في القيادة الوطنية.



المؤتمر التأسيسي للكشافة الإسلامية الجزائرية
لافيجري - الحراش - 1939.

القسم الثالث

مقالات متعلقة بالكشافة

01- ابن محمود (م).

02- أبو عمران (ش).

03- رمضان (م. ص).

04- بوزوزو (م).

05- جيجلي (م).

06- التجيني (ط).

07- تكريم الشيخ عبد الحميد بن باديس.

القسم الثالث: مقالات متعلقة بالكشافة

01 - مقالات محمود بن محمود
قائد وطني للكشافة الفتيان

1 - للأزمة الجديدة تقنيات جديدة:

اتذكّر زيارة قائد قديم الى فرجنا، قد اذْهلنا بمعارفه التقنية المتعدّدة نحن الذين كانت تنقصنا الدّراية بهذا الميدان والمهارة المدهشة التي كان هذا الشيخ الذكي ذكاء القائد المحنك يضع بها سلسلات من العقد، وسرعته في إرسال برقيات «بالمُورس» تركت الاعجاب به في اذهاننا، وكان قادتنا لطفاء إزاء ضيفنا؛ كان أيّ ملاحظ قادرا على الشعور بأن هذا اللطف ينمّ عن شيء من الاحترام، فإن شيخنا الخبير يُحسن العناء وربط العُقد، الَمْ يكن هذا هو الكمال بعينه؟ كنّا آنذاك في سنة 1938.

يبدو ان هذا التذكير اليوم بدون أيّة فائدة، لو لم أضف إليه الاحترام الكبير للتقنيين وللتّقنية، والذي كان بمثابة الاتجاه الأتي لدى الأغلبية الساحقة من الافواج. وحتّى اقترب اكثر من الحقيقة، سأوضّح في ذات الوقت بأنه خلال هذه الفترة البطولية للكشافة الإسلامية في الجزائر، إنّ تنمية جسد الطفل وتربيته الدينية لم تكن مهملة أبداً، وهكذا ظهرت تقنيات جديدة منها: «المُورس» والعُقد والتوجيه وعلامات الاقتفاء (Piste) وكان لها تأثير على الكشافة والقادة، وجاذبية لا تُقاوم؛ فالكشاف البارع كان قبل كل شيء ذلك الكشاف الذي يمتلك هذه التقنية.

جاءت الحرب، وبعد انتهائها اجتاحت البلاد موجة من التحوّلات والاختراعات وإعادة النظر في القيم، صمدت كشافتنا رغم حداثتها بعدما فقدت عدداً كبيراً من القادة في الحرب وواصلت طريقها على غرار الحركات الشبّانية الأخرى.

انقطع النقاش الخاص بهذا الموضوع فترة من الزمن.

واستسمحكم الآن لنترك هذه اللمحة التاريخية للمفاهيم المتتالية لكلمة: التقنية الكشفية، كي نمرّ الى المسائل العديدة والمعقدة التي يطرحها مجتمعنا المسلم على نفسه، مع الإضافة فورا بأنه يوجد – حسب رأيي – ارتباط متبادل أكيد بين هذه المسائل. لأنه إذا كان من واجب الكشاف أن يكون مفيدا ويسارع في تقديم العون الى الآخرين كما ينصّ على ذلك القانون، فإن معرفته الكبيرة بآلام الآخرين لها أيضا أهمية مطلقة. ومن جانب آخر، إذا ربطنا الكشافة كحركة بالفعالية الاجتماعية، لا أفهم كيف يستقر مسؤول عن الكشافة الإسلامية (BSMA) حيثما شاء في برجه العاجي دون الانشغال بالحالة المعنوية والمادية للمحيطين به.

نظرا لهذه الاعتبارات، أصبح لا يخفى على أي قائد وأيّ جوّال: أن بعض المشاكل المعقدة المذكورة أعلاه لا تزال مطروحة بحدة بالغة، وكلها تتطلب اهتماما كبيرا من أجل الاعتناء بحال العديد منها: كتربية الفتاة المسلمة وحرية المرأة، ومحاربة الأمية والانحلال الاخلاقي عند طفولتنا المهملة، واضيف الى هذه السلسلة من العيوب – لو لم أخش اتهامي بالترمت – سوء الذوق في مجال الهندام الذي يخفي سوء الخلق عند كثير من الشبان.

رجع بعض المسؤولين بعد العفو العام والتحقوا بالذين تخرجوا من جمعيتنا فنظموا لجانا تقنية ومن جديد انحصر النشاط في تكوين «عقد أطراف الكلب او الضفائر». عفواً عن تقديم هذه المصطلحات الغريبة التي كادت تسود سيادة «القانون والأنبياء» في تلك الفترة.

غير أن بعض القادة الذين التحقوا في وقت متأخر بالكشافة، وآخرين حرصوا على الانسجام مع عصرهم، وكانوا يبدون إزاء هذه التقنية نوعا من المعارضة. واعتبر بعضهم أنها أصبحت قديمة، وبعضهم الآخر رأى انها تتسبب في عزل الكشافة عن عامة الشعب. وهكذا برزت تصوّرات جديدة وأفكار أكثر تطابقا مع ذلك الوقت.

وظهرت أفكار أخرى مشابهة للسابقة، بل هي أكثر جدةً، كانت تتفاعل داخل الحركات المماثلة لحركتنا، خصوصا في فرنسا. عدلت اللجان التقنية برامجها، واجتهد المسؤولون في وضع وسائل جديدة لاستقطاب الجوالة. كما اقترحت نشاطات جديدة أكثر جاذبية وأكثر ملاءمة مع إمكانيات وأذواق الساعة، وبعبارة وجيزة، كان الهدف المنشود هو تحقيق الانضباط وبعث حب المغامرة والمخاطرة في نفسية كل عنصر، إضافة الى حب الدراسة في إطار الكشافة.

وتتبع كثير من القادة باهتمام وتعاطف هذا المجهود نحو التقدم، بدوافع مختلفة، وتدارس بعض القادة من جديد المسألة على ضوء المتطلبات الجزائرية والإسلامية، وهناك من طبّق على سبيل التجربة ما كان يبدو له أنه الأفضل. وهناك أيضا من اكتفى بالبقاء ضمن الصيغة القديمة، كل هذا تمّ في إطار خط حركة شبانية، بحثا عن توازن يبعث أحيانا على القلق.ولم يقارن النتائج بصفة جدية، لأن المسألة التقنية تحت تأثير الطوارئ الخارجية تقلصت أهميتها الى حد بعيد.

هل يحق للكشاف أن يجهلها او يذكرها أثناء نشاطه؟ والجواب من طرف الذين يتميّزون بالحكمة والرزانة يلفت نظرنا الى تعقيد العملية التربوية والى ثقل العبء الذي سيسقط على كاهل الكشاف إذا أدرجناها في برامجنا، لكن الوضعية مُستعجلة. فعلى كل الشباب بصفة عامة والكشافة بصفة خاصة أن يكرّسوا جهودهم في أقرب الآجال، لبناء صرح كشفي شديد الأوصال بطريقة رشيدة ودائما في إطار اهتماماتنا التربوية والتربوية الخالصة.

إذن واستنادا الى اطّلاعنا على وضعيتنا الاجتماعية ومعرفتنا بإمكانياتنا، ألا تكمن مهمّتنا في نحوكتنا وابتعادنا عن التقنيات التي لا طائل منها؟ ألا تكون قد أدّينا واجبنا الكشفي بصورة أفضل على هذا النّحو؟ الى أيّ مدى يجب علينا التخلي عن التقنية القديمة؟ بماذا نعوّضها؟ كيف نكيّف هذه العناصر الجديدة مع مختلف أعمار أبنائنا وبناتنا؟ تلك أسئلة كثيرة

وحسّاسة من واجب قادتنا أن يجيبوا عنها. النقاش مفتوح، لأن الوقت قد حان للخروج بصيغة واضحة وبتقنية قابلة للترقية والتّحسين، ضمن فيدراليتنا على ضوء تجاربنا؛ حان الوقت أيضا لتُعطي غذاءً طيّبا لشبابنا، وتفتح لهم الآفاق المُثيرة وتساعدهم على البناء بطريقة عقلية في إطار اهتماماتنا التربوية.

مُهمتنا اليوم تكمن في تقبل الحقيقة الآتية: لأزمنة جديدة تقنيات جديدة، وإذا نجحتُ بهذه السطور المتواضعة في بعث صدى لدى قادتنا والمتعاطفين معنا، أكون قد بلغت غايتي. عملنا هذا يهمّ قادتنا دون شك، كما يهمّ كبارنا وشبيبتنا. فليفكر كل واحد منهم في ذلك إذن، وليفكر المرتابون في الأمر كالآخرين. وليتأمل كلُّ واحد في الأخير ما قاله مونتيسكيو: «لإنجاز الأشياء العظيمة، لا يجب أن نكون فوق الناس، بل يجب فقط أن نكون معهم».

«الحياة» - السلسلة الجديدة عدد: 03 - 1949.

2 - الكشافة والحياة:

في نهاية السنة يحضّر كل تنظيم يحترم حصيلته السّنوية. في حركة كحركتنا، تُعدّ الحصيلة أكثر من ضرورية، ولا تقتضي رغبتي في إنجاز الحصيلة السنوية الخاصة بنشاطاتنا، لكن مهما كانت رغبتي في عرض أبرز أحداث السنّة الماضية، سأمسك عن ذلك، لأن أصوات القائد العام أو نائبه قادرة على هذا العمل بمصداقية أكبر. سأكتفي هنا بإعطاء بعض الانطباعات الشخصية التي تُمليها عليّ تجربتي القصيرة في ظل حياة الكشافة، وهو في الحقيقة عمل يشبه نوعا ما قائمة الحصيلة السنوية.

شعرنا أثناء وبعد مؤتمر سطيف، بالتّجاوب الكبير مع حركتنا في البلاد، قال قادة الأفواج بقوة بأنّ فكرة حركتنا الكشفية تستقطب أكثر فأكثر تعاطف المخلصين في هذه البلاد، كانت القيادة العامة مقتنعة بكل

ذلك، لكنها ارتاحت مع ذلك ارتياحا كبيرا للأخبار المماثلة التي أتى بها المسؤولون المحليون الذين كانوا يوميا على اتصال بأصدقائنا الكشافة (BSMA) في مختلف أنحاء الجزائر، لقد كان ذلك ارتياحا حقا، لكنه يبعث على القلق.

نعم القلق، لأنه عندما تُمنح لك ثقة عدد كبير من أرباب العائلات والأصدقاء، فذلك يعني أنك مسؤول أمام الله والناس عن تكوين الأطفال الذين ائتمنت عليهم. وكذلك أمام البلاد عن توجيه هؤلاء الفتية، لذا نحن مضطرون لأن تكون في مستوى الثقة التي وُضعت بها، لنطرح عدد من المشاكل لتفادي الفتور والانحلال في النوم اللذيذ اللذين يُهدّدان كلّ تنظيم.

نسأل في المقام الأول وبكل إخلاص، هل لوجود الكشافة ما يبرّره في عصر الذرّة الذي نعيشه؟ هذه الحركة التربوية التي تأسست في زمن تحت سماء أخرى، هل هي قادرة اليوم على المساهمة في بناء عالم جديد نريده، هذا السؤال الذي نطرحه يتميز بالحيوية ويجعل القارىء مقتنعا بأنه ليس تكتة لا يستسيغها الذوق أو مجرّد زخرفة كلام، نريد قبل كل شيء أن نكون واقعيين، وإن كان صحيحاً أن الكشافة لا تجدي نفعاً على المجتمع، فمن الأحسن إذن أن نوقف نشاطنا فوراً ونرى من واجبنا أن نجيب على السؤال بوضوح إثر معالجتنا المسألة بصفة دقيقة.

إن الكشافة حركة ضرورية حقا للجزائر في مجملها وللجزائر المسلمة بصفة خاصة، ما هي الحاجة الماسّة بالنسبة للمجتمع المسلم؟ إنه في حاجة الى مواطنين واعين بواجباتهم وحقوقهم والى مسلمين مقتنعين بضرورة النهضة الإسلامية والإصلاح، والى شبيبة قادرة على إبداء رأيها والقيام بمبادرات فعالة، والعيش في جو تسوده الأخوة. ألم نجد في هذه المتطلبات المشروعة الأهداف التي ترمي الكشافة الى إنجازها؟

يمكن الاعتراض بأن هذا الاستدلال إنما هو لون من ألوان الإثبات لا أساس لها. أنا قائد كشفي وهذه الصفة تكفي لتجعل مني في هذه المسالة حَكَماً وطرفا في نفس الوقت. ولذا فستستنجد بجميع الشبان الذين

مارسوا النشاط الكشفي ثم تركوه، كلهم او جلهم يعترفون بأن المنهاج الكشفي قد ساعدهم على نمو شخصيتهم، ويقرّون بأن الكشافة قد غرست في اذهانهم الشعور بالمسؤولية والتنظيم ويطيب للراشدين انفسهم ممن يُعربون عن اهتمامهم بنشاطاتنا ان يُثنوا على فعالية مناهجنا التربوية. إن عدد هذه الشهادات وصدقها كفيلة بصحة نظرتنا.

إذا كانت الكشافة ضرورية لمجتمعنا فإنها تطرح علينا إشكالية المنهاج ومسالة العلاقات بالجماعات (المحلية) وجميع الشباب.

كررنا كثيرا فيما يخصّ المنهاج، بأنّ الكشافة بحاجة الى الحفاظ على انسجامها مع عصرها. لذا لا احد يُلزم بأن يتبع منهاجاً من المناهج اتّباعاً سلبيا؛ بل يجب تكييف هذا الاخير مع الظروف المحلية، وإن كانت المبادىء العامّة تقبل من طرف الجميع، تطبيقها يبقى تحت تصرف القادة العاملين لشهادة الكفاءة حسب الانظمة.

لكن سلطة التقدير والبتّ في هذه الأمور التي يتمتع بها القائد المسؤول قد تؤدي بالكشافة الى الضياع. سأشرح ذلك: المخيّمات التي يتكوّن فيها المسؤولون تتميّز بنوع من الأوروثوذكسيّة كرستها تقاليد الكشافة. المتربّص يتعلم فيها اسلوب حياة خاص: يبذل قادة المخيّم قصارى جهدهم بالطبع في التنويه بالتفاني والإخلاص الضروريين للقائد كي يؤدي مهمته، وهكذا يحسّ المسؤولون المقبلون بعظمة المهمة التي تنتظرهم. فيشعرون بأن لديهم رسالة ويحصل عندهم بالتالي الوعي بقيمة مجهوداتهم. هذه الحالة النفسية تعتبر حافزا ثمينا، بالتأكيد، لكنها في الوقت نفسه هي عائق عندما يتعلق الأمر بالاتصالات البشرية، لان هذه الحالة تخلق في الشخص الشعور بالانتماء الى النخبة، وهكذا قد نقع في الاخطاء بسبب عزة النفس وفقدان الشعور بالتيار الجديد، إنه حاجز كبير يفصل إذن القائد عن كل الأشياء التي لا تنتمي الى الكشافة، وشيئاً فشيئاً، تنفجر فكرة النضال ويتقلّص عدد اصدقاء الكشافة ونصل الى التناقض الآتي: يصبح «القائد الجيّد سببا حقيقيا في انهيار الفوج» ولو تمّ ذلك بدون وعي منه.

هل يجب اللجوء الى التنازل والتخلي عن الإيمان بمهمته كقائد؟ بالطبع لا، ولكن يجب الا نطغى علينا صفتنا الكشفية حتى لم نعد نشعر بوجود منظمات رياضية وثقافية وسياسية ودينية تحيط بنا لها نشاطات معبدة هي الأخرى محترمة كنشاطاتنا. من واجبنا أن نطلع على كل شيء ونفهم تطلعات الجميع، واضيف بأنه علينا إثراء انفسنا فكريا واخلاقيا باحتكاكنا مع كل الناس واشعاع شخصيتنا لنبرهن بذلك على قيمة تكويننا الكشفي.

قلتُ أعلاه، بأن ضرورة الممارسة الكشفية طرحت علينا مشكلة العلاقات مع الشباب. ولعلّه من الأصحّ أن نتحدث عن إيجاد حلّ للمشاكل التي يطرحها تنوّع المصادر المعرفية التي ينهل منها شبابنا. هناك تنوّع ثقافي، وهذا واقع لا مفرّ منه، بين شبابنا الذي يتعلّم في الزيتونة، في معهد ابن باديس، في القرويين، وفي الثانويات او الجامعات وبصورة أبسط، فلنقل: إن هناك شابا يتعلّم بالعربية وآخر بالفرنسية. وينجم عادة عن هذا الواقع اصطدامات، فما زالت سائدة الى اليوم ظاهرة تتمثل في أن الجزائري المتعلّم بالفرنسية يرى في أخيه ذي الثقافة العربية كائنا عاجزا عن مواكبة تطور العالم الحديث، وثقافته لا تتعدّى عالم الشفوية البالي، وبعبارة موجزة هو عنصر غير منسجم مع عصره وغير صالح للتكيّف، ومن جهته لا يتردد المثقف بالعربية في توبيخ هذا «المتغرّب» لعدم تدينه وانغلاقه في وجه جمال القيم التقليدية للغة العربية والحضارة الإسلامية.

وهكذا وجدنا انفسنا إزاء تصوّرين مختلفين، لثقافتين وشكلين في مجال التفكير يتصارعان عبثا. إنها حالة تعصبية تسير لحسن الحظ الى الزوال. لكن، وللأسف، يحدث أحيانا أن نبرز في تحفظات هؤلاء وأولئك، تحفظات تعرقل الفهم والعمل المثمر. أليس من مهمة الكشافة الإسلامية في هذا الظرف أن تكون بوتقة تذوب فيها الخلافات؟ ألا يقع على عاتقها هذا الواجب النبيل في أن تكون حافزا لا غنى عنه أو ببساطة دافعا لانصهار هاتين الثقافتين؟ المشكلة خطيرة، لهذا يجب الا نخفيها.

على الحركة الكشفية أن تقوم بهذه العملية المنقذة على أحسن وجه، إنها تتجاوز حاليا إمكانياتها، لكنها تكتسي حسبما يبدو، مظهرين الى حد الساعة: الأول من صلاحية القادة، والثاني من اختصاص الأفواج.

على القائد أن يُعمّق باستمرار معارفه؛ يجب عليه أن يتثقف، وأن يفهم الإسلام والتيارات الحديثة التي تحركه؛ وعليه أيضا أن يحصل أكثر فأكثر على المعلومات والأخبار ثمّ يتخذ موقفاً بعد إمعان النظر فيه لكي ينشر إشعاعه في المجتمع.

وإذا تمكن القائد، وهو يعيش كلّية مثله الأعلى الكشفي، من أن يُصبح قُدوة ويُسهّل تحقيق مجمل الغايات التي تحدثنا عنها آنفا، تتوفر لدى الفوج إمكانيات أوفر منها عروض الفن المسرحي والمشاركة في الاحتفالات الدينية والثقافية، وتنظيم محاضرات أو مناقشات عمومية حول هذه المسائل يمكنها – بل من الضروري – أن تُنتج تبادلات لوجهات النظر نفاهما أوفر. ليست الكفاءات والإرادات الطيّبة نادرة داخل لجان احباب الكشافة الإسلامية. لماذا لا نلجأ إليها؟ وكم من تجارب أخرى يمكننا أن نحاول إجراءها.

نتمكّن من القيام بعمل نافع وخاصة بفتح أبواب المحيط أمام كشافتنا لتلهمها الرغبة في تحديد نشاطاتها وتوسيع نطاقها. ان المخاطر تحيط بها وتهددها إن لم تتدرّع بالاحتياط. وإن قدرت الظروف أن يصبر قادتنا على السير في طريق المحافظة الضيّقة فان ذلك ينذر بخمول حركتنا وتحولها شيئا فشيئا الى مومياء.

حذار إذن من التحيّز والتحزّب ومن الاحترام المبالغ فيه لتقاليد الكشافة، يجب علينا أن نتحاشى المعارضة بين مبادىء الكشافة ومبادىء الحياة، بل نسعى لصهرهما في بوتقة واحدة، ويجب علينا بالخصوص ان نحرص على أن تبقى فكرة حميدة من الافكار الكشفية سارية المفعول، تلك الفكرة التي يرجع فضلها الى مجرد كونها ترمي الى خلق جوّ عالم الشباب يسود فيه التفاهم والاحترام المتبادل، وهذا فضل لا يستهان به في الظروف الحرجة التي نعيش فيها.

الحياة 1951.

3 - في بلاد الفراعنة،

لا يمكن للاسفار ان تكون دون فائدة، فهي تنفع على الاقل بسماحها للرّجال ذوي الإرادة الطيّبة ان يعرفوا أنفسهم ويُقيّموها، وأن يتبادلوا خبراتهم مع غيرهم. هذا احد الاسباب التي دفعت الكشافة الإسلامية (B.S.M.A) لقبول الدعوة الأخوية من الكشافة المصرية والقيام في الصيف الماضي بهذه الرحلة الطويلة المسافة المقدّرة بـ 4000 كلم الى وطن الفراعنة والرئيس نجيب والضباط الأحرار.

كان هذا السفر إذن سفر دراسة، يسمح لنا برؤية آثار ثورة 23 جويلية 1952، في عين المكان، على الشعب والشبيبة المصرية. بدت لنا مقارنة مناهجنا التربوية واختيار ميادننا بمقابلتها مع مبادىء شبيبة الشرق الأوسط حلما جدّ مرغوب فيه، خاصة انه كانت لنا اتصالات مثمرة مع شبيبة أوروبا وأمريكا بواسطة وفودنا خلال مختلف تظاهرات الشباب الدّولية. اكيد أن جمعيتنا قدّرت حق التقدير الشرف الذي أحيطت به، الشبيبة الجزائرية. صحيح أن الصعوبات التنظيمية والمالية كانت متعدّدة، لكنها وجدت طريقها الى الحلّ. فقد وقعت إجراءات منع مؤسفة من طرف مصالح حوازات السّفر في العديد من ولاياتنا، على اعضاء من وفدنا، وكادت أن تمنع كل القافلة من السّفر، لكن كما قال (Kipling) هذه مسالة أخرى يطول شرحها.

من الضروري أن نقول بأننا سرنا بسرعة متوسطة تُقدّر بـ: 70 كلم في الساعة، وأن حافلتنا كانت غير مُريحة، وأنا توقفنا ليلا في فاس وبزوالغة (بالحدود الليبية) في الصباح الباكر. كل هذا لا يرى فيه القارىء ايّة مفاجاة، لكن يكفي ان نوضّح بأن في الجنوب التونسي، على طريق طرابلس الشديدة الحر، وعبر الشرق الليبي(Cyrénaïque) الأخضر، حيثما حَلَلْنا، كان لدى كل واحد من أعضاء القافلة شعور بانه ما يزال في وطنه بين ذويه، وباستثناء فوارق طفيفة كان اهل هذه المناطق وكانهم جزائريون من منطقة الحُضنة أو الهضاب العليا: كان نفس رد الفعل ونفس اللغة، ونفس نمط الحياة.

وإذا كنا قد عشنا طوال الأيام المُنة للمرحلة أياما مُضنية، فإن لحظات أخرى من الهدوء والراحة أنستنا انشغالاتنا: استراحة المساء تحت حفيف نخيل الواحة والتّسيم العليل، العشاء اللّذيذ على الرمال المنعشة، الصّلاة وسط هذا السّكون الهائل الذي لا يقطعه سوى نغمات الناي الحزين، التّسابق غير المنتظم لقطيع من الجمال وسط الكثبان الرملية، كل هذه الأشياء بقيت ذكريات حيّة.

من بين هذه الذكريات تحضرني الاستضافة الأخوية للكشافة العربية الليبية (الكشاف العربي الليبي) التي أذكرها هنا كحدث طيّب لإقناع القارىء باللطف الكبير واللياقة الفائقة لأعضاء هذه الجمعية التي كانت ما تزال في بداياتها.

المراكز الحدودية تتلاحق الواحد تلو الآخر، وهي تختلف عن بعضها البعض. لقد عبرنا مرسى مطروح. الكتلة الشامخة التي تتكوّن من الأهرامات بدأت تتراءى من بعيد. القاهرة بجوارنا فقد اقتربنا منها، والرحلة تصل الى نهايتها.

يتيح هذا السفر للمستفيدين منه فرصا عديدة لتصحيح أفكار موروثة وتعديل مواقف غامضة بفضل الاتصال المباشر بالواقع الملموس. وتنجم عن ذلك ضرورة إعادة النظر في بعض الأحكام السريعة والالتزام بالاحتياط قبل التأكيد. ولذا يتعذر علينا إصدار حكم حاسم نهائي على الناس والأشياء في بلد يجتاز مرحلة ثورة مصيرية. بأية حال من الأحوال نستطيع الجزم بأن الزيارات المقرّرة في البرنامج الثري الذي وضعته الكشافة المصرية، كانت أكثر فائدة وأكثر تنوّعا.

في البداية استضافتنا الإسكندرية وملعبها الأولمبي، الذي كان يحتضن الألعاب الأولمبية العربية الأولى. جاءت شبيبة رائعة، ظافرة وقوية ومن كل الأقطار العربية وتآخت معنا. إن مدراء مختلف مصالح الألعاب الأولمبية استقبلونا بحفاوة. كما تشرّفنا بفرصة تبادل وجهات النظر حول نزعات الشبيبة العربية مع أغلب الوفود. عدّة أعضاء ينتمون الى مختلف هذه الوفود كانوا قادة كشافة ومسؤولين في جمعياتهم.

الإسكندرية عاصمة لا تحتاج الى التبجّح بمحاسنها: جمال معالمها يفرض نفسه بنفسه وبروائع هندستها الثرية ذات الذوق الرفيع. لكن هناك أيضا عدد كبير من البيوت المتردّية التي من الأجدر تهديمها، وسكان (1100000 تقريبا) من اجناس مختلفة ذوي نشاط وذكاء كبيرين ينقصهم الانسجام. الطموحات لا تعرف حدوداً هنا كما في كل بلدان العالم؛ وبعيدا عن الاثرياء، تمكنّا من تذوق كياسة جميع الجمعيات الكشفية. فكانت كل واحدة تستضيفنا، منها التي تقودنا في جولات ومنها التي تضمن لنا المأوى او تستفسر عن احتياجاتنا بكياسة. «جوالة الإخوان المسلمين»، والفوج السوداني، وفوج الروّاد الأرمن، والمدرسة المحليّة للكشافة المصرية اتوا على أحسن وجه واجبات الضيافة. ونحن نشكرهم في هذا المقام كل الشكر الاخوي.

بعد زيارة دامت ثلاثة أيام في الإسكندرية، واصلنا طريقنا نحو القاهرة. ام الدنيا كما يقولون، المتحف الفرعوني والأهرامات ومتاحف الفنون الإسلامية وقلعة صلاح الدين والجامع الازهر ومساجد سيّدنا الحسين والسيدة زينب والوزارات والمطبعة الوطنية كلها سحرت أعضاء الوفد، مرّ كلّ ماضي العاصمة المصرية وحاضرها مرورا استعراضيا أمام اعيننا.

4 - تاريخ حركة الكشافة في تونس (1955):

مرّت الكشافة التونسية الإسلامية منذ 1933 بأزمات خطيرة متعدّدة الأسباب. لكن بفضل إخلاص مسؤوليها والمساندة الشعبية لم تتوقف الحركة عن التقدّم وخدمة الشبيبة. تضع اليوم بين أيدي قارئ مجلتنا «الحياة» لمحة تاريخية خاطفة عن هذه المسيرة الصاعدة من اجل تعرّفه على شبيبة بلد شقيق مجاور لنا وإعطائه صورة صادقة عنها.

قبل 1933:

قبل هذا التاريخ وُجدت في تونس جمعية كشفية تونسية مُستقلة بنفسها، في ذلك الوقت، نشط بعض التونسيين داخل الأفواج الأوروبية في محاولات مُحتشمة لإنشاء افواج كشفية داخل الجمعيات الرياضية ظهرت دون نجاح يُذكر منذ 1920.

من 1933 الى 1938 :

تأسست عدة جمعيات كشفية، نذكر اهمها فيمايلي: «كشاف الخضراء»، «كشاف الجنوب»، «كشاف النصر»، «نجم الكشافة»، «رواد الشباب المسلم»، «الكشافة الإسلاميين التونسيين»، و«رائد تونس المسلم»، ومن هاتين الجمعيتين الأخيرتين نشأت الفيدرالية الحالية التي تُعرف بـ: فيدرالية «رواد تونس المسلمين» (E.M.T).

بصفة عامة، تميّزت هذه التجمعات المتنوّعة بقلة عدد اعضائها وبمعرفة محدودة جداً بتقنية حركة الكشافة. والسبب يعود الى تشتّت مجهودات شبيبة الكشافة التونسية، إضافة الى افتقادها آنذاك للدّعم الشعبي الذي أصبح اليوم دوره حاسما.

بعد أحداث 1938 :

تعرّضت أغلبية الجمعيات التونسية للحلّ، والبقية التي سُمح لها بالنشاط اضطرّت للخضوع لمراقبة الفيدراليات الفرنسية. وبسبب الظروف الخطيرة التي كانت تمرّ بها البلاد، ولتفادي تفتّت الكشافة الإسلامية في تونس، قررت جمعية «رائد تونس المسلم» التي كان يقودها القائد عز الدين عزوز، الالتحاق بـ: «رواد فرنسا» (E D F). هذا المخرج سمح لها بتطوير كفاءة الإطارات في انتظار ظروف أفضل.

سنة 1939 :

اندلعت الحرب العالمية الثانية، وتوقفت على إثرها كل النشاطات الكشفية.

من 1942 الى 1947 :

اعادت الكشافة التونسية تنظيم نفسها، فتحقق الاتحاد بين فيدرالية «الكشافة الإسلاميين التونسيين» وفيدرالية «رائد تونس المسلم»، الجمعية الجديدة اتخذت اسم: «رواد تونس المسلمين» (E. M. T)، وجمعت آنذاك في صفوفها 1000 منخرط. فشُرع في عمل فعّال لتوسيع التجارب مع الكشافة في البلاد. سرِّبتْ الأشبال (الأطفال الذكور من 8 الى

11 سنة) ظهر كمولود جديد في هذه المرحلة، وتدعّم فريق الجوالة، كما استمرّ تكوين القادة بمنهجية وتجاح.

العبارات التقنية والبرامج ترجمت الى اللغة العربية. وتعلق القادة بوضع برامج مباشرة حسب تقسية واحتياجات الشباب التونسي، ولم يكتفوا بتعريبها فقط.

سنة 1944 :

تظم المخيم الصيفي في (عين الدراهم) على الحدود الجزائرية — التونسية، وجمع لأول مرة وحدات المدن التالية: سوسة، صفاقس، نابل، قابس والقيروان.

«رواد تونس المسلمين» غيّروا قائدهم العام، وتولّى الشاب (منجي بالي) قيادة الحركة بعد سابقه القائد (الهادي بن عمّار). وبحماس قوي من هذا القائد الشاب الذي لم يتعدّ ستّه 20 عاما، شهدت فيدرالية رواد تونس (EMT) انتشارا رائعا وحققت الوحدة مع «رواد تونس» وقد كان لهذه العملية الاخيرة انعكاسات طيّبة على الكشافة عامّة. فقد تم إيصال مبادىء — بادن باول (Baden- Powell) الى كل الشرائح الشعبية، واصبح رواد تونس يشتملون على 3000 منخرط. كما مسّت العمال دعاية كشفة حول الكشافة، وكذلك الطلبة والموظفين، وأطفال المدارس، وحتّى الأطفال المشرّدين في الشوارع.

في 1947:

شارك وفد كشفي مثل تونس تمثيلا مشرفا للغاية في مهرجان «مواسون» للسلام Jamborée de la paix à Moisson .

تمت مشاركة القادة التونسيين في المخيّمات التونسية — والمخيمات التابعة لكشافة فرنسا. وتكونت علاقات مثمرة ومستمرة مع الكشافة الإسلامية الجزائرية (BSMA).

كما اقيم الاتصال مع المكتب الدولي للكشافة لطلب الاعتراف بالكشافة التونسية.

أحداث 1952 :

هكذا واصلت الكشافة الإسلامية مسارها المتقدّم تحت المراقبة الدقيقة من طرف إدارة كانت مُزعجة اكثر منها راعية لها عندما تفجرت أحداث 1952.

أجبرت إثر ذلك الجمعيات الكشفية الأربعة إلى توقيف نشاطها، وهي : رواد تونس المسلمين، كشافة الأمل، الاتحاد الكشفي التونسي، رواد تونس المسلمون، واغلقت مقرّاتها. اما القادة والجوالون (Routiers) فقد تم سجنهم او نفيهم، فانهارت بالتالي جهود 20 سنة بدت وكأنها انهيار ابدي، وذهبت أدراج رياح نتائج لم تتحقق إلاّ بشق الأنفس.

غير أن الحكمة والتعقل عادتا من جديد الى تونس. إذ سمح الحوار الفرنسي – التونسي للمربين بمواصلة نشاطهم الضروري في المجتمع. ومنذ جويلية 1954، نشطت الكشافة في إطار الشرعية. فعادت الآمال والإيمان لدى القادة، إذ إن ديناميكيتهم القوية وكفاءتهم هما الضمان الأكيد لمستقبل نتمنى ان يطول ويكون مشرقا.

إن الحوادث الخطيرة التي سادت في تونس طوال عامين فرضت على القادة مراجعة موقفهم من المسائل المتعلقة بتعدّد الحركات. اليوم تجري مفاوضات في هذا الشأن. لذلك نتمنّى للساهرين على فكرة الاتحاد نجاحا كاملا كي تتمكن الشبيبة من تحضير مستقبل زاهر للبلاد في ظل انسجام النفوس وطمأنينة القلوب.

«الحياة» السلسلة الجديدة عدد رقم 3
ماي – جوان 1955.

02 - مقالات أبوعمران الشيخ

1 - الجزائر 1955 :

لقد أكّدنا دائما على عدد من المشاكل الخاصّة بالشبيبة، وبالتالي بالبلاد، مُركّزين في نفس الوقت على صبغتها الدرامية المستعجلة. الأحداث الأخيرة أكّدت وجهة نظرنا ووجهة نظر آخرين بجوارنا أطلقوا مرارا صرخات إنذار. نعتقد أن من المفيد أن نُقدّم الى قُرّائنا بعض مظاهر الوضعية الحالية. وضرورة إعلام دقيق حول «الحقائق الجزائرية» وهي الشرط الأول للبحث عن الحلول المناسبة وإيجادها.

الوضع الاقتصادي والاجتماعي: الفريد صوفي (A. Sauvy)، الاقتصادي البارز، اطلق في العدد 92 لمجلة «الإكسبريس» (Express) الفرنسية بتاريخ 26 فيفري 1955 صفّارات «النجدة للجزائر» حيث نجد مؤشّرات واقتراحات نستعرض اهمّها:

السُكّان: تحتوي الجزائر على 8.700.000 مسلم يتعايشون مع 1.100.000 أوروبي، معدّل الولادة لدى المسلمين يتراوح بين 40٪ و45٪، ومعدل الوفيات يُقدّر بـ: 15٪ الى 20٪. فهو يتجاوز 2.5٪ سنويا ويقترب من 3٪، وهو ما يعادل الضعف خلال جيل واحد، أي عدد سكان الجزائر قادر على ان يزيد بالضعف في اقل من 25 سنة.

وعدد الأطفال المولودين في شمال إفريقيا التابع لفرنسا المُقدّر بـ: 800.000 سنويا، يتجاوز من الآن عدد الأطفال الذين يولدون في فرنسا. ويتّفق علماء الديمغرافيا على ان ايّ عائلة لا تضع حداً لعدد اطفالها قبل خروجها من البؤس. للحد من الولادات، يجب أن يتحقق مُسبقا بلوغ حدّ ثقافي ادنى وامتلاك حدّ أدنى من راحة العيش، وحيازة مبادىء عامّة حول النظافة وتربية الأطفال.

لحلّ معضلة السكّان، يجب ان لا يكتفي التقدم الاقتصادي بمواكبة عدد السكان خطوة بخطوة ومنع الناس من الموت، لأن الحل الأوسط لا

يؤدي سوى الى مضاعفة عدد البؤساء وبالنسبة للجزائر يجب استثمار 200 مليار سنويا على الاقل، أما بالنسبة لشمال إفريقيا ف: 400 مليار.

المنجزات:

حاليا، يُستثمر في شمال إفريقيا 186 مليار من بينها 90 في الجزائر مقابل 2370 مليار بفرنسا. وهكذا، فيجب من جهة ولادات وشبيبة متكافئة تقريبا، ومن جهة أخرى استثمارات متفاوتة بنفس الفارق الموجود بين 1 و12.

إن المجهود الاستثماري المخصّص لكل فرنسي يفوق ستّ مرات نظيره المخصّص لكل جزائري: 54,900 سنويا للأول مقابل 9.400 للثاني، وينخفض هذا الرقم الى 8.700 بالنسبة للمغربي، والى 5.500 للتونسي.

الضجر.

مليون اوروبي يحتلون أفضل المناصب في الجزائر، و300.000 جزائري يذهبون الى فرنسا لمزاولة المهن الأكثر حقارة، لكن توجد ردود فعل معادية جداً في ذات الوقت للهجرة الجزائرية عند بعض الأوساط الفرنسية.

وإذا جهر ايّ أوروبّي في الجزائر برغبته في الاختلاط بالمسلمين ومعاشرتهم، فإن الأوروبيين الآخرين يعتبرونه ساذجاً بسبب «حداثة استقراره بالجزائر» وانه سيغيّر رأيه في أقرب الآجال.

يجزم المفكرون الأكثر تفتّحا بأن المسلم لا يستطيع أن يتكيّف مع أيّ شيء، لأنه مقيّد بالإسلام، لا يؤمن بالقضاء والقدر أو حتى بأنه عاجز فطريا عن استيعاب العلوم والميكانيك، الخ.. هذه التحاليل تُذكرنا نوعا ما بآراء الأمريكيين الذين جزموا بأن الزنوج قذرون جهلة لا يعرفون كيف يعبرون الطريق، وينسون أن الإدارة (البيضاء) لم توفر لهم الحمّامات ولا المدارس.

إن نجاح الإفريقيين الشماليين في رياضة مثل كرة القدم مثلا يتطلب القدرة على الحكم والذكاء والانجازات المُتحصّل عليها في المصانع، عند رونو (Renault) أو عند غيره، تفصل بعدل في الإدعاءات بخصوص فكرة الأجناس الدنيا وعجزها الفطري...

لقد استولى الأوروبيون في الجزائر على أحسن الأراضي وكرّسوا منها 400.000 هكتار لإنتاج الخمر، وهو منتوج ضعيف جداً من حيث قيمته الغذائية فضلاً عن أن الجزائريين لا يستهلكونه.

خلاصة، الاختيار بين المساواة أو التخلّي:

إن الكلمات الجوفاء، رومانسية كانت أم لا، لم تعد كافية. لم يعد ممكنا مجاملة، هؤلاء الناس الشجعان، الأصدقاء الأوفياء للوطن الأم، في أغلبيتهم، باستثناء حفنة من «الإرهابيين». وأمام صناديق الاقتراع أو أمام الاستثمارات، لا «يساوي» الجزائري سوى نسبة معينة من الفرنسي.

ما يجب فعله هو تحويل 100 مليار فرنك على الأقل من النفقات العسكرية الحالية نحو الجزائر، بل يجب رعاية 100.000 تقني هناك لخلق الثروة خيرٌ من رعاية جيش يتكون من 100.000 رجل لقمع الثورات».

«الحياة» السلسلة الجديدة، رقم 03 ماي - جوان 1955.

2 - مصاعبنا في الجنوب:

نحن والآباء البيض:

الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجنوب تصطدم بعدة حواجز، هناك خصوم يقفون في وجهها والعزلة والبُعد يفرضان عليها في كثير من الأحيان أن تكافح في ميدان مغلق وعلى عدة جبهات. ولكي يعيش الكشافون فإنهم مضطرّون للدفاع عن أنفسهم، والقيام يوميا بهجومات مضادة، الخصوم الكبار، الأكثر صلابة هم دون شك الآباء البيض.

لماذا يُعادوننا؟ لأننا نقلّص إلى أقصى الحدود تأثيرهم، ولأننا نُدمّر سُمعتهم. كيف ذلك؟ بتجنيد الأطفال الذين يأتوننا عادة من كشافتهم، فينفلتون من قبضتهم بعد أن تكوّنوا عندهم. وما دام عدم وجود كشافة إسلامية بصفة خاصة، تمكنَ الآباء البيض من الاستيلاء على الأطفال والمراهقين بحرّية تامة، وبواسطتهم اخترقوا العائلات فيؤذون على هذا

النحو «مهمتهم» كاملة. لكن عندما تأسست افواجنا تخلى كشافة الآباء البيض المسلمين عنهم وجاؤوا ليُدعّموا صفوفنا.

وبعد ذلك أصبح الصّراع بيننا وبينهم أمرا محتوما، ووصلنا الى القطيعة، وبما اننا قد اصبحنا عدوّهم الألدّ رقم 1، بات القضاء علينا أمرا حتميا، وصار تكتيك «الآباء الطّاهرين» بحذافيره نحو هذه الغاية.

في البداية، أعتقدوا أن افواجنا ستنهار بسبب نقص الإمكانيات والإطارات، ولم ياخذوا إيماننا في الحسبان، لذا اضطرّوا الى الاقلاع عن غرورهم.

وبما أنهم يتعاطفون مع السلطات، حاولوا فيما بعد ان يحبطونا بالشُّبهات باتهامنا بأننا «مُشوشون» ومتطرّفون، وأننا معارضون لاشياء عديدة تتعلق بالوجود الفرنسي ومخالفات أخرى، وتبقى الادّعاءات المؤكّدة ولو كانت مقدّسة مجرّد ادّعاءات تفتقر إلى الدليل، وتزول كالدّخان لإنعدام البينة. فما العمل إذن؟

الحظّ من شأننا لدى أوليائنا بدا لهم أمرا فعّالا. فصوّرونا عندهم بأننا أهل بدَع في الدين، يريدون تحطيم الدين! هل للرّهبان الكاثوليك أهلية ليتعمدوا مثل هذه الافتراءات؟ لكن هذا لا يهم بالنسبة إليهم. فالمهم أن يثيروا غضب أوليائنا علينا؟ كانوا يعرضون على أكثر الفقراء منهم البسمة ومساعدات من منظمة التعاون الفرنسي وخاصة وسائل العيش إن رضوا بسحب ابنائهم من عندنا. يذهب اب من الآباء البيض في السر الى بيوتهم ويوزع عليهم التّمر والدقيق. وأولياء الاطفال المعاندون يهددون ويتعرضون الى التخويف، قد تُفرض عليهم غرامة أو يُحكم عليهم بالسّجن، لأن «المشوّشين»، اي نحن، لن يطول بهم الزّمن حتى تتم إعادتهم الى الصواب، الوالد الذكي عليه ان يتجنّب المخاطر، كيف لا والاهالي يعلمون ما لهذه التهديدات من فعالية في الجنوب حيث الحكم العسكري.

لم نعرف سلسلة المعاملات السرية أو المعلنة حدودا لأن الفرص والذرائع والظروف التي تمهد الطريق لذلك لا نكاد نحصي. ولذلك يُستغل كل شيء من اجل تحقيق الغاية التي تتمثل في تحطيم فوج الكشافة الإسلامية، وتشكيل فوج تابع لكشافة فرنسا (SDF) على انقاضه.

هذا هو نوع الخصوم الذين يعترضون سبيل الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجنوب. أصبحت النشاطات الكشفية لا تشغلنا أكثر من الصراعات مع الآباء البيض ولكن كم وجدنا من حزم وحماس في مواجهتهم وفعلا عندما يكون الكشافة روادا بأتم معاني الكلمة نرى العجائب في هذه الأفواج وهي تعامل وتدافع عن أعزّ ما عندها وتنجح في النهاية.

نشرية الكشافة الإسلامية – فيفري 1948.

3 - النّخبة والأغلبية:

هناك فكرة شائعة مفادها أن نخضع للأغلبية وكأنها سلطة معصومة، ويُضاف إلى ذلك أن كل مسعى يجب أن ينطلق من الشعب ويعود إليه، هذه مبادىء معروفة لا نناقش أبدا محتواها، ولأي أغلبية يجب أن نخضع؟ وعلى أيّ مادّة تُطبّق؟ ألا يجب أن نقترن بشروط؟ هل يجب على كل حركة ناجمة عن جماعة أو عن عدة جماعات من الناس الانباع الأعمى؟ ربما هذه أفكار يعتبرها البعض بديهية لا نقاش فيها. ومع ذلك إذا وضّحناها، سننتفع دون شك، ونكتسب وضوحا أكبر، وبالتالي يزول كل التباس.

لا أريد أن أحلّل هنا فكرة «الديمقراطية» وأوصي الذين يهمّهم الموضوع بالاطّلاع على تحقيق تمّ نشره في «بريد منظمة اليونسكو» (le Courrier de l'unesco) في ماي 1949.

حتى أحصر نفسي في التربية، يبدو لي أن الاعتقاد بفعالية العدد الأكبر شيء خطير دون تحديده بطريقة أخرى. يجب التوضيح جيّدا بأن المبادىء هي أساس كل مسعى رزين وقبل اعتناق هذه الفكرة يجب فهمها بعمق. للأسف لا ينصرف عادة على هذا النحو هؤلاء الذين تتمثل مهمتهم في تزعم وقيادة الآخرين. في الحقيقة هؤلاء المتزعمون غالبا ما يتركون أنفسهم يُقادون من طرف الآخرين، ومع ذلك يُسمّون أنفسهم: «النّخبة» بينما دور النخبة الحقيقية يتمثل في قيادة الأغلبية.

فالأمر لا يتعلق بضبط الذات حسب جهة الأغلبية، لأن الأغلبية لا تُقبلُ إلاّ إذا توفرت فيها بعض الشروط. (اولاً) يجب ان تكون مُتنوّرة. فقد راينا اناسا لا يصلحون لشيء يتحدثون باسم الاغلبية التي منحتهم ثقتها، وللحصول على ثقة الأغلبية لم يتورّعوا في اغلب الحالات عن الكذب عليهم ومداعبة نزواتهم. إن قرارا يتخذ بهذه الطريقة لا قيمة له. والنفس الحُرّة لا تُقيّد نفسها به.

(ثانيا)- يجب على كل أغلبية ان تنطلق من مبادىء حتى يمكن التحدّث باسمها من موقع موثوق، على المسؤولين الذين تختارهم ان يعملوا وفق هذه المبادىء الى غاية ان تقرّر بنفسها تغييرها. كما يجب عليها ان تحترم القواعد الموجودة والمعترف بها من طرف كل الرجال الاحرار: كالاستقامة والوضوح والثقة والنزاهة. وإلاّ لن تكون هناك أيّة ضمانات. فالإجماع قد يتحقق ولو على الخطأ، لذلك فهو لا يدل على اننا على صواب. المبدعون واصحاب الاختراعات والفلاسفة والائمة والوُعّاظ والانبياء عرفوا جميعا في بداياتهم الصّراع ضد الأغلبية وحتى ضدّ معاصريهم. فالفكرة التي ينكرها الناس ويحاربونها اليوم قد تنجح في المستقبل، فصلابة الإنسان قد تنتصر على المناهضة العامّة تقريبا، وكم من رسول وحد نفسه في صراع ضد عشرات الآلاف من الناس، وقاوم في سبيل الله دون كلل او معاناة، ولم يبد عليهم ايّ ضعف ولم يستسلموا ابداً. إن الله يحب الصابرين والواثقين من انفسهم. فالأقلية اليوم قد تتحوّل الى اغلبية غداً. والأمر لا يستقرّ على وجهة، لذا خاصية الحقيقة لا تكمن في الإجماع، الأغلبية لا تقود لأنها لا تفكر، بل عليها فقط الاهتمام بالذين يفكرون. الدّفع نحو غاية ما هو ثمرة يصنعها الذين يُحرّكون الأحداث الكبرى وهم أقلية. ولنرجع الى التاريخ القديم او الحديث، الغربي أو الشرقي، لكي نلاحظ ان هذا المسعى يصدر دائما من النخبة.

النخبة هي التي تهدي وتقود، فهي تعيش مثلا أعلى مُعيّنا يؤدي بالجماهير ليس فقط الى اعتناقه، بل حتى الى متابعة إنحيازه، أغلبية الناس

تخضع، دون اختيار. والنخبة هي التي تختار للجميع. فهي بواسطة مسعى تربوي طويل النفس لا يعرف هوادة، ترتفع بالآخرين الى الوعي بوظائفهم كبشر والوعي بما يجب ان يكونوا عليه. يُلاحظ بأن النخبة التي انحدث عنها تختلف بوضوح عن ما يُسمّى مجازا «بالنخبة». فهي تتكون من المؤهلين للزعامة والقيادة أكثر من ذوي الشهادات. هؤلاء الذين يسوقون الجماهير لا يملكون عادة أية ثقافة رسمية ولا وظائف باهرة. فبعضهم موجودة في ذاتهم، في قوة شخصيتهم وقوة معنوياتهم. المجتمع لا يتقبّلهم بينه بسهولة، ولا يطلبون ليُبهروا الناس ويقودوهم؛ فليس الجماهير ولا الأغلبية التي تصنعهم في الواجهة، بل جدارتهم وإرادتهم وكفاءتهم التي تستدعي الاحترام وتفرضهم على الأغلبية. إنهم يُشكّلون النخبة الحقيقية، فهي التي تؤخذ بعين الاعتبار وتعمل. وهذا ليس معناه انها تعمل حسب هواها، بل تخضع لمبادىء وتتطلّع الى مثل أعلى تشترك فيه مع الجماهير.

النخبة الحقيقية تقود وتوجّه الأغلبية آخذة في الحسبان حاجاتها وميولها، فالقيادة دائما لها. أحيانا هذا المسعى العميق لا ينجح أو لا يتم بالسّرعة المنتظرة، فيتهاوى البناء كقصر من الورق تعبث به الرّياح. ورغم ذلك يجب الصّبر والمواظبة، والنجاح لا يأتي إلاّ في نهاية الجهد المبذول. لكن عدم النجاح والفشل يأتيان في غالب الأحيان من اتّباع حركة العدد الأكبر، أي الأغلبية. وقد عانى الكثير من الشبان وآخرون أكبر منهم سنا من هذا الخطأ. قد يقع البعض في دوامة التعب والتراجع عن المثل فلا يلومون إلاّ أنفسهم. ألم يُخطئوا في تقدير قيمة الأغلبية؟ ومن حقهم ان يُحدّدوا هذه النخبة بالجماهير المريضة. الخطأ لا يكون خطيرا إلاّ إذا اصرّرنا عليه. وأيّ تجربة تقبل التحقيق دون ان تعرف الفشل؟ أمام الشباب المُشبع بالإيمان والمُثل العليا لا يوجد أيّ حاجز. وبالفعل، الحماس والحيوية التي تميزهم تتغلّب دوما على المصاعب، فيتقدّمون. ألمْ يقل الأديب الفرنسي «راسين»:

«الإيمان الذي لا يسعى لأيّ شيء   هل هو إيمان صادق؟»

4 - معرفة الجوال:

بعض الزملاء يتسرّعون ويُطالبون ببرنامج للجوالة ثم يتساءلون ماذا يصنع القادة الوطنيون؟ وينطوي هذا السؤال على نقد صريح...

الكلام عن برنامج سهل. لكن على أيّ أساس تُحضِّره؟ ليس ذلك بالسهل خصوصا فيما يتعلّق بالجوال، لأنه لا يوجد أكثر تعقيدا من نفسية الجوال. من اجل الاتصال به وتكوينه، وإثارة اهتمامه، وإلاّ يُصبح من المستحيل معرفة النشاطات والتقنيات التي تليق بطبيعته. من هو الجوال؟ لم يعد طفلا وليس بالرجل بعد. إنما هو مراهق. سأحاول تحديد الخصائص الأساسية لشخصيته. اليوم انطرّق الى مرحلة خاصة من المراهقة هي البلوغ.

المراهقة والبُلوغ:

المراهقة هي الفترة التي تسمح لنا بالتحكم في الجوال. فهي تتراوح بين سن 16 و24 عاما. وقبل هذه الفترة كان بصدد اجتياز فترة الكشاف، وبمجرّد ما يعتبر نفسه «رجلا» يدخل في صفوف الجماعة. فبينما الطفل الصغير يتأقلم مع ظروف حياته والألعاب والنشاطات التي يقترحها قائد الفرقة، يحترم هذا الأخير دون مقاومة تُذكر لسلطة الأولياء والمربين والسلطات الأخرى، المُراهق أو الجوال يُظهر الرغبة في أشياء أخرى ويبالغ في ذلك، فهو يشعر بالحاجة الى التخلي عن الطفولة ليصبح سيّد نفسه. يشعر بثقل كلّ انضباط، فيطالب بحريته. في أيّ سنّ بالضبط تظهر المطالبة؟ عموما بمند البلوغ من 15 الى 16 سنة، اي عامان بعد بلوغ الفتاة. علامة البلوغ تتزامن مع ظهور الشعر، لكن ذلك ليس مجرّد تاريخ او موعد، بل هي فترة تدوم عدّة سنوات يتهيأ خلالها الجسد لأداء دور جديد عبر سلسلة من التحوّلات الفيزيولوجية والمعنوية. يختلف سن البلوغ حسب المناخ؛ يتأخر في المناطق الشمالية الباردة، ويُبكّر في بلداننا ذات الحرارة المرتفعة، ومن جهة أخرى، سرعة التحوّل تختلف باختلاف الأفراد يوجد أطفال يصلون الى سن البلوغ في سنهم العاشرة. وآخرون في سنهم العشرين؛ هذه حالات استثنائية طبعا. يُلاحظ كذلك

بأن المستوى الاجتماعي المرتفع والتغذية الوافرة تساهم أيضا في تبكير البلوغ: الحضري والغني يتضجان قبل الريفي والفقير.

تطرأ ثورة عارمة على الجسد وتحدث دائما تقريبا بنفس الشكل، بانتظام أحيانا وبفقزات مفاجئة أحيانا أخرى. الشَّعر، مثلا، ينمو حسب نظام ثابت: الظهور الأول في 13 أو 14 سنة، ثم ينمو في الإبط تحت الذراع: وعند بلوغ 21 سنة يبرز الشارب واللحية. وفي العانة والأعضاء التناسلية تنمو هي الاخرى، وتدخل الغدد في نشاط إفرازي مُكثّف. تتعبر الحنجرة ويغلظ الصوت، فيصبح خشنا وناقص التناسق: إنه يتحوّل. ويرتفع ضغط الدم وينقص النّبض بالمقارنة مع نبض الطفل. وتأخذ الأعضاء التناسلية والهضمية والتنفسية اشكالها وأحجامها النهائية، في حين يتغيّر مظهر البشرة ويشرع الجهاز العصبي في التحول. وفي نفس الوقت يُصبح الشعر اكثر كثافة ودكانة، كما يكبر الجسد والهيكل العظمي كبرا ملحوظا. وفي النهاية نجد نفسنا امام نمط بدني جديد.

الأزمة المعنوية والنفسية كاملة، تلفت الانتباه كالثورة العضوية الموازية لها، تسمّيها عادة: « أزمة المراهقة » عندما يكون الجسم بصدد البحث عن توازنه، تتعرّض نفسية المراهق (والجوال) الى اضطرابات وتطوّر لا يخلو من الخطر. ربما ان الشاب يصبح ضحية تزوات وألوان من الشهية والتهيّج تحمله يخجل ويجتهد في إخفاء اضطراباته بحيث لا يجرؤ على الكلام الصريح مما يختلج في نفسه من حيرة أدبية كثيرا ما لا يعترف بها، وإذا تحقق من الأمر فهناك موانع ومراقبة داخلية تقف عرضة لكل مناجاة وتحبس الأسئلة التي تريد الشفاء أو تتبس بها. فيسقط في الكآبة أو يرتمي في احضان التمرّد لعدم اطلاعه، كما هو شائع، او لما يلقاه عند الآخرين من عدم تفهّم لما يعانيه المراهق. وللدّفاع عن نفسه لا يجد سوى تصرّفين: إما الانطواء على النفس والتزام صمت عنيد، فيهدّ جسمه نوع من مرض داخلي يبعث على قلق اوليائه، ويجد نفسه في قبضة حياته الوحيد اللامحدود، وإما يتمرّد ضد الذين يقعدون في وجه حرّيته الفتية الى

حد .... ستكار اخريين منه. يضاف الى كل هذا التحول كتشاف ... المحسية التي تتفجر بخطورة مادام المراهق جاهلا خباياها، غير مهيأ لها، دون تصحيح من أي كان. لكن هذا أمر آخر... نعود اليه في مناسبة اخرى. مزاج صاحبنا المراهق ينتقل من المرح واللطف الى العنف وموقفه ... بخيل ... المشاجرة، بل الى العدوانية، بحيث ينتهي بسرعة الى ... بالسب والشتم واللكمات مع زملائه. ويظهر لديه انشغال جديد بهندامه وأناقته وأناقته للفت الانتظار إليه، فهو يُريد ان ينال إعجاب الآخرين. لا يبدو عليه الى غاية هذه المرحلة، خجل أو فضول إزاء الجنس الآخر. حتى وإن أبدى نحوه بعض الكُره، فإنه الآن خجول ويضطرب من علاقات الزمالة البسيطة التي تربطه بأصدقائه في التعلم أو العمل. واللعب ... تحلّ الآن محلّها العلاقات العاطفية المتطرفة: الصداقات الأولى ... يتمّ ربطها خلال المراهقة. ثم يظهر عند الشاب حب الأسفار ... والتحمّس والحاجة الى النشاط والبحث عن مثل أعلى مُحمّس وصعب المنال؛ والمطالبة بحياة اجتماعية، وحتمية الإيمان.

هذه هي المرحلة التي تفتح حياة الإنسان والتي تُعتبر بحقٍّ الأكثر ثراء والأكثر ابتكارا. قال أحد الكُتّاب وقد أصاب فيما قال: «هنا تكمن الولادة الثانية... هنا يولد الإنسان حقيقة ويأتي الى الحياة ولا يبقى أيّ شيء بشري غريب عنه». فليحرص القادة والأولياء على العناية بالجوال المراهق.

5 - عبير الفروسية:

إذا صدّقنا بعض التنبؤات التي لا يمكن ان تكون دائما نزيهة، فإن العالم الإسلامي يكون مُصابا بعاهات قطرية. لماذا لم يتم شرح ذلك بوضوح؟ وهذا أمر نادر، فالقارئ ... يستخلص بأن العيب كل العيب في الإسلام، وفي التعصّب، والانغلاق، - هذا العيب الذي ينشر الرّعب...». أحداث طرأت ... منحت الفرصة لصحافة هائجة لتسهب في شرح الأحكام المسبقة التي ... لنا ... القتور منذ قرون. واخذ صورة غير صحيحة عن ... والعقيدة الإسلامية الأمر في مُنتهى السهولة، بشرط ان تكون

هناك إرادة للبحث عما هو حقيقي والتصريح به. وباعتقادهم لتعاطف مُتعهم للأحداث وللرجال، كان من الأجدر، على الأقل، بالكُتّاب غير المسلمين، من مستشرقين ومؤرخين وفلاسفة وباحثين ومؤلفين ورجال سياسة أو صحفيين أن يُظهروا معرفة بنا أكثر دقة مع شيء من الموضوعية.

إننا تُتهم بطريقة عشوائية «بالبدائية» و«المحافظة»، و«العنصرية»، و«الجهل» و«التعصّب»، وبعيوب أخرى كذلك. يا لها من لوحة قاتمة. هذه الأخطاء في الأحكام تتطلب جوابا، قدمه كُتّاب أكفاء، ولا حاجة لاعادتها في هذه الكلمة. فأوجه القرّاء الى كتابين نُشرا مؤخرا يحتويان على توضيحات ناقمة: «الوجهة الإسلامية» لحيدربامات) و«مُلخص تاريخ العرب» (لحتّي) (Ph. Hitti) وما أريد أن أؤكد عليه هو أن الحضارة لا تُقاس فقط بالقوة الصناعية أو العسكرية وأن العوامل المعنوية والرّوحية تلعب دورا حاسمًا. لكن التمجيد المكثّف لفضائل العظمة التقنية أدّى إلى إنكارها.

ما هي القيم الأساسية التي تُميّز حضارة ما؟ هل هي التّمتع المادّي والرفاهية أم «المستوى الاجتماعي» المرتفع؟ أم المسكن أم الثروة؟ بالنسبة لنا، الحضارة هي قبل كل شيء سلوك إنساني وروحي، أي كرامة الإنسان، احترام الإنسان وحقوقه وحرّياته وحماية مصيره. فهناك إنسانية خاصة بكل ديانة عظيمة، فنتكلم عن إنسانية هندوسية وإنسانية مسيحية... وهناك إنسانية إسلامية، لا يتحدّثون عنها كثيرا رغم أنها جديرة بأن نتوقف عندها بعض الشيء.

في هذه المرّة لا أتناول سوى أحد عناصرها وهو روح الفروسية وبعض مظاهرها، لأن التقليد الفروسي عند العرب لا يفوقه تقليد آخر من حيث الشرف والجمال، ويشكل في حدّ ذاته تكذيبا قويًا لإدعاءات المتربّصين بنا، وهو تراث ثري تبيل تنهل منه أمثلة بارزة نقتدي بها كآبائنا في تبني الفضائل الأكثر شهامة ورجولة. إننا بالمناسبة، مُعتزون بهذا الميراث دون أن تنكر فضائل الشعوب الأخرى، لكل شعب تمائله، كما لكل واحد دياناته، والسلام على الرجال ذوي الشهامة والإرادة الحسنة.

فما أحمل هذه الزهرة الفوّاحة التي نسمّيها الفروسية! عبيرها المنعش بلغ إلينا ولا نملّ أبداً من تذوّق سحرها ورقّتها، تاريخ العرب وأدبهم قبل الإسلام وبعده، كلّه مُكلّل بالمآثر البطولية الرائعة. الشعراء مجدّوا مآثر المنجعان: من وفاء بالوعد وتقديس الشرف وطيبة النفس والتضامن واحترام المرأة وإغاثة الملهوف ومساعدة الضعيف ونصرة المظلوم. كل فضيلة يُمكن أن نسترسل معها في فصول عديدة، لكن لا سبيل إلى ذلك في حدود هذا المقال. لذا سأكتفي ببضعة خصائص هامة، تمنّيت لو تمّ تأليف كتاب حول «المآثر» موجّه الى القراء المتوسّطين، يكون مستواه في مُتناولهم، فهو يستحق التنويه بفائدته.

يحضرني الآن حدث هام يشبه ما يحدث في التمثيليات البطولية الكبيرة، إنه تصرف «السموأل» إزاء امرىء القيس. لنتذكر الأحداث. الأمير الشاعر امرؤ القيس، اضطرّ للبحث عمن يساعده على أخذ الثأر من قاتل أبيه، بعد ان تخلّى عنه ذووه وعشيرته. توجّه الى حصن «الأبلق» الذي كان تحت سيطرة السموأل الذي استقبله بحفاوة بعد فراره. فاستأمنه امرؤ القيس على ثروانه وأسلحته وفرّ الذهاب الى بيزنطة لطلب العون من إمبراطورها. لكنه مات. فطلب الأمير الحارث من السّموأل ان يُسلّمه تركة الفقيد: فرفض. ولجأ الحارث الى اختطاف ابن السّموأل وهدده بقتله إذا لم يُكبْ طلبه. فماذا كان ردّ السّموأل؟ كان ردّه: «افعل ما تريد. إذا كان الآخرون لا يحفظون الأمانة فانا إنسان وفيّ ولن اخون عهدي». فذبح الحارث الطفل أمام أعين أبيه، واضطرّ الحارث للتخلّي عن الثروة الثمينة إزاء ذلك الموقف النبيل.

الوفاء بالعهد وحفظ الأمانة يسيران مع بعضهما البعض: احترام الإنسان لا يمتد عند العربي فقط الى بني قومه وإخوانه في الدّين، بل يمتدّ الى كل الناس. هنا لا نعثر على تلك العنصرية الموجودة في انحاء أخرى غريبة عن عاداتنا.

التسامح أو الحرية التي يُراد بها اليوم حصرها في بعض «البلدان المتحضّرة» وإقصاء الشرق منها، قد وُجدت منذ زمان بعيد في دار الإسلام، واللوم على «التعصّب» لا أساس له. الا يُعلّمنا القرآن الكريم بأن «لا إكراه

في الدين»؟ وقد شهد على ذلك رينان (Renan) بوضوح رغم برودة عواطفه تجاهنا. كتب يقول في الأندلس الإسلامية: «ساد تسامح لا تستطيع العصور الحديثة أن تتكرم علينا ولو بحالة واحدة منه، فقد تكلّم المسيحيون واليهود والمسلمون نفس اللغة وتغنّوا بنفس الأشعار وشاركوا في نفس الدراسات... فسقطت كل الحواجز الفاصلة بين البشر.» (ابن رشد والرُشدية).

هل يستطيع أبطال الحروب الصليبية الحديثة أن يصنعوا ليبرالية كهذه؟ هل يجوز لدُعاة الحروب الدينية ومحاكم التفتيش اتهامنا بالتعصب؟ ليس المسلمون هم الذين يخطبون في الناس بأنه لا نجاة لهم من جهنم خارج كنائسهم.

إن الكرم العربي أسطوري، كرم النفس مثل كرم الفؤاد واليد، ربما كان هذا الكرم أحيانا يزيد حدّة. يوجد بين الناس من يرى في هذا الكرم سذاجة أو قابلية للاستغلال دون مقابل. الضيافة والإغاثة من الحقوق المقدسة في البلاد الإسلامية، مهما كانت المخاطر التي قد يتعرض لها القائم بها. فالضيف، الذي يُنظر إليه كأحد أفراد العائلة، بإمكانه طلب العون والمساعدة. كما يوجد شكل آخر من الكرم، يتمثل في الهيبة والتمدّن والرقة في الكلام واللّطف في المعاملة وطيبة النفس في العلاقات الاجتماعية.

لن أتحدث عن تقديس الشرف والمكانة الرفيعة للمرأة في الإسلام الأصيل؛ ستكون لي فرصة أخرى للتطرق إليهما. إن أساس الأخلاق الإسلامية يبدو لي نابعا من هذه الآية: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ...﴾ (البقرة الآية: 177)

فليتذكّر المسلم دائماً هذا المثل الأعلى، حتى يكون جديرا كآبائه بصفة الفارس المحبّ للصدق، والطيبة والإيمان، ولا يُبالي بالافتراءات إذا اعترضته، فالله يُعاقب دائما المُفترين. والفارس لا يردّ على الشّبهة.

6 - وثائــق

بقلم أبوعمران الشيخ

لاحظ قرا: مجلتنا نصوصا ذات أهمية بالغة لم يتحصلوا عليها كاملة، فطلبوا منا نشرها، والواقع اننا نؤمن بأن للوثائق اهمية لا محالة. ونرحب بكل مبادرة من هذا القبيل، وعلى الذين يهتمون بالموضوع أن يبلغونا رأيهم، خاصة أولائك الذين يثيرون هذه المسائل في حلقات دراستهم.

أ - أول نص مقتبس من «بيردبايف» الحرية:

«يجب التنديد بالتشويهات المثيرة للغضب، لفكرة الحرية كما يحلو لأعدائها أن يفتعلوها. فإن العالم المعاصر قد فقد كما نرى كل قدرة على فهم الحرية، فليست الحرية مطمحا ومطلبا للإنسان. وليست حقا فرضته الإنسانية على الله؛ ولكن هو واجب فرضه الله على الإنسان ليحاسبه عليه. فليست الحرية حقا، بل هي واجب، والله هو الذي يفرض على الإنسان ان يكون حرا في تفكيره ولا يحتاج إلا لما يأتي عن طريق الحرية. اما الإنسان فهو يتنازل بسهولة عن الحرية، بل يحتقرها ويفضل العبودية لأنها أسهل. اما الحرية فليست سهلة، بل هي صعبة جدا وهي عبء فهي شاقة. يزهد الناس في العالم المعاصر في الحرية وينقادون للسلطة أو للديكتاتورية لأنهم يخشون الشعاب والألم وعبء الحرية. فالحرية يتبعها الأذى والذين يخشونه يستنكفون عن الحرية ويستسلمون لكل قوة وطغيان. فالسلطة تحاول دائما توفير حياة سهلة للناس ورفع الثقل عنهم فتستهويهم فيخونوا الكرامة الإنسانية. اما الإنسان الذي يختار طريق الحرية فهو يحرم نفسه من كل شيء ولا يستسلم للحياة السهلة السعيدة ولا يسمح بها لنفسه، فالحرية هي التي تفرض تقرير المصير كما تفرض ايضا العمل الخلاق. بالحرية الخلاقة يتحلى دوما ويسمو ويرتفع.

اما الحياة تحت السلطة والهيمنة فهي تسمح للضعف البشري ان يشفق على الضعف، فالحرية هي بمثابة سن الرشد للإنسان، لذا نجد حياة الراشدين اصعب واشق وأثقل بالمسؤوليات، من حياة الاطفال. إن التنازل عن الحرية هو خوف من المسؤولية ومحاولة رفعها عن المنقل بها بوضعها على عاتق

الآخرين. فالعبيد هم الوحيدون الذين يفهمون أن الحرية هي التساهل مع النفس او الاستسلام لسفالة الطبع أو الميل الى التصرف حسب الهوى. اما الرجال الواعون لكرامة الإنسان ولمسؤوليته فهم يفهمون أن الحرية هي تقبل للمسؤولية ومطلب لتقرير مصيرهم والسمو والرضا بالتألم من أجل الكرامة العليا للإنسان، فهي كالنضال تتطلب الشجاعة والبطولة.

الحرية بطولة، لذا لا يرغب فيها، إذ تزرع الخوف في القلوب وكثيرا ما يقوم التواضع والخضوع مقام الحجاب الذي يستر المهانة والاستكانة ونذالة الطبع والجبن.

الحرية روحية، فهي مظهر الروح في الإنسان، وذلك ما يبرر منطلقاتها العظيمة للإنسان، لكن أصحاب طبع الخنوع لا يفهمون معنى الحريةفيعثرون عليها الكذب.

ولقد استيقظت في العالم المعاصر، وبقوة خارقة للعادة، غرائز التجمع والقطيع البشري لا يعرف الحرية.»

ب - «إبسنيس كيفوفير» أو انتصار الفضيلة:

«ايسنيس كيفوفير» إنسان لا نرغب فيه لجان الانتخابات الديمقراطية بأي ثمن كان، لكن هذا النائب النزيه واللطيف لولاية «تينيسي» أعتاد تحدي «الآلات»، ولقد استطاع هذا الهاوي أن ينتصر انتصارا مبينا على محترفي دولته. حيث كانت جماعة تملي إرادتها هناك من قبل، ولقد شتمه البعض أثناء جدال حاد ووصفوه «بالفأر الغسال» (راجع بريفيرت) فأخرج «إبسنيس كيفوفير» من جيبه طربوشه المشهور المصنوع من الفرو، فأصبح ذاك الطربوش رمزا له يشهره في كل المناسبات.

العمل الصالح الذي قام به عضو مجلس الشيوخ (جريدة لوموند 14 مارس 1952).

«كان من الممكن ان يبقى «إبسنيس فيكوفير» شخصية ثانوية خاملة لو لم تقع حادثة عجيبة في حياته، وتلك الحادثة هي تعيينه على رأس اللجنة الخاصة بمجلس النواب المكلفة بالتحقيق في مشكلة «الإجرام المنظم».»

فكيف يا ترى يستطيع هذا الكشاف القادم من أحد الأقاليم وهو رب عائلة مستقيم أن ينتصر في معركة كانت تدور رحاها بين أرباب آلات النقود والقمار المحترش وبين امراء العمارة السرية؟

قرر «إستيس» الكريم الخلق أن يؤدي مهمته الإصلاحية على أكمل وجه؟ فكان جاداً وفعالا لا يشفق ولا يرحم ولا يترك شيئا في الخفاء، فجعلت منه مداولات اللجنة التي نقلت على قنوات التلفزة الى كل جهة من جهات امريكا، البطل المتواضع النزيه الذي محق الفساد.

جلب له دور المصلح شهرة واسعة في الأوساط الشعبية إلا أنه تسبب له من جهة أخرى في متاعب جمة داخل حزبه. فقد كان هذا العضو في مجلس الشيوخ الذي يمثل ولاية «تينيسي» شديد اللهجة يذهب الى حد بعيد في انتقاده عندما يتحدث عن تواطؤ العصابات الإجرامية مع بعض الشخصيات الديمقراطية في الأوساط الرسمية. والتعصب للخير الذي كان يسكن نفس «إستيس كيفوفير» كان سببا في ضياع بعض المقاعد لحزبه داخل المجلس.

فلا غرابة إذن عندما تبدي القيادة الديمقراطية نوعا من البرودة إزاء هذا العضو في مجلس الشيوخ الذي يمثل ولاية تينيسي، لكنه كان في أفكاره اقربهم الى الرئيس ترومان.

فكان يعتبر متحرّرا وتقدميا، بل متشددا في ذلك مهما كانت الأحوال بالنسبة لسكان الجنوب الذين يلومونه على فتور دفاعه عن سيادة «الجنس الأبيض».

أما في السياسة الخارجية فكان من «دعاة العالمية» البارزين ومناضلا مخلصا من أجل «حركة الوحدة الأطلسية» التي كانت تسعى لتأسيس فيدرالية للحركات الديمقراطية الغربية.

ورغم كل الصعاب التي كانت تعترض طريقه لم ييأس عضو مجلس الشيوخ «كيفوفير»، بل كان هذا العملاق الذي يزيد طوله على المترين ووزنه يفوق القنطار فهو طاقة لا تنفد. وقد كان في المدرسة رئيسا لجمعية الطلبة ومديراً لجريدة وقائدا لفريق ألعاب القوى، وكان لاعبا لكرة القدم ثم مدربا وبطل الوثب.»

جريدة لوموند 14 مارس 1942.

03 - الإرشاد في الكشافة الإسلامية الجزائرية

بقلم محمد الصالح رمضان

نظرة عامة: بدأ الإرشاد في (الكشافة الإسلامية الجزائرية) محليا مستقلا، كما بدأت الأفواج الكشفية كذلك لا صلة لها بغيرها، إلا ما كان من بعض الزيارات الفردية بين كشافي الأفواج، أو في بعض المخيمات الجهوية الصيفية، حيث يتبادل الكشافون الزيارات والتحيات ويطلعون على ما عندهم من برامج وأناشيد ونشاطات.

وبطبيعة الحال لم يكن للإرشاد في الكشافة خطة معلومة وقواعد مرسومة، كما لم يكن للأفواج توحيد في برامجها وأعمالها قبل تكوين (ك.ا.ج) في سنة 1936، فكل مرشد يجتهد في فوجه فيعرفه بالتربية الدينية والخلقية والاجتماعية، والضروري من علوم الدين كقواعد الإسلام وأركان الإيمان، وكيفيات الوضوء والصلاة والتيمم، وربما بعض أحكام الصيام والزكاة والحج للجوالين مما تدعو الحاجة إليه في بعض الظروف والمناسبات كشهور: رمضان وذي الحجة والمحرم، وما يناسب بعض الذكريات الإسلامية والوطنية، كالعيدين والمولد النبوي وذكرى بدر، وعيد الاستقلال ويوم العلم الخ، وما يراه المرشد أو يُطلب منه من فتاوي واستفسارات ونحو ذلك، وكان القائد الطاهر التجيني في بداية الأربعينات مدرسا بسكيكدة ويزورنا الى قسنطينة ويطلع على الحركة الكشفية فيها، حضر مرة اجتماعا عاما لكشافة الرجاء واستمع الى تقارير من القادة ومنها تقريري عن الإرشاد وبرنامج عملي فيه، فطلبهما مني وأعطيتهما له ولا أدري ما فعل بهما.

أول اجتماع للمرشدين: كان اول اجتماع للمرشدين حضرته وشاركت فيه بعد تكوين (ك.ا.ج) اجتماعهم في المؤتمر العام لإطارات (جامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية) في غابة عيون الحجل ولاثة ستي

بتلمسان سنة 1944 حضره نحو خمسمائة (500) إطار من مسيري الحركة الكشفية في الجزائر من العمالات الثلاثة (أعضاء الجمعيات الإدارية وقادة الأفواج والفرق والمرشدون)، وكان للمرشدين فيه خيمة خاصة بهم جمعت (25) مرشداً.

عقد المرشدون في خيمتهم تلك عدة جلسات تناولوا فيها وضعية الإرشاد في العمل الكشفي. وبعد التذاكر والتفاوض وتبادل الرأي، والإطلاع على ما عندنا من طاقات وإمكانيات اتفق المرشدون الخمسة وعشرون على المقررات والتعيينات التالية:

1 – للمرشد التفويض الكامل في كل ما يتعلق بالدين والأخلاق في دائرته، وله أن يطالب بتأديب من يتهاون بهما.

2 – للمرشد الخيار في المشاركة في الفنيات والتفننات الكشفية وعدمها، فإن شارك وهو أولى له يجري عليه ما يجري على المشاركين فيها من تكريم وتقديم وترقية.

3 – تنقسم درجات المرشدين إلى أربع درجات هي: مرشد محلي، مرشد القسم، مرشد العمالة، مرشد عام. ولكل الحق في اتخاذ ما يحتاج إليه من نواب أو مساعدين. وقد يتعدد المرشد المحلي بتعدد الأفواج في البلد.

تعيينات الأشخاص:

أ – **الأرشاد العام**: عبد القادر عداد (تنس) مرشد عام (معين من قبل) محمود بوزوزو (القليعة) نائبه (معين من قبل).

ب - **مرشدو العمالات**: محمد الصالح رمضان (قسنطينة) مرشد عمالة قسنطينة.

– عبد الله بوعنان (تلمسان) مرشد عمالة وهران.

– الجيلالي الفارسي (الأصنام) مرشد عمالة الجزائر.

ج – مرشدو الأقسام لعمالة قسنطينة:

1 – قسم وادي الصومام مولود طباب (بجاية).

2 – قسم الصخرة (قسنطينة) محمد الغسيري (قسنطينة).

3 – قسم الاوراس علي مرحوم (بسكرة).

4 – قسم الهضاب عبد الحفيظ بدري (تبسة).

5 – قسم صيبوس محمد بغدادي (مداوروش).

د – أقسام عمالتي الجزائر ووهران:

1 – قسم عمالة الجزائر الجيلالي الفارسي (الأصنام).

2 – قسم عمالة وهران عبد الله بوعنان (تلمسان).

وبما ان عمالتي الجزائر ووهران لا تتوفران بعدُ على العدد الكافي من الافواج والمرشدين خاصة، فقد اقترحنا لهما شخصين نعرفهما جيدا، ونرى انهما اقدر على التوجيه والإرشاد الديني، ولكن لا نعرف مدى صلتهما او تَعَرُّفهما على الحركة الكشفية، ومدى استجابتهما لاقتراحنا، هذان الشخصان هما الشيخ الجيلالي الاصنامي والأستاذ عبد الله بوعنان التلمساني، الأول لقسم عمالة الجزائر، والثاني لقسم عمالة وهران.

وبعد توفر المرشدين المحليين مستقبلا في العمالات الثلاثة، وتعيين مرشدي الاقسام في عمالتي الجزائر ووهران، وما قد يلحق من افواج ومرشدين جدد في عمالة قسنطينة، نخبر الإدارة العامة للقيادة العليا للكشافة، لنرى رأيها ونُعَيِّنُ من نراه أهلا لأي درجة وخاصة مرشدي الأقسام.

أمّا المرشد العام ونائبه المعينان من قبل الجامعة، فيبقيان كما هما الى ان يجدّ جديد، والى ان يجتمع المرشدون مرة أخرى في اجتماع عام، وما ينشأ عنه فتخبر به الجامعة، وهي التي توافق وتصادق، وتُعَيِّنُ او لا تُعَيِّن.

ثم تخلّى (عداد عبد القادر) عن الإرشاد العام او اخلي عنه لا أدري. وخلفه نائبه (محمود بوزوز) فصار هذا مرشداً عاما للجامعة، وبدأ يتحرك وينشط وسالبت فيما بعد بعض توجيهاته.

ثم وقع لي انا ما لم يكن في الحسبان فعينني رئيس جمعية العلماء الإبراهيمي مديراً (لمدرسة غليزان) سنة 1944 ثم مديراً لمدرسة (دار الحديث بتلمسان) من سنة 1946 الى سنة 1953 فتخلّيتُ عن العمل الكشفي في عمالة وهران، وبقيتُ اتابع اخبار الكشافة من بعيد دون أن اشارك فيها بعمل مفيد.

أثر الحرب العالمية في الحركات الوطنية:

كانت الحرب العالمية الثانية قد نالت من الاحزاب والمنظمات الوطنية ورجالها. وكان مما لحق الكشافة الجزائرية وأثّر فيها: إلقاء القبض على رائدها الاول ومؤسّس جامعتها القائد العام (محمد بوراس) متّهماً بالتواطؤ مع العدوّ في أوائل ماي 1941، وتبع ذلك استنطاقه وحبسه وتعذيبه، وأخيراً إعدامه رميا بالرصاص يوم 27 ماي 1941 في ساحة عسكرية بحسين داي في العاصمة، فكان أول شهيد وطني يُقْدَمُ في هذه الحرب، واول ضحية للكشافة الجزائرية التي تفانى في خدمتها رحمه الله.

وبعد أن وضعت الحرب اوزارها واحتفل العالم بانتهائها، قامت في امهات المدن الجزائرية احتفالات ومظاهرات فرح وابتهاج، تبعتها حوادث ماي 1945 الدامية التي راح ضحيتها خمسة وأربعون الف شهيد من خيرة شباب (قالمة وسطيف وخراطة وما جاورها)، قضت عليهم عصابة اليد الحمراء الاجرامية وقوات الشرطة والجيش الاستعماريين.

وفي طليعة إحدى المسيرات بمدينة سطيف التي كان يقودها (كشاف شاب) يحمل الراية الوطنية وينشد، فاردته قتيلا الشرطة الفرنسية ورات فيه تشفيا لسقوط فرنسا في الحرب، وكان هذا الشاب ثاني شهيد من الكشافة الجزائرية بعد (محمد بوراس) في هذه الحرب، وربما كان غيرهما في أماكن أخرى من الكشافين المغمورين في مواكب الشهداء من أبناء الشعب الجزائري خصوصا في تلك الإبادات الجماعية في سطيف وقالمة وخراطة!

وتبع ذلك عمليات حبس واعتقال ونفي لعشرات الآلاف من الجزائريين!... مما اثر سلبا على سير ونشاط الاحزاب والمنظمات الجماهيرية او شلّها وتعطيلها تماما في عمالة قسنطينة بالخصوص. دامت الحالة كذلك شهوراً عديدة الى ان جاء العفو العام واطلق سراح الجميع بعد ان قامت الاحتجاجات العالمية الصاخبة تشجب وتندد بتلك الاعمال البربرية الفظيعة التي ارتكبتها في الجزائر القوات الفرنسية المنهزمة امام الجيوش الالمانية والإيطالية، فارادت ان تُظهر بطولتها امام شعب اعزل لا حول له ولا قوة، كل ذنبه أنه فرح بانتهاء الحرب وطالب بالعدل والإنصاف والمساواة التي وُعِدَ بها قبل المشاركة في الحرب، فهو يطالب بحق وُعِدَهُ به قبل اندلاع الحرب هذا هو ذنبه الوحيد!

وبدأت تعود الحياة الى المنظمات شيئا فشيئا. بعد إطلاق سراح رجالها.

اجتماعات أخرى للمرشدين:

1 – اجتماع في الدواودة: كان الاستاذ (محمود بوزوزو) المدرس في القليعة قد عيّن مرشدا عاما لجامعة الكشافة الجزائرية خلفا (لعداد عبد القادر)، وبدأ يتحرك وينشط باسم الجامعة في نطاق مهمته تلك، فكاتب بعض المرشدين وقابل بعضهم يستطلع آراءهم في الإرشاد وتطويره في الحركة الكشفية، وتحصل على اقتراحات منهم.

وكان للجامعة نشرة دورية بالفرنسية يكتب فيها (هو وغيره) مبينا مهمة الإرشاد وعلاقته بالتربية، ثم تبين له ان معظم المرشدين لا يحسنون اللغة الفرنسية لان ثقافتهم عربية محضة، فسعى لدى الجامعة ان يكون قسم من النشرة بالعربية او تكون نشرة اخرى بالعربية مثل التي تصدر بالفرنسية، وعلمتُ أنه عقد اجتماعا أول للمرشدين الذين حضروا مخيما كشفيا في (الدواودة البحرية) قرب (القليعة) من (7) الى (14) جويلية 1946 تدارسوا فيه أمور الإرشاد في الحركة الكشفية، ولم يبلغني للأسف ما تمّ فيه.

2 – **واجتماع في سكيكدة:** في اوت 1952 وقع مخيم كشفي لبعض افواج الشرق الجزائري في (سكيكدة) دام شهر أوت 1952 حضره (الاستاذ الغسيري) الذي كان يدير مدرسة الإرشاد في المدينة وتعين مرشداً عاماً لجامعة الكشافة غير المتحزبة (B.S.M.A) وكانت الجامعة قد انقسمت الى جامعتين – (كما سيأتي بيانه) – فاستدعاني الغسيري لحضور اجتماع المرشدين الذي يدوم عشرة أيام في ذلك المخيم ابتداء من يوم (10) أوت. فاعتذرت للمرشد العام بأن (مركز امتحان الشهادة الابتدائية) لتلاميذ مدارس جمعية العلماء في العمالة الوهرانية يكون مقره في (دار الحديث بتلمسان)، وأنا المشرف عليه بصفتي (عضو في لجنة التعليم العليا) و(مفتش جهوي لمدارسها في دائرة تلمسان)، فلا يمكنني الحضور، ودام اجتماع المرشدين فيه أسبوعا أو عشرة أيام فلم أحضره ولم يبلغني ما تقرر فيه، وقد تكون هناك اجتماعات أخرى للمرشدين لم أسمع بها.

انقسام جامعة الكشافة ثم جاءت أزمة انقسام جامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج) الى جامعتين بسبب تدخل السياسة الحزبية فيها: جامعة متحزبة (S.M.A) قائدها العام (عمر لاغا)، ومرشدها العام (محمود بوزوزو)، و(جامعة غير متحزبة) (B.S.M.A) قائدها العام (الطاهر التجيني) ومرشدها العام (محمد الغسيري)، وكان هؤلاء قد الحقوني بجامعتهم في غيابي ودون اخذ رايي في الموضوع وأنا في تلمسان.

محمد الصالح رمضان.

04 - من توجيهات المرشد العام لجامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية

الأستاذ (محمود بوزوزو) الذي تولى هذه المهمة سنة 1946

الإرشاد (أو التربية الدينية)،

أ - **مقدمة:** من الخير أن تكون لك عينان تبصر بهما، وقلب تعي به، ولسان تتحدث به، كل البشر - ما عدا المعوقين - يملكون هذا الخير، فهل يتمتعون به كما ينبغي؟ يظهر هذا السؤال لدى البعض سخيفا. ولكن للكثير من الناس اعين لا يبصرون بها، وآذان لا يسمعون بها، وعقول لا يفهمون بها، فهل يمكن ان نقول بأنهم احياء؟

إذا امكن ان نقول بان الموتى يعيشون جاز ان نقول ذلك في هؤلاء الذين ما زالوا على قيد الحياة. اليس هذا هو الاستنتاج المر الذي أوحى الى الفيلسوف الفرنسي (فيكتور كوزان) تلك الحقيقة المحزنة: «تتكون البشرية من أموات أكثر مما تتكون من أحياء»؟

اليس هذا هو الذي اثار حيرة (ديوجين) فصار يبحث في وضح النهار على رجل بشمعة في يده؟ والحقيقة انه لا يسوغ لنا ان نسمي إنسانا كل كائن بشري له عينان وأذنان، بل نسمي إنسانا ذلك الذي يعلم حين يرى ويسمع، والذي يحس في عينيه وفي أذنيه انتباها وتطلعا يدفعانه الى ان يكتشف فيما يرى ويسمع سنة أو حقيقة يرقى بها في سلم الحياة وتشعره بشخصيته.

ليس الكشاف من الذين يمرون في الدنيا مثل الأموات، فمنذ بلوغه سن الرشد يتمرس على فتح عينيه وأذنيه، يعني ذلك انه يوقظ احاسيسه لاكتساب ملكة حب الاطلاع العلمي، مما يضطره الى اكتشاف طرق معرفة الحياة. فمن أهداف الالعاب الكشفية صيانة حب الاطلاع وتربيته وتوجيهه. لكن الكثير يظنها مجرد اداة ترفيه، والحقيقة ان هذه الملكة

تنمو مع السن حسب النمو الفكري للطفل، وإذا ترقت الى اوجها اخذت في التعمق. لنسأل الطفل مثلا: من ذا الذي وهبك العين للنظر والاذن للسمع والعقل للفهم؟ من ذا الذي اعطاك هذه الطبيعة الخلابة ومياهها العذبة وسماءها ونجومها؟ إنها هبات غالية الى حد اننا نعجز في تقييمها، فإن كرم الواهب لا يقاس، ومن اقل الاعتراف بالجميل ان نسعى الى شكر الله على هذه النعم.

لقد شعر الإنسان بهذه النعمة واحس بالحاجة الى الشكر، فاراد ان يعبر عن هذا الشكر بالقول والفعل فادى به ذلك حسب المكان والزمان الى الحمد بشتى الطرق منها: الغناء والدعاء والتضحية والقربان الى الله وما الى ذلك... فكانت بعض هذه الأفعال سببا في مآسي رهيبة، لذا كانت الحاجة الى دين واخلاق فردية وجماعية مناسبة مع طبيعة البشر، ووجدت هذه الحاجة استجابتها في المنة العظمى، منة النبوءة التي ترفع الموحى إليه الى درجة روحية عظيمة، فالدين عبارة عن مجموعة من الاوامر والنواهي جاء بها النبي عن وحي او اجتهاد. فبفضل الدين يشعر العبد بإنسانيته وبه يخرج من ظلمته ويرتفع الى مستواه الفكري ويستيقظ ضميره الخلقي فترتبى معرفة الخير والشر طباعه.

واخيرا فبالدين يرضى المرء بالخضوع لقدر من الانضباط، ويتبع طريقا محددا في سلوكه بعد أن يعرف حقوقه وواجباته في المجتمع البشري، لا أحد يستطيع ان ينكر الدور الاساسي الذي يلعبه الدين في ترقية الروح وتهذيب الطبع البشري، فعلى الذين يريدون الحجة الواضحة ان يسألوا التاريخ، كيف كان المجتمع العربي مثلا قبل الإسلام؟ وكيف صار بعده؟ ونظراً الى أن كشافتنا تهدف الى تربية الفطرة، فلا غنى لها عن الاستعانة بوسيلة مثلى كالدين في القيمة والقوة. توظف فيدراليتنا من الاكفاء في هذا المجال مرشدين مكلفين بالتربية الروحية والخلقية للاطفال فهم يقومون بما نسميه الإرشاد أو التربية الدينية.

ب – تعريف الإرشاد: ماذا نعني بكلمة إرشاد؟ يظن البعض ان الإرشاد تعليم عقائدي للدين بطريقة مدرسية، اي تعليم النشء آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وإقامة الصلاة، ويظن البعض الآخر انه إلقاء خطب ومواعظ دينية، ودروس حول حياة النبي (ﷺ) وإنجازات العظماء، وكلا الفريقين بعيد عن الجادة، فهما يعلمان الدين ولا يربيان الروح والخلق.

فالإرشاد هو صوغ روح وبث فكرة وخلق حياة نفسية داخل الطفل، كل ذلك بإحياء الضمير الخلقي فيه. إن الذين لا يفهمون الإرشاد بهذا المعنى يوشكون ان يؤدوا دور مدرس لا مرشد، وهذا الفهم الخاطيء لا يمكن ان يعطي ثماراً طيبة، وقد دلت التجربة على ذلك باستمرار، فكم من مسلم رأيناه يعرف جيدا مبادىء الإسلام لكنه يهمل واجباته نحو الله والعباد، لأنه تلقى تعليما ولم يتلق تربية.

ج – ضرورة الإرشاد: إذا كان أسلوب الكشافة يرمي الى تكوين الطبع فإنه من المعقول ان يساهم الإرشاد بقسط وافر في هذا التكوين، فهو بالتالي ضروري، وإلا فما الفرق بين نفتي بلا روح وبين آلة ذكية؟ إن الرعاة والعجائز اللواتي يحتطبن الأغصان الميتة أعرف بكثير من العُقد التي يجهلها كشافونا تماما، أو لا يعلمون عنها سوى القليل، فإن هؤلاء الناس يتغلبون على مصاعب الغابات أحسن منا، ويتحملون الحياة في الجبال بسهولة لا نعرفها نحن لكنهم يعيشون وببساطة بدائية، لا يمكن ان نقيس فهمهم للحياة بفهمنا، فالشعور بالواجب الاجتماعي والمسائل الروحية والخلقية لا تقلقهم.

إنهم لم يتلقوا تعليما يرفع من مستواهم الروحي الى حد يجعلهم يشعرون بالفضل على المخلوقات وبمهمتهم على وجه الأرض، لكنني أفضل راعيا لا يظلم على نفتي متوحش إن الإرشاد ضروري للأسباب التالية:

1 – إن المادتين (الثانية والسادسة) من قانون الكشافة تذكران الله وتوصيان بالوفاء له فكيف يمكن الوفاء لله بغير دين؟

2 – يأمر العهد الكشفي بطاعة الله (وهذه الفقرة لا تحتاج الى تفسير).

3 – إن النشء الذي تعهدنا بتربيته ينتمي الى شعب متمسك بالإسلام تمسكا بليغا ولا حق لنا ان نهمل هذا الارتباط.

4 – يجب ان نبقى اوفياء لمبادئ بادن باول (B.P) الذي أراد محاربة اللادينية بواسطة الكشافة.
5 – إن الاسم الذي اخترناه وهو (الكشافة الإسلامية الجزائرية) (ك.إ.ج) (S.M.A) ينفي كل فكرة لادينية، ويدل على أن حركتنا ذات عقيدة وطيدة الا وهي الإسلام.
6 – توظيف جامعتنا للمرشدين دليل ملموس على ارتباطنا بالإسلام.
7 – وفي الأخير لقد برهن ديننا الإسلامي على صلاحه، والتاريخ شاهد على عظمته فكم نجّى رجالا ونساء وشعوبا من الجاهلية واخرجهم من الظلمات الى النور.

د – **منابع إرشادنا:** تستلهم الإرشاد من القرآن والحديث وسيرة الصحابة، ثم من كل ما بني عليه الإسلام من حسن معاملة وعظمة. إنه الدين القيّم الذي يدعو الى الخير وينهى عن المنكر ويوحي بحب الجميل وبذل كل شيء في سبيل الحق، الدين الإسلامي الذي يوثر الصلاح، ويحترم النفس قال رسول الله (ﷺ): «كلكم عيال الله واحبكم الى الله انفعكم لعياله»، وكم من آية قرآنية، ومن حديث نبوي يوصي المؤمن بالتحلي بالأخلاق الفاضلة التي تجعل منه كائنا أعلى. فمن تلك الفضائل: الطهارة والصدق وحسن النية وحب الوطن والرحمة والشجاعة وحب العمل والإحسان فيه والزيادة في المعرفة وطلب العلم.

تلكم هي الخصال الحميدة التي جعلت من صحابة رسول الله (ﷺ) رجالا عظماء استحقوا إعجابنا مدى الأزمان. يظن بعض المسلمين اليوم ان إسلامهم يتم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وكفى، فإنهم مخطئون ولاشك لأنهم مطالبون الى جانب الفرائض أن يراعوا واجبات اخرى لا تقل اهمية عنها، وبإهمالهم لهذه الواجبات فتحوا ثغرات لهجوم أعداء الإسلام عليه وعليهم.

إن هؤلاء الأعداء يتقصون من اهمية الأخلاق الاجتماعية والفردية، ومن قوة الإسلام الروحية. فيحدثوا في نفوس الشباب المسلم الفقير من العلم

شكم كما نحمله الى التصديق بأن الإسلام أداة ناجحة، سأل رسول الله (ﷺ) ذات يوم أصحابه قائلا: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: «المفلس عندنا من لا درهم له ولا دينار»، قال (ﷺ): «بل المفلس هو الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وقد سب هذا وشتم هذا وسرق مال هذا وسفك دم هذا (إلى آخر الحديث)...».

وعليه لا يجوز أن يحكم على الإسلام من خلال التصرف السيء لبعض المسلمين، فإن هذا البعض بمثابة الثمرة الفاسدة من الشجرة الطيبة. «فلا ينبغي الحكم على الشجرة الطيبة بسبب الثمرة الفاسدة» كما قال (فرنسوا موورياك) وقد أحسن القول. لقد كان بطل قصة الشر المسمى «فابيان» مسيحيا يفعل دائما عكس ما يأمره به دينه، لكنه كان يكره من جهة أخرى أن يفسر يهودي تصرفاته تلك على انها مسموح بها في الدين المسيحي. وإذا كان بعض المسلمين اليوم يُسيئون تأويل دينهم، فذلك راجع في أغلب الأحيان الى أسباب خارجة عن نطاقهم.

من نشرة عدد نوفمبر – ديسمبر 1946

لجامعة الكشافة الإسلامية الجزائرية (S.M.A)

د – دور المرشد: يستنتج مما سبق أن دور المرشد واضح تمام الوضوح، فهو الذي يتولى القيادة الروحية، بينما يتكلف القائد بالجانب التقني لتحويل فتياننا الى كشافة أكفاء، فيجتهد المرشد في جعلهم مسلمين أخيارا أي يؤدون فرائض الإسلام على أحسن وجه. فعليهم أن يتصرفوا لا كآلات، بل كفتية أذكياء عقلاء يعلمون ما يفعلون. وأن يعيش الكشاف حسب قانون الكشافة، وحسب الطموح الكشفي وكلاً من الطموح والقانون لا يختلفان عن أخلاق الإسلام، ولا غرابة في هذا التطابق فالقرآن هو من المراجع التي اقتبس منها مؤسس الكشافة (بادن باول آ.صد) مبادئه، وهو ما يورده برنارد نورال (Bernard Toural) في كتاب «كشافة بادن باول».

1 – المرشد والتقنية الكشفية: من أراد إبقاء المرشد في جوّ روحي بحت فقد سجنه في برج ضيق للغاية، فمن المؤكد أن مهمته بيّنة ومن صالح الحركة الكشفية أن يخرج المرشد من ذلك الحبس، والأفضل له – حسبما نرى – أن يكون قادرا على قيادة الفوج تقنيا وروحيا. هكذا وفي حالة ما إذا غاب القائد أو كان له مانع من الحضور، فإن المرشد هو الذي يقود الفوج تلقائيا، وهكذا تتوطد سلطته في الفوج وكل ذلك في صالحه وصالح الحركة، والمرشد العارف بتقنيات الكشافة يؤثر في أتباعه أحسن من الذي يجهلها، وفي الأخير يمكن بفضل ثقافته الروحية والتقنية أن يكتشف أساليب جديدة لا تخلو من فائدة له وللحركة الكشفية.

2 – مسؤولية المرشد: نظرًا للدور الأساسي للمرشد فإن مسؤوليته كبرى في تكوين رجال الغد، فهو بمثابة روح الفوج، فوجوده بين الكشافين يملأ قلوبهم بالمشاعر النبيلة، فهو يربّي بالفعل أكثر مما يربّي بالقول، وهو القدوة المثلى للكبير والصغير، يراقب نفسه لأنه يعلم أن كل كلمة تصدر منه أو حركة تجد صداها وتفعل فعلها في من حوله، فعليه أن يفعل ما يقول، وتكفي كلمة منه أو إشارة أن ترفع أو تحط من معنويات الفوج. لذلك فإن مهمته حساسة، وهي لا تُؤدّى باليد مثلما يفعل الطبيب الذي يضمّد جرحا أو يجري عملية جراحية، لكن دواء المرشد ينفذ الى أعماق الغرائز الشخصية فيحركها، فليس له أداة للعمل غير اللّسان والحركة، وإن من الكلمات ما يفعل بالروح ما لا تفعله المادة الكيماوية في الشيء فتحركه كما تشاء.

إن إزالة دوافع الشر واقتلاع غرائز الرذيلة، تحرير للنفس من الهواجس والتقاليد الضارة، وإنعاش للمشاعر وترويض لحسن الطباع، وكل ذلك سهل بالقول ولكنه صعب بالعمل، والهداية الصبي للطريق المستقيم، على المرشد أن يأخذ في الحسبان مستوى سنه وإدراكه وأن يتحدث إليه بلغة يفهمها.

لقد بيّن (فوسار دبير) في قصته «جوزيف بانطوا ابن الدركي» كيف أيقظ خوري (راهب) بلا وعي، أهواء الغريزة عند صبي في العاشرة من

عمره عندما طرح عليه أسئلة غبية تدور حول الفواحش التي تقع بين الفتيان والفتيات. هكذا وبدون أن يشعر تسبب المربي لنفسه في متاعب عندما أثار في نفس الطفل أهواء عجز عن كبح جماحها فيما بعد. وإذا كانت ميول الطبع لا تُنكر في مثل هذه الحالات، إلا أن مسؤولية الذي حركها لا تقلّ عن ذلك.

و – **الحالة الراهنة والمقبلة للإرشاد:** الى غاية السنة الجارية كان الإرشاد على ما يبدو غائبا في كشافتنا أو لا يحتلّ مكانا مرموقا في برامجنا، فما هو السبب يا ترى؟ إن الأسباب عديدة منها:

1 – لم يكن مخطط الإرشاد محددا بالضبط.

2 – كان ينقصنا المرشدون.

3 – لم تكن هناك علاقة بين المرشدين.

4 – لم يكن المرشدون يشعرون بالارتياح داخل الوسط الكشفي.

المنجزات: عندما عُيِّنتُ في جانفي 1946 مرشدا عاما بدا لي من الأولويات لفت نظر الأفواج الكشفية الى أهمية الإرشاد (منشور 6 مارس 1946).

ومن خلال الأجوبة التي تلقيتها عرفت عدد المرشدين عندنا ومستواهم الثقافي ومشاريعهم والاهتمام الذي يحظى به الإرشاد لدى القائد، كما تلقيت من عند البعض اقتراحات مهمة.

كما أردت تقديم بعض التعليمات الهامة للمرشدين فيما يخص مهامهم لتبصيرهم بالأسلوب الكشفي. ولم أكن أجد الوسيلة للكتابة بالعربية فكتبت بالفرنسية مقالين نشرا في العددين (8) و(9) من (نشرتنا الداخلية) – التي كانت تصدر بالفرنسية فقط – وفيما كنت أوالي إرسال بقية مقالاتي تلقيت من مرشدينا احتجاجات تطالبني بالكتابة بالعربية وهي اللغة الوحيدة التي يحسنونها، فشعرت بنقص في مؤهلات وأفكار مرشدينا. فقررت عقد (مخيم للمرشدين) ووافقت عليه القيادة العامة وانعقد المخيم في (الدواودة البحرية) قرب (القليعة) من يوم (7) الى (14) جويلية

فكانت مناسبة لتعويد بعض المرشدين على الحياة الكشفية، ونظمت لهم أنشطة كشفية بحتة (كالتربية البدنية والألعاب الرياضية وتظام الدوريات والسهرات)، كما تظمت حصصا للتربية الخلقية والروحية للطفل. هكذا أمضينا اسبوعا عاش فيه أصحاب المخيم العادي مبتهجين راضين مسرورين بكل ما تحمله هذه الكلمات من معان.

واسمحوا لي أن أعبر عن تشكراتي وامتناني لفوج الكشافة الإسلامية الجزائرية واللجنة المحلية بالقليعة على الضيافة الكريمة التي حضوا بها مخيمنا. رجع كل المرشدين الذين شاركوا في هذا المخيم بانطباعات طيبة، وأعربوا عن رغبتهم في العودة الى مخيمات أخرى مثل هذا، وكانت الرغبة ملحة على إبقاء تلك الروابط على الدوام. لكن ذلك يتطلب الكثير من المصاريف، زد على ذلك ان المرشد مكلف بمهام أخرى خارج الكشافة لا يسهل الغياب عنها. لكنه من الضرورة البالغة ان نحافظ على نوع من الروابط بيننا.

ونظراً للثقافة العربية الصرفة للمرشدين الذين كانوا محرومين من الوثائق الكشفية، وعاجزين عن إكمال معارفهم البيداغوجية بقراءة كتب مؤسس الكشافة بادن باول (B.P) وبالاطلاع على الدراسات التي كان يقوم بها بلا انقطاع قادة محتكون في مواضيع كشفية وتربوية، فكانت نشرتنا المكتوبة بالفرنسية لا تفي بحاجاتهم، فاضحت كتابة النشرة بلغتنا أمراً ضرورياً. وتوصلنا في الأخير الى نشر عدد اول بالعربية وأتمنى أن يعجب مرشدينا. كما ستكون هذه النشرة منبراً لهم يعبرون فيه عن آرائهم ويطلعون من خلاله على المراجع كما ستسمح لنا النشرة بتعريف كشافتنا الى الأولياء واصدقاء الكشافة الإسلامية الجزائرية المثقفين بالعربية.

المستقبل: لا تعد هذه المنتجات شيئا كثيرا أمام التطور الواسع الذي تعرفه الحركة يوما بعد يوم، نرجو ان يتيسر لنا في السنة القادمة العمل في أمن وسلام. وغالب ظني في المرشدين انهم سيبذلون أقصى جهدهم لتحسين مستوى الإرشاد، فالمشوار مازال طويلا امامنا حتى نتمتع بإرشاد يستحق الإعجاب.

لقد وضعنا برنامجا للمستقبل سيدرج في النشرة القادمة بالعربية إن شاء الله وإذا ما ساعدتنا الظروف بإصدار هذه النشرة بانتظام فسنحاول ترجمة نشيات الكشافة، فأرجو من كشافتنا أن يعطوا لمثنا التقدير الذي تستحقه، فهي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الإسلام؛ فليتعلموها بكل طريقة. كل الشعوب التي تبنّت الحركة الكشفية، نقلتها من الانجليزية وترجمتها الى لغاتها. ومستقبل الكشافة مرهون بمدى تكيّفنا، فليكن هذا التكيّف حصيننا لكيلا يتحول الى مجرد محاكاة وتقليد كالعبيد. فافتحوا أعينكم وآذانكم وانتبهوا جيدا حتى لا نتعثر في الطريق الذي نسلكه، وليعرف كل واحد منا مسؤوليته، وعلى المرشدين والقادة أن يقودوا رجال الغد الى الطريق المستقيم ويجعلوا منهم خير كشافة وخير مسلمين قادرين على تمثيل الإسلام والجزائر المسلمة، وليرفعوا في وطنهم جباها بيضاء ناصعة، وليتركوا في التاريخ ذكرا حسنا يستحق التقدير والتبجيل. إن معرفة الحياة الدنيا على حقيقتها، والشرف الوحيد الذي يتركه الإنسان بعد الوفاة، والشيء الذي يجعل للحياة التي نحياها معنى عظيما، هو أن نقضي عمرنا من أجل مثل أعلى ننشده ونتفانى فيه.

وفيما يخص الإرشاد فإننا ننظر الى المستقبل بثقة كاملة، فالإيثار والتضحية اللذان نجدهما في مرشدينا يشجعاننا أيّما تشجيع، فهم مقتنعون ولا شك بروعة المبدإ الذي يكافحون من أجله بحماس وباعتزاز، وهم يستحقون منا كل التشجيع، ونجاحهم مرهون بالاهتمام الذي سنوليه للإرشاد وبالمجهودات التي سنبذلها لتفهيمهم هذه المهمة النبيلة.

فعليكم أيها المرشدون أن ترتفعوا الى المستوى المطلوب وتعلموا دينكم وأخلاقهم. (والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه) صدق رسول الله (ﷺ).

ز – **توجيه الى فتياتنا الكشافات:** إنه لمن دواعي السرور العظيم لقلب يخفق من أجل مثل أعلى، أن يرى عددا يتزايد من القلوب التي تحمل لنفس المثل النبيل كل يوم. فيا أيتها اللواتي حملنَ بنوايا شريفة لتزكية

عائلة الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج) اهلا وسهلا بكنّ، هل أنتنّ كذلك مهتمات بحَيْرَة القُعْمَة البيضاء (عجل البحر)؟ سواء كنتنّ منشغلات بالهموم المزعجة التي يصورها لنا «كتاب الأدغال» ام لا، فليس هنالك شك في نبل الأسباب التي حملتكنّ على الانخراط في الكشافة. لقد فكرتنّ مليا بالتأكيد قبل أن تتخذن هذا القرار. وقد أقررتنّ بمقدار المسؤولية التي تتحملنها قبل اتخاذ هذا القرار من أجل مستقبل وطنكنّ، فاردتنّ ان تحققن عملاً في مستوى هذه المهمة. بالفعل إنه في إمكانكنّ ان تنفعن وطنكنّ، وخدمته واجبة عليكنّ. ومن بين الأساليب العديدة لتادية هذا الواجب اخترتُنّ الكشافة لانكنّ رأيتنّ فيها أحسن منهج تعملن فيه. قد اغراكنّ حسن المهمة التي ستؤدين داخل المجتمع الإنساني، فلم تترددن في مواجهة بعض التأويلات الاجتماعية التي تعتبر المرأة كائنا مهمّا، يجب الحفاظ عليه بغيرة كالعصفور الجميل في القفص، او كالوردة البهية في أصيص (محبس).

لقد ساهمتنّ بهذا القرار الشجاع في دعم عزمنا على الحياة وتثبيت رجائنا في مستقبل افضل وكذلك في دعم الصبر على الكفاح الذي نخوضه ضد الجهل والفساد ثم ترسيخ إيماننا بانتصار الفضيلة. فما احمل وما اشرف خدمة المقاصد الصالحة، وهل خلقنا لغيرها؟ إنه لعمل من غير أجر، فيه شقاؤكنّ من أجل راحة الآخرين، فلا تحصلن على المقابل المَرْجُوّ، لكن الأجر الحقيقي الوحيد للنزهاء هو رضا النفس، فستعينكنّ نزاهتكنّ وطواعيتكنّ بالتاكيد على تخطي كل العراقيل والبسمة بادية على شفاهكنّ، ولو قوبلت تضحياتكنّ بعدم الفهم لانها قد تؤوّل خطأ. اما عند أصحاب الإدراك السليم فكلّ ما يعين المرأة على إدراك دورها في المجتمع وعلى إيقاظ كرامتها الشخصية فيها، ويجعل منها عنصرا حيّا في الوطن فهو عمل صالح. لقد حان الوقت لتساهم المرأة المسلمة في رفع مستوى وطنها، ولا نستطيع ذلك إلاّ إذا تلقّت تربية عملية، ونظرا الى ان الكشافة نظام يلبّي هذا الشرط، فالرجاء من الأخوات اللواتي يأنسن في انفسهن

القدرة على ممارستها أن يتقدَّمْنَ إلينا، قلتُ: «إلينا»! يا لها من أنانية! لا، بل ليست أنانية! هل الزيادة في ثقل مسؤوليتنا وهمومنا أنانية؟!

إن الكشافة الإسلامية الجزائرية لتمارس كشافة تلتزم بالأحكام الإسلامية وتحترم عاداتنا الصالحة. فهي تستجيب لتطلعات شعبنا الذي يريد أن يرى أبناءه يَشِبُّون على احترام شخصيته.

فالمرأة في الإسلام تشغل مكانة رفيعة في المجتمع وإشعار المرأة المسلمة بدورها واجب لابُدَّ منه، إننا نريد أن تكون الجزائرية مثلاً للمرأة المسلمة التي تحترم نفسها وتفرض احترامها على الغير، ونعلم ما هي قادرة عليه إذا أدركت رسالتها، فالتاريخ يقدم لنا العديد من الأمثلة عن النساء المسلمات اللواتي شرفن ماضينا، ولا يحلّ لنا أن نخْجَلَ من حداثتنا، ولا نريد من أخواتنا أن تُخَيِّبْنَ ظننا فيهنَّ. وعليه فيجب تنبيههنَّ إلى الأخطاء التي يمكن أن ترتكب عن سوء تأويل منهنَّ لدورهنَّ. فقد علمنا أن الكشافة النسوية على ما يبدو غير مرضٍ عنها في المشرق، ولا نحب أن نسمع مثل هذه الانتقادات عندنا. لذا يجب على قائداتنا المحترمات أن تمتنعن عن التقليد الأعمى للشرق وللغرب، فهل نأخذ من الآخرين أخطاءهم التي يشتكون منها؟

نصيحة أخرى نريد أن نسديها لكنّ: إياكنّ أن تعتبرن الكشافة مَلْهاةً ترفيهيّة لتمضية الوقت، بل الواجب أن تسخر هذه الوسيلة التربوية لرفع مستوى قومنا ووطننا، إنكنّ تعهدتنّ بتربية فتياتنا ومعنى ذلك تهيئة الأجيال المقبلة، ستكون امرأة الغد التي ستُنشئنها صورة منكنّ لا محالة، وستكون مسلمة صادقة وجزائرية صالحة، وصرفها عن هذا الطريق جريمة من الجرائم التي لا يغفرها التاريخ. إذا سلّم شعبنا الكريم لكنّ صغاره لتربيتهم، فإنه ينتظر منكنّ أن تقُدْنَهمْ في الطريق السَّوِيّ نحو الصلاح والنجاح فأحْبِبْنَهُمْ واحببْنَ شعبكنّ، فلا يمكن أن تخدُمْنَهُ إلاّ إذا أحْبَبْتُنَّهُ، ولا يخدم شعبه من يستغلّ جهله وفساده، بل يخدمه الذي يقضي فيه على ذلك الجهل والفساد، ولا يخدم شعبه إلاّ من قاسمه بصدق وإخلاص

أفراحه وأتراحه، ومن ضحى بكل مُتعه الهدامة من أجل سعادته «لأنْ يكون المرءُ سُقراطا غير راض، خير من أن يكون أبْلَه سعيداً، وأن يكون عادلا شقيّا خير من أن يكون خنزيراً راضيا». فكّرن مليا في هذا القول (لجوهان ستوارت ميل) فستجدن التضحيات التي تَقُمْنَ بها أخواتي العزيزات شيئا عظيما أرجو الله أن يرزقكنّ العزم والصبر والثبات والقوة التي ستحتجن إليها لأداء رسالتكنّ على أحسن وجه. فمجهوداتنا المتظافرة وبعون الله تعالى سيرى وطننا وقومنا غدا أولئك البنين والبنات الذين سلّموهم لنا يمشون معا بخطى ثابتة نحو المثل الأعلى الذي يحركنا.

من نشرة (ك.إ.ج)
العدد رقم 14 عام 1946 (مع ملاحظة أن هذا
القسم الأخير (ز) (الخاص بالفتيات كان هو الأول)

05 - مقالات محمد جيجلي
نائب القائد العام

1 - ملامح المستقبل:

من حين لآخر، يحسن إجراء تقييم لانشطتنا الكشفية في كافة المجالات . فإذا قيمت الحصيلة بنزاهة أصبحت بمثابة محاسب لا يعرف الغش، فإذا ما كانت النتيجة إيجابية ومرضية، وجب مواصلة السعي في نفس الطريق. وإذا كانت سلبية أو لا تبعث على الرضى، تحتم على صاحب التجربة أن يدرس المشكلة ويعيد النظر في الأمر من زوايا متعددة، ثم يغير وسائل العمل، فالدرس في كلتا الحالتين مفيد والفائدة كبيرة.

وقد ادرك القائد العام تلك الضرورة في العديد من المناسبات؛ وكلما سنحت له الفرصة، اقام عرضا وافيا لما أنجز كي يتسنى له استخلاص الدروس النافعة للمستقبل.

ولقد أصابتنا العدوى، لاننا نعمل دائما جنبا لجنب منذ عدة سنوات وفي تفاهم تام، وقد عرف كذلك كيف ينقل اليّ حب الجمعية التي ضحى من اجلها خيرة أيام حياته، وبعبارة وجيزة لقد استطاع أن يشاركني همومه من أجل مستقبل حركتنا. ولا ينبغي أن ينعزل هذا المستقبل عن مستقبل باقي الشبيبة الجزائرية المسلمة وتربيتها الصحة في بلد لا تساعده الظروف على ذلك.

وليطمئن القارىء فإنني سوف لا أثقل عليه بإعادة البيانات القديمة التي قدمها القائد العام، لكنني ساحاول فقط، وعلى ضوء المراحل التي قطعتها جمعيتنا، أن أرسم له بإيجاز معالم المستقبل لاستنتاج الاهداف التي تسعى حركتنا لانجازها.

كافحت جمعيتنا من اول وهلة من اجل انتصار مبدإ جعل الجمعية التي تتكفل بالشباب، بعيدا عن كل تدخل خارجي.

يبدو هذا المبدأ البسيط سهل القبول لاول وهلة، لكنه في وسطنا الذي تتغلب فيه العواطف الجياشة والانفعالات الحادة، استلزم منا مجهودات جبارة، جعلتنا نعيش مشاهد ملحمية تميل الى السخافة في بعض الأحيان.

فهل نجبر على الاعتقاد بان مصير الجمعيات والأحزاب السياسية الإسلامية على ارض الجزائر محكوم عليه ان ينتهي حتما الى الانقسام والانهيار، نتيجة الطموح الطائش للبعض او بسبب العناد الاعمى للآخرين؟ ويقع هذا دائما عندما يحين قطف الثمار بعد عمل دؤوب وشاق، وهل نحمل على ان نظن بان هناك قوة شيطانية تسهر بدافع الحسد، على إحباط كل محاولة للتقدم؟ والحقيقة ان مبدأ استقلالية الحركة الكشفية كان يحتضر في مؤتمر سيدي فرج، إذ لم يكن هذا المؤتمر، كما نراه اليوم بعد مرور الوقت الكافي للتدبر، سوى مؤامرة لتسخير الشبيبة الجزائرية، تحت لواء حزب سياسي، لاهداف انتخابية لا تبعث على الاطمئنان.

فمن الواجب ان يُبصَّر الشباب الذين عاشوا حتى اليوم في معزل عن مشاكل بلدهم، بالأخطار التي تهددهم وأن يُعلموا بما هز الحركة الكشفية من ازمات لم يكن يشعر البعض بوجودها.

لكن إصرار بعض القادة، هو الذي صنع المعجزة واحيى من العدم جمعية جديدة تضم اليوم العديد من الافواج القوية في صفوفها، وهذا النجاح النسبي أحسن دليل على قدرة الإرادة إذا وضعت في خدمة الإيمان الصادق وبحق لجمعيتنا أن تفخر بهذه النتيجة، وبعد ان اطمأنت على سلامة معنويات أفواجها وعلى التعاون المثمر فيما بينها، عقدت اليوم جمعيتنا العزم على مواصلة عملها الدؤوب في سلام.

يصعب علينا أن نقدم بالتفصيل في إطار هذه الوقفة، البرنامج الذي عولت عليه ونستحسن آن نشير فقط إلى اهم الخطوط والاهداف الأساسية المسطرة هنا.

لقد رفضت حركتنا، بعد سيدي فرج، الانسياق في درب المساومات والصيِّغ الجوفاء، وإنه من واجبنا ان نفرض انفسنا كمؤسسة قامت من أجل التربية وكحركة للشبيبة الإسلامية هي الوحيدة التي تعمل في هذا الميدان.

فعندما يطلع الأولياء عن كثب على منجزاتنا سيسهل علينا إقناعهم آنذاك باننا نحتاج الى عونهم وتشجيعهم الصادقين، ولا ينبغي أن ننتظر قدومهم إلينا ولكن علينا ان نقوم نحوهم بالخطوة الاولى، وأن نجلب اهتمامهم ليعلموا ما نقوم به من اعمال وان نقنعهم انه من واجبهم ان يشتغلوا بالكشافة مثلما يشتغلون بالرياضة والمهرجانات، وأن لا يكتفوا بتسليم اولادهم لنا، ولا يتجاهلونا وينعزلوا في طمأنينة وسكينة.

فهدفنا الاسمى هو ان يعتبر كل جزائري مسلم أن حركتنا ملك له، وأن يتأكد بانه كلما أدى فيها عملاً فقد ساهم في ترقية المستوى الأدبي الوطني.

بقيت الآن مشكلة العلاقة مع الكشافة الفرنسية، فإني لا أطرق هذا الموضوع في مجمله ولكنني سأحاول إبراز النقاط التي تحدد موقفنا منه، واقدم بعض المقترحات التي ستساهم في تيسير التفاهم وإلربما في تنمية التعاون المثمر.

إن اهتمامنا وانشغالات الاغلبية الأصلية لسكان هذا البلد لا يعني إهمال مصالح الاقلية الاوروبية. زد على ذلك أننا لا ننوي القطيعة، بل نحن مقتنعون أن التعاون بيننا سيعطي لا محالة نتائج حسنة، إذا ما انبنى على مبادىء نذكر بأهمها: نحن ندرك ان موقفنا هو موقف المنتظر لكننا غير مسؤولين على ذلك.

فلقد اضطرتنا الكشافة الفرنسية الى هذا الموقف لأنها اتخذت تجاه جمعيتنا موقفاً أقل ما يقال عنه إنه متردد وفي بعض الاحيان غير أخوي تماما. فلقد كان من واجب الكشافة الفرنسية بوصفها حركة كشفية في قلبها وقالبها أن تدرك أن مهمتنا شاقة جدا في وسط لم تنتشر فيه الثقافة إلا قليلاً، ولا نظير له مع ما يجري في الجمعيات الاخرى، على الكشافة الفرنسية أن تعترف باستقلالية كل جمعية وأن تحرص على أن ينبني التعاون على أسس من الثقة لا على الشك الذي يتسرب رغم الوعود. فإذا ما عدلت الكشافة الفرنسية نهائيا عن هذه المواقف ورضيت بهذه المبادىء أمكن التفكير في إرساء علاقات مثمرة.

ومن أهم المبادىء خلق روابط متينة للتآخي بين الكتل الشعبية والحركة الكشفية. وإننا نعلم أنه من الصعب تغيير الرؤى والذهنيات، لكن إذا أردنا البقاء، فلا مناص لنا من إقناع من هم حولنا أن حركتنا ليست آلية قديمة للترفيه عن الأطفال. فمهمتها هي الاعتناء بالشباب من خلال عمل تربوي دائم: هو يجري بيسر وبلا ضجيج، بالتأكيد أفيد من سياسة العبارات الجوفاء التي كلفتنا الانشقاق المعروف.

سنصوغ برامجنا انطلاقا من هذا المنظار. لهي لن تكون من صنع قائد فرعي يعمل في برجه العاجي لاصلة له بالافواج، بل ستضع من طرف افواج متعاونة مع قادة أكفاء يأتون من عدة فروع، إذ هدفنا هو إعطاء برامجنا قسطا وافرا من الحيوية وأخذ الميزات المحلية بعين الاعتبار، وبذلك يسهل تنفيذها.

كما تطمح الى إعادة النظام السُلمي للكشافة، معنى ذلك إعادة السلطة للقائد، ولا تبنى هذه السلطة على الاعتبارات السياسية طبعا، بل تبنى على الثقافة والكفاءة والخبرة في الميدان الكشفي.

ولحل مشكلة التأطير يبقى علينا أن نقوم بعملية واسعة النطاق للبحث والدعاية في المدارس العمومية والخاصة، فيجب أن تتحول مخيماتنا للتدريب الى خلايا تحْلٍ حقيقية، حيث ينجذب إليها قادة المستقبل وينتخبون حسب كفاءتهم.

الحياة 1950.

2 أ - مؤتمر سطيف (1950)

كانت الإطارات المسيرة للكشافة الإسلامية (BSMA)، الى غاية 22 جويلية 1950 تاريخ افتتاح مؤتمر سطيف، متكونة من القادة الذين اتخذوا مصير الجمعية بين أيديهم من يوم تاسيسها.

لم تتلق هذه الجماعة القيادية المصادقة الرسمية الى غاية المؤتمر، لكن المبادىء الأساسية التي كانت تسير بمقتضاها كانت تحظى بالقبول الضمني من طرف القاعدة، كما كانت تحظى بنشر مكثف بصفة عفوية

وفي المخيمات والكتابة بواسطة الصحافة والنشرية الداخلية، وكان انضمام الأفواج الى الحركة أحسن تعبير عن هذه المصداقية، فكان يجري بحرية تامة وبعد ترو، وكان لذلك مغزى خاص في أعين القادة.

فلم يكن في الواقع مجرد انضمام، بل كان تعبيرا صادقا عن مبدإ مشترك وعن ثقة متبادلة نابعة من وعي.

لم يكن هذا الوضع المُشَبّع للغاية بأحاسيس الأخوة والتقدير المتبادل الذي ينبثق عنها، ليدوم طويلا. فكان من الواجب ترجمته على أرض الواقع وإعطاء الجمعية التي كانت تكبر يوما بعد يوم إطاراتها الشرعية. ذلك ما جرى اليوم بالفعل، إذ انعقد مؤتمر الكشافة الإسلامية (BSMA) في سطيف من 20 الى 26 جويلية 1950 وانتخب إطاراتها.

وتأسس مجلس الإدارة وانتخب فيه بالإجماع اغلب القادة الذين عملوا على إنشاء الجمعية وتطويرها.

إن لهذا الانتخاب بالإجماع لدلالة عميقة؛ إنه يعني ان هذه الحركة التي اسست في ظرف صعب، تحتوي على خميرة طيبة تكون مصدر حيوية في الجمعية؛ وأن هذه الخميرة لم تتولد من الكثرة، بل من النوعية والمردودية، ومن قوة الأواصر الأخوية التي وحّدت صفوف الكشافة الإسلامية (BSMA) من القاعدة الى القمة.

ولقد تبين لنا اثناء هذا المؤتمر كيف أولى الناس اعمالنا العناية، فالتشجيعات التي تلقيناها من الخارج والحفاوة التي استقبلت بها مختلف مؤسسات سطيف المؤتمرين كانت لنا دلائل ثمينة.

فهي تعني اننا عرفنا كيف نبعث حركتنا الكشفية من جديد، وذلك بالخروج من السياج المغلق الذي كانت تعمل فيه، وبتكييف مبادىء بادن باول مع وسطنا، ولقد طالبنا افواجنا بالكد والشجاعة في الأداء حتى ترتفع الى مستوى الحوادث التي كادت ان تعصف بحياة الحركة الكشفية الوحيدة التي تخصصت في الجزائر بالعمل التربوي المحض.

ولقد تم كل هذا في الوقت الذي أحست فيه الجماهير شبنا فشيئا، من خلال تجربة كلفتها النفس والنفيس، بأن الرقي ليس ثمرة لديماغوجية منظمة بل هو ثمرة عمل طويل النفس، جاد، ذكي ومستمر.

إن هذه اليقظة التي أدت الى النجاة، هي التي ساهمت كذلك في التطور السريع لحركتنا واستحقت التعاطف الصادق والتقدير الذي كان يحظى به قادة الكشافة الإسلامية (BSMA) حيثما حلت الحركة للقيام بمهمتها.

يمكن أن نقول بأن أهم فضل للحركة هو جمع تيارات فكرية مختلفة في ظرف مضطرب للغاية والافصاح عاليا عما كان يفكر فيه كل عضو فيها.

إن اليقظة التي نتحدث عنها ليست كسبا للحشودات الجماهيرية وكفى. لكن الكثير من الشباب اعينهم امواج الديماغوجية التي انصبت في تلك الفترة على الجزائر وخيبت آمالهم فيها، ولهم الحق في ذلك، ولهم الحق في أن يروا الجماهير المسلمة في الجزائر تخرج من ركودها وتزدهر؛ فنتج عن ذلك أن التحقوا بصفوف الكشافة الإسلامية (BSMA)، فوجدوا في منظمتنا الاطمئنان النفسي، وصداقة وأخوة حقيقيتين، وتمكنوا في نفس الوقت من العثور على متنفس لحماسهم الذي لم يتوقف وكانوا قادرين على أن يعملوا بجد في حركتنا لإعداد أجيال أفضل برفع مستواها الخلقي وبساهموا بذلك في رفع مستوى وطنهم.

إن مهمتهم التربوية، والجو الذي أصبحوا يزاولونها فيه وفّرا لهم التوازن الذي افتقدوه خارجها، وهذا مما ساهم في تنمية حركتنا التي لم تكن قد بلغت أوجها بعد.

هذا وقد برهنت القيادة أن المصاعب لا تحطمها وأن الانتصارات لا تغريها. فلقد أدركت مسؤوليتها والمهمة العظمى التي بقيت دينا عليها، فتعاهدت علنا على تحملها مثلما فعلت في الماضي، وفي إطار المبادىء التي توختها يوم ميلادها. وكانت تعتقد أن البقاء في نطاق الحدود التي رسمتها لها مهمتها التربوية سيزكي عملها وسيتيح هذا الأسلوب للجمعية أن تتمتع بعطف وتقدير كل النزهاء.

* * *

3 - لكل عهد جديد عزم جديد:

اجتمعت أفواج الذكور في ندوة جهوية بقسنطينة في عطلة عيد ميلاد المسيح عليه السلام، وقيمت الوضع الحالي، وقارنت بين مختلف النتائج واستعرضت المشاكل التي تشغلها، فلقد اتضح في هذا الاجتماع أن الأفواج كلها تحس بأنها تمر بفترة عصيبة، وتعمل في ظروف صعبة. لكن قادتنا وإن قدروا هذه المصاعب حق قدرها، إلا أنهم واجهوها بجلد. ويحملنا هذا الى القول بأن الاجيال الكشفية الجديدة في استعداد دائم مثل اسلافها، لكنهم يتحلون بصفات مختلفة: فهم أكثر اعتدالا في طموحهم وأقرب الى واقع الحياة الكشفية، وهم أقوى واشد إيمانا على الدوام. وإذا اختلفت ذهنية القادة الجدد عن ذهنية اسلافهم فلأنها لم تتح من تطور العصر وافكاره. إن عجز بعض القادة على التكيف مع الجيل الجديد من الأشبال والكشافة ونقص معلوماتهم وضعف العزيمة والتوازن يجعلهم أكثر ترددا واقل ثباتا في مواقفهم. فهم لا يقدرون متعة المهنة وعظمتها حق قدرها: ففيها متعة التنقيف الذاتي، والثقافة فرض على القائد، وفرض عليه المطالعة على الدوام لتلبية حب التطلع المعروسة في الطفل وليمنح له مرتعا فكريا كافيا. وفيها متعة تفتح العقول الصغيرة ولمس آثار تربيتنا لها، وتعليمها التغلب على الصعاب. وفيها المتعة عندما نراها تقضي على تلك الصعاب وتعبر لنا عن ذلك بافتخار.

إن الكثير من أعضاء حركتنا ينتمون الى فئات شعبية فقيرة، فيتحسر القائد ولا حول له ولا قوة عندما يرى هندامًا هزيلا ووجها شاحبا وصدرا غائرا وأطرافا نحيفة.

ونظرا لندرة المقاعد في المدارس يجد أعضاء حركتنا انفسهم بعد انتهاء نشاطاتنا، في فراغ، ثم في الشارع وفي اضطراباته وفي أمواج مناظر، منها البريئة ومنها دون ذلك، وفي الملاهي السهلة حسب الظروف المتاحة؛ فتتبدد الطاقات الفكرية عند اولائك الاطفال وتصاب أخلاقهم

في أغلب الأحيان. فيتعب القائد أمام ذلك الضعف الفكري والخلقي الذي يسببه الوسط وأسلوب العيش في الطفل.

وغلاء المعيشة المتزايد هو الآخر أثره على الحركة الكشفية. فهو يلقي بثقله على كاهل الاقتصاد العائلي، فيشتغل الأب بالمشاكل اليومية للمعاش إلى أن يضحي بتربية أولاده، وتُعرض العائلة المنحشرة عن الكشافة، وتنتقد العمل التربوي لأنها لا تقدر أبعاده، أو تعارضه بلا هوادة. أما الإدارة المحلية التي يفترض أن تُقدّم عونا هو من حق الفوج تراها تشدد عليه. فهي تعتبر الحركة طلائعية وقيادية فتحترس من أفواجها مبدئيا وتتفنن في عرقلتها لأتفه الأعذار.

وفي خضم هذا الصراع، يصبح الدور التربوي للقائد أعظم ثقلا خاصة أمام عجز الوسائل التربوية الأخرى، فيبدو للقائد الكشفي أن جهوده لا تأتي بكل ما يرجوه من ثمار، فيصعب عليه أن يحافظ على إيمان سليم بمقدور التربية الكشفية وقيمتها. ويظهر الخطر عندما يشعر القائد بأن عمله أصبح غير مفيد.

لكن ولحسن حظنا، قد ظهرت أثناء هذه الأزمة مواقف سليمة كانت منابع حية لإيمان جديد وقوي نواجه بها واقع اليوم.

كان أسلافنا يعيشون بمفهوم بسيط للكشافة، وكانوا يطبقون طريقة بادن باول بدون تمييز دقيق وبدون تكييفها مع واقع الشباب المسلم الجزائري، فنحن اليوم نهتم أكثر بمعرفة الطفل الذي يُسَلّم لنا. لأجل ذلك نتبعه في وسطه وفي حضارته ومتناقضاته وشخصيته. فلقد تأسست فرقة قيادية كاملة، وحّدتها أخوة تصمد أمام كل المحن ووحدها مثل أعلى للوطنية وهي تجتهد من أجل تكييف هذه الحركة الكشفية وتجعلها فعالة في أساسيا، فإن هذا الهدف هو الذي يقود كل حركة الفوج في برامجه ونشاطاته ومخيماته الصيفية. ولكوننا تحصلنا على تقنيات كشفية أكثر دقة وأكثر تماشيا مع المثل الأعلى للمسلم الجزائري، كنا نشعر بثقة أكبر في نفوسنا وأمل أقوى، ولولا ذلك لاستحال علينا القيام بمهمتنا.

ولكي نعطي لضمائر الأجيال الصاعدة من القادة القوة والعزم، لسنا في حاجة الى بث معتقدات سياسية في أذهانهم.

لكننا كنا نحاول أن ننمي لدى كل عضو في الكشافة الإسلامية (BSMA) شعورا بحمله على القيام بمعركة في الجزائر على جبهة الطفولة وفي كافة المجالات: في الأخوة، في مكافحة الأمراض، والبؤس، والجهل وفي الآداب العامة، فإن لكل عضو في الكشافة الإسلامية (BSMA) مكانة يحتلها ومسؤولية يتحملها.



المؤتمر العام للجزائر 1950.

06 ـ مقالات الطاهر التجيني
القائد العام

1 ـ مهمة كشافتنا،

إعداد وتربية وتحرر.

لا نحتاج قيمة الكشافة كطريقة للتربية الى دلالة. لكن الكشافة ما هي إلا تربية إضافية للطفل في عائلته وفي مدرسته وفي الطريق، فعليها ان تأخذ بعين الاعتبار اهمية هذه الأوساط الطبيعية في الحياة الاجتماعية حتى تتكيف معها. وبسبب عوامل لا نريد تحليلها هنا لا العائلة ولا المدرسة ولا الشارع قادرون على تربية الطفل المسلم في هذه البلاد.

وفي الحقيقة، إن العائلة المسلمة التي تضعضعت إطاراتها بسبب المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية او لأسباب اخرى، لا تؤدي دورها كمربية إما لأنها لا تستطيع او لا تريد القيام بها. فما عدى بعض الحالات الاستثنائية فإن الأب مثل الأم لا يكادان يقدران على إنشاء الطفل بتوفير الخبز اليومي وكم هي الجهود التي يبذلانها في هذا السبيل فلم يبق من البيت العائلي الصغير ولا سعة الرزق النسبية ولا البساطة في الحياة اليومية إلا ذكريات الماضي.

لذا فإن الظروف العادية لتأدية الواجب العادي ليست متوفرة الآن، وهذا يؤدي بالأولياء الى عدم اخذ المسؤولية لهذه التربية، ومن جهة اخرى، فهناك نوع من إدراك عدم قدرتهم على المساعدة التي يمكنهم ان يقدموها لأطفالهم، إنهم عاجزون، ألم نسمع في العديد من المناسبات ابا يقول: «لم تكن نعرف هذا ابدا في وقتنا». ورغم ذلك فهم يتركون كامل الحرية للطفل في تصرفه. أما المدرسة من جهتها فهي لا تتسع لكل الشباب ولا تستطيع ذلك اليوم، فمهمتها هي التعليم اولا، ولا تستطيع إلا ان تقترب من المشاكل الروحية مراعاة للتقاليد والعادات والدين. غير أننا نلاحظ

الكثير من المعلمين – وإن كانت البرامج لا تخولهم أن يقوموا بالتربية – يعطون المثل الأعلى، ويترك سلوكهم وطريقة عيشهم أو عملهم حتما أثرا طيبا في نفوس تلامذتهم.

أقول هذا وأنا أفكر خاصة في أولئك المدرسين في القرى، فإن حياتهم مثال يحتذى به سواء بالنسبة للكبار أو الصغار، فهم يشعون في تواضع.

أما الشارع، فأثر الانحطاط الاجتماعي الذي أصابه قد أصبح مدرسة السوء للشباب المسلم. فإنه من المهم أن نلاحظ عدد المتهمين في المحاكم من الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة، كما نسمح جولة في مقاهي القرى أو المدينة وفي خمارات الحي بتقييم ما بقي على عاتق الحركات التربوية أن تقوم به لتخليص هؤلاء الشباب من مخاطر الشارع.

تخوض الكشافة الإسلامية من جهتها ومنذ تأسيسها معركة لمساعدة هؤلاء الشباب تتخذ هذه المساعدة أشكالا عدة حسب الأوساط، لا نريد إقصاء أي شاب يحتاج للتكوين. فإن تلك الإعانات توجه لأطفال القرى كما توجه لأطفال المدن وللذكور مثل الاناث.

فإذا كانت كشافتنا ترغب في استقطاب أطفال القرى سواء كانوا عربا أو قبائل فهي تطمح الى ترقيتهم بتعويدهم على النظافة والنظام والانضباط والى اطلاعهم على العالم الذي لا ينحصر في السوق المجاورة. وعندما تستبدل لهم البرنس بالسروال تريهم أن هناك طرقا أخرى للعيش وللباس وللسلوك... الخ.

إن هذا الجانب – ولو اعتبرناه تمهيدا – لا يستبعد الجانب التربوي، بالمعنى الحقيقي للكلمة، وهو الإحساس بمسؤولية حب العمل المتقن وحب العيش ضمن مجموعة يتم فيها كل شيء بنظام وانضباط، وفعل الخير وحب الجار والاعتماد على النفس وتنمية الشخصية من الناحية الصحية والتنمية الفنية والدينية. هذه هي الأهداف المهمة التي يتشبث بها القائد. أما النجاح فيزيد أو ينقص، رغم ان العزم على الاتقان لا ينقصهم وهذه حقيقة نعترف بها.

ولو أن الإعداد والتربية في حد ذاتهما مهمة شاقة لقادتنا لأنهم ما زالوا شبابا، فإن كشافتنا تفرض على نفسها هدفا آخر وهو: التحرير. فلقد أصبحت فكرة المحافظة الإسلامية أسطورة، فليس من السهل تحررنا وتحرير أطفالنا من مختلف العراقيل. فعندما نجدد نطاق نشاطنا لتربية وتحرير الافراد، نجتهد في إيقاظ نوع من حرية الفكر، بحب واع للحرية. كما نعطي للشباب إحساسا بأن مجال نشاطهم يمكن، بل يجب أن يكون متعددا ومتنوعا. وأن المجال الذي يجب أن يسبح فيه فكرهم شاسع وأن العالم واحد وأن العائلة غير مغلقة كما كانت في الماضي وأنها تكبر الى أن تشمل كل الإنسانية.

فإذا كانت التقاليد عائقا صعبا لتحرير الذكر فهي سد مانع لتحرير الأنثى، بفضل الحرارة التي نحس بها كشباب وقناعتنا بأن لا شيء يتم دون المرأة وبالأحرى ضدها، لم نتردد في الخوض في بعض التجارب في الكشافة النسوية كلما رأينا فرصة للنجاح أو ظروفا موائية لذلك.

لقد فضلنا العمل على التكهنات النظرية فنعرض على قادتنا وعلى أصدقائنا الذين يتزايدون يوما بعد يوم منجزاتنا في هذا الميدان، وخاصة في المخيمات الصيفية النسوية والأفواج النسوية في العطل.

يا حبذا لو تفهمنا كل أصحاب النوايا الطيبة وساعدونا في هذه الانجازات العظيمة لفائدة الشباب. ومن الناس من يصفها بالثورية، بل بالخطيرة، وما هي في الواقع سوى المضي قدما نحو الاعداد والتربية والتحرير.

نشرة الكشافة الإسلامية (SMA) عدد 15 – 1946.

2 - بيان من القائد العام

الحذر! أكثر من أي وقت مضى.

وصلت السنة الكشفية الى نهايتها. وقامت القيادة العامة المجتمعة بقسنطينة أيام 14، 15 و16 أبريل 1946 بعرض للآفاق العامة لوضعية الحركة. فسنقرأ فيما بعد ملخصا لهذا العرض، فلا فائدة في العودة إليه.

أما الآن فيبدو لي أنه من الضرورة استنفار قادتنا وأصدقاء الكشافة الإسلامية لتبديد الظلام السائد حول الحركة والذي يوشك أن يحجبها، فما زالت الكشافة الإسلامية (SMA) تتعرض لردود أفعال حوادث السنة الماضية، واعتبارا للصعوبات التي كنت أعرف أنها ستعترضنا، فقد طرحت أمام القادة المجتمعين في المجلس الفيدرالي في سبتمبر 1946 سؤالا لمعرفة ما إذا كنا سنواصل نشاطنا بعد كل ما حدث أو نوقفه، فقرر المجلس المواصلة.

وقد انطلقت السنة الكشفية في جو جد ثقيل. فقد توقفت كل نشاطاتنا في منطقة القبائل وفي ولاية قسنطينة. وقد انفصل العديد من قادتنا بعد أن فقدوا العزيمة وبقي البعض عبر مظهرين تنقصهم «الشعلة» تجاه الكشافة الإسلامية (SMA) والتي مازالت منبع صبرنا الوحيد. ورغم ذلك فإن الأغلبية من قادتنا قد ثبتت، لأنها أدركت نبل المهمة التي تحملنها من أجل رفع المستوى المعنوي والاجتماعي لجمهور من الشباب المسلم ليس له في هذا البلد دعامة سواها. ولأنها أدركت كذلك الدور الذي يمكن أن نلعبه والذي نريد ويجب علينا أن نلعبه في مجتمع صاغه التاريخ من عناصر متباينة، وللتقرب بين الفئات المختلفة للشباب في احترام متبادل لمعتقداتها وآرائها، وهي نرجو أن تحصل على الدعم أو على الأقل رضى الجميع، لقد غاب هذا الرضى رغم نداءاتنا المتكررة للمزيد من التفهم.

وتبقى النشاطات والتظاهرات الكشفية محضورة في الواقع في القطاع القسنطيني، مازالت الكشافة الإسلامية (SMA) مشبوهة، وملفاتها محملة

«بالجرائم الخيالية». إن قادتنا الذين يشغلون وظائف بسيطة والمستخدمين منهم يعرفون الكثير عن هذه الشكوك.

كما ان الجرائد التي قالت كل شيء» بل اكثر مما نتصور بعد ماي 1945 مازالت تسمم الراي العام بكتاباتها، فهي بالحرف الواحد أننا ننتمي الى «أولائك المتعصبين الذين يعملون منذ ثلاث سنوات حسب مخطط مهيإ بالتدقيق والتدريج لتاسيس أفواج كشفية إسلامية عبر كامل القطر الجزائري...» رغم ان تصريحاتنا، وقراراتنا ونشاطاتنا الماضية والحاضرة لا تسمح بمثل هذه التهم ولا بمثل هذه الظنون.

والأخطر من هذا والمحزن حقا هو ان اصدقاءنا بداوا «يشكون» ويحكمون علينا بقساوة ويبخلون علينا بدعمهم. إن احتراماتنا وكل علاقاتنا مع خارج المنظمة وتوجيهاتنا بعدم الإقدام على أي عمل يلفت الانظار وعدم القيام باي نشاط بدون ترخيص «سواء تعلق الامر بحفلات الأفواج أو إعانات لفائدة المشاريع التربوية أو الخيرية جعلت أفواجنا لا تستطيع البقاء وحي تعيش في العسر.

أما داخل الحركة فلقد كان لانعدام النشاط في القطاع القسنطيني آثار وخيمة. فشبابنا لا يفهم ما يجري إذ يُمارسون نفس النشاط الكشفي الذي يمارسه إخوانهم في الجزائر ووهران ولم يعاقب مسؤولوهم على اي خطإ، ولم تكشف التحقيقات الإدارية ولا الكشفية على اي تهمة ضدهم ولم اتردد في إعلان ذلك منذ جوان 1945، ومع ذلك لم يحمل قانون العفو أي جديد لنا.

فلا غرابة أن يفقد بعض قادتنا إيمانهم في مثل الكشافة الإسلامية (SMA) بعد أن انقطع كل اتصال لهم مع الحركة وظنوا ان القيادة العامة ربما لم تقم بأي مبادرة لصالحهم، ومنهم من فقدوا حرارة الانتماء وذهبوا الى حد النكر لتعهداتهم وعدم احترام قانون الكشاف، هذا وقد اذنت الولاية لبعض الأفواج باستئناف النشاط لكن البعض منها لم يستأنف ولا يستطيع الاستئناف كما عهده من قبل. ولا يمكن للقيادة العامة أن تنسب

عنها من يبعث النشاط كما نريد، اما الأفواج الأخرى فهي تنتظر دائما رخصة لا نائبها ولا نزال نطالب بها القيادة العامة بإلحاح ولكن هذه الأخيرة لا حيلة لها.

وإذا ما قارنا عظمة الأعمال التي تنتظرنا بضعف الوسائل التي نملكها تيسر لنا أن نفهم ان بعض القادة داخل الحركة فاتها ثم يعودوا يفكرون كما يجب لعدم وجود اتصالات اوثق على كل الجبهات.

هذه هي العوامل التي تضع الحركة في «جو من ضباب».

ولكي نوضح الأمور أكثر ولتحديدها قررت القيادة العامة جمع كافة قادة الافواج وقادة الوحدات لخمسة أيام دراسية للكشافة الإسلامية (SMA) في جويلية او سبتمبر القادم، وفي انتظار ذلك أرجو منكم جميعا قادة وأصدقاء الكشافة الإسلامية (SMA) ان تتحلوا بالحذر، لأن فساد الجو يعني الاختناق، وهذا مالا تعونه بالتأكيد، فالحذر إذن اكثر من أي وقت مضى

3 - رسالة من القائد العام:

بمناسبة ذكرى.

مضى عام منذ ان صدرت نشريتنا «نشرة الكشافة الإسلامية (شنإ)» وهذا في مجال العلاقات بين الرجال، مناسبة من بين العديد من المناسبات التي نغتنمها بسرور لكي نعبر عن عواطفنا ووفائنا وحبنا واعترافنا بالجميل للأصدقاء والأولياء. وهذه مناسبة لرئيس المؤسسة أن يقيم نشاط السنة وأن يعبر بالأرقام عن الفوائد المتحصل عليها في بحر العام المنصرم، وهي كذلك فرصة لاستخلاص العبر من التجربة التي عشناها للمضيّ قدما للاقتراب أكثر ما يمكن من الهدف المنشود.

ونشريتنا بالنسبة لنا، إخوتي القادة، هي في نفس الوقت الولي والصديق والرفيق وهي المؤسسة أيضا.

وعلينا ان نظهر لها حبنا كما نظهره لكل عزيز علينا، وذلك برعاية صحتها المادية والمعنوية معا. فالرجاء ألا نبغى تمنياتنا بالازدهار والعمر المديد الذي نتفوّه به في مثل هذه المناسبات، سوى عبارات حب عذري.

وكما ترفق تمنياتنا لأقاربنا ولأصدقائنا «بشيء صغير»، بتذكار مثلا، فلنعمل كذلك مع نشريتنا، لنهدي لها صُوّرَ تقارير استطلاعات، آراء شخصية أو صورا فوتوغرافية أو ببساطة بعض الاقتراحات لتطويرها، أو أي رمز للمحبة للصداقة ولحسن العاطفة بأتم معنى الكلمة، فعلى كل عضو في الكشافة الإسلامية (SMA) أن يسأل ضميره: ماذا علي أن أهدي لنشريتنا؟.

أما المؤسسة فهي تحتاج الى أكثر من هذا، فالأمر يستلزم إجراء تقييم لمؤسسة حزينة لا تملك إلا القليل من الوسائل المتوفرة في حركتنا.

فلقد أخذ قرار إنشاء نشرية خلال الاجتماع الحادي عشر (11) للمكتب الفيدرالي العادي في ديسمبر 1944.

وقد قامت القيادة العامة بعدة اجراءات من أجل رخصة للاصدار، لكنها لم تكلل بالنجاح وحرمتنا من فرصة إصدارها.

وهكذا كان القائد الوطني قد أنشأ بعث النشرية دون أن يتلقى تعليمات محددة في هذا المجال أو يزود بالوسائل الضرورية، وظننا أن التجربة وحدها قادرة على دلالتنا في هذا الميدان الكشفي الذي لم تكتشفه حتى اليوم. ألم نقل إن حسن إرادة الجميع كافية؟ أليست الضمان المؤكد للنجاح؟ إننا لم نخطئ الظن، فقد صدر العدد الأول في فيفري 1945 في 8 صفحات، ثم احتوى عدد السنة الموالية وفي نفس الشهر 30 صفحة، ويكفي أن نضع الأول بجنب الثاني لنرى كل الطريق الذي قطعناه في هذا المجال. وإن بقيت الحركة حية في العام الماضي فإن ذلك يعدّ عجيبة إذا أخذنا بعين الاعتبار ما أصابها من أزمة كادت تعصف بها الى الأبد. ومع كل هذا كان محررو النشرية يضطلعون بوظائف أثقل وأعجل من هذه المهمة داخل الحركة، لذا أرى لزاما علي أن أعبر لهم باسمي وباسمكم عن كل امتناننا ولو أدى ذلك الى خدش تواضعهم كما أقدم لهم كل التهاني على المجهودات الجبارة التي ما فتئوا يبذلونها.

ورغم كل ذلك مازالت نشريتنا بعيدة عن الكمال، فهي مازالت تبحث على طريقها، وهي تكتشفه خطوة خطوة. فاعينوها على ذلك كل في

محيطه مهما صغر ذلك المحيط، وهي لا تفي بطموحات الجميع بالتأكيد وانفهم أن لا يجد فيها عضو الفرقة السادسة أن قادته يفكرون في الكشاف الأكبر أكثر مما يفكرون فيه، فعلى قادة الوحدتين بالصبر فإنهما سيتلقيان عن قريب نشرية «الكشاف SMA» للأول و«الشبل الإسلامي SMA» للثاني.

ولكي يتم هذا فلابد للنشرية وهي الناطق الرسمي باسم القيادة أن تحيى وأن لا تحتاج الى منح الصندوق المركزي، وأن تتطور بالخصوص كما تريد، لذا فتحنا اكتتابا واسعا من أجل تحسين نشرية الكشافة الإسلامية (SMA).

فمن أجل صدور «الكشاف الإسلامي SMA» ومن أجل صدور «الشبل الإسلامي SMA» هيا جميعا أيها الإخوان، أيها القادة للكشافة (SMA) وأصدقاء الكشافة (SMA) الى الأمام! من أجل أن ينتفع أقصى عدد ممكن من الشباب المسلم في هذا الوطن! ومن أجل تطوير كشافتنا الإسلامية الجزائرية! من أجل حريتها وعلوها.

4 - مع الجميع وليس ضدّ أي أحد،

قررت الكشافة الإسلامية الجزائرية وبشيء من الحيرة، الاشتراك هذا الصيف في التظاهرتين العالميتين الكبيرتين للشباب، وهما تظاهرة مواسون بفرنسا المسماة بمخيم السلام وتظاهرة براها بتشيكوسلوفاكيا والمسماة بالمهرجان العالمي للشباب. وتنعقد التظاهرتان في نفس الفترة على وجه التقريب.

اما السياسيون فقد أرادوا أن يروا في هاتين التظاهرتين انعكاسات لاهتمامات الكبار على المستوى العالمي وذلك ليبرهنوا على حسن معتقدات الحزب الذي ينتمون إليه، اما المخيم فكان المنتظر منه حسب رأي البعض أن يكون عبارة عن تجمع وتظاهرة جماهيرية لشبيبة المعسكر الانغلوساكسوني، اما المهرجان فهو حسب رأي البعض الآخر عبارة عن مؤتمر غير عادي للشبيبة الموالية لروسيا.

ورغم خوف المهتمين بالانحياز، قررت الكشافة الإسلامية المشاركة في التجمعين. هذا وإن كانت على علم بأنها ستشعر في المخيم بأنها في وسطها

المناسب، أما في مهرجان (براما) فلم يكن الأمر كذلك، إذ في هذه التظاهرة ستعقد «جلسات علنية» ولجان تصدر لوائح وما إلى ذلك...

ومهما يكن من أمر فان الكشافة الإسلامية (SMA) حركة تربوية وهي عازمة على ان تبقى كذلك، وهي تدرك أنها الجمعية التي تضم أكبر عدد من الشباب المسلم في هذا الوطن، وهؤلاء الكشافة يريدون أن يكونوا مفيدين. إنهم يدركون أنهم ينتمون إلى شعب فتي كانت له بالتأكيد في الأمس القريب أو البعيد، زهرة العمر وكان قادراً على انجازات عظمى؛ لكنه في «العالم الجديد» يفتقر الى تعلم الكثير وفي كل الميادين.

5 - إلى قادتنا وأصدقائنا:

ذهب الكثير منكم أيها الأصدقاء، سواء عرفناكم أم لم نعرفكم إلى أننا لم نصدر نشرتنا بانتظام، فلنذكركم ان جمعيتنا قد طلبت منذ فبري 1943 من مصالح الإعلام في الحكومة المؤقتة التي كانت تقيم في الجزائر آنذاك إذنا بالنشر وكمية من الورق، وأعدنا الطلب مرات عدة وقمنا بتدخلات في هذا الصدد ولا جواب لطلبنا، رغم ان العديد من الجرائد من كل الاتجاهات قد صدرت منذ ذلك الحين، فهل السبب في ذلك اننا لا ننتمي الى الاتجاه الواجب اتباعه؟ احكموا بأنفسكم.

نحن حركة تربوية وسائلها المادية محدودة جداً، فلا يمكننا أن نغزو سوقا ولو كانت «رمادية»، لكننا سنبذل المستحيل لنبقى على اتصال معكم وأن نجعل منشوركم أكثر انتظاما، فإننا سنعطيه بالفعل، ابتداء من العدد القادم صيغة أشمل لنتحدث، زيادة على الموضوعات الكشفية الصرفة، عن المشاكل التي تهم الشباب: تربويا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وستبقى صفحاته مفتوحة للجميع.

أليس من واجب كشافتنا أن يتتبعوا باهتمام حركة الإصلاح الديني التي تبذل جهودا معتبرة للقضاء على البدع التي جعلت الجماهير بعيدة كل البعد عن الأفكار الجديدة؟ أو ليس من واجبهم ان يعتبروا انه ليس بإمكانهم أن يساندوا كل حركة تقدمية سواء كانت ثقافية او سياسية من

الحركات التي ترمي الى خير الشعب وبالتالي الى خيرهم؟ أو ليس من واجبهم أن يقرّوا مشروعا من مشاريع الإدارة يرمي الى فائدة الجميع رغم انها تهملها عادة؟

يتنافى هذا الوعي مع التقليد، إذ يريد الكشافة المسلمون الجزائريون أن ينهلوا من كل مصدر معرفة، ولا تصرف إرادتهم في هذا المجال، ولذا نصدر «مخيم السلام» من ناحية و«المهرجان العالمي» من ناحية أخرى.

وقبل الانطلاق كلفنا الوفدين بنفس المهمة: فتح أعينهم وآذانهم الى أبعد حدّ ممكن. واعتقد انهم قاموا بمهمتهم أحسن قيام وهكذا يفعل الكشافة. كل واحد منهم رجع وقد ادخر خبرة مناسبة لاستعداده، وكلهم رجعوا برؤية للعالم أوسع نطاقاً وأكثر سموّاً.

اما حركة (ك.إ.ج) فقد تمكنت من الحوصلة وهو شيء لا يستهان به، في «مخيم السلام» رأينا بكل الرضى أن ردود فعل الشاب مهما كان لون بشرته وجنسه لا تختلف، وأن منهجية (بادن باول) يمكن تطبيقها على الجميع وان الفرق الأربع التي مثلت (ك.إ.ج) ليست دون المئات من الفرق الواردة من مختلف البلدان التي كونت مدينة (مواسون) السريعة الزوال – كنا نخاف ان تكون إخوتنا مزوّرة، ولعلنا كنا نرى مع حسن نيتنا – اننا على خطإ بتطبيقنا منهجية كشفية خاصة، ومن حسن الحظ كان هذا التوجس لا يمت الى الحقيقة بصلة، و(بادن باول) لو شاهدنا لكان يرى فينا جماعة من مريديه ومن احسنهم بلا شك. ولم يبق في الساحة سوى الناس يدفعهم سوء نيتهم لتزكية الرأي المخالف وزراعة البلبلة.وفي (براها) كان مصدر رضانا شيئا آخر، كان رضانا صادرا عن ملاحظتنا للشبان من حولنا. كانت لهم اهتمامات واحدة وكلهم يطمحون الى السلم وكلهم يريدون إرساء عالم افضل على وجه هذه الأرض. كانوا كلهم يبحثون عن الحياة في جو الحرية، ولم تجد في هذه المجتمعات نفس المعنى للكلمات ولكن العواطف التي كانت سببا في تنشيط الشبيبة الممثلة في المهرجان كانت كلها طاهرة. نتعلّم لنتحرّر ونُتقن ما نقدّمه من

خدمات ونجتهد في معرفة انفسنا لنبادل قسط اوفر من الصحبة تلك هي الاهداف التي ترمي الكشافة الإسلامية إلى إنجازها بالمشاركة في هاتين التظاهرتين الدوليتين. كل المؤشرات تدل على ذلك، وقد اقنعنا أنهم كانوا مع الجميع وليس ضدّ اي أحد.

نشرية الكشافة الإسلامية (SMA) - خريف 1947.

6 - الأسفار تكون الشباب:

من اجل ذلك تعودت جمعيتنا أن تنظم كل عام قافلة أو اكثر الى خارج الجزائر. ففي صائفة 1952 رحلت الى فرنسا قافلتان، واحدة للذكور واخرى للاناث. وفي صيف السنة الماضية، ذهبت قافلة الى مصر لتقضي بها نفس المدة تقريبا. فإن كانت الرحلتان الاوليان الى فرنسا قد جرتا بدون مشاكل تذكر، اللهم إلا مشكلة الميزانية وهي مشكلة قد تعودنا عليها عندنا، لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للرحلة الاخيرة. فبعد الرفض جاء التماطل في منح جوازات السفر، للكثير من شبابنا ولقد تحتم علينا اللجوء الى الكثير من التدخلات، وفي الأخير ولحسن الحظ، تغلب العقل على العاطفة.

فإنه من واجبنا أن نعبر علنا على تشكراتنا للسيد فارس رئيس المجلس الجزائري وكذلك للسادة: فرحات عباس والعقيد قاضي، والدكتور فرنسيس، والحاج سعيد الذين تدخلوا كل من جانبه، سواء لدى الولاية العامة العليا أو لدى ملحقاتها للحصول على جوازات السفر لشباننا. ولقد كانت هذه الجوازات تؤجّل كل يوم الى اليوم الموالي. ولا يسعنا إلا أن نعبر عن اندهاشنا لهذه التصرفات لمصالح الولاية العامة والتي لا نفهمها.

وما لم يكن هناك دليل غير هذا، فإن جمعيتنا قد حصرت نفسها بجهد جهيد في مجال التربية الخالص! وهذا مبدأ لا نحيد عنه أبدا.

لقد بدا لنا ومازلنا نؤمن بأن إرسال قادتنا وجوالتنا الى فرنسا وتيسير الاتصال لشاباتنا مع الشابات الفرنسيات، هو احسن وسيلة للوصول الى

التفاهم بين الشعوب ولكي يتعلم هؤلاء من أولئك لتصحيح وترقية النفس، أو قل بعبارة أشمل للتثقف. ولا يهمنا دين الجماعات التي سيختلط بها شبابنا ولا نظريتهم الفلسفية ولا طريقة معاشهم، فالمهم أن شبابنا يفتح عيونه وآذانه ويغتنم أكثر ما يستطيع من المعاشرة ثم من التعريف بوطنه. تلك هي ارشاداتنا على الدوام.

وارتأينا بنفس البراءة أن الاحتكاك بشباب المشرق له نفس الفائدة لشبابنا، ولكننا لم نتفطن الى أن هذا البلد قد خرج من ثورة سياسية وهو بلد إسلامي، وفيه مقر الجامعة العربية... وهلم جرا...

لقد قرب الكتاب والإذاعة والجرائد المسافات وأتاح لكل واحد أن يأخذ فكرة عن الرجال والحوادث ولو عن بعد. فلماذا يجد البعض الخطر حيث لا يكون؟ يبدو أن انعدام الثقة قد طغى على كل أفعال وتصرفات الجميع، وأصبح يضغط بثقله على الشباب الذين يريدون ويحق بث الاستقامة في كل شيء والثقة في كلّ من حولهم، وبعبارة أوضح بث روح التحرر التي كافح من أجلها أجيال من الرجال.

ذهب الكشافة الإسلامية (BSMA) الى مصر، والى بودابيست ورأوا وتعلموا وحافظوا على ما يجب الاحتفاظ به، ونبذ كل ما لا يفيدهم ولا يفيد وطنهم، فقد أصبح هؤلاء الشباب الذين بلغوا الرشد لا يتحملون ألوانا من الوصاية. فإن شبابنا وبلادنا يبحثان عن طريق للخلاص فهما يبحثان عنه حينما كان وبأي ثمن.

7 - كلمة القائد: رسالتنا.

بعد هذه الحرب «الغريبة» هاهي الجزائر المسلمة تبحث عن توازنها، فقد أصبحت الجماهير المسلمة تدرك شيئا فشيئا من هي وما يجب أن تكون. فهي تنقاد لنخبتها من العمال والبورجوازية والمثقفين، وتتكون المؤسسات الدينية هنا وهناك، كما تتأسس الجمعيات الرياضية والخيرية في كل مكان، وتنتظم وتنمو الأحزاب السياسية، فقد بلغ الشعب درجة من النضج لم نعهدها فيه قبل الحرب. وقد وصل هذا «الوعي» الذي يشعر

به كل واحد منا الى فئات الشباب. لقد عبا هؤلاء الشباب انفسهم في صفوف الكشافة الإسلامية (FSMA) لمهمة نبيلة وشاقة، تلك هي تكوين النفس وتكوين شباب آخرين، بل اكثر ما يمكن من الشباب كي يغدوا ويصبحوا مواطنين صالحين سعداء. تلك مهمة نبيلة لانها لا تستجيب إلا للواجب ولا تنتظر من اجر سوى الرضا بالقيام بذلك الواجب. وهي شاقة لأنها تستحيل على أي واحد لا يملك اقل قسط من الانضباط والثقة في النفس والمثابرة، وهذه الصفات الثلاث تتطلب جهدا عظيما على النفس، فالكشافة كما نقول ونردده بلا ملل هي طريقة خاصة للتربية. فليس لها اي علاقة بالاساليب العسكرية، وهي انضباط عن طواعية بدونه لا يمكن لاي شيء عظيم ان يتحقق. ويستلزم هذا الانضباط القبول بحب، نقبل بشرط من القائد الا يقول ولا يفعل كل ما بدا له، فهو قد أعطى العهد على خدمة الطفل والله يعلم ما يحتاجه هذا الطفل من خدمة.

ولا خير في انضباط لا تصحبه الثقة؛ الثقة في النفس اولا ثم الثقة في الرسالة، والثقة بعدها في كل الذين عاهدوا نفس العهد ووعدوا بالخضوع لقانون الكشافة.

فبدون هذه الثقة، لا يكتمل سوى نصف عملنا، ونبقى جهودنا مبعثرة ويصبح نجاح رسالتنا غير مضمون. وعلينا كذلك ان نبذل كل جهد لاستحقاق ثقة شعبنا. ولبلوغ هذا الهدف، يجب أن نبقى كما نحن، أن نبقى اوفياء لمبادئنا ولقانوننا.

وفي الأخير علينا ان نتمم تلك الصفات السالفة الذكر بالمثابرة لأن جهودنا لا تثمر في حينها، بل هي عمل طويل النفس، فعلى قائد الرعيل أو قائد الشبل أن يرى في شبله وهو في التاسعة من عمره أو في كشافه، وهو في الرابعة عشرة ذاك «المواطن النافع». اما «مواطن الغد» فلا يراه إن كان ناجحا في الغد البعيد، إن هذه المزايا الأساسية هي التي سمحت للكشافة الإسلامية الجزائرية ان تبقى موحدة، وان تبقى عواطف التحيز خارج محلاتنا وأن يعرف قادتنا رغم حداثة سنهم، كيف يفرقون بين

« القائد الكشفي الواعي » مثلهم وبين الرجل الذي يقوم بواجباته ويمارس حقه كمواطن.

إنه بفضل هذا الانضباط والثقة والمصابرة، بقيت حركة الكشافة الإسلامية (SMA) والحمد لله وفية لمبادئها. والثبات على مبادئنا هو الذي جعلنا لا نخشى الإصرار على مواقف محرجة نظهر بها أمام جماهيرنا، ولذلك أقدمنا على إقامة مخيم (حسن الوفاق)(*) مع الجمعيات الكشفية الفرنسية قبيل ماي 1945.

وليس بالبعيد كذلك ما وقع غداة الانتخابات البلدية التي قامت على شعارات لا حاجة للعودة إليها، اجتمعنا من جديد مع نفس الجمعيات الفرنسية لدراسة مشروع كشافة جزائرية يشعر فيها كل جانب بالراحة ويدرك فيها كل واحد، مسلما كان أم أوروبيا، القضية الجزائرية، وقد صرح الجميع بأنهم ينوون المشاركة في حلها بالوسائل التربوية التي يملكونها، ويعترفون بحق كل واحد في التعبير عن معتقداته الدينية، وآرائه السياسية، ووفاء لمبادئنا كذلك لم نعط أبدا لكشافتنا صبغة « حزبية »، رغم ما نرى من مسببات الاستياء ومن المظالم.

لقد بقي طلبنا بالترخيص لإصدار نشرية ناطقة باسم جمعيتنا وهي أقوى حركة شبانية في الجزائر بدون جواب إلى اليوم، وقد أرسل هذا الطلب عام 1943 وبقي كذلك لمدة عشر سنوات. وكم من رخصة منحت منذ ذلك الحين، لعل دورنا لم يحن بعد؟ وهل سيحين يوما؟

لقد أوقفت كل حركة على كافة منطقة « ميشلي » (عين الحمام) بقرار من نيابة ولاية القبائل ولم نحظ تدخلاتنا سواء لدى الولاية أو الحكومة بالقبول.

والأدهى من ذلك أن يبث مجهولون -ولا أود معرفتهم- دعاية تقول إن القرار الذي اتخذ ضد حركتنا قد اتخذ بالتفاهم مع المسؤولين. وهذا

(*) ومن سخرية الأقدار في ماي 1945 بالذات، بينما كان بعض قادتنا في السجن وذلك لأسباب اعترف بها أصحابها فيما بعد بأنها كانت خاطئة وفي ذلك الوقت بالذات عقدنا اجتماعا مشتركا في فندق الرياض.

بالطبع يرمي الى المس بسمعة قائدنا الجهوي -وهو المسؤول الاول- ومن ورائه سمعة القائد العام وسمعة قادتنا وأصدقائنا، وقد عرف هؤلاء كيف احبطوا هذه المكيدة.

اما في الصيف الماضي فقد نُقل، وبدون تبرير مرشدنا العام من مليانة الى آفلو، في جنوب القطاع الوهراني، فهل كانت مجاورته للقائد العام خطيرة الى هذا الحد؟ فهل لا يجوز للسلطة الروحية والتنفيذية أن تقتربا؟ هذ ما يمكن ان يستنتج على الاقل من هذا الاجراء ونقوله بلا تحفظ، واخيرا، لقد أخضع قائدنا المحلي بالبيّض لإجراء اخطر، إذ عزل من مؤسسة البريد والمواصلات استنادا الى تقرير «سري» صدر عن مصالح غير التي يعمل فيها، وينتمي والده الى إدارة البريد والمواصلات منذ ما يزيد عن العشرين سنة، ثم التحق بها ابنه مؤخرا بعد اختبار مهني.

وكم من اجراء مثل هذا كان في إمكانه أن يثنينا عن مهمتنا، ويعتبر البعض موقفنا امتكانة خطيرة لحركتنا، ويرى البعض الآخر اننا نخرج في كثير من الاحيان عن النطاق الكشفي. فيصعب في هذه الحال أن نحدد بالتدقيق ما هي الكشافة الإسلامية (SMA) وما هي الصورة المصطنعة التي تلصق بها فتسذها كشافتنا.

فبعد أن وضعت حسن إرادتها في خدمة مبدأي: الإحسان والأخوة، او بعبارة اشمل في خدمة الإنسان، فهي مُجْبَرة رغم مقاومتها بكل قواها على أن تعيش في الواقع الملموس، ونبذا الواقع ويا للأسف حتميات تبعدها عن هذا المبدإ النبيل. وكل هذه المشاكل تجعل رسالتنا أحمل.

[من نشرة الكشافة – العدد 1، فبراير 1948].

8 - لنُقيّم.

بحلول شهر اكتوبر تنتهي سنة وتبدأ أخرى، فمن المفيد أن نطرح بعض الأسئلة على انفسنا وعلى فرقنا. فهل انجزنا كل ما تعهدنا به في بحر السنة المنصرمة؟ وماذا أغفلنا؟ ما هي العبر التي نستخلصها من نشاط سنة كاملة؟ وماذا نقرر بالنسبة للسنة القادمة؟

يجب أن تجيب فرديا وجماعيا على هذه الأسئلة دون فخفخة ودون تواضع مفتعل، لنقيّم أعمالنا!

في أكتوبر 1948: كنا أقلية من القادة لكن عازمين. وبعد بضعة أسابيع من الوساطة استأنفنا المعركة من أجل انتصار كشافة إسلامية حرة، كان لابد من رفع الحظر الذي وضع على الكشافة الإسلامية، إلى الأبد، فلم نهمل شيئا من أجل ذلك: اتصالات فردية، كتابات، نشريات، سخرنا كل شيء كي نبرهن للقيادة أولا، ثم للأصدقاء وأولياء كشافينا أننا كشافة حقا. كل النزهاء وكل الذين لا يذرون الرماد في عيون أتباعهم ولا يرتابون، منحونا ثقتهم دون تحفظ، فلنعبر لهم عن شكرنا باسم هذا الوطن الذي يفتقر إلى كثير من الدعم. فنحن فخورون بحق إذ أننا لم نخيب ظنهم.

وفي أكتوبر 1949: التحق أزيد من سبعين في المائة (70٪) من قادة الكشافة القدامى بـ: الكشافة الإسلامية (BSMA) أي كل الذين جاؤوا إلى الكشافة وهم لا يحملون وكالة لتحطيمها، أي كل الذين لم تكن لهم نية سوى تربية الأطفال.

لدينا 65 فرقة تنشط وفرق أخرى تنتظر الاعتماد. فللتعبير، وفي نشاط سنة (1948-1949) برمجت الكشافة الإسلامية (BSMA) تنظيم مخيم لرؤساء الأفواج في ديسمبر 1949 ومخيمين للإطارات أحدهما في عطلة الربيع والآخر في سبتمبر، وقد جاء أكثر من 600 شاب من مختلف أنحاء الجزائر لتكميل تدريبهم. كما عقدنا 13 مخيما صيفيا جمعت أزيد من ألف فتى وفتاة.

وشاركت الكشافة الإسلامية (BSMA) في المهرجان العالمي للشبيبة المنعقد في بروكسل في أوت 1949 واسمعت فيه صوت الجزائر، وشاركت في مؤتمر أصدقائنا الكشافة الإسلامية التونسية الذي انعقد في سبتمبر الماضي، وسنقدم فيما بعد تقارير عن هذه التجمعات الكبرى.

ومهما كان رضانا عن العمل المنجز في الماضي إلا أن الكثير مازال ينتظرنا. فإدارة حركتنا مازالت في مرحلة التكوين، وعلينا أن نبذل مجهودا جبارا في الأشهر القادمة حتى نعطي لجمعيتنا محلا وأدوات لائقة بها.

يحتاج شبابنا الى الانعتاق، والاسفار كما يقال تكوّن الشباب. لذا فكرنا في تنظيم مخيمات في فرنسا لعام 1949 لكننا لم نتمكن من تحقيقها لاسباب مادية كما عجزت بعض الافواج عن عقد مخيماتها لافتقارها للوسائل ولم يشتغل البعض الآخر إلا من حين لآخر، ولم نتمكن نشريتنا «الحياة» من الصدور في الجزائر بانتظام لعدم توفر المحل.

سيتم حل كل هذه المشاكل هذه السنة إن شاء الله واحدة تلو الأخرى رغم ان حلها لا يتوقف إلا علينا. فهي مرهونة، قبل كل شيء باعتمادنا على وزارة التربية الوطنية وعلى الإعانة التي يحق لحركتنا ان نتلقاها من السلطات الإدارية، كماسيتيسر حل البعض الآخر بعد تسوية وضعيتنا مع المنظمات الفرنسية ولست أعني الكشافة الفرنسية التي سأتحدث عنها مرة أخرى.

الحياة – السلسلة الجديدة – العدد 3 – 1949.

9 - في التجمع العالمي للشباب (W.A.Y):

عينتني مجلس الإدارة لجمعيتنا لتمثيل الكشافة الإسلامية (BSMA) ضمن الوفد الجزائري الذي مثل وطننا في التجمع العالمي الأول (W.A.Y) فكان لي الشرف في تحمل هذه المسؤولية الثقيلة والامتياز العظيم الذي حظيت به – ولا انكره – لأقوم بسفر طويل وجميل الى الولايات المتحدة الامريكية، دام خمسة أسابيع ودام التجمع اثنين وعشرين يوما. فلست بالتأكيد قادرا أن أذكر في هذه العجالة وفي نفس الوقت انطباعاتي حول هذا السفر وأقوم بحوصلة اشغال هذا التجمع العالمي.

ما هي الـ (W.A.Y)؟:

تأسست الـ (W A Y) في لندن عام 1948 وأمضى على ميثاقها 54 بلداً في بروكسل عام 1949.

أهم أهدافها هي :

– التعريف بمشاكل الشباب.

– تحسين ظروف حياة الشباب.

– حمل الشباب على إدراك مسؤولياتهم.

– أن تكون الـ(W.A.Y) اداة تعاون عالمي.

– مقرها في بروكسل ولا يسمح بنقله الى أحد البلدان الخمسة الكبرى.

أعضاؤها :

لجان وطنية لها في كل بلد. وتلعب هذه اللجان دور المنسق بين مختلف حركات الشباب في نفس البلد، والتي تتضمن بالضرورة مختلف النزعات.

تنظيمها.

تتركب من امانة قارة تنفذ قرارات اللجنة التنفيذية، وتضم اللجنة التنفيذية 17 عضوا ينتخبون كل سنة من طرف المجلس، ويجتمع هذا المجلس كل عام وكل عضو في المجلس يمثله أربعة نواب.

الجمعية العامة الدولية،

انعقدت هذه الجمعية العامة في شمال الولايات المتحدة الامريكية في مدينة صغيرة تدعى «اتاكا» اشتهرت بجامعتها المسماة «جامعة كورنال» حيث تمت أشغال المؤتمر وحضر الجمعية 63 بلدا منهم الاعضاء والملاحظون، وبلغ عدد المشاركين الاجمالي 500 نائب.

جرت الأشغال ضمن ورشات عمل أو لجان او جمعيات عامة وانتهت بالموافقة على حوالي 40 توصية سنورد أهمها في الأعداد القادمة «للحياة» وكانت الأطروحة «الشباب وحقوق الإنسان» هي الموضوع الذي درس في هذا الاجتماع، كما صدرت توجيهات الـ(WAY) للسنوات الثلاثة القادمة.

ولقد تدخل الوفد الجزائري مرات عديدة سواء داخل الورشات او أثناء الاجتماعات العامة. وإؤكد لكم ان صوت شبابنا قد سمع.

أما فيما يخص فاعلية العمل والتوصيات فلا يمكنني أن أصدر حكما عليها بعد.

فإن تنفيذ هذه التوصيات من اختصاص لجنة التنسيق الجزائرية وتأمل ان تتشكل عن قريب فإن امامها عملاً كبيراً.

أما اللوائح فتتعلق في العموم بالتمييز العنصري وحقوق المرأة وتطور الحركات النسوية، والإعانة التقنية للبلدان المتخلفة ولشباب البلدان المستعمرة... الخ.

اجتمع المجلس مباشرة بعد المهرجان وتتبع التوصيات واحدة تلو الاخرى لتأكيدها حسب درجتها في الاستعجال ولايجاد الوسائل الكفيلة بتنفيذها.

وفي نهاية اجتماع المجلس واللجنة التنفيذية، تمخضت الانتخابات عن النتائج التالية:

- **الرئيس**: كندي، يدعى موريس صوف.
- **نائب الرئيس**: بلجيكي، يدعى كريفيلد لورانس وهو من محيطنا الفرنسية.
- **أمين العام**: انكليزي، يدعى فرانكنبورغ.

وتحصلت البلدان التالية على العضوية في اللجنة وهي: الجزائر، بلجيكا، ساحل الذهب، الولايات المتحدة، فرنسا، الغابون، الهند، إيطاليا، باكستان، هولندا، السويد وتركيا.

وبعد اختتام الاشغال استضافت شبيبة الولايات المتحدة المؤتمرين لزيارة بلدها؛ والاتصال بامريكا والامريكيين، ساعود الى هذا القسم من رحلتي لأدلي بانطباعاتي.

كنت في عام 1947 أقول واكتب للشباب الذين كانوا يؤكدون على أهمية التوجه الى مخيم السلام او الى مهرجان براها ما يلي: «افتحوا أعينكم وآذانكم بحلتها». فطبقت الوصية على نفسي. فقد تعلمت الكثير بالاحتكاك بشباب لهم نظرة الى العالم والى الشباب وحاجاتهم، مغايرة لنظرتنا تماما، لكن، كل هذه الحركات برهنت على أنها تفهم المشاكل التي تشغل بالنا خير تفهم. وتم يشعر الوفد الجزائري في أي لحظة بـ حرج، وبذل كل جهد في المطالبة بالمزيد من الحرية والحقوق سيادـ.

بظروف أحسن للعيش وتكييف للمرفقات تناسب حاجياته. او بعبارة اشمل ان يسمح حق إسماع صوته كلما لزم الأمر.

يحق للمرء أن يسأل وقد طرح هذا السؤال عدة مرات: ما هي الفائدة التي نرجوها من مشاركتنا في الـ(WAY)، بصفتها منظمة عالمية؟

الجواب بسيط: إن عدم الاحتكاك بالذين لا يفهموننا دائما أو بأعدائنا دليل ضعف وعدم ثقة في النفس.

فإن منهجنا ثابت لا يتغير احتراما لمبادئنا من جهة – لأننا كشافة – واستجابة لمصالحنا من جهة أخرى، فنحن كما جاء في المادة 11 تحت عنوان: «ليس الكشاف بليدا»، نمد يدنا لكل من يبحث مثلنا عن التفاهم بين الشباب وعن السلم بين الشعوب.

10 - ماذا يقصد بعض الذين من حولنا؟

في العديد من المرات حددنا الأهداف ووسائل العمل لكشافتنا.

إن استئصال الداء الذي ينخر مجتمعنا ويهدد شبابنا هو هدفنا الأساسي، فنحن نرحب بكل العزائم الصادقة التي نحتاج إليها لكي نقضي على الداء أو على الأقل نقلص من آثاره الضارة.

إلا أن هذه العزائم الصادقة نادرة ويا للأسف، ولا غرابة في ذلك، فليس كل من أراد أن يملك عزيمة «صاحب الرسالة أن يدركها»، لقد عرّف القائد الوطني بوعمران هذه العزيمة في عددنا الأخير بصفة رائعة.

إن مهمة الكشاف هي إنجاب هذه العزيمة وزرعها وبذل ما في وسعه كي لا تموت، إنه لعمل شاق لكنه لا يثني عزم شبابنا.

اما الذي نراه غير طبيعي فهو أن نجد من يشوه هذه المجهودات التي تبذل في سبيل تلك العزائم في كل مرة.

إذ يأتي الانحراف – كما تقول العبارة العصرية – من داخل او من خارج المنظمة فالنتيجة واحدة: هي الخمل والريبة وانعدام الوفاء وبالتالي عدم الفعالية. عملت وستعمل الكشافة الإسلامية (BSMA) كل ما في وسعها

سواء على مستوى الجمعية أو الأفواج كي لا تضيع منجزات يعتبرها أصحاب العزائم الصادقة ليست مفيدة فقط، بل ضرورية، فشهادتهم دعم دائم لنا. ومن جهتنا سوف لا نخيب ظنهم.

ولكن إذا كنا نلتزم من جهتنا في كل كتاباتنا واجتماعاتنا وسهراتنا ومخيماتنا وفي كل اتصال لنا بالقيادة، بالأهداف الخاصة بالكشافة ولا ندخر جهدا في ذلك؛ ولئن استطاعت جمعيتنا أن تبرهن على احترام مبادىء الكشافة والقوانين والقواعد الشرعية، فهناك بالعكس اناس يحاولون – لا أدري لماذا – معاكسة مجهوداتنا.

فهم يريدون «قتل الحركة بالتدريج»، كما كتب اليّ أحد المواطنين، وقد لقي صعوبات جمة لا يجد لها مبررات معقولة، وليست هذه الحالة الوحيدة، كم تعرضنا لاستدعاءات واستنطاقات وحتى للتهديدات. نذكر هذه الحقائق لمن يهمه الأمر. ولقد جاءت هذه المشاكل تارة بمناسبة مخيّم وتارة بمناسبة جولة وأخرى بمناسبة سهرة لتعكر الجو وتزرع البلبلة بين الشباب الذين لا يبحثون إلا على التكوين والترفيه.

هل يريد هؤلاء الناس أن يروا فينا أناسا لسنا منهم في شيء؟ أو أن نكون مثل من لا نريد أن نكون مثلهم؟ اما بالنسبة لنا فليس لنا ريب فيما نفعله. فنحن نعمل في الجلاء، وسندوم على ذلك، فنحن مربون ومسفي مربين، ولا يهمنا الا يليق هذا بكل الناس أو لا يلائم أعيُنَ الذين يصطادون في الماء العاكر. فلقد تحدثنا بهذا الأسلوب مع أصدقائنا رغم أنه ضرب من المغامرة، وسنتحدث بنفس الأسلوب من جديد إذا لزم الأمر مع الذين يتحركون بأوامر السلطة في الخفاء، ويسيؤون فهم دورهم، بل يتعدون في اغلب الاحيان حدود وظائفهم، وسنتحدث بنفس الاسلوب الى الذين يحاربون حركتنا بدعوى مبادىء الحرية واللائكية وأشياء أخرى لست أعلمها.

إننا نعد حركة دينية عند اللائكيين ورجال كنيسة نحب محاربتهم في الوقت المناسب كما نحارب أي مجموعة دينية، وهذا تفسير خاطىء للائكية وفهم خاطىء للإسلام بصفة أخص، إن العقيدة الإسلامية، رغم ما

يبدو في ذلك للبعض من تناقض، تدعو الى المساواة والأخوة والتفاهم والى التسامح، وهي نفس المبادىء التي على أساسها ينبغي اليوم الحكم علينا، فهل من الضروري أن نعيد القول بعد ما قال الكثير أن ليس للإسلام رجال دين وأن ليس للمسلمين رجال كنيسة، ومجرد ادخال هذه الفكرة يعتبر -لدينا على الأقل- سوء تصرف، ستنجر عنها -أن كتب لها أن تكون- عواقب وخيمة جدًا، على التفاهم والتآخي اللذين نحرص على أن يسودا بين شبابنا.

ترفض لنا منظمة للشباب مباراة رياضية، وتمنعنا مؤسسة جامعية من قاعتها العمومية لأعذار مريبة تدعي أننا منظمة لرجال دين! أما في الحقيقة فالسبب في ذلك دوافع لا نجرؤ حتى على وصفها. إننا نقول بأن الوقت قد حان ليتحمل كل واحد مسؤوليته، وأنه على كل المجموعات العرقية والدينية التي تسكن هذا الوطن أن تتفاهم فيما بينها، وكل العقلاء يقرون بهذا. ولا نصل الى ذلك بالتأكيد بعلو هؤلاء ولا تسلط هؤلاء ولا حب البلبلة للبعض الآخر كل ذلك لا يسهل التفاهم.. لذا نسأل ماذا القصد من كل ذلك؟

II - هدفنا من المعركة،

كانت ممارسة الكشافة محل استغراب لدى العديد من الناس، إما لكونهم مربيين أو أهل نوايا سيئة، وكلاهما يتساءل عندما يجرؤ على الصراحة: «ما هو هدف المعركة عند الكشافة الإسلامية (BSMA)»؟

سنكرر ربما نفس الشيء ولكننا سنقوله للمرة الأخيرة جهاراً ظاهرا؛ كنا نبحث ومازلنا نبحث وسنبقى نبحث دائما في الكشافة على ثورات كانت وما زالت لم تتغير منذ عشر سنوات. إن ممارسة الكشافة تعني عندنا قبل كل شيء، الشعور بحالتنا، وبضعفنا المعنوي والفكري وكذلك المادي، يعني ذلك إعانة هؤلاء السكان على مكافحة كل أشكال الضعف التي يشتكون منها، وحثهم على فتح أعينهم على عالم جديد يُشيَّد أمام أعينهم.

ويعني ذلك وضع إرادتنا الحسنة وإمكانياتنا مهما قلت في خدمة شبابنا وأبنائنا كي نُعدّهم للحياة ونأخذ بأيديهم الى ان يبلغوا سن الرشد.

إن ممارسة الكشافة تعني عندنا فضح كل المشعوذين مهما كانت طبيعتهم سواء كانوا طفيليين باللباس التقليدي تلتقي بهم في كل شارع من مدن الجزائر ويقترحون علينا العديد من العجائب التي تمنحنا السعادة وتدبمها، أو أقربائهم من سحرة الأوراق الذين يعكرون صفو الزوجات ويتكهنون لهن بالإنجاب الكثير وبالمحنة فوق الأرض.

اما الاستقلالية فلم تبق حقيقة إلا بفضل إيمان بعض القادة الذين تشبثوا بها كما يفعل بالرواح النجاة، وكانت هذه المعجزة في البقاء في حضم زوبعة الثارنها عصابة مازالت تلقننا دروسا عالية في حسن الاداء في المرحلة الأولى ولربما العظمى في حياة جمعيتنا الفتية الكشافة الإسلامية (BSMA).

ولقد ساعد هذا الموقف الشجاع على إنجاء بعض البقايا. ولزم بعد ان فعلت التفرقة فعلتها أن نعود الى العمل من البداية. وما اصعبها من مهمة أن نعود الى الصعود على منحنى وعر، أو أن نجمع حول تلك البقايا بعض الأفواج بإقناع وإرشاد الجمهور.

تلك مهمة صعبة كذلك لأن البأس والخيبة قد ساورا اكثر الكشافة تجربة وكادا ان يحبطا المجهودات المبذولة من طرف كمشة من القادة يكافحون بوسائل هشة.

ولم تنته هذه المرحلة بعد. وكان من المحتم إقناع بعض الأفواج المعزولة التي لم تفهم ابعاد المعركة ولكنها المناورة التي استهدفتهم، كما كان علينا أن نقنع بعض المثقفين الذين يرون في الكشافة وسيلة لصرف الوقت في الترفيه وإلهاء الصبيان، فهم يعيشون مندوهين في عزلة مريحة.

أملنا العميق أن نجد صدى في الأوساط الجماهيرية وأملنا ايضا ألا يقتصر نشاط جمعيتنا على التنديد بإيديولوجية قد خلفها الزمن كما نرى، وأصبحت تشكل خطرا. وإذا حذرنا الشباب المتحمس من هذه الإيديولوجية ولم نجد لها بديلا. اوشكنا على خنق انفاسهم وحرمناهم

من العصب الذي يحرك فيهم الحياة. وكان في الإمكان أن تبقى أفواجنا إلا انه من المستحيل أن نعيش عيشة الكفاف في هذه الحالة فلا نصل كشافتنا الى الحجم الذي كنا نامله ولا للفعالية التي كنا نريدها لها. إذا كان النصر الذي احرزناه ضد التدخل السياسي يرسم ملامح نشاطنا، فإنه لن يكتب له النجاح في المستقبل إذا لم نحاول إرساءه على قواعد صلبة ليمنح الشباب طموحا يليق بحماسهم وينطبق مع الواقع المعاش، ظني اننا إذا أردنا ان نحافظ على الشعلة التي كانت تحرك الشباب فلا حاجة لنا ان نحضهم إلى «مبدإ رمي العرتسيين في البحر». فإن مهمتنا تهدف بالعكس إلى إرشادهم الى الخدمات الاجتماعية العديدة والمتنوعة التي تلائم سنهم وطباعهم والى إعطائهم الثقة في انفسهم، ليتشجعوا على حب المغامرة في ميادين تنحصر داخل مجال مسؤولياتهم. والى إقناعهم في الاخير ان نجاتهم ونجاة الجزائر لم تكن مشكلة غامضة إلا على اناس كثيرين مُربين او سيئي النوايا.

وبعد هذه الحوصلة السلبية علينا ان نعالج تلك المشاكل بكل ما نملك من وسائل. إن ممارسة الكشافة تعني عندنا اكتشاف عيوبنا الذاتية لمحاربتها بشدة.. ويعني كذلك مواصلة تكويننا وتحسين مستوانا الفردي، ويعني كذلك اختيار اسلوب معين للحياة مغاير للذي نعيشه اغلبية شعبنا، سواء تعلق الأمر بذلك الذي «يدخن الكيف» وينكهي لكم انكم إذا لعبتم «الدومينو» طيلة اليوم وإذا نمتم هادئين في مسكنكم ستستيقظون ذات صباح جميل وانتم رب «الباناغونيا»، او تعلق الامر في النهاية بذلك البطل الشاب الذي يردد المواعظ طيلة اليوم وينسى بسهولة انه من العيب عليه أن يعيب عن أولاده بعدما تحمل مسؤولية تأسيس البيت.

او تعلق الأمر... وبي الإمكان ان نواصل تعدادنا. فإذا اختلفت وسائل الرجلين فإن هدفهما واحد، وهو العيش من سذاجة وبلادة جماهيرنا ومن جهل شبابنا العاطل.

ما اشبه ذلك بالكفاح ضد «الوفواف» و«المنشدق»، كما جاء في كتابات بادن باول الخالد، او ضد العميان والجامدين الذين لا يريدون ان يفهموا ان العالم في تقدم وأنه يتعين علينا ان نتطور معه إن لم نرد أن نموت او ضد الثرثارين المخبّلين الذين لا يستطيعون العيش إلا في الماء العاكر، او ضد الذين يريدون أن يشغلونا عن هدفنا بدافع او بآخر، كل ذلك كان هدفنا في المعركة بالأمس، ولم يزل كذلك بالنسبة ليومنا هذا مع زيادة في تحمّسنا لانجاز الهدف رغم كل العراقيل من الأمس.

افتتاحية

12 - الكشافة والسياسة،

تلقينا الكثير من اللوم بسبب الاختفاء المؤقت لجريدة «الحياة». اللسان الرسمي لجمعيتنا. ولئن تقبلنا لوم بعض أصدقائنا لانه تعبير على اهتمامهم وهو يشرفنا، إلا اننا لا نحبب اولئك الذين احبوا ان تتخذ جمعية الكشافة الإسلامية (BSMA) مواقف لا تمت الى اهدافها بأي صلة. (ولا الى وسائلها) أما بالنسبة لأصدقائنا فنحن نقول لهم بأن إصدار «الحياة» كل شهرين يستلزم، مع المجهودات المفروضة على الأفواج لنشرها، ميزانية لا تستطيع الجمعية توفيرها في كل الظروف، والمؤسسة المطبعية أدرى بذلك.

لقد صدرت في المؤتمر الوطني الثالث لائحة تفرض على فريق «الحياة» إيجاد صيغة جديدة و..... الخ. فعلى أصدقائنا أن يعينونا على اكتشاف الصيغة السحرية.

اما بالنسبة للآخرين فنحن مستعدون لفتح النقاش، فمنذ نوفمبر 1954 ووطننا مسرح لحوادث خطيرة لا يمكن أن نتركنا في معزل.

وزيادة على رد الفعل الذي أبداه كل مواطن نزيه تجاه هذه الحوادث بالتساؤل عن: كيف؟ ولماذا؟ جاءت تساؤلاتنا بصفتنا مربين. نحن واعون

أن الكثير من القضايا قد طرحت من قديم وبقيت بدون حل، خاصة في مجال الشباب مثل التدريس والتكوين المهني والبطالة وهجرة الشباب واقتلاعهم من أوطانهم والفقر أو انعدام الموارد، تلكم المشاكل يوعز أغلبها الى التمييز العنصري أو الديني. وهي مازالت تشكل شغلنا الشاغل.

ومن سخرية الصدف أن تبعث قيادتنا العامة نداء في اجتماعها يوم 1 نوفمبر الى الرئيس، «مانداس فرانس»، ترجو منه الا ينسى الشباب الجزائري ضمن برنامج حكومته الذي ينوي تنفيذه.

لقد قيل إن إثارة مثل هذه المشاكل هو اشتغال بالسياسة. بالفعل فكل سياسة تبحث عن سعادة البشر هي سياستنا، ولو كانت هذه السياسة لا تعجب الذين يسعون الى الاصطياد في الماء العاكر، والذين لا يجدون لهم سعادة إلا في شقاء الآخرين، وهذا لا يعنينا.

ولقد ولدت الكشافة الإسلامية (BSMA) من أجل رفع كل التباس. وهدف وجودها هو العمل في الوضوح ولصالح الشباب دون أي إقصاء ولا شيء غير صالح الشباب. والذين يريدون ان يصرفونا عن خط مسيرتنا نقول لهم: إنكم تسعون عبثا، سواء تعلق الأمر بإخوان لنا بالأمس يتحدثون في الأخير عن نبذ السياسة للدخول تحت رحمة الإدارة التي كنا كما يدعون «خدامها» بالأمس ولم تكتشفها حتى اليوم، أو تعلق الأمر بأصدقائنا في مجلة «الضمائر المغاربية» الذين يكتفون «بالضمانات» التي تمنحها ليم الكشافة الإسلامية ويقولون في شأننا: «إن الضمانات التي تقدمها جمعيتنا تكفي لدعمها دعما غير رسمي من طرف الإدارة» ويلمحون بأن جمعيتنا تبذل نشاطاتها ضمن الـ W.A.Y ومجلس الشبيبة للاتحاد الفرنسي، أو تعلق الأمر في الأخير بالكشافة الفرنسية التي تحاول حسب ما يظهر تأجيج نار الفرقة بين عناصر كشافتنا الفتية المسكينة، عوض أن تلعب دورها كحركة راشدة بمناسبة انعقاد «الجمبوري» (JAM).

لكل اولائك وهؤلاء نقول بأنناء بصفتنا كشافة، قد لعبنا دورا نزيها وتركنا المناورات للغير، تلك هي سياستنا إذا كان لابد من سياسة.

الحياة - السلسلة الجديدة رقم 3 - 1955.

13 - افتتاحية.

تعود «الحياة» الى الظهور بعد بضعة اشهر عن موعدها، ونعتذر لدى قرائنا الذين ما فتئوا يبعثون إلينا بعبارات التساؤل وباللوم احيانا.

فنحن شاكرون لهم ما يبدون من اهتمام لنشاطنا ولنشريتنا، لكن هل من الضروري أن نذكرهم بصعوبة الحفاظ على انتظام نشرية كنشريتنا التي تكاد تكون في نفس الوقت حرة، تتحدث باللغتين وتُعنى بالتربية؟.

إن هذه الشروط الثلاثة تفرض علينا قيودا، إن اداة تعبير حركة للشباب تحتم علينا أن نراعي سياسة في حدود موارد الحركة، ومواردنا بالفعل محدودة جدا، رغم أن البعض يظن نعم الأمر أو بئس الامر بالتسمية اليهم.

ونحن نفضل العمل التربوي على الأدبيات رغم أننا لا نهمل دور هذه الأخيرة، ومن الضروري أن يذهب أبناؤنا وبناتنا الى المخيمات الصيفية، ولابد أن نخرج جوالتنا الى أسفار تكوينهم، وعلى جمعيتنا أن تكون حاضرة في كل مكان تدعوها إليه مصالح الشبيبة الجزائرية.

ولقد نظمنا في هذا الصدد في الصائفة الفارطة حوالي 12 مخيما للذكور والاناث ومخيما متجولا وملتقى للإطارات.

واستجابة لدعوة من الكشافة المصرية ارسلت الجمعية قافلة قضت شهرا في بلاد الأهرام، وسنقدم فيما بعد تقريرين مختصرين يتحدثان عن هذه الرحلة التي اخذت بلب شبابنا، وكانت فرصة لأربعة من قادتنا من بينهم مرشدون، أن يؤدوا فريضة الحج.

ومن جهة أخرى، ورغم المناورات التي لا تشرف أصحابها، حضرت جمعيتنا تجمعا كبيرا للشبيبة الديمقراطية في بودابست، سنقدم فيما بعد تقريرين مختصرين لممثلينا هناك، وبعد انتهاء الأنشطة الصيفية أصبحت صناديق الافواج والخؤولة العامة فارغة، ولا انحدث عن الميزانية العائلية لقادتنا فهي تمر بفترات عصيبة، تلك ضريبة حريتنا وحرية حركتنا، فإننا نرجو من أصدقائنا وحتى من بعض قادتنا الا يخطئوا التقدير في هذا الشأن، وتضاف الى هذه المشكلة المالية مشكلة ثانية لا تقل عنها اهمية

ومن النوع المادي كذلك، فلابد «للحياة» أن تظل مجلة متواضعة وأن تصدر باللغتين، والطبع باللغة العربية والفرنسية في الجزائر ليس بالسهل وتستجيب ازدواجية اللغة لانشغالات عميقة في أنفسنا، وتعتبر الكشافة الإسلامية (BSMA) من الواجب أن تسعى لتقريب الهوة التي بدأت تتسع بين شريحتين من الشبيبة الجزائرية، تلك التي تتكون في المدارس الفرنسية والتي تتلقى ثقافة عربية محضة بينما يحاول البعض إحياء النزعات المغرضة من جديد بين المحافظين والمجددين، إن لم نقل بين القدامى والمحدثين، اما من جانبنا فلا هم لنا إلا أن نوجه ذلك التفاهم بين شبيبتين لا يسعهما إلا أن تستفيد كل واحدة منهما من قراءة المجلة».

وإنه لمن دواعي الفخر لشربة «الحياة» أن يلتقي في لجنة تحريرها رجال ينتمون الى ثقافات وتكوينات مختلفة. وهكذا يعمل المعلم والمرشد والطالب في الفلسفة وشيخ المدرسة والأستاذ والأجير اليد في اليد في صالح الطفل والشباب الجزائري فتى وفتاة.

أين يكمن صالح هذا الطفل؟

تجد الكشافة الإسلامية (BSMA) و(الحياة) معا جزءا من هذا الصالح في التربية، ولسنا بهذا القول نريد أن تنتقص البتة من أهمية العمل في الميادين الأخرى خاصة تلك التي تسعى الى ضمان قوت اليوم لتلك الشبيبة، كما نرى أن التربية الجسمية والروحية هما حاجة ملحة مثل الخبز.

وفي عالم يبحث عن طريق نجاته فإن شبابنا يحتاج الى إرشاد، لقد مضى عهد ماتت فيه – ونحن شهود – أساليب حياة وتصرفات قد صنعت سعادة أسلافنا لكنها بعيدة كل البعد على أن تحقق سعادتنا، ولى ذلك الماضي تاركا مكانه لحاضر مليء بالمخاوف.

كيف يكون الغد؟ لا أحد يدري، ولكننا متأكدون بأنه مرهون على قسط وافر بإرادتنا، وبالعزيمة الطيبة التي سيوليها رجال هذا الوطن لمشكلة الطفولة الجزائرية. أما مسؤولوها، فقد أدركوا هذه المشكلة بدون أحكام ذهنية مسبقة وبدون تعصب، ويتأسفون شديد الأسف لعدم

اكترات البعض وإعواز الآخرين وانانية البعض الآخر، وهذا يجعل مجتمعنا – الذي نجا حتى اليوم من بعض المخاطر، يبدأ في الانحلال، والضحية الأولى هي الطفل في هذه الحال.

فبالنسبة له،لا تقاليد دينية ولا عادات عائلية تعينه خاصة في المدينة، فهو يتربى كما يشاء.

ما العمل إذن؟ سنحاول «الحياة» بذل كل ما في وسعها لتحديد حاجيات شبابنا، واقتراح حلول نزيهة والبحث عنها حينما وجدت دون تفريط، إن هذا الدور صعب للغاية، فلا مناورة ولا تحايل فيه، بل اجتهاد في خدمة الشباب لاغير، ونفعل ذلك مع الجميع ومع كل واحد، فهذا هو مغزى وجودنا وهذا هو منبع مشاكلنا في نفس الوقت. فعلى أصدقائنا ان يدركوا هذا وان يعينوننا.

«الحياة» السلسلة الجديدة رقم 1
– مارس / أبريل 1954.

افتتاحية

14 - كن صريحا في معاملاتك.

«مارس لعبة نزيهة» هو شعار كثيرا ما يردده قادة الكشافة ليعلموا اطفالهم اسلوبا من المعاملة فيما بينهم ومع غيرهم، تلك هي القاعدة الدائمة للحياة التي يتبعونها ودخلوا في اللعبة الكبرى، وهي الكشافة، وهي خالية من كل خداع ومناورة.

وللاستجابة لهذه الحاجة نحاول قادة الكشافة الإسلامية)مستياصر(وقادة «الحياة» ان يعبروا، كلما سمحت لهم الفرصة، عن المشاكل العملية التي تعترضهم ويقترحوا لها أحسن الحلول التي يرونها.

يطرح علينا اختيار مجال العمل وحصره عمدا وتربية الطفل الجزائري، فقط ومشاكل العلاقات مع المحيط الخارجي ومع المحيط الذي جاءنا منه

الطفل ومع أوليائه ومع المدرسة أو المدارس التي يفترض أنها تعمل على تسهيل مهمة الذين يعملون من أجل الصالح العام، ويشترط البحث عن الحلول وتطبيقها.

نحن حريصون على فعالية منجزاتنا ونظرا لحدود الإمكانات التي نملكها ارتأينا أن نركز نشاطنا الكشفي في البداية في المدن وقطعنا شوطا طويلا منذ توحيد الحركة عام 1939.

لم نهتم الكشافة، منذ أمد طويل إلا بالأولاد، ونعلم أن مجتمعنا مازال في توازن مترجرج لأسباب سيبحث فيها علماء الاجتماع والنسل في المستقبل، وسوف لا يستقر هذا المجتمع إلا عندما يعدّ الولد والبنت على السواء، كما هو الشأن في جميع بلدان العالم من أجل العيش المنسجم، تبدو المسألة عند البعض ضربا من الجنون بدعوى التقاليد الدينية، ولم يحن الوقت بعد لتشتيت الجهود في تربية البنت لقلة الفائدة المرجوة منها، وتربية البنت يقودها حتما الى التحرر، وهذا هو الخطر عند البعض إذا لم يصحبه تحرر سياسي وهلم جراً.

إن هذا التعدد في الآراء يكون مفيدا وفي مواجهتها أكبر فائدة لو عامل كل واحد الآخرين معاملة صريحة.

أما نحن فقد تحصلنا على رضا بناتنا وهن المعنيات بالدرجة الأولى، وعلى رضا الوالدين اللذين اقتنعا تلقائيا بمسؤوليتهما في تربية بنتهما لا لنفسهما ولكن لزوجها ولأولادها ولمجتمعها في المستقبل. كما تحصلنا على موافقة كل أصحاب النوايا الحسنة، وكل المتفتحين ولقد أصبح هؤلاء كثرة ومن الدلائل مالا يكذب: فالمدارس والمعاهد ومخيماتنا الصيفية وقوافلنا لا تكفي لاحتواء كل بناتنا، ولكن لا أخطر من الذي يرفض أن يسمع.

أما علاقتنا مع المعلمين فمازالت غير واضحة المعاملة وغير صريحة، سواء تعلق الأمر بالذين ينتمون الى المدارس العمومية أو الى الخاصة، فلسنا عند البعض شبابا أذكياء لأننا متدينون، فهناك تفكير شاذ يريد أن

حظى للعبارات : (لاتكي وملحد ولا ديني) نفس الدلالة، لقد بين القائد ابوحسين ... عمران المسألة مرارا ولا أحتاج لبسطها بدوري، لكن أوجه كلامي الى أصحابنا والى مسؤولي المدارس خاصة، أو على الأقل الى الذين يرون في التحرر الذي نريده لبناتنا شكلا من عدم التدين المخفي.

مما تقنع المعلم اللائكي او الشبح التقليدي الامتثالي؟

معنى كل واحد أن يحاول من جهته أن ينبذ تلك الفكرة المتعالية التي ... بـ الوحيد «صاحب الحق المطلق»، حبذا لو لعب أولئك ... على الأقل، لعبة صريحة؟

... في حسام حيثما أد معبد القول، ولا نمل من إعادته، للإدارة التي تجعل ... تصرفاتها إن اهدافنا محددة ووسائلنا معروفة ونحن نلتزم في هذا الميدان مثلما نلتزم في الميادين الأخرى «الصراحة» ولا يسعنا إذن إلا أن نعبر عن اندهاشنا أمام المناوشات التي تستهدف قادتنا الاعزاء خاصة في الحضنة ومعسكر والأغواط. إذا كان العمل التطوعي الذي يقوم به العربي يحظى بالاهتمام او قل بالتعاطف عند غيرنا فهو عندنا منهم بإحاكة ... أدري أي مناورة وضد من؟

إن حماية الشباب وتهيئة جيل من البنين والبنات لحياة لا يأملون منها سوى أن يحتلوا المكانة التي يستحقونها، وإن العمل من أجل أن تكون الرابطة الجزائرية رابطة الجميع وهذا ما يريد البعض أن يصدنا عنه، هل هذه معاملة صريحة؟.

نحن متأكدون بأن نداءاتنا ستجد آذانا صاغية، لم تفهم مقاصدنا في العديد من المناسبات، لكننا تغلبنا على كل العراقيل الطبيعية والمصطنعة التي اعترضت طريقنا، وإن خفت وطأة العراقيل التي مازالت تعترض طريقنا فلأن مجهوداتنا قد أتت بثمارها، وهذه النتيجة مردها الى استقامتنا مع الجميع وبفضل ما نسميه في لغة الأطفال، ونحن نتحدث عنهم هنا: « كن صريحا في معاملاتك».

الحياة: رقم: 2 - ماي جوان 1954

15 - الى أين يؤول بنا المطاف؟

قرأنا في العدد الرابع لجانفي فيفري 1955 من «الضمائر المغاربية» مقالا مخصصا لدراسة الشبيبة الجزائرية، وقد جاء في الملحق 1 فقرات تتحدث عن الشبيبة المنظمة تبدو أنها من ضرب الخيال الطائش، من بين ما جاء فيها:

« تضم الكشافة الإسلامية (BSMA) حوالي 700 عضو، وقد تمخضت عن انقسام الكشافة الإسلامية عام 1948، ورغم أن برنامجها لا يختلف كثيرا عن برامج شقيقتها، إلا أن «الضمانات» التي قدمتها كافية لأن تمنحها الإدارة دعما غير رسمي، وهي تنشط في الحقل الخارجي ضمن الـ(WAY) وضمن مجلس الشبيبة للاتحاد الفرنسي. ولها بعض الفرق النسوية.

لا يسمح شبابنا مطلقا كان أم غير منظم لأي كان أن يلقنه دروسا في المصداقية والوطنية، خاصة إذا كانت هذه الدروس من وحي وصاية أكل الدهر عليها وشرب، ولا ترضى بهذه «الصدفة» التي رفضتها دوما، خاصة إذا كانت ترمي الى إثارة الفتنة في صفوفنا، وننقل فيما يلي نص البيان الذي ارسل الى السيد مندوز مدير التسيير «للضمائر المغاربية».

سيدي المدير

قرأنا في الملحق 1 العدد 4 من «الضمائر المغاربية» لجانفي فيفري - مارس 1955 مقالا يتحدث عن مختلف حركات الشباب في الجزائر، وقد خصصت فيه فقرة «الى الكشافة الإسلامية» (BSMA).

لقد تتبعنا بتعاطف المجهودات التي قامت بها الى حد الآن «الضمائر المغاربية» وهي وليدة «الضمائر الجزائرية» ولقد اعجبنا بالشجاعة والمصداقية التي كنتم تتناولون بها المشاكل الجزائرية. عند أول التفاتة لكم الى وطننا.

وهذا ما يزيد من اندهاشنا عندما نلاحظ الخفة والطيش اللذين سمحتم بهما حتى تصدروا احكاما على ثلة من حركات الشباب وخاصة على حركتنا، ومما يزيد في خطورة الوضع وجود أناس داخل لجنتكم للتحرير

لديهم معلومات ومصالح سياسية تجعلهم يقدمون الحقائق حسب هواهم، ونعني أولائك الذين ينتمون الى الكشافة الإسلامية (S.M.A).

ولقد ذكر العدد المشار إليه آنفا من «الضمائر المغاربية» مصدرا يكون قد استقى منه معلوماته، وهي مجلة الكشافة الفرنسية في خدمة الصبيان العدد 10 لنوفمبر 1954 ولا شيء اخطأ مما قيل خاصة فيما يتعلق بناء. اما اعداد المنخرطين فهي خيالية في معظمها ولا ندري من اين جاء بها كاتبها.

ولنعد الى الأهم، يؤكد «خبيركم» ان برنامجنا لا يختلف كثيرا عن برنامج الكشافة الإسلامية (S.M.A) فمن أين لكم هذا؟ من المعلوم عند الناس جميعا ان برنامجنا وبرامج الكشافة الإسلامية (S.M.A) يختلفان جذريا، على الأقل الى حد الساعة، وقد أصدرنا عددا خاصا من مجلتنا «الحياة» يتحدث عن الانقسام الذي حدث عام 1948. ومن قبل ذلك اصدرنا نداء «من أجل كشافة إسلامية حرة في الجزائر» في الجرائد الجزائرية، ومنذ ذلك الحين لم نتطرق مرة أخرى لهذا الموضوع لأسباب تخصنا.

فمن المؤكد انكم تجهلون هذه الوثائق لذا نبعث إليكم بهذا العدد الخاص من الحياة فتطّلعوا عليها.

حاولت إحدى الجهات في الماضي إعطاء الحركة الكشفية الإسلامية طابعا سياسيا، وراء حزب قوي وشهير في ذلك الوقت، الا وهو (M.T.L.D)، وحاولت الجهة الأخرى الحفاظ على استقلالية الحركة حيال التشكيلات السياسية لانها حركة تربوية كرست عشر سنوات من الكفاح ضد الكشافة الفرنسية وضد الإدارة الجزائرية، وفي ذلك التاريخ أي في 27 مارس 1948 كان من دليل الشجاعة مقاومة اسلوب سهل والصمود في وجه بعض الانتهازيين الذين تحولوا فجأة الى وطنيين لينتزعوا بعض الكراسي،هل النزعة السائدة الآن تكمن في اسدال ستار النسيان على ذلك ام ان «خبيركم» لا يعبأ كثيرا باحترام الحقائق التاريخية؟

والحقيقة، ما رأيكم في كشافة شيوعية، وأخرى اشتراكية وأخرى راديكالية واخرى وسطية او مسيحية ام ان ما هو حق في فرنسا باطل عندنا؟

لعل ذلك هو ما حدى «بالخبير» الى القول بان الكشافة الإسلامية (BSMA) أعطت «ضمانات» للإدارة ولا حاجة للمرء أن يكون اختصاصيا ليفهم أن الأمر عكس ذلك تماما، وأن موقفنا هو الذي حال دون حل الكشافة الجزائرية كما خطط له «سيوزي» «ونجلان»، وربما بالتواطؤ مع زمرة من ارباب الكشافة والوطنيين الجدد.

الحقيقة أننا نشكل عائقا للذين يصطادون في الماء العاكر، وهل تختلف «الضمانات» التي تكون قد أعطيناها للإدارة عن تلك التي تحصل عليها «الخبير» وأصحابه من نفس الإدارة لأصحابهم في الكشافة الإسلامية (SMA) لما كانوا في موقف حرج؟ ومن ناحية أخرى ما هو مضمون «الدعم غير الرسمي» الذي تكون قد حصلنا عليه؟ إذا كان يعني بذلك المنحة التي كانت تعطى لدعم الأنشطة الكشفية فهل هو متأكد من أن المنح الهزيلة التي أعطيت لنا تفوق فعلا تلك التي اعطيت للكشافة الإسلامية (SMA)؟ وأضف الى ذلك أنها حق معترف به لكل حركات الشباب مهما كانت، ومن الغريب أن يُعتبر الحقّ عاراً كلما تعلق الأمر بحركة إسلامية. إن الديمقراطية والعدالة لا تقبلان حسب علمنا أي تفرقة.

اما بالنسبة للتظاهرات العالمية التي نشارك فيها فمن الغريب الا يذكر الكاتب سوى الـ (WAY) ومجلس الشبيبة للاتحاد الفرنسي.

أما انتماؤنا الى الأولى فإنه يحزن البعض من دون شك. اما مجلس الشبيبة للاتحاد الفرنسي الذي ذكره الكاتب عمداً فإن علاقتنا معه لا تتعدى حدود مشاركتنا المزدوجة في اشغال الـ (WAY)، ولقد شاركنا كذلك في مخيم «النمسا» عام 1951 ولم نمض هذه المشاركة في الخفاء ولم نرق للجميع، وكان من الطبيعي أن نذكر لأنها من التظاهرات الكشفية المثالية، وليس من قبيل الجدية أن نجادل في اعداد المنحرطين التي جاء بها صاحب أخباركم المرتجلة.

هذا، وليس انشغالنا بمشاكل شبابنا وليد اليوم. فنحن نوليها اهتماما جديا ولا نريد أن نستغلها في مواقف انتهازية ولا في تحالفات ظرفية، فالكشافة عندنا

بمثابة عبادة تربية لا تقبل المُخاطرة بالسمعة ولا التقلبات، لقد أسهبنا فمعذرة، ولكننا تحسرنا حقا لما رأيناه في تشرية تدبرونها، تكتب حقائق مقلوبة بشكل مفضوح، تظهر لنا عداوة ماكنا ننتظرها أبداً، وإننا نعلق الآمال على موضوعيتكم كي تصدروا تصحيحا في العدد القادم من «الضمائر المغاربية».

مع أفضل عواطفنا

الحياة: السلسلة الجديدة. رقم 3 - ماي جوان 1955.

▾ 16 - الكشافة المحررة:

إن الحركات التي تعمل في مجتمع مثل مجتمعنا، في خضم التطور إن لم نقل في ثورة تؤثر عليه في الميادين السياسية والاجتماعية، تخضع لابتلاء الزمن. ستحتفل الكشافة الإسلامية الجزائرية هذا العام بالذكرى الخامسة عشرة لتأسيسها، يعني ذلك أنها اجتازت فترة الاختبار.

ويتحول مجتمعنا بسرعة مذهلة، ويا حبذا! وهو يبحث عن توازنه، وستواصل الكشافة مساهمتها وإعانتها له للعثور عليه، مهما كانت الحواجز التي تعترض طريقه ومهما فعل النمامون الذين لا يعرفون للتوبة سبيلا.

فإن هؤلاء يرون في الحركة الكشفية تارة لعبة للأطفال لا غير، وتارة تجمعا لشباب طائش يبحث على تقصير الوقت، والأدهى من ذلك أن يعتبروها خطرا على الجماعة إذ تصرف الشباب عن واجباتهم الشخصية والعائلية، بل حتى الوطنية، فيا لها من تأويلات خاطئة وسخيفة.

أما بالنسبة إلينا، نحن الكشافة الإسلامية (BSMA) فإنها تربية تهدف الى تحرّر الفرد وإعطاء معنى للجماعة وأهدافها هي:

- جعل الشباب يعيش في مناخ أخوي،
- الدعوة لهذه الأخوة والى محبة الغير بصفة عامة،
- العودة في الحقل الديني الى نوع من الروحانية الحية القادرة على إلحاق الجماعة بمركب العالم المعاصر.

– زرع الإحساس بقيمة الإنسان الجدير بوطنه وزمانه.
– التعبير بشجاعة على رأيه والثبات عليه بعد دعمه بالحجة.
– اكتساب روح المسؤولية في العمل.
– القيام بذلك بالمهمة السابقة بصبر وجلد وفعالية حقيقية، وعدم انتظار المكافأة من أي كان اللهم إلا الإحساس بالرضا الصادر عن القيام بالواجب.

هذه بعض المبادىء الكشفية التي لا سبيل الى التحرر بدونها. منجزاتها موجودة وعلى الذين ينكرونها ان يأتوا بما لديهم، يسرني ان استشهد بافتتاحية «لبيير فرانسوا» القائد العام للكشافة الفرنسية (EDF) حيث يجيب هو الآخر بعض المعاصرين قائلا: «كثيراً ما تدفعنا ديماغوجية لا نفكر الى إطراء الشهية الأولى وحدها، يعني ذلك نجاهل الجوع الحقيقي الخاص بالبشرية» والى ذوينا، وعددهم غير قليل الذين لا يفرقون بين «الأولى للشهية وبين ذاك الجوع الحقيقي للبشرية»، نقول ان الجهد الذي نبذله، بلا ديماغوجية لا تفكير فيها ولا يشكل اي نوع من الإهمال ان الزمن والتجربة يفرزان دليلا يزداد صحة على مر الايام بأننا على صواب في مساعينا، وتحاول كشافتنا بكل الوسائل التي نملكها ان نطعم مجتمعنا من جوعه الذي درسته باستمرار دراسة مكنتها من معرفته. فهي تشعر بان لها دور المحرك في التطور الذي نشهده اعيننا فهو يحق عمل جليل من أجل التحرير.

الحياة – عدد (1951 – 1952)

17 - توضيح مختصر:

نشرت جريدة «الجزائر الجمهورية» (Alger Républicain) في عددها الصادر يوم 20 جانفي 1950 مقتطفات عريضة من تقرير حول الخلافات بين الكشافة الإسلامية (SMA) والإدارة ورغم أننا اصطدمنا بعناية غير منتظرة من طرف جريدة الجزائر الجمهورية نحو (ك.أ.ج)، إلا اننا نرى من الطبيعي ان تفتح هذه الجريدة الاخبارية صفحاتها لكل واحد ولو كان من أعدائنا المعلنين أو المتسترين، وبلغ اندهاشنا أوجه حين علمنا ان

«الجزائر الجمهورية» نقرّ بأن الكشافة الإسلامية (SMA) أسست بصفة قانونية؛ ومسؤول التحرير يعلم بالطبع أننا، نحن الكشافة الإسلامية (BSMA) ننكر شرعية المكتب الإداري الحالي للكشافة الإسلامية (SMA).

وهل اهتمّ أصحاب الكشافة (S.M.A) برد الفعل الذي كان من الممكن أن يصدر من طرف «اتحاد البيان الجزائري» و«الجمهورية الجزائرية» حين اتخذ عمدا موقفا منحزيا في النقاش السياسي الجزائري الذي جرى بسيدي فرج؟ ألم يجر الحديث فيه عن الحزب الوحيد أو عن (M.T.L.D)؟ وكان الحديث آنذاك منبوعا بهتافات عناصر الحزب الذين جندوا لمجرد الدفاع عمّا أملاه عليهم.

إن موقفنا الماضي والحاضر الذي نلتزم فيه الحياد الكامل في الميدان السياسي يجعلنا في راحة تامة كي نعبر عن اندهاشنا للمجاملة التي أبدتها هيئة التحرير «للجزائر الجمهورية».

الحياة 1950

ملاحظات حول الفصل السادس من القسم الثالث.

1 – كان أعضاء هذا الوفد متكونين من:
– الآنسة بينيفتس عن مجلس الشبيبة البروتستنتية.
– السيد بورويبة عن شبيبة (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري) (U.D.M.A).
– الآنسة نيغو عن الشبيبة الكاثوليكية.
السيد التجيني عن (BSMA).

2 – على قادتنا مراجعة باب «طريق الفلاح».

3 – منذ صياغة هذا المقال تغير طرح المشكلة بسبب إنشاء الجمعية الجزائرية للصحافة والنشر التي تملك حروفا عربية ولاتينية (WDLR).

4– لماذا لم تذكر كذلك مشاركة الكشافة الإسلامية (BSMA) في «بوخاريست» مع الاتحاد العالمي للشبيبة الديمقراطية (FMJD) والسفر الى مصر. فهل كان الكاتب يريد قول الحقيقة؟

07 - تكريم جماعي للشيخ
عبد الحميد بن باديس رائد الكشافة الإسلامية

1 - حول ذكرى سنوية بقلم الطاهر التجيني:

مع مرور الزمن - وقد مضت عشر 10 سنوات - لم يبق المرحوم الشيخ ابن باديس يعتبر مؤسسا ثم محركا ناشطا ورئيسا لجمعية العلماء بالجزائر فحسب، بل اصبح ينتسب إليه كل الذين يهتمون بحاضر ومستقبل الإسلام عندنا، فكل التيارات وكل الحركات الجزائرية الاصيلة تدعي بانتمائها إليه، ويفتخر كل الساسة بانهم تلامذته ويدعون انهم يعملون في الخط الذي سطره.

إن الحركة الكشفية الجزائرية كما نعلم مدينة للشيخ ابن باديس بالكثير، فهي ترى فيه دوما ازيد من منشىء ورئيس بلا منازع للحركة الإصلاحية، بل تعتبره رائدا وكشافا بجدارة ولربما بعد موته أكثر من ذي قبل، إن إطاراتنا وقادتنا وأطفالنا لا يعرفون الكثير عن الرجل لانهم صغار ولا يعرفون الكثير عن المفكر والمربي والمناضل والمتصوف. لذا قررت القيادة لحركتنا تخصيص عدد كامل من نشريتنا للتعريف به.

لقد تحدثت عنه حركات كثيرة وجمعيات ومؤسسات، ولربما فعلت ذلك باكثر جدارة، لكننا قررنا ان تشارك ولو بالقليل في تكريم هذا الرجل الذي لولاه لما سنحت الفرصة للحركة الكشفية في الجزائر لتثبت جذورها وتترعرع.

تولى القائد الوطني جيجلي المولود بنفس المدينة، أي بقسنطينة، جمع معلومات تعيننا على فهم هذا الرجل وتقدير عمله المتواصل حق قدره.

أما من جانبي فاود ان اقول فقط لقادتنا واصدقائنا ولكل الذين يتتبعون نشاطنا التربوي باهتمام، ما نحن الكشافة الإسلامية (BSMA) مدينون به للثوري ابن باديس، هو بالدرجة الأولى وعينا الديني، وانا لا اريد هنا ان انكر او اقلل مما ترك لنا اسلافنا من عقيدة دينية ومثل إسلامية، لقد حافظنا على كليهما ولا ادري باية معجزة.

إن العادات العائلية والشعبية – وكلها شفوية – كانت التعليم الوحيد الذي تلقيناه ولاشك ان هذا التعليم صحيح لكنه متشعب ومتعدد الاشكال، ولولا الانقلاب الذي أحدثه الاستعمار لكان هذا التعليم كافيا ليؤدي دوره الفعال ويتيح لجماهيرنا ان تكتسب «شعورا إنسانيا» امتثاليا وتقليديا، لكن عقيدتنا ومثلنا الروحية مرت بامتحان عسير؛ لقد ارتخت بعد حتكاكنا بالعرب اللاتيني إن لم تقل الملحد، لان صلتنا بالغرب المسيحي لا وجود لها بالأمس واليوم تقريبا، والسبب غامض يجب التفكير في دراسته في يوم من الأيام. لقد كنا مسلمين حقا، لكن بحكم العادة اولا. وتنبعث معتقداتنا وعباداتنا عن تقاليد أكثر مما تنبعث عن إيمان، كنا نعلم بأننا مسلمون وتصدق ذلك بكل اعتزاز، بل وفي بعض الأحيان، والحق أقول، بعطرسة.

فليفكر شبابنا في حياتهم الروحية أو في علاقاتهم مع اناس غير مسلمين؛ وليتذكروا في رد فعلهم عندما كانوا يتحدثون، ولو صدفة، عن الدين؛ نظرا الى افتقارهم الى أي وسيلة للدفاع عن أنفسهم، كانوا يلجأون الى الاحتماء وراء الطابع المقدس والمحرم لعقيدتهم.

ومن العريب كان هذا الإيمان يكفينا في الماضي، وكان يوفر لسكان الريف عندنا، هدوء النفس واطمئنان الضمير، إن الرجل الريفي لا يعرف شكلا آخر من أشكال الشعور الإنساني، فالرجل القدوة بالنسبة إليه هو والده، أو الشيخ المحترم لتلك الناحية، وإن كان جاهلا، والمشعوذ الأول الذي يأتيه يسخر الدين لأغراض شخصية.

ولحسن حظ الإسلام في جزائر المستقبل، فإن رجل المدينة الذي يحاذي كل يوم عبادا مختلفين عنه، مثل الجندي الذي جاب اقطارا كثيرة، والشباب بالخصوص، الذين كانوا للأسف أقلية يزاولون الدراسة كلهم فقدوا ذلك الاطمئنان النفسي، ولذا كانت تصدر عنهم ردود فعل إما لمقاومة قلق نفساني لامناص منه، وحيرة لإبقاء عقيدتهم على حالها، وذلك موقف من مواقف الدفاع الذاتي، وإما لمحاولة إعادة

التفكير في المشكلة الدينية والأخلاقية على أساس العقل انطلاقا من المعطيات التاريخية الموضوعية، هنا جاء دور ابن باديس الذي أنقذ الكثير من النفوس.

لقد أعان المسلم بالفعل – مباشرة أو بطريقة غير مباشرة – على أن يجد في دينه الدواء لبدد الحيرة والقلق، وهذا بفعل الرجوع الى العقيدة الإسلامية والسنة الشريفة، ونبذ كل التقاليد والعادات البعيدة عن الإسلام غالبا ما تكون بدعا تتعارض مع السنة الحنيفة وإصلاحات كانت نتمة منطقية لأعماله السابقة الذكر، تلك هي التوجيهات التي دل عليها ابن باديس ولقيت عند الجميع صدى باهراً. ومنذ ذلك الحين لم يعد المتصل بالعرب يرجع تخلفه لدينه وبفضل اعمال هذا الرجل الفذ أصبحت روحانية الإسلام محمية، بل مدعمة.

فالإسلام كعقيدة، لا يتعارض مع تقدم المسلم، ودافع ابن باديس عن حجة مضادة تقول بأن الإسلام –إذا لم يتحرف– هو اداة تقدم. أما الجمود المؤقت الذي يعرفه العالم الإسلامي فهو ناتج بنسبة كبيرة عن التحريفات والتشويهات التي دخلت على العقيدة السليمة، وهكذا اجتهد الشيخ ليعطي للنصوص المقدسة التي اثقلتها، بل افسدتها التأويلات السابقة، تفسيرا ذكيا أعاد لها مدلولها الصحيح، ولما أخضع التفكير الإسلامي الى النقد، استعاد قوته وتفتح من جديد.

وهكذا انطلق ابن باديس في مهمة توعية وتحرّر وواصلها الى آخر يوم من حياته. وساهم بقسط وافر في نهضة الإسلام وتعبير الأفكار في وطننا، وهذا ما يستلزم على الأقل اعتراف وتقدير كل الجزائريين.

الحياة: عدد خاص آبريل - ماي 1950.

2 - مواعظ وذكرى

بقلم جبجلي محمد:

من بين العادات المستحدثة في المجتمع الإسلامي الجزائري هناك واحدة ننظر إليها جميعا باستحسان خاص، أعني بذلك ذكرى وفاة الشيخ ابن باديس رحمه الله، للتأكيد على الاهتمام البالغ الذي توليه جمعيتنا لهذه الذكرى جعلت الكشافة الإسلامية (BSMA) الاحتفال بها مفروضا وذلك من خلال منشور وزع على كافة الافواج، لم تأخذ قيادتنا العامة هذا القرار بلا تدبر، ولم يكن من دوافعه الاستجابة لميول عابرة ولا استغلال أبوة جزائري عظيم من طرف الكشافة الإسلامية (BSMA)، فعلت ذلك لأن عمل ذلك العبقري الذي نعرفه كما يعرفه جميع الجزائريين والذي كان يغار على مستقبل هذا الوطن، هو الذي أوجبه علينا.

فعلت ذلك لأن رجلا من طينة ابن باديس حمل في حقبة خاصة من تاريخ الجزائر عبئا ثقيلا ووجه كل قواه الحية نحو تحرير جماهير جاهلة وغافلة. ومع كل ذلك، وجد الوقت لبهتم بالكشافة، فساهم في تطوير الكشافة الإسلامية الجزائرية، لذا، لنا الحق ان نتحدث عن ابن باديس بصفته جزائريا أولا ثم بصفته قائدا مفكراً.

لكنني اعترف بانني احس بالخجل عندما ارفع قلمي لاكتب عن رجل كم كتب عليه من قبلي، لقد نشرت ترجمات لحياته ودراسات حول شخصية بن باديس في مقالات الجرائد، ولا يمكن ان تكون من هذا المنظار إلا مختصرة وتهدف الى التنويه والمدح تحت شعور وطني مكبوت، ولا يفوتنا ان ننبه الى الخطر الذي يكمن وراء ذلك، فبحمل الجماهير الى إحياء ذكرى ابن باديس كل يوم أكثر، ألسنا معرضين الى دفع القارىء الى الملل بإغراقه في عبارات المدح التي ستصبح ذات يوم رتيبة؟ فإذا تحولت حفلات ذكرى وفاة ابن باديس الى مناسبات تفتح الباب لكتابات لا جديد فيها إلا القليل، افلا نتوجه عكس ما كان يصبو إليه رجل

كرس حياته كلها لكفاح مستميت ومستمر؟ وبعبارة أخرى أخشى أن يتبلور هذا النشر المسهب في شكل نهائي عديم التأثير فنكون قد تسببنا في إخماد شعلة وسد منبع الحياة. قد نكون أكثر مرونة وأميل الى التسامح إذا فتح المجال، بالتوازي مع المقالات العابرة، لعمل أكثر نضاجا وأطول نفسا، مثلما ننتظره الأجيال القادمة منا.

إننا نتعجب من كون تلامذة هذا الرجل الفذ لم يفكروا في جمع مخطوطاته اولا، ونتساءل إن كان هذا مازال في الإمكان وهل احتفظ بمجموعة اعداد «المنتقد» ومجلة «الشهاب» التي ظهرت من بعد، وهل كتبت دروسه في التفسير؟ فكيف يمكن بدون ذلك تتبع انفتاح شخصية هذا الرجل، طوال حياته النضالية، وبأسلوب منطقي، وكيف يمكن من جهة اخرى إبراز خصوصياته بين العديد من المصلحين الذين سهروا مثله على تخليص الإسلام من شوائبه ؟

هذه حسب رأيي هي الزاوية التي ينبغي النظر من خلالها الى منجزات هذا الرجل، إذا أردنا أن نستخرج منها كل الفوائد المرجوة. وفي الوقت الراهن، ورغم قرب العهد بوفاته، فنحن مجبرون عندما نريد الكتابة على ابن باديس ان نلجأ إما الى البحث أو الى مراجعة مقالات صحفية نشر أغلبها بمناسبة الذكريات، لسنا نحاول بهذا المقال الإتيان بالجديد لكننا ندعو الى إجراء بحث جاد في حياة واعمال ابن باديس لإثراء الخزينة الجزائرية وتقصي مالم نعلمه إلا بالتواتر الشفوي، وهو الأسلوب المفضل عند اسلافنا، وعلي أن اضيف بأنني إذا حرصت على البقاء في خط الهدف التربوي البحث الذي تتبعه جمعيتنا اقتصر في هذه اللمحة على التطرق الى الميادين الثلاثة التالية: الثقافة والاجتماع والدين.

عندما نلقي نظرة شاملة على أعمال ابن باديس نلاحظ أمرين هامين:

1- لم يبتدع ابن باديس، ولكنه اعاد الوصل مع ما سنه كافة المصلحين المسلمين من قبله، لكنه بفضل طبعه الجزائري الفطن والذكي، استطاع تكييف الإصلاحات وفق ما يتطلبه بلد يعرفه معرفة عميقة رائعة وتلقائية.

2 - إذا أردنا أن ندرس اليوم منجزات ابن باديس في الميدان الذي اقتصرنا عليه، أمكن أن نستخلص الملاحظات الهامة التالية:

كل ما نحقق في الميدان من انجازات كان موجودا في عهد ابن باديس بشكل بدائي، ثم تطور بكيفية واسعة بعده، لكن المبادرة كانت في البداية صادرة عن ابن باديس واليه يعود الفضل في وضع الأسس.

هذه ملاحظة مهمة للغاية لأنها تفسر الاعتراف المطلق من كافة فئات الشعب لهذا الرجل وتفسر التقدير الذي نكنه له.

وهاتان الملاحظتان هما اللتان تشكلان رأس الخيط الذي سنجذبه شيئا فشيئا لنتطرق الى دراسة مختلف المراحل في نشاط ابن باديس. لما أكمل ابن باديس حلقة دراسته في قسنطينة ثم في الزيتونة بتونس، أدى فريضة الحج الى البقاع المقدسة والتقى في المدينة بأستاذه في العلوم الدينية الشيخ حمدان، فأحرز هناك على شهادة «عالم»، وفي طريق العودة توقف بالإسكندرية واتصل بالشيخ الخياط مفتي الديار المصرية، فأعطاه الشيخ بعد امتحانه بدوره، شهادة «عالم»، ثم استقر نهائيا بقسنطينة عام 1913.

يذكرنا سفر ابن باديس الى الشرق بالعديد من الرحلات التي كانت تقوم بها في القرون الوسطى، نخبة من الكتاب ورجال الأدب، ينتقلون من عاصمة الى أخرى طلبا للمعرفة والتجديد.

يفترض أن تكون هذه الرحلة قد أتاحت لابن باديس أن يتصل مباشرة بمنجزات الأفغاني ومحمد عبده ودراساتهما وأن يقيم أهميتها.

وعاد هكذا أستاذنا مزودا بعلوم غزيرة استقاها من منابعها، ثم استقر بقسنطينة التي حافظت على طابعها الإسلامي القوي مثلما حافظت عليه تلمسان في الغرب، ولم يلبث أن شمر الشيخ على ساعديه، واهتم بأمر إخوانه المسلمين وأحب من صميم فؤاده أن يُكَوِّن لهم إرادة جماعية قوية، وكان يؤمن بأن الدين هو أفضل وسيلة للوصول الى هذا الهدف، كما كان يدرك بأنه لا يقدر على القيام بأي عمل من هذا القبيل دون أن تهيأ الشروط لحملة تطهير الإسلام في الجزائر، ولكي تعطي هذه الحملة ثمارها بالمعنى

عن المنكر واستئصال جذور الفساد، ادرك ابن باديس بأنه من الضروري ترقية مستوى التعليم قبل كل شيء.

لذا، كرس الرجل مجهوداته لهذا الميدان لمدة 12 سنة تمتد من 1913 الى 1925، وأعلنها حربا بلا هوادة على الأمية، ولاشك انه من المفيد ان نتتبع اعماله في هذا الحقل خطوة خطوة؛ لكننا سنكتفي بالتلميح لمعالمها الكبرى كي نستخلص العبر من هذا النشاط الفياض خاصة إذا علمنا بضعف الوسائل التي كان يملكها ابن باديس.

نلاحظ اولا ان مجهوداته في هذا الميدان والميادين الأخرى موجهة نحو الشباب دون غيرهم تقريبا، وإذا كان تعليمه من جهة اخرى قد انطلق في مسجد سيدي قمُّوش باسلوب تقليدي، فسرعان ما ادرك ابن باديس ضرورة توسيع قاعدته، فبدأ عام 1917 في تعليم اللغة والآداب العربية في مسجد سيدي فتح الله، بالتوازي مع التعليم الأول، وفي آخر نفس السنة ادرج في برنامج سيدي فتح الله مادتي الجغرافية والتاريخ.

وانطلاقا من عام 1918 بدأت مجهودات ابن باديس الفردية تعطي ثمارها، فابتداء من ذلك التاريخ الذي يشكل مرحلة هامة في حياته، لم يعد وحيدا في تعليمه، فقد كان الطلب قويا بحيث لا يكفي لتلبيته وحده هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد تخرج من عنده تلامذة أحبوا مؤازرة أستاذهم في حملته ضد الأمية، بعدما نفخ فيهم حماسه.

وفي 1918 افتتحت دروس بالعربية والفرنسية في مقر جمعية إعانة المسلمين الجمعية الخيرية، واستمرت هذه الدروس تحت رعاية الجمعية الى عام 1935. إن تعليم الفرنسية في مدرسة حرة عربية، من خصوصيات افكار الشيخ ويعبر عن تفتح فكري كبير، ولا أظن ان هدف ابن باديس الذي احس بضرورة تعليم لغة ثانية غير العربية قد نعه فيه أحد من تلامذته، ويمكن ان نؤكد بان هذا الهدف لم يحظ بعد وفاته بالعناية التي عرفتها الأهداف الأخرى، وهذا مؤسف للغاية.

وفي نفس السنة جاء حادث لا يقل دلالة على تفكير الشيخ إذ أرسل البعثة الأولى من التلامذة الى الزيتونة بتونس، والسبب الأول في ذلك هو عدم وجود تعليم ثانوي أو عالي للشريعة في الجزائر، والسبب الثاني والاساسي، هو الحرص على أساتذة يضمنون مواصلة العمل.

اما سنة 1919 فستشهد ميلاد وتطوير تعليم البنت، فافتتحت مدرسة في سيدي بومعزة دشن فيها الشيخ استعمال المراجع التونسية والمصرية. وأمام تكاثر الوافدات من التلميذات تحتم نقل المدرسة الى محلات الجمعية الخيرية، حيث كانت تنظم كما قلنا دروس للكبار وتحول سيدي بومعزة الى نوع من داخلية ملحقة.

ونلاحظ في هذه المنشآت غياب تخطيط محكم، فهي تاتي على مر الايام حسب الحاجة وحسب الموارد بالخصوص، لكن هذه المنجزات المتواضعة كانت منطلقا لكل الأفكار التي ستفرض نفسها أمام اتباعه على ضوء التجربة.

لقد كان الشيخ يعلم انه لا معنى لتعليم الذكور دون الاناث، وكان يشعر بنقص بيداغوجي محيف من حوله. وحاول التخفيف منه بتزويد معلميه بكتب قيمة ريثما يتحسن مستواهم، وكان حريصا على إيجاد النخبة التي كان يكونها عن الحمامات والمقاهي، ومازالت بعض تلك المشاكل التي واجهها الشيخ وحاول حلها تطرح نفسها اليوم بنفس الحدة لاتباعه.

كانت السنة الدراسية (1936–1937) مصيرية. إذ استمرت فيها كل الدروس واتسع نطاقها ثم جاء الجديد الذي غير الأمور، وهو شراء مبنى في نهج «البكسيس لامبير»، لقد أصبح هذا المبنى مقرا رسميا لمدرسة التربية والتعليم يديره مكتب إداري يصدر برامج كل سنة ويتحسن مستمر، وبهذا الانجاز حصلت النهضة وبدأت المدارس تنبت في كل مكان عبر التراب الجزائري.

إن تتبع هذه الحركة في تاريخها يفسر بوضوح الملاحظتين اللتين ذكرتهما في اول الحديث ومنهما يمكن استخلاص ما يلي:

- كانت طريقة الشيخ امام العقبات التي تواجهه تعتمد على التقدم درجة بعد درجة وهذا واضح تماما.
- ونرى ابن باديس من جهة اخرى امام غياب خطة شاملة ومبادىء بيداغوجية محكمة يلجأ الى الطريقة الميدانية، ويعينه في ذلك ذكاء خارق للعادة وإحساس مرهف بالواقع الملموس.
- اما في المجال الاجتماعي فكانت الانجازات اقل مما تمّ الحصول عليه في الميدان السابق، إلا اننا سجلنا له إنشاء نوادي ابتداء من سنة 1932 وفي سنة 1935 ظهرت للوجود اول فرقة كشفية وهي «كشافة الرجاء»، تحت قيادة الشاب القسنطيني ابن تلّيس، كما اهتم بمجال الفن، فشارك في إنشاء جمعية للفن الموسيقي والمسرحي «الشباب الفني».

لقد راينا كيف استطاع ابن باديس تهيئة التربية في المجال الديني، فكانت سنة 1935 مُنْطلقاً للفترة الإصلاحية الدينية، وفي غياب معلومات مكتوبة يصعب إظهار نقاط الخلاف بين برامج الإصلاح لابن باديس وبرامج المصلحين الآخرين، اما الأشخاص الذين كنت استسقي الأخبار منهم آكدوا لنا ان افكار ابن باديس مغايرة تماما لأفكار المصلحين الآخرين، إذ كان يمتنع عن الرجوع الى كتب عبده و«الافغاني» مخافة تقليد منهجهما، ويدون ان نشكك في مصداقية الذين أخبرونا، يمكن ان نتجرأ على الإثبات بأن الفرق بين ابن باديس والمصلحين الآخرين لم يكن في المبادىء، بل كان في تطبيقها على الواقع الجزائري، وقد تجلت عبقرية ابن باديس في هذا التطبيق.

اما فيما يخص التفطنين الاساسيين لبرنامج ابن باديس، وهما محاربة الأمية، وقد مررنا على مراحلها الاساسية، ومحاربة الطرقية، فهما لا يشكلان إلا وجهين رئيسين من برنامج عبده، ومن الممكن ان نوجزهما كذلك في إصلاح التعليم العالي الإسلامي وتطهير الإسلام من الممارسات المفسدة.

وفي الميدان الديني، ومن خلال محاربته لطقوس الزوايا التي كانت تشوب التوحيد الإسلامي، كانت لأعمال ابن باديس ثمرة طيبة في إنقاذ وبعث الحركة الإسلامية التي توسعت شيئا فشيئا حتى غزت كامل القطر الجزائري، فلم يكن هذا الكفاح يأخذ نفس الشكل في البلدان الإسلامية الأخرى، ولكن الأسلوب الذي طبق به في الجزائر أعطى النتائج الإيجابية التي نلمسها، والتي تدل على أن الحكمة التي توخاها صاحبها في تطبيقها في الميدان أعطت لها فعالية غير معهودة.

وفي الختام يمكن القول بأن حياة ابن باديس كانت كفاحا في كل الميادين وان المجهودات التي بذلها في الميدان الثقافي لم تعرف انقطاعا الى يوم وفاته، وكانت من أهم مآثره.

ولئن كانت النتائج دون ذلك في الميدان الاجتماعي، فلا ننسى أن ابن باديس مثل الأفغاني، كان رجل منبر فذ، أكثر مما كان رجل قلم، ولقد ساهم بسيرته وأخلاقه المثلى وموعظته الحسنة، في منح الجزائريين روحا إنسانية وتصليح فسادهم وزرع بذور الإبداع في أفكارهم.

اما في الميدان الديني، فقد بعث فيهم إيمانا حيا، مطهرا من رذائل الشرك الطرقي، ويحق إذن للجزائر أن تفخر بهذا الابن وأن تمنح له التقدير الدائم.

3 - الى روح أستاذنا المبجل الشيخ عبد الحميد بن باديس دروس التربية الإسلامية

- الحصة الثالثة لحمودة بن ساعي.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الإسلام دين الله في الأرض، مبني على عهد، عهد بين الله ومخلوقه، ويفرض هذا العهد على كل مسلم الطاعة والعبادة، وكل اخلال بهذا العهد يعني نكران الإيمان اصلا، وهذا ما يعلّمه ائمة المسلمين عندما يتحدثون عن «الحبل المتين»، (وهو العهد المتين عند النصارى)، تلك هي الكلمة التي تعبر في آن واحد عن العهد مع الله وعن الإيمان به، والإيمان بالله لا يكون عقيدة إلا إذا استجاب العبد لأوامره وقام بالفرائض، وبعبارة اخرى إذا التزم بالعبودية لله.

ويقول الفقه الإسلامي مثل هذا إذ يتحدث عن الدرجات الثلاث للإيمان كما جاء في حديث البخاري: العقيدة وخشوع الجوارح والبر والإحسان، فالإيمان بالله إذن هو عهد الله، ذلك بالفعل ما يردد: القرآن عندما يتحدث عن العهد الأول بين أبي البشر آدم عليه السلام وخالقه، وقد اعيد ربطه بين إمام البشر إبراهيم عليه السلام والرب الأعلى.. يعتبر ذلك «الميثاق المقدس» أغلى ميراث تركه إبراهيم عليه السلام لذريته، ثم نقله إسماعيل عليه السلام جد العرب لأبنائه، ومن احل ذلك الميثاق استحق إبراهيم عليه السلام لقب «خليل الرحمن».

يحسن بنا في هذا الصدد أن نرجع الى الآية التي أشرنا إليها آنفا ونتدبرها فهي تقول بالنص: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا، واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾، (الآية 125 من سورة النساء)، واستحقت امتنا اختيار الله لها بعد وفائها لميثاق إبراهيم عليه السلام.

ولكي يبين لنا الله تعالى مقدار هذا الميثاق عندما أمر إبراهيم عليه السلام بتضحية عظمى، فاستجاب إبراهيم ووفى وثبت على العهد، فعمل بلا تردد، وبشجاعة فاقت قدرة البشر كل التضحيات التي جاء بها الميثاق.

إنه لم يتردد عن الإعراض عن أبيه آزر لما أراد أن يجبره على السجود للأصنام؛ ولم يتردد في التضحية بابنه إسماعيل لما أوشك أن يذبحه بيده قربانا لله.

إن الله قد امتحن صدق إيمان إبراهيم عليه السلام وثبوته على العهد، فوهب له تعالى بقدرة معجزة برهانا على خلته له وجزاء له كبشا ليذبحه عوضا عن ابنه، لم يكن إله إبراهيم متوحشا متعطشا للدماء الآدمية، بل هو في ساعات البلاء العظيم وعندما يستغيث به عباده، رب الرجاء الذي لا يخلف وعده، وهو رب الرحمة والغفران.

ففي ذكرى هذا البلاء العظيم والتضحية الكبرى التي برهن فيها إبراهيم لله على أنه أهل لميثاقه وخلته، وفي هذه الذكرى التي تجلت فيها رحمة الله التي كتبها على نفسه ولا يخلف عهده لعباده، يتقرب المسلمون في العالم الإسلامي كله بأضحياتهم فيذبحوا كبشا يوم عيد الأضحى.

من هذه الأمثلة والعبر التي يقدمها لنا الكتاب الكريم للاقتداء، يمكن أن نستخلص أن الإسلام دين إبراهيم، هو دين الوفاء والإخلاص، والتضحية، وهو كذلك ولا نقصد دين الخلق أولا، حق النجاة والأمل الصادق الذي لا يخيب. نحن عباد الله خالقنا ورازقنا ومولانا القاهر فوق عباده فلله وحده نهب محيانا ومماتنا في عبودية صادقة تامة وإرادة مطلقة، ذلك ما يعلمه القرآن بالذات ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين...﴾، فمن لم يجاهد في سبيل الله فهو ليس أهلا لله، وليس له الحق في ذلك اللقب السامي: لقب المسلم، والإسلام هو إخلاص لله، والله لا يقبل المسلم الشرفي، فالإسلام ميثاق الله، ويشترط هذا الميثاق لا محالة امتحانات وتضحيات وإخلاصا وصبرا، أو بعبارة مجملة: يتطلب جهادا، والهدف من كل هذا في النهاية هو استحقاق حب الله، ذلك الحب

وأعظم جزاء لنفس مؤمنة، كان ذلك شأن إبراهيم عليه السلام سيد ملتنا وأب المسلمين، وقد قال القرآن في شأنه: ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ (الآية 125 من سورة النساء)

ملخص واستنتاج:

يعتمد الدين على «ميثاق»، نتعهد به للعمل في سبيل الله، وهذا العمل يستلزم بلاءً وفداء، فلا نجاة بلا وفاء وفداء، هذه هي التعاليم الأساسية للإسلام، كما فهمها رجل غربي يدعى: «فريدبريك نيتش»، فقد كتب هذا المفكر ما يلي: «الإسلام دين رجال؛ أسس على فطرة نبيلة»؛ وسيدنا إبراهيم عليه السلام هو الرمز بحق لهذا المعنى، ولذلك كان أب المسلمين.

فمثله الأعلى أسوة وحافز لنا؛ فهو يبعث لنا الطريق ويحدد الهدف، فالمبدأ هو «الميثاق مع الله» والغاية هي «حب الله»، ذلك هو درسه باختصار وقد عبر عنه النص القرآني بوضوح لا يقبل الجدل.

ليس الإسلام دين فرائض كما هو الشأن في الرومانطيقية الغامضة، التي تدير ظهرها «للميثاق»، بل الإسلام في أصله «مهمة»، وبصفتنا خلفاء الله تعالى يجب أن نعمل لمحبة اسمه والدفاع عن شرعه والجهاد من أجل إعلاء كلمته، ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (الآية 110 من سورة آل عمران).

إن السعي في سبيل الله لا يقبل التجزئة وليس هناك إلاهان يعبدان، الرب والمأمون، كما يعلمنا الإنجيل، ولا يقول القرآن غير هذا، فليس الإسلام إذن مهمة فحسب، بل هو كذلك تشريف.

و﴿ لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ (الآية 8 من سورة المنافقون).

والله أكبر؛ كما ينادي المؤذن كل يوم.

4 - عبد الحميد بن باديس والنضال الاجتماعي.

بقلم: ابن محمود محمود.

في يوم حار من صيف 1938 استقبل الرجل الذي كان يعتبر رمز الإصلاح الإسلامي في الجزائر، بتصفيقات حارة من طرف جمهور غفير حين تشرفت (جمعية الحياة) في سطيف باستضافته، لقد اصبح اسم عبد الحميد بن باديس، ينادى به بإجلال، وإذا ما اردنا ان نتتبع الحياة الحافلة للمرشد الاول للكشافة الإسلامية الجزائرية، وجب علينا ان نستعين بقلم صحفي موهوب وبضمير سياسي نزيه وبالخصوص بإيمان مربي عليم كريم.

لذا، سوف لا نجرؤ على التحدث بلسان مفوض عن هذا الفقيد العظيم، إن طموحنا دون ذلك، إننا نريد فقط ان نعبر بإخلاص ونصدع عن الاعتراف للرجل الذي كانت حياته الخاصة والعامة قدوة للجزائري المسلم الصادق.

كما نريد، ونحن نواجه الكفاح الذي قام به عبد الحميد بن باديس في الحقل التربوي أن نكتشف أسباب نجاحه وقيمة دروسه الاجتماعية.

لكنا نرى من الأفيد ان نتعرف قبل كل شيء على الحوادث البارزة في حياة الشيخ ونرسم ترجمة وجيزة لحياته توضح لنا مجمل الافكار التي برزت عنده حوالي 1920. فبعدما تلقى تعليما ابتدائيا صحيحا في قسنطينة، سافر الشيخ الى الزيتونة لمواصلة المرحلة الثانوية والعالية في العلوم الإسلامية. ثم حجّ عام 1912، وبعد إقامة دامت بضعة شهور، توجه الى القاهرة، فكانت هذه الرحلة وتلك الإقامة في القاهرة منعرجا في حياة الشيخ، ففي المناخ الازهري الذي كان مازال مفعما بالمثل والافكار الإسلامية لمحمد عبده، المتوفى سنة 1905، تمكن ابن باديس من الاقتناع الكامل بتلك النهضة الإسلامية، فلقد فتحت المحادثات التي اجراها مع مفتي الديار المصرية آن ذلك، ومع الشيخ إسماعيل جفر، الأستاذ الجزائري بالأزهر، ومع رشيد رضا، آفاقا مشرقة امامه، ورسخ في نفسه على الدوام إيمانه بنهضة إسلامية في الجزائر.

ولدى عودته الى الجزائر، اندلعت الحرب العالمية الأولى، وخلال تلك السنوات العسيرة ازداد الإحساس الطبيعي للشيخ إرهافا، وورعه عمقا، فبدا

ينبعث من كامل وجدانه قوة وإشعاع يفيضان بالخير العميم؛ وبدأت فكرة الإصلاح تتبلور في ذهنه أكثر، فكانت سنة 1922 منطلقا للفترة البطولية التي انتشرت فيها الفكرة الميمونة. ولم يكتف الشيخ بالكفاح بالقلم واللسان، لاسترجاع إسلام مطهر من كل المعتقدات الفاسدة، بل اجتهد في تنظيم دروس في مسجد سيدي بومعزة المتواضع في قسنطينة، فكان يدرس الشيخ مبارك الميلي التوحيد الإسلامي لشباب متعطشين للعلم ومتحمسين، كان يلقن تلك العلوم بأسلوب عصري، وكان نفس التعليم يلقن في مدرسة «التربية والتعليم»، وهذا الاسم وحده يعني برنامجا كاملا ذا دلالة، ثم تلت هذه الدروس دروس أخرى في مسجد سيدي قموش حيث كانت تفد مجموعة الطبقات الشعبية التي أعجبت بابن باديس، وبدأت سمعته تنتشر، وفي مجمل تعليمه، لم يكن الشيخ ليهمل الجانب الاجتماعي البحت.

فكانت النوادي تتأسس، والجمعيات الخيرية تتكاثر، والجمعيات الرياضية تزدهر كما كانت الفرق الفنية تجد تشجيعا لدى الشيخ، أما الفرق الكشفية فكانت تحظى باهتمامه مثل المدارس.

فبدأت الحركة تتسع بخطى متئدة وثابتة وبدأت المدن الجزائرية تتلقى الواحدة تلو الأخرى رسالة النهضة التي كان يبعثها رئيس جمعية العلماء، وبدا قراء الجريدة الأسبوعية «المنتقد» يتكاثرون، ثم جاءت بعدها جريدة «الشهاب» ليزداد عدد قرائها أكثر؛ فكانت الدليل الواضح على أن جهود ابن باديس قد كللت بالنجاح في الأوساط المتعلمة والشعبية معا، وتوجهت هذه الجهود إلى تجديد الشخص وترشيد الوعي العام في المجتمع، ولا يسعنا في هذا المجال إلا أن نواصل المعركة التي دشنها الشيخ عبد الحميد بن باديس.

وبالنسبة لنا قادة وكشافة، يتعين علينا أن نهتم بالمشكلة الإنسانية قبل أي شيء، ومثل ابن باديس يجب أن نتجنب الانفعال السهل والتأنيب القاسي وأن نحبس أنفسنا على هذا العمل الشاق ذلك العمل اليومي الذي يُلزمنا بالقيام بردّ الفعل ودفع الآخرين إلى اتخاذ موقف مُماثل، يعني بهذا الموقف ردّ فعل مفيد ضدّ خمول الضمير والتهاون في العمل، علينا أن

نشع من حول جمعيتنا ابعد ما يمكن بالقوة الحية للإسلام الذي يستجيب للحاجيات العصرية وللابداعات التقنية، وبعبارة واحدة علينا ان نقتنع بأن واجبنا هو نفخ الإحساس بالحاجة الى العلم والآداب لدى الشباب، وأن نترك في نفوسهم الحاجة الى محاسبة النفس والتوق الى الأفضل.

ومن بين الأسباب العديدة لنجاح ابن باديس يمكن ان نخص بالذكر: نداءه المستميت من اجل إسلام متجدد من جهة، وتوظيف التعليم والتربية في مسعاه من جهة اخرى.

في الإرث الروحي الذي خلفه لنا الرجل الذي عرف كيف يعيد الى اذهان الجزائر المسلمة ان الثقافة العالمية قد حافظت على ذكريات الاشعري والإمام الغزالي بين العديد من الذكريات، كما عرف كيف ينقل من خلال كتاباته الإحساس العميق الذي كان يتأجج في وجدان جمال الدين الافغاني والورع المنير الذي كان يشعه الإمام محمد عبده. وهكذا يتعين علينا جميعا، ككشافة إسلامية وشبابا جزائريين، ان نؤكد لانفسنا، بعد ان نتشبع بالمثل الاجتماعية لابن باديس، انه اهدى للجزائر ثمار تجاربه في حله وترحاله لكي تقطفها كما يشاء. وان نذكر بانه كان يرغب رغبة اكيدة في ان الجزائري يتحول الى رجل يدرك واجباته وحقوقه، كما يرغب في ان تكون جهودنا تبذل عن اقتناع لا عن عاطفة، وان نحيي في انفسنا وفي نفوس من حولنا فكر ابن باديس ليغتبس كل واحد منا إذا خامره الشك وانهكه التعب – المثابرة والشجاعة والإقدام الضروريين لتحسين متواصل للمسلم الجزائري، إذن بفضل وضع مبدأ مع الشعب الجزائري كله، استعاد ابن باديس كل خلق النضال الاجتماعي الحقيقي في الجزائر.

وبمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة صاحب النهضة الإسلامية نرى أن مهمتنا ككشافة تكمن في تذكير الشباب بروعة عمله، ونعتقد انه من الضروري ان نلفت نظرهم الى قوة فكره وان ندعوهم الى الاستفادة من المنطلقية الواضحة، ومن واجبنا ان نطلب حقنا من تراثه الروحي الذي ذكر به الجزائر المسلمة وقد حافظت عليه الثقافة العالمية من عهد الاشعري والغزالي والأفغاني وعبده...

5 - هكذا كان ابن باديس:

بقلم الشيخ أبو عمران.

«إن العيب في ذكر المزايا المعروفة في رجل ما أن نثير الشك دائما بأنها هي مزاياه الوحيدة. عن نيتشه في كتابه «إنساني ذو إنسانية فائقة»».

إن مزايا ابن باديس معروفة اليوم ويعترف بها حتى الذين حاربوه بالأمس، أو على الأقل الأذكياء منهم، لذا، لا حاجة لذكرها هنا بالتعداد والتفصيل، ولو حاولت ذلك لوقعت في العيب الذي ذكره الفيلسوف نيتشه.

لكنني أرى من الضروري أن نعرف من كان ابن باديس، بعد أن دخل التاريخ الجزائري وانتمى إلى التراث الإسلامي، ونعرف ما أنجز من مآثر بصفته مصلحا.

فإذا نظرنا إلى مجمل حياة ابن باديس وإلى نتائجها، أمكن أن نجزم بأنها حياة داعية كبير؛ أعني رجل عقيدة وعمل وشجاعة.

- رجل شجاعة:

أول ما يلفت الانتباه عند الرجل، هي شجاعته، كان عليه أن يدافع عن آرائه وأن يثبت عن معتقداته داخل عائلته الصغرى. وكان يعلم ما سوف يلاقيه من معارضة في الوسط الذي كان يريد إصلاحه وبالفعل لم تلبث تلك المعارضة أن ظهرت أمامه، لكنه صدع بالدعوة للشريعة الإسلامية المقدسة وعلمها بدوام وحماس يثيران الإعجاب. كان ينشر أفكاره بصراحة كما يعرفه الجميع؛ ولم يكن في الحقيقة وحيدا في حمل تلك الأفكار، إذ كان البعض يدرك حالة الضعف والانحطاط التي كان يعيش فيها المجتمع المسلم، ومثلهم مثل ابن باديس كانوا يعلمون ما يتطلبه علاج الداء من دواء وإصلاح عاجل، لكن الكثير منهم تنقصهم الشجاعة: الشجاعة الأدبية، أو قل مجرد الشجاعة كانوا يتساءلون: «ماذا يستطيعون أن يفعلوا؟ لا فائدة في أي ذلك لم يكن هناك شيء يُمكنهم القيام به»، فاستسلم الكثير إلى هذه الحالة ولا يهمهم ما كان يعانيه الشعب من بؤس وجهل ومن أوهام مردية.

ففي مثل هذا المناخ الذي كان يسوده لا مبالاة النخبة وجبنها، انطلق ابن باديس في حملته التطهيرية العمومية التي اقترنت باسمه منذ ذلك الحين، لقد كان رد فعله حازما ومنهجيا، فواصل مجهوداً ميزه الصبر والتأني بالطبع، فلم تلبث المجهودات ان اتت بثمارها، لقد كان الشيخ يعرف الداء فعقد العزم على محاربته انطلاقا من مصدره فكان عليه ان يوضح الطريق للناس ويتكفل بتعليمهم.

وتحلى بالعزم والإيمان اللذين تحلى بهما بن باديس في مسعاه الكثير من الأتباع المتحمسين، ومن خلالهم وشاع فكره على كامل الوطن، فاشتهر ونال الإعجاب، ومنذ ذلك الحين أصبح خطرا على «السلطات»، فانكشف العداء الذي كان من قبل في الخفاء، فانطلقت القوى الرجعية المهددة في امتيازاتها والسلطة التي كانت تحث على المحافظة على «النظام المعنوي»، في حرب لا هوادة فيها ضد المصلح الجسور الذي كان في نظرهم يحاول زعزعة أمنها، ولكن هذه المواجهة لم تمت من عضد المكافح الجلد؛ فاستمر في الطريق لا يتثني ولا يلين، ولم يبتعد ولا دقيقة عن الأهداف التي حددها لنفسه، كان ابن باديس يعلم ان المعركة التي كان يخوضها لن تخسر، تلك معركة الروح، والتاريخ يؤكد له ان الطاقات كلها عاجزة أمام تلك القوة.

- رجل عقيدة.

ما هو الدافع لهذه الشجاعة النادرة؟ إنه الإيمان، كان بن باديس مسلما حقا؛ فقد استقى من مناهل الإسلام في الشرق، طاقات جديدة، فأراد وضع طاقاته في خدمة إخوانه في الله. لكن الإسلام الذي كان يؤمن به بعيد كل البعد عن الممارسات والترهات التي كانت تتبع في ذلك الوقت، وكانت العقيدة التي يحملها عقيدة حية وتطبيقة اعرض الناس عنها في الجزائر منذ زمن بعيد، فكان من المحتم اقتلاع كل الخرافات التي كانت مثل الاعشاب الضارة في دين الله. فكان من اللازم الرجوع بسرعة الى عقيدة القرآن في صفائها وبساطتها، وهذا الرجوع الى الإسلام الصحيح لم يكن إلا ليقتصر

بمصالح المنافقين الذين اتخذوا منه صناعة، هي الأكثر ربحا، بل هي الوحيدة الموجودة في الحقيقة، ورأى نظام «المرابطية» عدوا في ابن باديس فشهروا به بعنف، وذهبوا الى العن من ذلك فنعتوه بالكفر والشعوذة وبأوصاف اخرى كثيرة.

فإذا كانت الزوايا والطرقية قد لعبت في البداية دورا أساسيا في الدفاع عن العقيدة ونشرها وعن اللغة العربية، فقد انحرفت عن مهمتها بمؤسسات خيرية، فتحولت تدريجيا الى مؤسسات دينية وسياسية لم يعد في الإمكان التسامح مع تواطئها مع السلطات ومع انفساخها الخلقي، فخلف مؤسسيها الورعين جماعة من الوارثين المتقاعسين الكسلاء كانوا يعيشون على مغالطات الفئات الشعبية ولم يكترثوا باحترام الشريعة الإسلامية فاستحال الدين الى ممارسات اتخذت أداة لاستغلال الفقراء ولتغطية الجرائم المختلفة، وخرجت الى الوجود جماعة من المنافقين والدجالين تخصصوا في فن التعبد والتظهر وأسسوا نظاما معزلا عن المجتمع، واقتصر التعليم على دروس تعتمد على الذاكرة، وامتنع المثقفون عن التشهير بهذا المتكبر ومظالمه.

وأراد ابن باديس أن يرد للإسلام وجهه المشرق الذي شوهوه، فعرف الفقهاء المتخلفين ذهنيا، من خلال تفسيره النير، بأخطائهم وغلطاتهم في التأويل وأراهم جهلهم الذي حاد بهم عن الصراط المستقيم، فبصر الشعب الكريم بالافتراءات التي ادخلها الفقهاء المضللون في دين الله، فعادت الحكمة وعاد النقد السليم ليوقظا في وضح النهار في المساجد والمدارس والحلقات، واستطاع كل واحد فهم النصوص المقدسة.

إنه من الممكن أن نتصور الهزة الكبرى التي أصابت النفوس، فحلت الصحوة الروحية في الجزائر المسلمة بدفعة من ابن باديس وأتباعه من بعده، علوا حاسما فدخلت أفكار الأستاذ كل صوب ورجعت الثقة وانتشرت تلك الأفكار في الآفاق، تلك معجزة الإيمان والإرادة التي تحدثه.

- رجل عمل،

كل إيمان لا يعمل، فهو ناقص في صدقه: لذا لا تُكنُّ لطاقة ونشاط الشيخ ابن باديس إلا الإعجاب، فقد واجه عدة مهمات في آن واحد، وكل واحدة منها تكفي لإشغال رجل عادي، فمن بينها التعليم اليومي للغة والآداب العربية وشرح النصوص المقدسة وإصدار المجلات وإدارتها والتنقل الى كافة ارجاء الوطن وتسيير جمعية العلماء، فمسح المعجزات الى حد انه كان من الصعب التحدث عن عمل وحركة او منظمة دون ان يكون قد اعتنى بها، وهذا ما يفسر عظمة النتائج الحاصلة، ولقد تحدث بعض الرفاق من جهتهم عن أعمال ومنجزات ابن باديس خاصة في ميدان التعليم فإنني لا اكررها، بل سأكتفي بالتنويه بازدهار المدارس والمساجد والدراسات العربية التي قامت بها جمعية العلماء، وهي من تأسيس ابن باديس ونشطها اتباعه وواصلوا فيها جهود أستاذهم، ومن هذا الاعتبار لا نكاد نجد أحدا ليس مدينا لتأثير ابن باديس. لقد لامه بعض العقول المتعصبة لأنه لم يواصل طريقه حتى بلوغ منتهاها المنطقي فينتهي الى «الاشتراكية او الى الوطنية»!

إن الذي جاء به ابن باديس في المجال الأول كان من الممكن ان يواصله آخرون، والحقيقة ان ابن باديس لم يدع يوما انه كان كاملا ولا يمكن ان نعيبه إذ كنا منصفين، وإن المظاهر النبيلة في مجال العمل الاجتماعي ابتدأت من عند: فلا نهمل هذا اولا، اما اللوم على الوطنية فهذا ظلم صريح اللهم إلا إذا كان المقصود بالوطنية هو الحزبية، فكيف يمكن ان يدعي احد أن المصلح الكبير قد أهمل حب الوطن والدفاع عن قيمه الحقيقية؟ لنتذكر الرد المفحم الذي أجاب به الذين ارادوا أن يجردوا الجزائر من شخصيتها الإسلامية، فهلا نعبر وزنا للبعث الذي أعطاه للعقيدة الإسلامية والعظمة التي منحها للغة العربية، وهما اساس الوحدة الوطنية؟ والواقع أن اعماله كلها كانت تهدف الى إعادة «الروح» لوطننا، وبدون تلك الروح فلا وطنية ابدا، ولا يسعنا إلا أن نتمنى ان نعمل مثله بعض العزائم الفعالة

وأن نكمل ما أنجز أو ابتدع، وانه لمن البديهي ألا نتوقف حياة شعب كامل على رجل واحد، مهما كانت فضائله، وعلى الشعب أن يستلهم من العظماء الذين عبروا عن ضميره وبرهنوا على حيويته الروحية، والشيخ عبد الحميد ابن باديس ينتمي الى هؤلاء الرجال بالتأكيد.

إن الفضائل التي تجسدت فيه، هي التي نحاول اليوم أن نتحلى بها بصفتنا كشافة وبصفتنا مسلمين، وهي نفس الفضائل التي ندعو إليها مواطنينا فنحن مقتنعون بفعلنا هذا أننا على الطريق السوي للإسلام وعلى طريق النجاة لوطننا.



الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجامعة الشعبية بقسنطينة - 1938.

القسم الرابع:
الحيـاة الكشفيـة

01- الخطوات الأولى للفدرالية 1944 – 1946.

02- الكشاف وقسنطينة 1946 – 1947.

03- أنشطة 1947.

04- الجمعية الرواد في سيدي فرج 1948.

05- مؤتمر الطلبة المسلمين التوتسيين (ENT) 1946.

06- مؤتمر سطيف.

07- مخيم التدريب 1951 – 1952.

08- مؤتمر واد عيسى 1952.

09- الرحلة إلى مصر 1954.

10- ندوة الإطارات 1955.



صورة تذكارية على هامش المؤتمر العام للكشافة الإسلامية الجزائرية،
سطيف - 1950.

القسم الرابع

بعض مظاهر الحياة الكشفية
(1939 – 1955)

1 - بدايات الفيدرالية (1939-1944)

الوثيقة رقم: 1
اجتماع أول لجنة للحركة

بقلم: القائد محمد فارس

مدينة الجزائر: الأحد 09 أفريل – الأثنين 10 – الثلاثاء 11 (نادي الرياضات ساحة شارتر)

استدعيت اللجنة الأولى، وهي الهيئة الأكثر أهمية في الحركة، يوم 28 فيفري 1944 الى القادة الفيدراليين والقادة الجهويين بعد اتفاق مع القائد العام النجيبي. وتمّ تحديد جدول الأعمال بطريقة تمكّن كل القادة من إبداء ملاحظاتهم حول المسائل الهامّة.

أ - الجلسات التحضيرية:

جرت يوم السّبت 8 افريل، وشارك فيها كل من: النجيبي، فارس وعدّاد، حيث تمّ تحديد تسلسل المسائل حسب الأولويات.

ب - جلسات اللجنة الأولى:

الأحد 9 أفريل 1944.

الحاضرون: القائد العام: النجيبي، النائب فارس والقائد للجوالة الشريف غوثي والقائد الفيدرالي للأشبال: القشعي، والقائد الفيدرالي: محمد الصغير فرج، وقائد التربية الدينية عدّاد.

المدعوون بانتظام والغائبون بأعذار مقبولة: القائد الجهوي رودسلي ،القائد فرويشة والقرداشي بحضور القائد العام التحتيني ونائب القائد العام وأمين الجلسة فارس.

تمّ التعرّض للمسألة الأولى في جدول الأعمال على الساعة التاسعة.

1 - سير القيادة العامّة:

لاحظ مختلف القادة نوعاً من التّلكؤ في الاتّصال بين مختلف مستويات التنظيم من القائد المحلي حتى القائد العام وهذا راجع الى صعوبات الاتصال بعض القادة والى فترة الانطلاقة التي تكون دائما صعبة ... القائد التحتيني محتوى تقرير القائد القرداشي. فتقرّر ما يلي:

أ - تحديد الحدّ الأقصى لتواريخ الردّ على المناشير.

ب - ... الى مختلف درجات القيادة وأمناء يختارون من بين القادة ...

جـ - توضيح دور كل من القادة المحليين والقادة الفيدراليين في تحرير المناشير.

وأعلن القائد فارس بأن العدد المقبل لـ: «تقاليد الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج)» سوف يمنح مُرونة أكبر لسير القيادة العامة.

2 - استقبال قادة «الرّواد المسلمين القطب» التابع لمدينة الجزائر.

هذا الفوج لا ينتمي الى الفيدرالية، وأبدى في ديسمبر 1943 خلال انعقاد المجلس الفيدرالي رغبته في الانضمام الى الحركة.

على الساعة 10، وصل القائدان قدّاش وابن تومي. وبيّن القائد العام التحتيني موضوع زيارة هذين القائدين. وحدد القائد فارس بدقّة الروح التي تقوم عليها الكشافة الإسلامية الجزائرية.

القائد قدّاش قدّم المعلومات الآتية:

منذ عامين أو ثلاثة مضت، دخلت في «الرواد المسلمون الجزائريون» وهو التجمع الكشفي الوحيد الذي كنتُ اعرفه وفي تلك الفترة انفصل

فوج «القطب» عن الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) – لم نعقد العزم على إنشاء فيدرالية جديدة لتحاشي تعزيز الانقسام. تلقينا مُراسلات حين كانت تجري حوادث داخل الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) – فوُجهت فيما بعد ضدّ رئيسنا السيّد لاغا، اتهامات نعترض عليها. وقدّمنا احتجاجاتنا لدى السيد (Lecuyer) النائب في مخيّم الإعلام (جويلية 1942).

«حاولنا ان نتعرف على افواج (ك.إ.ج) في حدود الجهة المجاورة، فلاحظنا عدم فهمهم التام للمنهجية الكشفية. كما ظهر في مخيم الرياض نوع من الاحتقار عند بعض العناصر. فعملنا على إزالة هذا الشنآن. توجد عندنا فئة من الكشافة يعتقدون ان الفيدرالية تتكون من عجزة.

«نحن نطلب منكم ان ينضمّ السّيد لاغا الى القيادية.

– اما القادة الآخرون فيدخلون بصورة عادية في منظمتكم.

– كيف يتمّ إنجاز هذا الاتحاد ؟

– فيما يخصّ المالية، نحن لا نطلب الاشتراكات من أعضاء جمعيتنا.

– كُنّا نتسلم مساعدات مالية مُوجّهة للمخيّمات.

– نحن نرغب في إزالة الحساسيات»–

تدخل القائد التجيني:

1) القيادة العامة تعمل في مكان مجلس الإدارة، وهو لا يتكوّن سوى من قادة الكشافة، ولا يمكن قبول اعضاء آخرين.

2) المالية، الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) تبنّت مبدأ دفع الاشتراكات، وصندوق الحالات الخاصة، اما فيما يخصّ المساعدات المالية، فنحن نتسلمها كمساعدات للمخيّمات الصيفية (العطل).

3) الفريق الجديد الذي يُسيّر الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) لا يتضمن أيّ عضو عرف او عاش الحوادث التي ذكرها قدّاش. إذن، فلا داعي لأعضاء «القطب» ان يشعروا بأيّ ضين عند التحاقهم بنا».

تدخل القائد فارس وبيّن الطريقة التي تسير عليها الكشافة وركز الفريق الجديد المُسيّر على مطابقة العمل من طرف الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج)

و«القطب» كما أبرز وجود عدة أفواج مسلمة غير متحدة لا تستجيب للتصور العام للكشافة. والأديان المختلفة الملاحظة في جهات أخرى لا مبرر لوجودها عندنا.

- التنظيم الجديد للفيدرالية يوفر كل الضمانات المرغوبة للذين يريدون ممارسة كشافة جيدة وحقيقية.
- لو عاد بادن باول (Baden Powell) الى الحياة لاندهش لانفصالنا عن بعضنا البعض. والفريق الجديد المكوّن من قادة (ك.إ.ج) لا يستحق الحكم الذي عبّر عنه قادة «القطب»، وهو ينطوي على كل الكفاءات الضرورية لكل الفروع.

نحن نجهل الحوادث، وكل ما يمكن ان تسلمنا وقع قبل قيادة الفيدرالية – إذا لا داعي لشعوركم بالضيق من جراء انضمامكم إلينا.

أمّا السيّد لاغا، كما شرح ذلك قائدنا العام، فلا يمكن ان يُصبح عضوا في القيادة العامة – لكن ممكن قبوله في اللجنة المحلية لمدينة الجزائر.

- فيما يخصّ إجراءات الانخراط، فقانوننا الداخلي ينطوي على كل التفاصيل الضرورية لذلك.
- نحن وانتم لنا فضل النشاط في أحد احسن الميادين. ولا يمكن ان ننجح في اداء مهمتنا إلاّ إذا كنّا قدوة. وفي هذا الظرف بالذات نحن مضطرون للتوحيد اضطرارا مطلقا في نفس الفريق ثم شرع في تبادل وجهات النظر حول مختلف التفاصيل.
- القائدان قدّاش وابن تومي يُبلّغان محتوى هذا الحديث الى مجلس قادتهم ثم يحيطان علما القائد التجيني برأيهما في هذه المسألة.

انصرف القائدان قدّاش وابن تومي على الساعة 11 و45 دقيقة.

نواصل النقاش حول المسألة الأولى: قدّم القائدان القشمي وفرج ملاحظات مختلفة حول سير قيادتهما. لخص القائد فارس النقاش: يجب ان يكون القائد العام مثالا للقيادة العامة (ق.ع) كل قائد يتحمل بصفة كاملة مسؤولية مصلحته. الأوامر التي ترد من القادة العامّين ليست إلزامية – لكن

يجب إخبارهم بجميع المبادرات المتخذة. وهكذا تسير دواليب الإدارة بمرونة أكبر.

رُفعت الجلسة على الساعة 12.

جلسة بعد الظُّهر (الساعة 14).

I – القادة:

اعطيت شروحات حول استمارات القادة من طرف نائب القائد العام (C.G.A) محمد فارس.

– **تعيينات:** وقع تبادل وجهات النظر –فارس بطلب ان يتسلّم القادة تفويضا– القادة الجهويون يُشرفون على القيام بتحرير طلبات التعيين في اقصر الآجال، مصحوبة بالمعلومات المطلوبة (قبل الفاتح من جوان). وسوف يتكفل المسؤول العام للخزينة عبد السلام بإرسالها.

– **التكوين:**

1) أوصى القادة الجهويون كل القادة انه بإمكانهم معالجة كل المواضيع الى غاية نهاية جوان.

2) شرح القائد فارس مُخطّط تكوين القادة على النحو التالي:

أ – فترة دراسة وإعلام لعناصرنا.

ب – تدريب نظري وتطبيقي للقادة المتربصين بواسطة «المجلة» والاحاديث، والمخيمات هي بمثابة مدارس.

الكشافة الإسلامية (S.M.) يُحدّدون البرامج الخاصة بالاشغال المستقبلية التي تُشكّل دورة دراسات عناصرنا المرشّحة للقيادة.

II – **المخيّم الفيدرالي:**

المكان المختارُ: تلمسان – على بعد كيلومترين من «مكان الحجل الصغير» (Petit Perdreau).

المشاركون: حوالي 200.

– شروط القبول: تتبّع المرحلة الأولى.

– الكاتب: محمّد فارس.

الوثيقة رقم 2

تكوين القادة، يوم «العمل المشترك»

تم تنظيم يوم: «العمل المشترك» الذي حُدِّد بيوم الأحد 18 جوان 1944.

ملاحظات هامة.

الحضور واجب على كل قائد جهوي ومساعد وجوال (وحتى قادة وحدات الفوج).

العمل المطلوب عملٌ فردي، يجب تسليمي رسما بيانيا وتقريرا إثر كلّ اختيار. لا تعتبر الأناشيد إجبارية إلا تلك التي سبق تحديدها (والذين يجهلون ألحانها عليهم طلبها من الأفواج المجاورة).

تحتوي طيَّ هذه الوثيقة أنشودة ألّفتها أنا شخصيا لتذكير القائد بوبريط، عند أدائه الخدمة العسكرية، لحنها هو نفسُ لحن «لقد بنينا البيت العزيز».

البرنامج.

السبت مساء: على الساعة 19 و30 د، دراسة السّماء (ووضع رسم بياني لجهة السّماء الملحوظة).

الأحد.

1) الساعة 8: الذهاب الى مكان يقع على بُعد كيلومترين فقط من المدينة، مهما كان الطقس (وضع رسم طوبوغرافي ولوحة شاملة الرؤية للمنظر).

2) الساعة 9: القيام بـ عقدة كرسي مزدوجة وعقدة الوسط مع ذكر منفعتهما (وإعطائي لمحة عن ذلك).

3) الساعة 10: اشرح الموضوع الآتي: «كيف أتصوّر دوري في المستقبل كقائد».

4) الساعة 11: إشعال نار (إعطاء رسم بياني)، وتهيئة الوجبة الغذائية المُكوّنة من عجة بيض والقهوة (سيكون ذلك موضوع تقييم من طرف القائد العام الذي يحيطني علما بانطباعاته). ثم راحة إجبارية.

5) الساعة 14: وضع ضمادة حول إبهام اليد اليمنى وشرح فائدته.
6) الساعة 15: تلقي الرسالة الآتية «بالمورس» عن طريق الصفّارة ثم التعليق عليها: «لن أكون قائدا حقيقيا في الكشافة الإسلامية الجزائرية إلا يوم استحقّ فيه ثقة إخواني الذين يصبحون تحت مسؤوليتي». ثم راحة إجبارية.
7) الساعة 17: معالجة الموضوع الآتي: «كيف أتصوّر العامل الديني في الحياة الكشفية».
8) الساعة 18: حديث يُجريه القائد الجهوي (B.A) (إرسال نُسختين).
9) الساعة 19: إنشاد نشيد «بلادي» والعودة الى المقرّ. العشاء إجباري في البيت.
10) الساعة 21 و30 د: سهرة بالمقر (الشاي فقط).
أ ـ النشيد الفيدرالي في البداية.
ب ـ تقرير عام عن اليوم من طرف ص.ق.
ج ـ حكاية حياة القائد بوبريط من طرف قائد! (تحرير البرقية للقائد بوبريط).
د ـ الساعة 23: إنشاد نشيد «فكري» و5 دقائق تفكير حول القائد بوبريط الموجود بالخدمة العسكرية.
هـ ـ معنى لعودته وإنشاد «أعيش» 3 مرّات مع تخفيض الصّوت قدر الإمكان.
و ـ نشيد الوداع باللغة العربية ثم الافتراق.
في يوم الغد إرسال برقية الى القائد بوبريط، العنوان: الرّقيب بوبريط S.P. 76920. (إرسال تمنياتنا بعودة قريبة وبصحة جيّدة) (إرسال نسخة من البرقية).
الى الفرصة المقبلة.
ملاحظة: القادة العامّون، عليهم أن لا يوزّعوا التّعليمة حتّى يوم الجمعة 16 جوان 1944 على الساعة 20 بالضبط، باستثناء النشيد.

نشيد «فكري»

طار فكري عبر الجبال والبحور.
إليك أيها القائد الكبير العزيز (مكرّر)
المعوان والرّصين، الهادىء والحكيم
الرّمز الحيّ للطيبة والشجاعة (مكرّر)
هوبربط، اسم مغروس في قلبي الى الأبد
وستبقى مكانته عندي عالية الى الأبد (مكرّر)
مهما طالت الأزمان ومهما طالت العصور
سأحتفظ بصورة وجهك، لن يطولها اي مساس (مكرّر)
حتّى يوم الجُمعة 16 جوان 1944 على صوتك الجميل العذب يتردّد في
مسامعي لن انسى أبدا نظرتك السمحة (مكرّر)
سرورك وصراحتك اللذين لا مثيل لهما
روحي فداؤك مثل الغصن للشجر (مكرّر)

القائد الفيدرالي شريف غوثي،
المُكلّف بتكوين القادة.

الوثيقة رقم 3
التقرير الأدبي للقائد العامّ الطاهر التجيني

قسنطينة في 1944/12/25

أيّها القادة والاخوة والأصدقاء

وفاء للتقاليد الكشفية، أبتدىء بالإعلان عن افتتاح أشغال المجلس الفيدرالي الثاني للكشافة الإسلامية الجزائرية اليوم 25 ديسمبر 1944.

بعد هذا الإجراء الشكلي، تقع على عاتقي مهمّة ثقيلة تتمثّل في تقديمي لكم نتائج نشاطنا العام المتعلّق بالسنة المنصرمة.

اطلب منكم، بصفة مسبقة، قبول عذر القائد الجهوي لمنطقة قسنطينة القائد رودسلي على غيابه بعد ان سمحت له بحضور افتتاح مخيّم قادة الفرق في منطقته، سيكون حاضراً معنا غداً.

اما المسؤول الفيدرالي عن الخزينة فلن يحضر أشغالنا لأنه لم يتحصّل على الإجازة.

اعتبارات عامّة.

كانت السنة التي تسير نحو نهايتها بعد ان انطلقت بالمجلس الفيدرالي الأول وتشكيل القيادة العامة ثم اختتمها المجلس الفيدرالي الثاني، سنة نشاط تمتّع بدعم قياسي كما كانت مُثمرة للغاية؛ هذا العمل الجبّار تحقق بفضل جهود كل الكشافة الإسلامية، باستثناء بعض منهم، وذلك في جميع الميادين يسرّني باسم القيادة العامّة ان اعبّر لكم عن رضانا التام عمّا تم انجازه.

في السنة الماضية وفي مثل هذه الفترة استعرضنا الوضع. قلت حينئذ بان عملا ضخما تمّ إنجازه داخل بعض الوحدات وفي بعض المقاطعات وحتى على المستوى الجهوي، لكن لا شيء او تقريبا لا شيء من هذا القبيل لم يسجل على المستوى الفيدرالي. انا مسرور اليوم بتصحيح رأيي فاقول بان القوة الدافعة للحركة جاءت من قبل فريق القيادة العامّة.

القيادة العامّة:

انكبّت القيادة العامة على العمل فور تلقيها البرنامج: تجسّد هذا العمل في مختلف المستويات سأمتنع عن تدخلي في ميدان رفقائي لأننا اقتسمنا المهمّة وبالتالي المسؤوليات، وهذا منذ بداية سنة 1944. رفض احد أعضاء القيادة العامّة تحمل هذه المسؤوليات بطريقة جدّية، واضطررت مع الاسف الشديد ان احلّ محلّه. والمعني بالامر هنا هو صديقنا مختار العضو المؤسّس للفيدرالية وعضو اللّجنة المديرة.

لم يكن في مستوى مسؤوليته على الحزينة، اقول ذلك بكل صراحة، وذلك راجع لاسباب شخصية و«مسيّع» الذي عيّناه امينا فيدراليا استقال ليكرّس جهده على اداء مهمته كقائد فوج. فطلبت من القائد «سوداني» ان يساعده، ثم منذ أكتوبر 1944 ان يقوم مقامه. فتولّى هذه المهمّة الثقيلة بالحماس الذي عهدتموه فيه.

تنظيم المؤسسة هو الشعار الذي اطلقنه عندما افترقنا في العام الماضي. فحدّدنا عمل كل واحد، وحدّدنا السلطات وكذلك مسؤوليات كل واحد بصفة خاصة. وعشنا في فترة معيّنة نُسمّيها عميدنا «مي الفرادشي» فترة الترويض، تجربة مكثفة سمحت لنا بتقدير إحتياجاتنا وإمكانياتنا على السّواء.

كانت احتياجاتنا ومازالت ضخمة. وتمثلت إمكانياتنا في البداية في «إرادتنا الحسنة» ورغبتنا في خدمة الشبيبة التي هي شبيبتنا، والتي تُعدّ الأكثر حرمانا من غيرها.

على المستوى التقني سوف يقدّم لكم القائد فارس عرضا بعد قليل، من جهتي، لا يسعني إلا ان أهنّئ نفسي على العمل الذي انجز في مخيمات المقاطعات والأفواج وفي المخيمات الصيفية (Colonies de vacances) والمخيم الفيدرالي (الأول من نوعه بالنسبة لفيدراليتنا)، تمّ بطريقة مُرضية. لقد كان هذا المخيم الفيدرالي بصفة خاصّة، بالنسبة لنا ولكل قائد نزيه برهانًا يشهد بحيوية حركة الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج)، وقد

كان المنظمون التلمسانيون وراء نجاحه الذي لعب فيه القائد والأخ الشريف غوثي دوراً رئيسياً. كما نتوجّه بتشكّراتنا أيضا الى جميع سكان تلمسان الذين ساعدونا ماديا ومعنويا إثر مبادرة من السيّد الوقور الشيخ الإبراهيمي وساهموا مساهمة واسعة في نجاح المخيّم. نحن مَدينون كذلك بالاعتراف بمساعدات مختلف الهيئات الإدارية التي تمثلت في تسهيل مهمتنا وتذليل بعض الصّعاب التي ظنّنا أنها غير قابلة للتذليل، وأقصد بصفة خاصّة إدارة السكة الحديدية الجزائرية (CFA) التي عبّرت لها عن تشكّراتنا عن طريق المراسلة بمجرّد عودتي من تلمسان.

على المستوى الإداري:

طلبت عمل تركيز، لم يفهمه البعض، بل الكثير منكم. يجب على القيادة العامة أن تكون على علم بحدّ أدنى من الأشياء التي تخصّ نواحيكم، وانتظرنا تسعة أشهر قبل أن تصلنا المعلومات. أقل ما يقال إنّه قد طال الأمد على هذا الوصول. إضافة الى ذلك بعض الأفواج لم تسوّ بعد وضعيتها مع مسؤول الخزينة، ويزعجني أن أضطر... الى لفت النظر الى ذلك. كذلك تمّت زيارة بعض الأفواج من طرف غُرباء عن الحركة، وأقصد هنا زيارة المدير (Lecuyer) وممثل الكشافة الفرنسية.

اضطررت لطلب تقرير حول هذه الزيارة للحصول على معلومات حولها، في حين أنه من المفروض أن يكون أوّل ردّ فعل لكم هو إخبار الإقليم بذلك بصفة آلية كي يُرسل التقرير الى الجهة ثم الى القيادة العامّة. كما نُظّمت مخيمات صيفية أو مخيمات على مستوى المقاطعات أو الأفواج دون علمنا، اضطررنا مرة أخرى أن نطلب تقارير كي نتلقى عروضا استغرق وصولها إلينا أحيانا مدّة ثلاثة أشهر، إن إعلام القيادة العامة في الوقت المناسب شيء ضروري ولو كان الأمر يتعلق بأوراق عديمة الفائدة.

بعض القادة لم يردوا على التّعليمات بالسّرية المطلوبة، وهم دائما يملكون المبرّرات اللاّزمة لعدم الإجابة أو لإبلاغنا بها بعد فوات الأوان، إنهم مُطالبون على الأقل بتأكيد تسليم المذكرات التي يتلقّونها. أضيف كذلك

بأنه منذ العودة الى النشاط في السّنة الكشفية (1944-1945)، يبدو ان الجميع باشروا أعمالهم بجدّية ولم يتم إخطارنا بأيّ تقاعس الى حدّ الآن.

هذه نقائص، سبق لي أن تبهت إليها في السّنة الماضية. صحيح انها أقلّ خطورة بكثير عمّا كانت عليه، لكنّي حريص على ان لا أراها أبدا في المستقبل، لأن زوالها سيكون مؤشرا على بلوغ حركتنا سن رُشدها.

هناك مسائل متعدّدة سوف تُناقش امامكم من طرف مختلف مسؤولي القيادة العامة. لقد صنّفنا الأسئلة الى صنفين:

1) الأسئلة الإدارية:

أ) الدّواليب المختلفة والقادة: الفرادشي التجيني.

ب) تطوّر وتوحّد الحركة: التجيني.

ج) علاقاتنا بالكشافة الفرنسية.

د) المجلة الفيدرالية.

هـ) المالية والمطبوعات.

و) تعيين القادة.

ز) المسائل التقنية التي سوف يوزع عليكم القائد فارس قائمتها.

فاطلب منكم إذن متابعة النقاش حول هذه المسائل باهتمام خاص.

أرغب في أن تُتبع كل واحدة منها بتبادل آراء يُختتم بتوصيات.

اللجنة الاولى تتولّى فيما بعد تحليل جميع التوصيات وتعمل كل ما في وُسعها لتلبيتها وتنفيذها.

نحن هنا من أجل أن نشتغل، البعض منكم قطع الآف الكيلومترات ليأتي الى مدينة الجزائر. وقانوننا الداخلي الخاص بالمجلس، حتى ولو كان ضمنيا، يفرض عليكم حضور جميع الاجتماعات، ولا يُقبل ايّ عُذر دون مبرّر معقول - والآن لنشرع في العمل وحظ سعيد لكم جميعا.

2 - الحركة الكشفية في قسنطينة
(1946-1947)

قسنطينة

هل يوجد ما هو اصوب من اختيار سيرتا العتيقة لاحتضان جمعيتنا العامة ومجلسنا الفيدرالي الرابع؟ إنه نعم الاختيار. فقد منح قادة الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) فرصة التمتع بهذه المدينة القائمة على هضبة صخرية محاطة من جميع أطرافها بالوهاد العميقة التي توحي للناظر بأنه أمام حصن طبيعي حقيقي، وكذلك فرصة التأمل في مخانقها التي قال عنها أحدهم مازحا: «إنها تثير الرّغبة في الانتحار»!

لقد تمكنّوا من التمتّع بهذه المعالم: الجسر الذي يُشرفُ على مخانق وادي الرّمال الذي وضع الرّومان تصميمه، ثم عُوّض بجسر معدني يعلو بـ: 150 متراً فوق المخانق؛ الجامع الكبير الذي يعود تاريخه الى آخر الحُكّام الحفصيين (القرن الثامن)؛ مسجد سوق الغزْلْ (الذي حُوّل الى كاندرائية) وسيدي لخضر، وسيدي الكتّاني الذي يرجع الى العهد العثماني؛ والقصر الذي بناه الباي احمد، آخر البايات في العهد العثماني، قبل بضع سنوات فقط من الغزو الفرنسي. وتمكّن القادة ايضا من إحياء ذكرى ابناء الجزائر الكبار هؤلاء، الذين عاشوا خلف اسوار هذه المدينة وتركوا آثار مرورهم على هذه الأرض بمشاركتهم في إرساء لبنانها، كما يحب أن يفعل كل الذين لا ينظرون الى الحياة كأنها خالية من اي معنى.

الوثيقة رقم 1

التقرير الأدبي للقائد العام الطاهر التجيني (قسنطينة 1946)

أيّها القادة، إخواني الأعزاء.

إنه لشرف عظيم لي، وفي نفس الوقت مهمّة ثقيلة للغاية، أن أكون أوّل من يتناول الكلمة، لأعرض عليكم نتائج نشاطاتنا السّابقة، وأحوصل الوضعية الحالية للحركة محاولا استشفاف الآفاق المستقبلية.

قبل كل شيء، يجب عليّ كرئيس أن أفسّر غياب بضعة أفراد من أعضاء اللّجنة المُديرة: الغشعي وفرج وابن لوصيف وسوداني، الأول والثاني قدّما اعتذاراتهما، واعتقد انكم لا تجهلون وضعيتهما منذ أيام ماي 1945 الحزينة. وواجباتهما العائلية التي ضحّيا بها من أجل الحركة فرضت عليهما أن يُكرّسا وقتهما لمدّة مُعيّنة لعائلاتهما ووضعياتهما الشخصية التي تضرّرت كثيرا. هل لديهما أسباب ليس من شأننا التدخل فيها؟ على كل حال إنهما جديران بعرْفاننا على كل ما قدّماه للحركة. قادة آخرون ليسوا موجودين بيننا. هؤلاء رحلوا عن هذا العالم، فقد اختفوا الى الابد أثناء احداث ماي 1945. إني أقصد بهذا الذكر قادة قُالمة.

استسمحكم الحديث لاستعيد ذكرى أحدهم؛ وهو زميلنا قائد الاشبال (C.M) «اسْكَنْدر». اغلبكم عرفه في تلمسان. كان يبتسم دائما، ويُغنّي دائما. لا يستطيع تصوّر الشر، وبالأحرى فعله، توفّي مع رفقائه، ضحيّة «الشرّ». هذا الشرّ تعرفونه كُلّكم وتُعانون منه كُلّكم بدرجات متفاوتة، إنها الأنانية وعدم التفهّم السائدان في هذه البلاد، وهي ظاهرة يرفضها ديننا وقانوننا الكشفي، اللّذان لا يحتويان سوى على الطيبة والأخوة والمساعدة. لكن ما الفائدة من استحضار ذكريات مُحزنة جدًا كهذه؟ قبل مواصلة استعراض وضعية جمعيتنا، اطلب منكم أن تقفوا دقيقة صمت ترحّما على أرواح إخواننا المفقودين.

خلال اجتماعنا في الربيع، تبنّت قيادتكم العامة مبدأ هذا الاجتماع الخاصّ بالقادة. ومن الآن يجب أن نشرح الهدف الذي يُريد تنظيمنا التنفيذي أن يصل إليه. بالنسبة إليه، يتعلّق الأمر بـ:

1) تجميعكم في قسنطينة للتعبير عن تعاطفنا الفعّال مع جهتنا الشرقية التي عانت كثيرا في العام الماضي وللاحتفال مع ناحية قسنطينة بالذكرى العاشرة لتأسيس الكشافة الإسلامية الجزائرية في هذه الناحية. اغتنم هذه الفرصة لأعبّر عن تشكّراتي للّجنة التنظيمية، لهذه الأيام العملية، التي بذلت واستهلكت كل طاقاتها لتهيئة الأجواء والهياكل قبل مجيئكم والتي يقودها زميلان عزيزان: القائد الجهوي رودسلي والرئيس بوساحة. واستسمحكم لأوجّه لهما جزيل تشكّراتنا.

2) عقْد جمعيتنا العامة التأسيسية لتجديد لجنتنا المديرة، وتحسين تنظيم الحركة والتعرّف على بعضنا البعض، وقيامنا جميعاً باختيار أنفسنا اختيارا واسعا وحقيقيا يُمكننا من ضبط وضعية الحركة والشروع بأقصى الحظوظ الممكنة في العمل مستقبلا.

3) عقد مجلس القادة التقليدي أو المجلس الفيدرالي أيضا، وهو الرابع من نوعه. سندرس أثناءه معا كل المشاكل التي تهمّ الحركة الكشفية. وإذا كان الأمر يتطلب اختصاصيين للقيام بهذا العمل فلابد، فيما يتعلق بالتنقيد من دراسة الكل معا. وذلك في صالح وحدة كشافتنا، التي استقطبت كل جهودنا الى حدّ الساعة. كما سندرس معًا المسائل المتعلقة «بالإرشاد» والأشبال وفرع الكشافة وفرع الجوالة ومسائل تكوين القادة والميزانية والعلاقات. نُبرز التقدّم الذي أحرزناه وكل ما بقي من أعمال تتطلب قيامنا بها في المستقبل.

هذا هو التخطيط الناجم عن قيادتنا العامّة، وهذا ما عقدنا العزم على تطبيقه في اليومين الأولين أي في اليومين المخصّصين للجمعية العامة فالمجال مفتوح لتقديم انتقادات شريطة ألا تنقلب الى حروب كلامية. اما الأيام الأربعة الأخيرة فستكون أياماً دراسية، فعليكم أن تفيدونا بأقصى ما

تقدرون عليه وتستفيدوا بأقصى ما يمكن من الاستعادة. كونوا على يقين، منذ الآن، بأن القيادة العامة ستستفيد من الآراء والانتقادات الاستفادة الحسنة وذلك من أجل انتعاش وعظمة الكشافة الإسلامية الجزائرية.

اقدم لكم الآن المراحل الكبرى التي مرت بها حركتنا الى يومنا هذا، واستسمح بعضكم إن وجدتم في تقديمي شيئا من التكرار.

أ) قبل جويلية 1939.

تأسست بضعة أفواج أو بضعة فرق من الكشافة الإسلامية ما بين (1934 و1939) في المدن الرئيسية الجزائرية في شكل جمعيات مستقلة عن بعضها البعض. هذه الجمعيات المصرّح بها وفقا لقانون جويلية 1901، نشطت تحت إشراف مجلس إدارة مسؤول أمام القانون من جهة، ومن جهة أخرى أمام الأعضاء البالغين للجمعية، اي أمام الذين ليسوا بكشافة. ولم يكن الدافع الى ذلك النشاط سوى الإرادة الحسنة الواضحة والرغبة القوية في عمل الخير اللتين حركتا الشباب الذين تقلّدوا فجأة مناصب قيادية.

خلال السّنة الكشفية (1938–1939) حضرت مجموعة من شباب مدينة الجزائر مشروع تنظيم كل هذه الأفواج في إطار فيدرالي بحيث تُصبح تنشط تحت قيادة مشتركة. وأثناء تجمّع سمّيناه «المؤتمر» انعقد في الحرّاش (Maison Carrée) في جويلية، تقرّر إنشاء فيدرالية وتم فوراً إيداع القانون التأسيسي لدى ولاية الجزائر. وهكذا أنشئت فيدرالية الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) فظهرت منذ ذلك الوقت فكرة توحيد الحركة الكشفية الإسلامية، لكن الانتقال من الفكرة الى تجسيدها سيستغرق عدّة سنوات.

ب) من جويلية 1939 الى ديسمبر 1943،

لم تلبث الفيدرالية كما كنّا نسميها آنذاك، حتى اندلعت الحرب، فتمّ تجنيد الأغلبية الساحقة من مسؤولي الأفواج، لذا كانت هذه الفترة بالنسبة للكشافة الإسلامية فترة ركود، بل كادت الحركة ان تزول تماما. أثناء تأسيس الكشافة الفرنسية بفرنسا، لم يجر البحث قط في مسألة الكشافة الإسلامية. وأمام اجراءاتنا من أجل الانضمام الى فيدرالية الكشافة الفرنسية الحديثة

النشأة قيل لنا بأن هناك «كشافة مسلمون» وليس حركة كشفية إسلامية في الجزائر، وبالتالي لم يبق للأفواج والفرق التابعة لـ: الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج) سوى الخيار بين الانضمام إمّا الى «كشافة فرنسا» (S.D.F) أو الى «رواد فرنسا» (E.D.F). فعضلت الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) أن تعيش بعيداً عن الكشافة الفرنسية. فتميّزت الحركة الى غاية 1942 بالركود من جهة وردّ فعلي دفاعي من جهة أخرى. في هذه السنة، قررت مصالح الشبيبة، بعد الاتفاق مع مديرية شؤون الأهالي في ذلك الوقت، تنظيم مُخيّمين للتكوين والإعلام، الأول في جويلية والثاني في نوفمبر لصالح الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج) والعناصر المسلمة التابعة لرواد فرنسا (EDF) ولكشافة فرنسا (S.D.F). هذان المخيمان كانا وراء بثّ الانتعاش في حركة الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج) وذلك بسبب عاملين حسبما يبدو لي:

فقد كانت بادىء ذي بدء مناسبة لقادة الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج) ليلتقوا ويتعارفوا وليتكوّنوا ايضا. الإعلام أثناء المخيّم لم يمنع من تشوه اجواء كشفية، وهنا يكمن بالضّبط العامل الثاني، إذ نشأ جوّ من التعاطف بين «قيادات» المخيّمات التي تتكوّن من قادة مختلف الفيدراليات الفرنسية والمنتسبين. فوجدنا أنفسنا للمرّة الأولى بعيداً عن الثرثرة بين أربعة جدران وتقارير شرطة كانت تجهل أوضاعنا، أرى أنها مازالت تجهل كل شيء عن الكشافة.

لا أدري ماذا قدّم «الإعلام» للولاية العامة. لكن بالنسبة للكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج)، فإنها تحصلت على نتيجة مزدوجة خلال المخيمين: وعي اللّجنة المديرة بالمسؤولية الثقيلة التي تقع على عاتقها إضافة الى عمل جادّ قام به القادة، إذ بمجرّد عودتهم الى وحداتهم، لقّنوا عناصرهم بالمعارف التي تحصلوا عليها مؤخّرا.

بعد عام، اجتمع لأوّل مرّة مجلس للقادة بفضل مجهودات وتحمس الجميع... فكان ذلك أول تجمّع قمنا به في ديسمبر 1943 وتم نشر أشغاله فيما بعد، لذلك لن أتوقف عندها.

ج) من ديسمبر 1943 الى ماي 1945،

عن هذا المجلس الأول للقادة، انبثق التنظيم الحالي للحركة، وهو مطابق لتنظيمات الجمعيات الكشفية الاخرى. الدّفع الذي أعطي لحركتنا كان من القوة بمكان بحيث نشّطت الإطارات بكدّ وحيوية طوال عامين. اليوم، بفضل الرجوع الى الوراء تُقدّر أحسن من الماضي عظمة الإنجاز الذي تمّ بوسائل مُرتجلة من مخيّمات للتلقين والتربص التكوين والاحتكاك بالكشافة الفرنسية! تحقّقت أشغال كثيرة في نفس الوقت رغم تجربتنا الضعيفة. لكن ضعف تجربتنا وإمكانياتنا الضئيلة وجدت تعويضا فعالاً: مثلاً أعلى نبيلاً، يدفعنا الى محبة الآخرين وخدمتهم والحافز في ذلك إيماننا. يُقال إن الإيمان يزعزع الجبال وما هي هذه «الجبال» التي كانت تحت تصرفنا يا ترى؟ لم تكن سوى غرائز دنيئة يجب قهرها ومجهودات نبذل في سبيل تحسين سلوكنا من ناحية وفي منفعة الغير من ناحية أخرى. إنّ حضوركم لدليل على انكم اوفياء لإيمانكم ولما تفقدوه.

وااسفاه! سوف يُحطّم هذا الاندفاع. سوف تمرّ الجزائر بأزمة رهيبة، فهناك شعور بعدم الأمن يجتاح كل واحد ويحتاج الجميع أيضا. إنها أحداث ماي المشؤومة. وستدفع الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) نصيبها من الفاتورة حتى ولو كانت غير معنية بكل مالا ينتمي للكشافة. ثمّ إيقاف جميع أفواج مقاطعة قسنطينة اولاً، ثم جميع أفواج منطقة القبائل. لم نهمل اي شيء من الاجراءات الكفيلة بتدارك هذا الايقاف من زيارات وتحركات وتدخلات. والعدد القليل من القادة الذين تمكّنوا من حضور مجلسنا الفيدرالي الثالث في سبتمبر الماضي، تمّ إعلامهم بذلك. سؤال حاسم طرح نفسه علينا: هل نُواصل العمل أم لا؟ فواصلنا كقادة مُتضبطين بدون حماس كبير. لكن تفويضكم الحتمي والتشجيعات التي تلقّيناها من أصدقائنا أزالت حيرتنا.

يجب عليّ أن احيطكم علماً هنا، وأنا اعتذر للقائد لاغا على تدخّلي في ميدانه، بالدّعم الذي تلقّيناه في هذه القضية من طرف القائد (Caquelin)، وهو ممثل كشافة فرنسا (S.F) بالجزائر، السيّد فارس النائب بالمجلس

التاسيسي السابق والسيّد فرحات عبّاس نائب قسنطينة اللّذين تدخلا لدى المعنيين من احلنا. فليتقبّلوا منّا هنا عميق عرفاننا بجميلهم.

لم تُحلْ الحركة، استانفت منطقة القبائل نشاطاتها منذ نهاية جانفي 1946، كما انطلقت النشاطات من جديد بكدّ، في مقاطعة قسنطينة، منذ 29 جويلية بالضبط، وهذا ما يفسّر تمثيل إقليم قسنطينة في هذه المناسبة بعدد محدود جدًا من القادة.

هل يُفهم من هذا بأنه لم يتمْ عمل أي شيء طوال فترة الانتظار هذه؟ إذا سمحتم سأعرض عليكم حوصلة عن ذلك.

I - الأمانة:

منذ افتراقنا في سبتمبر الفارط، عيّنا امينا دائما، بالاتفاق مع المسؤول العام عن المالية. كما وضع فوج «القطب» تحت تصرّفنا غرفة تحت قبب سوق السمك(Les Voûtes de pêcherie). نستعملها كمركز دوام يؤدي هذا المركز وظيفته بصورة طبيعية ولو بإمكانيات مُرتجلة وضعيفة جداً. في المدة الاخيرة قدّمت لنا مديرية الإصلاحات مساعدة مالية من أجل تركيز مصالحنا. وسوف نعمل على إيجاد مقرٍ في مستوى حركتنا. لكن إذا أردنا تحقيق هذا الهدف فعلينا أن نبذل مجهودا ماليا كبيرا.

* * *

II- المنشورات:

سيقدّم لكم القائد قداش مسؤول تحرير «نشرتنا الداخلية»، تقريراً خاصًّا. لذا، ساكتفي بإعطائكم بعض الملاحظات العامة.

لم نحصل بعد على رخصة للنشر. ولم تُخصّص لنا أيّ حصة من الورق، إننا مُضطرّون إذن لدفع كُلفة عدد من نشرتنا اكبر بثلاث مرات من الكلفة العادية. لذلك لا يمكن أن نأمل تحقيق توازن في الميزانية إلا بعد أن نحصل على رخصة النشر أو العودة الى حياة عادية، وهذا ما يبدو غير قابل للتحقيق في المدى القريب.

من جهة اخرى التوقف عن النشاط في إقليم قسنطينة التي كانت تشتمل على أكبر عدد من الكشافة الى غاية (1944–1945)، كان له انعكاسات سلبية على الوضعية المالية للنشرة.

في الأخير، لوحظ ان القادة بصفة عامّة لا يساهمون كما ينبغي في تحرير «نشرة الاتصال» (Bulletin de liaison). وتضطرّ الأمانة الى الضغط على نفس الأشخاص دائما في فترات مُعيّنة كي يُسلّموا مساهماتهم للنشرة. يجب ان تزول هذه الظاهرة، كُلّنا متطوّعون ولا احد في الحركة يتلقّى اجراً، فليقدّم كُلّ منّا إذن مساهمته مهما كانت متواضعة: من اقتراحات وصور وحكايات ومحاضر متعلقة بالخرجات وبالمخيّمات، ومقالا حول الفرع الذي هم مكلّفون به، وكل ما يمكن ان يهمّ الكشافة الآخرين. سيعاد عليكم هذا الكلام. يجب ان تكون نشرتنا ثمرة عمل الجميع، وسنداً يستعمله القادة الوطنيون والجهويون لتكوين القادة الآخرين.

III- مُخيّمات التكوين:

افتح قوسا هنا، حول تكوين القادة، كي اشرح لكم ماهية مخيم «الرياض» (El-Riath) حيث مرّ به عدد كبير منكم للقيام بتربّص، لقد قال لي البعض بأن هذا المخيّم نظّمته الحكومة، كما زعم آخرون بأنه مؤسّسة تابعة للكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج). أقول لكم بأنه لا هذا ولا ذاك. إنه مؤسسة تابعة لفيدرالية الكشافة الفرنسية، تقرّر إنشاؤها خلال زيارة القائد جوسلان (Jousselin)، الأمين العام للكشافة الفرنسية، لمدينة الجزائر، الذي جاء خصّيصا لدراسة مسألة الحركة الكشفية الإسلامية. ولتفادي اللوم الذي وُجّه مرارا للكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج). بأنها لا تمارس النشاط الكشفي، ردّ جوسلان (Jousselin): مهما كان الأمر «فتعلم الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) الممارسة الكشفية». وهكذا تم منح مساعدات مالية من طرف «الشبيبة» من جهة، ومن طرف مديرية الإصلاحات من جهة اخرى، الميزانية المقرّرة لا تتجاوز 2 500 000 فرنكا من النفقات، ولا أدري كيف يتم تسديدها.

يجب ان يكون عضو من الكشافة (ك.إ.ج). وسط الممرنين، عرضت المهمة على القائد فارس، لكنه لم يحصل بعد على انتدابه فعينت القائد عبد الوهاب ليخلفه مؤقتا. لقد بدأ المخيم نشاطه منذ 1 جويلية.

في شهر ديسمبر تربص لنيل شهادة التكوين لمدة أسبوع خاص بقادة الفرق (troupes) وفي الربيع تربص لمدة أسبوع خاص بالأشبال.

منذ جويلية مر أكثر من 200 قائد عبر المخيمات الخمسة التي نظمها التربص الدائم.

النتيجة المحققة كانت مرضية على العموم. وقليل هم القادة الذين لم يحصلوا على رضا المشرفين. لم أسلم أية شهادة أو كفاءة لأنني اعتقد بانه يمكن أن نحقق تربصا ممتازا ويكون في نفس الوقت قائدا رديئا. فلتكن براعمانيين. سوف تقيمون حسب العمل الذي تنجزونه في وحداتكم. وسوف تدرس القيادة العامة حينما يحين الوقت المناسب إجراءات الترسيم. كلنا هنا متدربون نتعلم دون ان يشعر أي أحد منكم من هذا الكلام بأن فيمنه انتقصت الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج)، ليست مدرسة، وليس لدينا توزيع.

عندما نكتمل لدينا خبرة عدة سنوات من الممارسة الكشفية، عندما ننجح في قيادة سفينتنا الكشفية (ك.إ.ج) بسلام وسط الرياح والعواصف، عندئذ نستطيع ان نمنح بكل طمأنينة «شهادات الكفاءة» (Brevets) فيكون الماضي ضمان المستقبل.

أؤكد على هذه النقطة لأنني تلقيت حولها مراسلات عديدة، لذلك اغتنم هذه الفرصة التي اتيحت لي لاهدىء قلق البعض واصحح اخطاء الآخرين. فليكرر قادة الأفواج كلامي.

قام ستة من قادتنا بمخيم (Cappy Eclaireur). هذا شيء مهم جداً وأناسف بشدة على عدم مشاركة عدد أكبر من الـ (ك.إ.ج) إن حركتنا الكشفية ما زالت في طور النشوء، نحتاج الى تعلم الكثير. إننا نحتاج بصفة خاصة الى نوافذ عديدة مفتوحة على مصراعيها على الخارج، لان العيش في الانطواء على الذات قد يؤدي بنا الى الاختناق. لهذا سنحاول أن نجتهد أكثر في العام

المُقبل في هذا الميدان بإرسال قادتنا الى «المخيمات الوطنية الفرنسية»، الى (chamarande) والى (cappy): «شاماراند وكابي».

لنفس الأسباب، ادعو كل القادة المستعدّين (او المتفرّغين) الى المشاركة في التربصات التي تنظمها مديرية «الشبيبة» تحت إشراف «مراكز التدريب على مناهج التربية النشطة». بضعة عناصر من الـ: (ك.إ.ج) شاركوا فيها من قبل واستفادوا منها استفادة كبيرة. فقد كان القائد فارس، بعد موافقتي يعمل ضمن قادة هذه المخيّمات.

قبل ان أطوي هذا الفصل المتعلّق بالمخيّمات، سوف اذكر بصورة خاصة «مخيّم المُرشدين» الذي تمّ تنظيمه في الأسبوع الثاني من جويلية بالدواودة البحرية (Douaouda- Marine)، إنني تابعت أشغاله طوال يومين كاملين. وسيحدثكم عنه مُرشدنا العام. لم أكن متحمّساً عند سماحي بتنظيم هذا المخيّم لانني لم اتصور بالتأكيد بأن مُرشدنا سيكون مثلاً يُقتدى به في العمل المُتقن وفي الانضباط الكشفي لكن التجربة كانت مُثمرة، وسوف تستمرّ قبها على مستوى واسع في السنة المقبلة.

IV - **المخيّمات الصيفية** (colonies de vacances):

يُعتبر تنظيم المخيّمات الصيفية عملاً هامشيا بالنسبة الى النشاط الكشفي. في الظروف العادية، يجب ان نكتفي بمخيمات فرقنا (troupes) بالنسبة لروادنا، وبالمعسكرات للاشبال، والمخيمات المتحركة بالنسبة للجوالة.لكن لا وجود الى حدّ الآن لمنظمة تشتغل بالطفولة المسلمة وبتمكينها من قضاء بضعة اسابيع في الهواء الطلق، على قمم الجبال او على شاطىء البحر. أكيد ان «المساعدة الفرنسية» تولي اهتماما متزايدا منذ عامين للمسلمين الصّغار في مخيّماتها الصيفية. لكن يبقى هذا الاهتمام ضعيفا أمام العدد الهائل من الاطفال الذين يجب إنقاذهم وبحسب تحضيرهم لمواجهة فصول الشتاء القاسية الموالية للحرب العالمية الثانية. وهذا هو السّبب الذي يجعلني أرى ضرورة إعطاء أهمية خاصة للمخيمات الصيفية من بين الأعمال الاجتماعية الاخرى.

خلال هذه الصائفة، نظمنا 16 مخيما صيفيا قمنا بزيارة بعضها. فلفت انتباهنا شيئان هما: تغذية كافية وهياكل مُريحة نسبيا في منطقة نقية. القادة الذين سيّروا هذه المخيمات الصيفية جديرون بكل التهاني. لقد شاهدتهم وهم منكبّون على العمل. لقد عرفوا كيف يُدبّرون امورهم بالإمكانيات الضعيفة التي وضعناها تحت تصرّفهم من أدوات الطبخ وخيام وميزانية. ومازلتُ أتذكر ذلك المسؤول عن المخيّم الذي اطلق فرقته (troupe) في القرية المجاورة كي تبيع بطاقاتنا لفائدة المخيمات الصيفية (colonies de vacances) وتمكن بذلك من تعويض العجز في الميزانية التي منحت له.

نشير في هذا السّياق الى ظاهرة جديدة في هذا الميدان. يجري الآن في مدينة موزاية، في الأراضي التي يملكها م. ابن ونيش، اول مخيم صيفي خاص بالفتيات المسلمات، يجمع 55 بنتا من الجزائر وبوفاريك والبليدة، وتقوم بتسيير هذا المخيّم إحدى زميلاتنا التي تطوّعت لإنجاز هذه التجربة الاولى في عالم الكشافة النسوية. ومن السّابق لأوانه ان نحاول من الآن استخلاص النتائج التي تسمح لنا بتحديد استراتيجية عملنا في المستقبل.

انتم تعلمون جيدا بأن الامر يتعلّق هنا بمشكلة خطيرة سوف يتناولها امامكم القائد جيجلي خلال هذه الايام وستُمنح لكم فرصة التعبير عن وجهات نظركم حولها أثناء نقاش واسع. فلا داعي إذن للتسرّع وسبق الاحداث.

هذا هو العمل الذي انجزناه خلال السّنة الجارية. لكن سيبقى هناك نقص في عرضي لو تجاهلت النشاطات الخاصّة.

شارك القائد فارس، إما كمتربّص او كمدرّب في عدّة تربصات «بمراكز التدريب على مناهج التربية النّشطة». كما تابع بفرنسا تربّصا للمتخصّص، ولاشك انه سيُفيد بيداغوجية الحركة بما اكتسب من معلومات جديدة.

قمنا، أنا ومرشدنا العام، برحلة دراسية في البلاد التونسية حيث تمكنا من الاطّلاع على المجهودات العظيمة التي بذلها إخواننا في الشرق

واستحسناها. وسوف تتبع هذه الخطوة الأولى على درب التعارف مع إخواننا خطوات أخرى. في هذا المجال نحن ننتظر قدوم قائدين من الكشافة الإسلامية التونسية قبلا دعوتنا لهم لزيارة بلادنا. إن مسألة الحركة الكشفية في شمال إفريقيا يجب ان تكون واحدة موحّدة. كيف ستكيّف حركتنا الكشفية مع محيطنا اجتماعيا، وسياسيا ودينيا؟ الى أيّ مدى سينجح هذا التكييّف؟ تلك هي المشاكل المطروحة في كل مكان. نتمنّى ان نتمكّن من خلال الاتصالات المتزايدة بيننا والاحتكاك بعضنا البعض ان نتوصّل الى إيجاد حلّ لها.

إن هذه المسائل ترتبط عضويا بمستقبلنا. اعتقد أنني استنفدت عرضي ويبدو للوهلة الاولى، انه من حقنا ان نكون راضين تمام الرضى. ولكن مازال للانتقادات مجالا لقد كبرت الحركة بسرعة غريبة، وأنا غير نادم ابدا على ذلك، بالعكس. ولكن يبقى هذا النمو السريع مصدر خطورة إن لم نأخذ احتياطاتنا. لا يمكن تكوين قائد كشافة بالارتجال، لذا من الضروري ان يعمل الجميع بجد واستمرار لتتكوّن، ومن وضعية متدربين يجب أن ننتقل الى طور المعلمين.

لن يكتمل هذا التطور إلا إذا كنا على يقين بان القائد الكشفي الحقيقي هو من يقبل القيام بمهمة. وإذا كانت هذه المهمّة نبيلة فإنها تنطوي على قيود، والقيد الاكثر ثقلا بالنسبة لاشخاص في سنّنا هو فقداننا لجزء، حتى ولو كان ضئيلا، من حرّيتنا. ومع ذلك إذا أصبح الكشاف قائدا في جمعيتنا فلم يبق له الحق ان يقول كل شيء ويفعل كل شيء، وعند هذا الحد، يُصبح الانضباط المبْنيُّ على الرضى سيّد الموقف، حتى وإن كان شاقا في بعض الأحيان. فالقائد غير المنْضبط ليس جديراً بان يكون كشافا إسلاميا جزائريا (ك.إ.ج)، لهذا اضطررت لتسليط عقوبات على بعض التصرّفات غير المنضبطة. أكيد أننا لسنا منظّمة عسكرية، لكن حدّا أدنى من الصّرامة ضروري للسيّر الحسن لوحداتنا، وافواجنا ومقاطعاتنا وجهاتنا.

لن أقدّم لكم أيّ مشروع مستقبلي، فالمستقبل في حُكم الله. لكن الله سدّد خُطانا. فلنبتهل وندعوه كي يستمرّ في إعانتنا.

سوف يُقدّم لكم مشروع خاصّ بإعادة الهيكلة الإدارية لتُناقشوه. كذلك هناك توضيحات تخصّ كل فرع هي بصدد الدّراسة. ويجب تطبيق كل هذه الإجراءات، مما يقتضي توفير أعوان تنفيذيين، وهذه مسألة قادة. التّقص في عدد القادة اضطرّني الى تكليف نفس القائد بعدّة وظائف وذلك رغم أنفي. ونحن بحاجة أيضا الى اختصاصيين، لذلك اعملوا على تكثيف التجنيد في أوساط الشباب القادرين على أن يصبحوا قادة على مختلف المستويات، وسوف تهيّؤهم كي يتحوّلوا الى اختصاصيين.

أيها الكشافة (ك.إ.ج). لقد أنجزنا أشياء كثيرة منذ بضع سنوات، وبقي لنا الكثير من العمل، وحركتكم ستكون كما أردتم لها أن تكون.

الى غاية الآن، لقد استحققتم ثقة الجميع، فابقوا أوفياء لهذه الثقة ولقانونكم ولوعدكم، وهكذا ستؤدّون رسالة جميلة وعظيمة: إنكم في خدمة الغير.

الطاهر التجيني

الوثيقة رقم: 92

انتخابات اللّجنة المُديرة
يوم 2 سبتمبر 1946)

بعد نقاش طويل للتقرير الادبي والمالي، أعلن التجيني استقالة اللّجنة المديرة حتى يكون الجمع في ارتياح تام. فترك مكانه لعميدنا سي محمد القرادشي ليترأس الجلسة. شكر الرئيس القرادشي الجمعية ببعض كلمات وانتقل بسرعة الى إجراء الانتخاب. عملية الفرز تمّت في ساعة مُتأخرة من اللّيل، وسُجّلت النتائج الآتية:

المُنتخبُون:

01– محمد عوشات.
02– محمد بوزوزو.
03– عبد الحميد بن عبد الرحمن.
04– حمدان عبد الوهاب.
05– حمدان بوزار.
06– محمّد جيجلي.
07– محمّد القشعي.
08– محمّد القرادشي.
09– عمر لاغا.
10– محمد فارس.
11– محمّد فرج.
12– محفوظ قدّاش.
13– مصطفى رودسلي.
14– علي سالمي.
15– الطاهر التجيني.

بعد مداولات اللجنة المديرة، تمّ تعيين «المكتب» التالي خلفا لسابقه للسنة (1946–1947):

الرئيس: الطاهر التجيني.
نائب الرئيس: محمود بوزوزو.
السكرتير. محفوظ قدّاش.
مسؤول الخزينة: عمر لاغا.

الوثيقة رقم 3

الكشافة النسوية الإسلامية

بقلم القائد جيجلي.

تُعتبر المرأة المسلمة، هذه النّواة الاساسية للخلية الاجتماعية، كيانا مُهملا داخل الحركة التحريرية الكبرى التي تدفع الشعب الجزائري نحو طريقه الى معرفة نفسه لتقرير مصيره.

نحن، الكشافة، لا نُحاول تبرير هذا النقص ونعتبر النظرية التي تزعم بانه يجب اولاً تربية وتعليم الذكور لتنتقل بعد ذلك الى تربية الإناث وتعليمهن نظرية خاطئة وغبية بالعكس، نقول إن عدم المزامنة في تعليم العنصرين وتربيتهما يُحدث في وسطنا الاجتماعي قطيعة في التوازن تنجرّ عنها أخطاء يشعر بها أقل الناس بصيرة. لنقل بوضوح، من جهة اخرى، بان أصحاب هذه النّظرية كثيرًا ما يلجؤون إليها للتملّص من مسالة صعبة الحلّ.

إننا نعلم فعلا، بان التربية تُغيّر الذهنيات وليس من الضروري ان نكون في مستوى علمي كي نعرف بان تاثير الام له دورٌ جوهري في تكوين طبيعة الأطفال. في حين والى حدّ الساعة، لم تُهيّأ اخواتنا لهذه المهمّة ويجدن انفسهن في أغلب الحالات عاجزات عن تسيير البيت وتربية اطفالهن تربية صالحة وتحقيق ذلك التاثير الطيب في انفسهم والذي يلعب دورا هاما في تحديد وتوجيه حياة كاملة. نحن نرى بان تهيئة اخواتنا الفتيات لمزاولة دورهن في المستقبل كزوجات وأمهات امرٌ مُستعجلٌ؛ وهو دور هامّ جدًا لا يقبل الارتجال.

الحل الرّشيد لهذه المسالة يتجاوز، بالطّبع، إطار جمعيتنا المتواضعة ذات الأهداف والإمكانيات المحدودة، لكن هذا لا يعني ان نتخلّى عن القيام بدورنا مهما كان متواضعا.

لقد كانت الحركة الكشفية حركة ثورية في بداياتها – وأنتم توافقون على ذلك – فاضطرت لمواجهة الأحكام المُسبقة التي لم تزل بعضها تماما الى يومنا هذا. فيجب علينا إذن، كحركة تربوية، تفتخر بهذا الماضي، ان

نواظب في عملنا وان نضع في خدمته المحبّة والديناميكية اللتين يتميز بهما الشباب. لن نحلّ وحدنا هذه المسألة ولا يمكن ان نغتر بديناميكيتنا لنبالغ في نقد قوّتنا، إننا نعرف كيف نقيّم مسؤوليتنا، إنما ننوي في الإطار المحدود الذي ننشط ضمنه، ان نعمل من أجل تربية اخواتنا المسلمات اللائي سيُقبلن علينا، ونتشرف حركتنا بكونها الرائدة في هذا المجال التربوي بوسائل عملية المقالات الصّحفية المتفرقة العديمة التأثير.

يبقى علينا ان نحدّد كيف نتصوّر هذه التربية وكيف نطبّقها مع مراعاة المشاكل والأحكام المسبقة التي تُميّز وسطنا الاجتماعي. وعلينا بعد ذلك ان نضع مخطط نظام مفصّلا على مختلف المستويات من فيدرالي وجهوي ومحلي. هذا ما ننوي تقديمه في هذا العرض.

التّنظيم العام:

عند البداية تُنشيء «فيدرالية الدليلات المسلمات» تكون فرعا لفيدراليتنا الخاصّة بالذكور، كي نتمكن بالتالي من مساعدتها ماديًا ومعنويا في خطواتها الأولى حتى نفردها بفعالية بإفادتها من تجربتنا. من جهة اخرى، نتمكن هكذا منظمتنا من تخفيف العبء الثقيل المتمثل في الأوراق الإدارية العديمة الفائدة، وسيكون وقت قائداتنا في المستقبل ثمينا لا يُكرّس في اغلبه إلاّ للعمل التربوي البحت.

لكن هذا الحل – حتى وإن كان مُستحسنا او ضروريا في البداية – يجب الا يُنظر إليه إلاّ كحلّ مؤقّت. وكُلما تكوّنت وتطوّرت إطارات فيدرالية الاناث، توجّب على فيدرالية الذكور ان تتخلى تدريجيا عن وصايتها. يجب ان نثق في أخواتنا اللائي يأتين إلينا ونقوّي فيهن الشعور بالمسؤوليات الكبيرة والصّغيرة.

في انتظار بلوغ الفيدرالية النسوية نُضجها الضروري ووصولها الى الطيران بجناحيها، من الضروري الاحتراس خلال فترة الانخراط من الاندماج المبالغ فيه على جميع مستويات التنظيم لتفادي ايّ حدث ناجم عن سوء فهم بعض القادة وأيّ انتقاد من طرف الاهالي.

حركة «الدّكيلات المسلمات» سوف يتمّ تنظيمها طبقا لصورة حركة الذكور. سيكون لها مقرّ عامّ إشارة خاصة بها وقانونها. وسنسمّي: «جمعية الدّكيلات المسلمات الجزائريات».

تكوين القائدات

سنستمد من تجربتنا المُحصّلة في تنظيمنا الخاصّ بالذكور المنهجية التي يجب أن نسلكها من أجل بناء الحركة الخاصّة بالإناث. يجب أن نولي الاهتمام بضرورة تجنيبها التردد والأخطاء التي اعترضت طريقنا. يجب أن نتخذ احتياطاتنا ضدّ التأسيس الفوري لفوج الرّائدات قبل تشكيلنا للنواة الصلبة للقائدات الكفؤات. على قيدرالينتا ان تلتزم اليقظة وتُظهر صرامة كبيرة في هذا الميدان، نؤكّد على هذا الأمر لأنه إذا لم نبدأ البناء من الأساس فإننا سنسير نحو فشل أكيد، فإنشاء فوج في استعجال ووضعه بين أيد عديمة الخبرة لفتاة لم تتلق تكويننا مُسبقا يحضرها لمهمتها يعدّ بمثابة إنشاء فوج ينشط نشاطا عشوائيا لا صلة له بالكشافة.

كما لا يخفى علينا بأن الفشل هنا غير مسموح به، لأن أيّ فشل في مجهوداتنا حتى وإن كان محليا سوف تكون ارتداداته خطيرة وفاتورته باهظة الثمن. فسيلاحظ علينا الناس ويتابعون جهودنا وهم مستعدّون لتضخيم أبسط النقائص لتجريم الحركة. لقد ائتمننا الأولياء بطيبة خاطر على أبنائهم، لكن عندما يتعلق الأمر ببناتهم، سيكونون أكثر تشدّدا معنا ولهم كل الحق في هذا الموقف. يجب ان تكون القائدة التي تُقدّمها لهم قادرة على اكتساب ثقتهم ومنحهم كل الضمانات الأخلاقية المرغوب فيها. وهذا ما يفرض علينا أن نكون مُتشدّدين كثيرا عند تجنيد القنيات.

سيتم اختيار العناصر الشابة لتكوين إطاراتنا النّسوية المستقبلية باهتمام خاصّ من بين الفتيات المسلمات اللاتي يتردّدن على المدارس العربية والمؤسسات الثانوية أو الجامعية. وذلك لتدعيم الضمانات الأخلاقية للقائدات بثقافة قاعدية تُمكّنهنّ من استيعاب المنهجية الكشفية ثم تطبيقها بذكاء في الأفواج التي تُكلّفن بها.

ثم تُجمّع الفتيات، المنتقيات على هذا النّحو بمختلف المراكز، في مخيّمات تكوينية تحت إشراف قائدات تابعات للكشافة الفرنسية.

التربّص:

يمكن لفيدرالية الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) ان تشترك، بعد الاتفاق، مع الكشافة الفرنسية في تنظيم مخيم أو أكثر من اجل التكوين. ويتم اختيار قائدات الكشافة الفرنسية المكلّفات بتعليم إطاراتنا النسوية من بين اللائي يعرفن افضل من غيرهن الوسط الإسلامي وتقاليده.

ويتمحور برنامج التكوين في المخيمات المخصّصة لهذا الغرض حول الانشغالات المستعجلة للحياة اليومية كي يتوخّى الواقعية، مع احترام المبادىء الكبرى الأساسية للعمل الكشفي، وهذا يعني ان على البرنامج ان يخضع في محتواه للواقع الجزائري الذي نعيشه فتياتنا وللبيئة المحيطة بهن، إن الاهداف التي سنقترحها ستخضع هي الأخرى لهذه المعطيات التي ستذكّرم بتفاصيل دقيقة عنها.

نقصد بالواقع الجزائري، الجهل وفقر الأغلبية الساحقة من ذويها، وهذا ما يعكس ضخامة المهمة التي تنتظرنا وحجم الإخلاص الذي تتطلبه، كما يجرّ خلفهما قسطا كبيراً من البؤس ووفيات الأطفال والأوبئة والفوضى والمعتقدات الخرافية.

أما فيما يتعلق بالطوارىء المرتبطة بوضعيتنا الاجتماعية، فإنها تفرض علينا اولا ان نُوجّه اخواتنا نحو حياة البيت التي ستؤول إليهن في يوم ما. ونحن هنا لا نزعم باننا ضدّ تمكينهن من ممارسة دور اجتماعي، بل كل ما نريده هو بكل بساطة ان نسير خطوة خطوة، لأنه قبل التفكير في إعطائهن دورا اجتماعيا، هناك وظيفة مستعجلة تقع على عاتق اخواتنا تتمثل في تعليمهن ممارسة دورهن كزوجات وكأمّهات.

اما العامل الثالث الواجب أخذه بعين الاعتبار فإنه نتيجة مباشرة للجهل الذي بشكل خاصية سخيفة من خصائص اخواتنا، وهي التي أدت الى تردّي ديننا عندهن الى درجة انه اصبح مجرّد نسيج من المعتقدات الخرافية الساذجة والضّارة في أغلب الأحيان.

يجب الاخذ في الحسبان كذلك ذهنية اخواتنا اللائي يُعانين، حسبما يبدو، من عقدة نقص، ربّما ليست سوى ضعف في إرادة

التغلّب على خجل حادّ او عجز عن إثبات الذات بصفة كاملة، إذا أخذنا بعين الاعتبار كل هذه المعطيات، سوف تبدأ بتلقين قائداتنا مثلاً أعلى يتناسب مع المهمّة التي تنتظرهن، ويكون أساس عملنا والمحيط الذي تسبح فيه كل نشاطاتنا.

وسنركز بصفة خاصة في تكوينهن على الاقتصاد المنزلي، والثقافة التطبيقية وتربية الأطفال من أجل تحضيرهن لدورهن المستقبلي كزوجات وكأمهات.

اما إذا أردنا القضاء على المعتقدات الخرافية فيكفي أن نشرح لهن المبادىء الكبرى لديننا، وهو ما سيقوم به المُرشد العام لأنها من صلاحياته، وسيدرس هذا الأمر بدقّة، حتى يعدّ لنا برنامجا وتوجيهات للمُرشدين المكوّنين الذين تقع على عاتقهم مسؤولية إبراز المُثل العليا التي تنطلق منها دياناتنا لفتياتنا. ومن الأفضل أن يعمدوا الى تحسيسهن بجمال الأخلاق الواردة في ديننا عوض أن يقتصر على تقديم قائمة من الشعائر وكيفية تأديتها دون شرح لبعدها الرّمزي أو هدفها الاجتماعي والنّفعي.

المُرشد الناجح هو الذي يتمكّن من تلقين تلامذته حبّ الخالق لأن كلّ من يحمل في أعماقه هذا الحبّ يُصبح لديه طبيعيا أن يؤدّي واجباته بتفان كمؤمن صادق.

يجب علينا في الأخير أن نُساعد اخواتنا على الخروج من وضعية المرأة المطموسة وتفتح إرادة التعبير عن وجودهن في انفسهن وذلك عبر تعليمهن كيفية إثبات ذواتهن شيئا فشيئا. يُختتم كل تربّص بامتحان او أكثر. والمتربّصات الناجحات في هذه الامتحانات اللائي يُبدين استعدادا لمهنة القائدة خلال التربّص، يُجازين بشهادة كفاءة تُصدرها القيادة العامّة للكشافة الإسلامية الجزائرية بعد تقرير من مديرة المخيّم.

ولن تُكلّف بتنظيم افواج من «الدليلات المسلمات» إلاّ القائدات المُزوّدات بهذه الشهادة، وإذا اكتملت كذلك شروط النّظام المحلي التي سنتطرق إليها في وقت لاحق.

شارة الجمعية:

نرغب في ان تتوفر هذه الشارة على صفتين: الأصالة ورمزية شديدة الوضوح تتناسب مع روح حركتنا. لقد تلقينا نموذجين أهمهما يتشكل من خلفية تتمثل في بحر ازرق برزت من جوفه شمس محمرّة تُرسل اشعتها في جميع الاتجاهات. وهذا يرمز الى ان فجراً جديداً يُطلّ على أخواتنا المهمّشات. وفي اسفل الهلال او المسطّح السّداسي الاضلاع يُسجّل الشّعار: «الى النّور» وتحمل كل دليلة السيارة الفيدرالية على ذراعها الأيسر.

زيّ الدّليلة.

يتمثل في قميص أبيض طويل الذراعين وتنورة زرقاء قاتمة دون زخارف تُحمل بحمائل (bretelles) مُسْنَدة إلى الكتفين وقبعة زرقاء قاتمة ذات شكل إسكتلندي (Ecossais) بحاشية ملوّنة، إضافة الى منديل يربط حول الرقبة وجوارب بيضاء.

زيّ القائدة.

لا يختلف عن الزيّ السّابق إلاّ في تعويض المنديل بربطة عنق خضراء. أما القائدة المُرسّمة فتحمل زيادة عن ذلك شريطا قاتما. نفس الزي يرتديه القائد ولا يختلفان إلاّ في لون ربطة العنق.

الرّتب:

الرُّتب المحدّدةللمدرجة الخاصة بكل عنصر ستكون مطابقة لرتب فيدرالية الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج).

الراية:

على غرار فرق (ك.إ.ج) يكون لكل وحدة علمها الذي يحمل الواق الجمعية، ويُحتفظ به بحرص كبير في المقر، ولا يستعمل إلاّ أثناء الاحتفالات او الاعياد الدينية.

خلاصة:

إن هذا التقرير الذي عرضناه عليكم غير مكتمل. فقد تخلينا عن ذكر التفاصيل التي وجدناها في تجمّعنا الخاص بالذكور والتي يمكن الرجوع إليها ونقلها من أجل التأكيد على مسألة تكييف البرامج والاحتياطات الواجب اتخاذها إذا أردنا ان ننجح. وحتّى هذه النقطة لم نتناولها، كما ترون، تناولا كاملا. فقد اكتفينا بإيضاح المبادىء الكبرى التي يجب أن نستنير بها في مشوارنا، ويبقى الأمر متروكا لمؤسّسي التجمعات الخاصة بالإناث كي يأخذوا في حسبانهم الطوارىء المحلّية التي نجهلها ومع ذلك يجب القيام بالتجربة فهي جديرة بالاهتمام.

ولن نتمكّن من تحديد الإمكانيات التطبيقية الكفيلة بإنجاح هذه الحركة الكشفية النّسوية، التي نأمل منها الكثير، إلاّ بعد أن تنطلق التجمّعات الأولى في العمل وتظهر صعوباتها الملموسة بوضوح.



الفرع النسوي لقسنطينة (الرايات) (1945)

الاحتفال السنوي للفوج النسوي المقام في الجامعة الشعبية بقسنطينة



تقديم الفوج من طرف القائد جيجلي



المجموعة الصوتية بقيادة القائدة بن عتورة



رقصة فولكلورية



سكانش للقائد بلحاج مع بعض القائدات

المخيم الصيفي الأول للفوج النسوي للكشافة لقسنطينة - جيجلي 1947



أعضاء المخيم





تجمع في ساحة المدرسة - حبحلي



على الشاطئ - حبحلي



أعضاء المخيم مجتمعين في ساحة اللعب



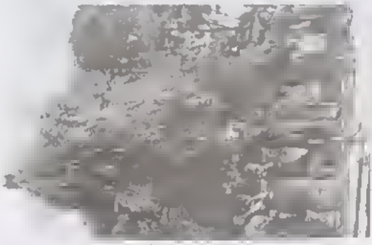
التحضيرات لاحتفالات المخيم   إقامة المنصات



إطارات محبس أوفاس



المخيم الأول للفوج النسوي - الرباط - 1952



بعض من قائدات المستقبل



فتيات (BSMA) للقصبة في تربص - الرباط - 1952



فتيات (BSMA) لقسنطينة - 1952



الفوج النسوي لقسنطينة والجزائر في تونس الرياث - 1952

المخيم الأول للفوج النسوي - الرباط- 1952



مخيم الخيم



بعض من قائدات المستقبل



الآنسة سوجيي تساهم في إدارة المخيم مع القائد جبجلي

3 - بعض نشاطات سنة 1947:

الوثيقة رقم 1

في الطريق إلى براغا (Prague) مع الاتحاد الديمقراطي للشبيبة (1947)

كانت هذه الرّحلة على مدى 6000 كلم في قلب أوروبا غداة الحرب العالمية تبدو لي مغامرة جميلة تستحق التجربة. اليوم بعد أكثر من شهرين من عودتي من المهرجان أحسّ أكثر بالنتائج المسعدة الناجمة عن مشاركة حركتنا في هذا التجمّع الخاص بالشبيبة الديمقراطية في العالم.

لن أتحدّث عن جميع المشاكل التي وجب علينا حلّها، فقد عمل اتحاد الشبيبة الديمقراطية الجزائرية (إ.ش.د.ج) (U.J.D.A)[1] أقصى ما يمكنه لتيسير العقبات التي اعترضتنا.

وجدت نفسي إذن في 15 جويلية على متن سفينة (Marigot) برفقة أكثر من 100 فتى وفتاة فرحين وسُعداء بهذه الرحلة، كما عبّرت عن ذلك الأنشودة التي انطلقت من حناجرهم عند خروج السفينة على ميل من ميناء مدينة الجزائر.

تحت شمس مُحرقة، بعيداً جداً الآن عن السواحل التي بدأت تختفي عن الأنظار وسط ضباب خفيف، تفاءلت بإحساسي بضيق.. كانت أوّل مرّة في حياتي فارقت فيها الأرض الجزائرية.

وعندما تذكّرت ذلك الحمّال الهرم عند اعتلائنا السّفينة، وهو يبكي لرؤية علَمنا الذي كان يحمل الهلال الذي يُعتبر رمزاً للإسلام، انتابني شعور قويّ بالمسؤولية التي تقع على عاتقي بسبب قبولي تمثيل شبيبتنا وكفاحها وحياتها وآمالها في مدينة براغ (براها).

وصلنا الى مدينة مرسيليا في يوم الغد بعد الزّوال وتكفلّت مؤسسة «السياحة والعمل» (Tourisme et travail) بإيوائنا في ظروف مُريحة جداً.

لم يكن لدينا سوى بضع ساعات تعرّفنا خلالها مع أوّل وفد أجنبي وصل الى مرسيليا وهو الوفد القبرصي. كما أتيحت لنا الفرصة لزيارة مخيم

---

(1) (إ.ش.د.ج) اتحاد الشبيبة الديمقراطية الجزائرية

حرارة الشباب الفيتناميين الذين عبّروا لنا عن ثقتهم في أن المستقبل سيكون أفضل وبعد استعراض قصير في شوارع مرسيليا، نقلنا قطار خاص الى باريس. من الذي لم يُعانقه آمل زيارة هذه العاصمة الكبرى في يوم من الأيام؟ وصلناها في اليوم الموالي، لكن خاب ظني ولم ينتبني أيّ إعجاب ولم يصبني الذهول كما كنت أتوقع.

في نفس اللّيلة تركنا باريس واتجهنا بواسطة قطار خاصّ نحو براها والمُلتقى الذي كان يتّجه نحوه في نفس الوقت آلاف الشباب من كل الأجناس ومن جميع الأديان.

بلغنا مدينة ستراسبورغ مع الفجر حيث كان الطقس شديد البرودة، ثم عبرنا بهدوء التراب الألماني، لأن خطوط السكة الحديدية والجسور كانت في حالة يُرثى لها. المدن التي مرّرنا عبرها كانت كلها منظرا مُحزنا. لكن من بينها جميعا تميزت مدينة نورمبرغ بخراب أكثر فظاعة يُعبّر بصورة أدق عما تحمله الحرب من تحطيم وبؤس.

غير أن الرّيف الألماني كان أكثر حيوية بخضرته وبساتين الفواكه المترامية الأطراف. لقد أذهلنا انتظام أشكال أراضيه الفلاحية. أما السُّكان فبدا عليهم التحفّظ وحتى العداء. الفرحة تغيّبت عن الوجوه وسنحت لي الفرص أن أتذوق طعم الخبز الألماني؛ هو خبزٌ أسود ومُنتن. في جميع المحطات جرت عمليات مقايضة على مستوى واسع نالت خلالها السّجائر الجزائرية نجاحا كبيرا. كانت الأعلام تُرفرف هنا وهناك والعسكر يتجوّل بالسّلاح في كل مكان.

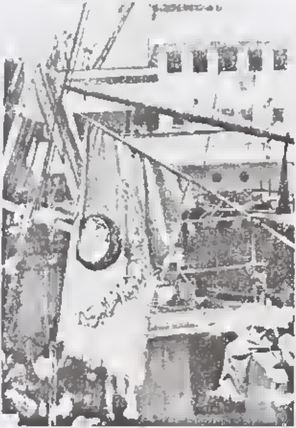
فجأة برزت الأعمدة الحدودية لتشيكوسلوفاكية ومحطة «سيسكاكوبيسي» (Ceska Kubici) الصّغيرة. كانت الساعة تشير الى 22 و25 دقيقة عندما دخلنا التراب التشيكي وجاءنا طالب ليُرحّب بنا بصحبة مجموعة من رجال الجمارك تعلو وجوههم الابتسامات.

«نازدار» يا شعب تشيكوسلوفاكيا!

محمد القشعي

مساعد رئيس الوفد المشارك في المهرجان(*).

(*) نشرة الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج.) خريف 1947.



انطلاق وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية إلى براغ

الوثيقة رقم 2

نظرة خاطفة على مهرجان «الجمبوري» 1947

كل واحد منّا، نحن اعضاء الأخوة العالمية، رجع الى بدلته والى اشغاله المدنية، بعد شهر من الغياب أو بالأحرى مما يمكن أن نسميه «الحضور العالمي»، لعله كان من الواجب علينا ان نتقطع الى ما تركناه وراءنا لا غير. لكن في الكيس الذي وُضع بهدوء في ركن من الاركان، نعجّ ذكريات، ذكريات لا تُعدّ ولا تُحصى من اشياء وصُور وإشارات او ملاحظات سجلت على عجل بقلم الرصاص أو بالحبر في ورق دفتر الطريق الذي اصبح ذابلا. إن حاجة ماسّة تدفعنا نحو «امتعتنا» التي بمجرّد ما يقع عليها نظرنا نعود لنغطس مرّة أخرى في أجواء هذه المغامرة الشيّقة.

ها نحن إذن في مهرجان «جمبوري السّلام».

أيّها الكشافة، أنتم تعلمون بأن كلمة «جمبوري» تعني «اجتماعا لجميع القبائل»، في هذا المخيّم الممتدّ على مساحة 625 هكتارا، برزت مدينة ذات أسوار مُرفوفة وخيام بالوان وأشكال متنوعة يأوي إليها عندما يحل الليل اكثر من 30000 كشاف. اربعون امّة مُمثلة هنا بوفود تتوزع على 15 مُخيّما صغيرا وتعيش في فرق (par troupes).

ولا يفوتنا أن نذكر «المخيمات الإضافية» التي تأوي القادة الكبار والاجانب. ككلّ مدينة عصرية، تمتلك مدينة (Jam) شبكة من الشّوارع المُريحة (25 كلم تقريبا)، مُدعمة بسكة حديدية ضيقة يتنقل القطار عبرها، ببطيء، لكن دون توقف طوال النهار القطار صغير يتحرك بالمازوت.

كل مخيّم صغير (sous camp.) له طبيبه، وفي هذه المدينة مستشفى يتكوّن من 200 سرير مُريح لعلاج المرضى الذين تقتضي حالتهم الراحة.

كما يتواجد بها مراكز بريدية، بنك للصّرف وتبادل العملات، محطة سكة حديدية، وساحة كبيرة جدّا لوقوف الحافلات، بالإضافة الى مرصد ومكتب للصّحافة ومخيّم الصّبانة ومخيّم مدني، بترك الالمام بهذه المرافق

الانطباع بأن كل شيء موجود لا نقص فيه. هناك ايضا حوالي ستة معارض، احدها مركزي حيث تُباع كل انواع الأدوات والسِّلع التي لا تجول بخاطر احد، وداخل كل معرض خُصِّصت قاعة للمسرح والسّينما. الشعائر الدينية لم تُهمّش إذ يوجد هناك مسجد صغير جدّ جميل، لأنه من إنجاز الكشافة، ارضيته مفروشة بالخَلْنج الكثيف، ومجهز بمحراب ومنبر، وقد تم بناء هذا المسجد بفضل مرشدنا بوزوزو. وبُنيت هياكل بسيطة للأديان الأخرى.

وتُوّج هذا الإنجاز الهائل بتوفير مياه كافية منعشة على ما يرام، وبتموين غذائي ممتاز.

كل مخيّم صغير يعرض على زائره، مهما قلّ فضوله، خاصيّة ترمز الى الإقليم الذي تحمل اسمه.

وهكذا فباب إقليم (Languedoc) يعرض رأس ثور ذي قرنين حادّين جداً وإقليم (Champagne) زُيّن بابه بمجموعة من أشهر القنينات ذات العُنق الذهبية اللّون. وإقليم (Aquitaine) عرض مُرديات (براميل كبيرة لتخزين النبيذ)، أما إقليم (Provence) فقد كُتبت على سلسلة من العصيّ الطويلة ما يشبه عنوان أغنية: (Al Souléon de moun païs) (شمس بلادي)...

والآن لنتفقد المخيّم الصغير الخاص بالجزائر.

لو عددنا سُكّانه لتفاجانا بتنوّع أصولهم وعددهم 910 كشافة جزائريون من بينهم 4 أفواج من الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) أي 144 عنصرا و508 إنجليز و90 إسلنديون و132 من اللوكسمبورغ و13 برتغاليا.

الانجليز كانوا يتحدثون دون أيّ تألّق، كانوا محرجين لرؤية لغتهم مُتداولة في جميع جهات العالم. اهل اللوكسمبورغ كانوا متأدبين ومتميّزين عن الآخرين بنشاطهم الكبير كالنّمل داخل خيامهم الخضراء الفاتحة التي يجعلك لونها تشعر بالانتعاش.

لكن الذين يُحيّرونك هم الإيسلنديون دون شك، الم يأتوا من بلاد حتى في «صيفها» لا تنام الشمس اكثر مما ينام حصادوها: ثلاث او اربع ساعات؟ إنّهم يتميّزون بضخامة اجسامهم وطولها، وبياض بشرتهم وعيون

زرقاء شاحبة وشعر فاتح جداً. أقوياء البنية، يميلون الى الصمت، ويحرصون على تأطير مخيمهم الصغير بصورة لبركان (Hékba) أثناء هيجانه والـ: (Geyser) الكبير، منبع المياه الساخنة التي تندفع نحو السّماء على علوّ 60 متراً.

أما إخواننا الجزائريون، فماذا عسانا أن نقول عنهم؟ لقد تحلّوا بسلوك الكشاف الجيّد جميعا دون استثناء. فيقومون باكراً، يطيعون التعليمات والأوامر الآتية من قادتهم، كانوا نشطين وأذكياء، دائما في منتهى النظافة، دائما على أتمّ الاستعداد، ويعلنون التحدّيات؛ فمن كان يظن أنهم ينتصرون على الأنجليز في كرة القدم؟.

وكم هو عظيم المدخل الى هذه الجزائر الجميلة البنت البكر لإفريقيا. ما يتراءى لك أولاً هي المئذنات الثمانية البيضاء في مجموعتين من أربع مآذن، يعلو كلّ واحدة منها هلال. ثم تأتي خيمة من الجنوب الجزائري مصنوعة من شعر الجمل ممتدّة بفتور تحت حماية أعمدتها، واسعة بما فيه الكفاية لاستقبال مائة ضيف، داخل الخيمة لا يشبه مغارة علي بابا، لكنها متناسقة في ديكورها وممتعة للنظر: زرابي من الصوف الفاخر بالتل الجزائري وزرابي الهضاب العليا الحمراء والسّوداء، نمارق من الجلد الناعم المتعدد الألوان، والخناجر النحاسية المصنوعة بدقة. وكأنك في واحة ذات كرم مترف، تحفّ بها على كثبان رملية صفراء صناعية نبات الصبار وغيره من النباتات الدهنية، التي تتميز بها بلادنا، وهي تعانق السماء.

لن نكون مبالغين إذا جزمنا بأن جناح الجزائر هو المكان الأكثر إثارة للانتباه في المخيّم.

فالزائر الذي يقترب من جناحنا سرعان ما يشتد إعجابه لرُؤية الخيام والمعروضات الغزيرة المصنّفة بذوق فني عال والتي تعكس طاقات الصناعات التقليدية الجزائرية. في إحدى الخيام احتلت صورة كبيرة للأمير عبد القادر صدارة الديكور والمعروضات.

ايكفي أن نقول بأن وزير الشبيبة والآداب والفنون الذي زار مخيمنا يوم الأحد ١٠ أوت لم يُخفِ إعجابه بما شاهده؟ وبأن النواب المسلمين أتوا إلينا في يوم الغد حيث أكرمناهم بالشاي المنعنع، وكانوا سُعداء باستنشاق أريج البلاد للحظات؟ وبأن عددا من الكشافة الأنجليز واللبنانيين واللوكسمبورجيين والفرنسيين والهنود والسويسريين وغيرهم أذقناهم تحت ظلال خيمنا الأطباق الجزائرية... لقد أذقناهم «ملحنا» كما يُقال؟!

إن وصف كل ما عشناه في المهرجان يتطلب كتابا كاملا. تمنّينا لو دام فترة أطول كي نوطّد أكثر روابط الأخوّة التي يجب أن تجمع كل الكشافة.

لكن، كدنا أن ننسى ذكرا خاصا لهؤلاء الذين منحوا فرصة المشاركة في المهرجان لكشافتنا والظهور فيه بأزياء ممتازة، كل ذلك تمّ بفضل مجهوداتهم المتواصلة في الخفاء.

هذه التجربة الأولى لنا كانت نجاحا خالصا، فلنُفكّر في سنة 1951[*].

قار اللعب

(*) نشرة الكشافة الإسلامية (ك. إ. ج.) خريف 1947.

4 - تحليل موجز لنشاطات سنة 1948

تتميز سنة 1948 بالجمعية العامة الاستثنائية التي انعقدت في شهر مارس بسيدي فرج. بالرجوع الى الفصل الثالث تجد عروضا مفصلة عن هذه الجمعية بقلم القائد جيجلي خصصها للازمة والانشقاق (القسم الاول)، وكذلك في شهادات القائد التجيني والقادة الآخرين في القسم الثاني، محاولة للتوسط تمت خلال صيف 1948 (انظر: مقال دومي وسماتي، القسم الاول). نشاطات فيدرالية الكشافة الإسلامية (BSMA)، تعددت بعد الانشقاق: جولات داخل البلاد لتنظيم الافواج، ومخيمات وطنية للقادة، والمشاركة في جربة بتونس في (C.A.P.Y) (فرع جوالة لرواد فرنسا (C.A.P.Y. Route des Eclaireurs de France) في ديسمبر 1948.

في 1948، توفي القائد (Coquelin) (من رواد فرنسا) المحامي الصديق للفيدرالية، وخصصنا له تكريما يليق بمكانته على صفحات نعيد نشره بطيبة خاطر.

وفاة كاكلان (Coquelin):

لا فائدة من تقديم القائد كاكلان الذي توفي في بجاية الى قادتنا. فقد عرفوه جيدا في تلمسان خلال تجمع القادة وفي «الرياض» واثناء المخيمات والمدارس التي كان هو شخصيا منظم اغلبها، وفي قسنطينة خلال ايامنا الدراسية. كما نال احترامهم في الفترات الموالية لاحداث ماي 1945 بفضل مرافعاته الشجاعة في المحكمة العسكرية بقسنطينة حيث اظهر، وهو يدافع عن قادة الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج)، نفسه مخلصا لمشاكلنا الآتية.

لذا يجب علينا ان نعرب عن إجلالنا لذكرى هذا الرجل، وهو القائد الكشفي الذي شرف حركة الكشافة واخلص لها تمام الإخلاص، ونوجه الى عائلته والى جمعيته عميق تعازينا وتأثرنا بهذا المصاب الجلل. لقد كان في هذه الحياة رجلا طيب الإرادة فلتنل روحه كل الرحمة في مثواها الأخير.

يوجد اسفله النص التأبيني الذي قرأه قائدنا العام على ضريحه:

عمر لاغا

أيّها العزيز «فريدبريك» كاكلان.

«عندما بلغني خبر وفاتك، لم أكد أصدّق بأن هذا المصاب الجلل قد وقع حقًّا، ولم أصدّق هذه القساوة التي أصابنا بها القدر. لم تمرّ سوى بضعة أيام فقط على لقائنا بمخيم سيدي مدني. لقد كنت هناك معنا، ولم نشعر بقدوم هذه النهاية المفاجئة، ومع ذلك تلاحقت الأخبار بوضوح تنعي: أن كاكلان قد مات، كاكلان ذهب إلى الأبد.

كيف لا تغزوني ذكريات لقاءاتنا الأولى؟ كُنت حديث الاستقرار بيننا عند وصولك من فرنسا في سنة 1942 من أجل أن تبقى وفيا لمُثُلك المتمثلة في العدالة والأخوّة والحرّية، ولتكون قُدوة لهذه الشبيبة الفرنسية التي كرّست نفسك لتربيتها. وجدت نفسك في هذه البلاد، التي لم تعتبرها غريبة عنك، أمام ما كُنت تسمّيه لُغزًا. شبيبتان عاشتا بالفعل جنبا إلى جنب دون أن تعرفا بعضهما البعض. بدا لك أن الأخوّة الكشفية لم تكن عندنا سوى ضرب من الخيال. فثار في أعماقك الإنسان والمُربّي، فشعرت في الحين بالمهمّة الهائلة التي كان عليك إنجازها. عندما وجدت نفسك فجأة في عالم يسوده عدم التفهّم والأحكام المسبقة، عزمت على محاربتهما والعملية كانت صعبة للغاية، لكن لم يُخِفك شيء، لقد كان إيمانك بأحلامك صلبا غير قابل للتزعزع. انبت إلينا لتمدّ لنا يدًا صديقة، فصنعت اللّقاءات، والنّقاشات وجعلت كل من يتحدثون إليك في راحة تامة. فعلّمتنا شيئًا جديدا: ما كان مستحيلا بالأمس أصبح بفضلك قابلا للتحقيق فيما بعد.

كرئيس للمدرسة الإمبراطورية للكشافة الفرنسية (Collège d'Empire du Scoutisme Français)، كُنت تعتقد بأن المحبّة بين البشر لا يمكنها أن تنشأ إلاّ بالتعارف فيما بينهم. هذا التعارف حققناه معًا خلال أوّل لقاء لنا بمخيّم (Fort de l'eau) (برج الكيفان حاليا) والذي سيبقى راسخا في ذاكرتنا، لقد أسميناه «مخيّم الرفاق الطّيب»، وما وجدناه هناك يتجاوز بكثير الوفاق الطيب، بل كان أساسًا لصداقة دائمة.

ثمّ التراجع عن كل شيء في 1945 والامتحان كان صعباً، والذين احتفظوا ببرودة اعصابهم وبرصانتهم هم قلّة قليلة. كُنت من هؤلاء الذين لا ييأسون أبدا فاكتشفنا فيك روحا عظيمة وقناعات صلبة. لقد كنت المدافع الشرس عن قضية كانت عزيزة عليك جداً.

في المجلس الجزائري باشرت في الحين العمل على إصلاح وضعية اعتبرها الجميع ميئوسا منها. تبنّيت موقفا شريفا توصّل مع مرور الزمن الى جمع كل ذوي النوايا الحسنة المُكرّسة لتربية الشبيبة حولك. وقد برزت هذه النوايا الطيّبة في العديد من المخيّمات والمدارس التي سيّرتها او كُنت سبباً في إنشائها. وهكذا ساهمت الى حدّ كبير في تكوين جيل كامل من قادة الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) الذين كانوا يُكنّون لك صداقة حقيقية. مؤخرا فقط كان يتجمّع حولك كل قادة الكشافة الجزائرية وكأنهم يريدون تجسيد رزنامة كل نشاطك الممتد على خمس سنوات من الجهود. وقد قرأنا في عينيك يوم الأحد الماضي هذه الفرحة وهذا الاطمئنان المشروع اللذين يرافقان عادة الشعور بإتمام المهمّة. للأسف الشديد، لم يدم ذلك طويلا؛ قدرٌ قاسٍ اختطف منا روحك الفاضلة. لكنّك كُنت قُدوة لكل الشبيبة الجزائرية. لقد تركت لنا حُلما سنجتهد في تجسيده، اعدك بذلك. وانا أودّعك، أوجّه باسمي الشخصي، وباسم جمعيتي والى أهلك والى جمعيتك المحبوبة والى أبنائك والى نقابة محامي بجاية، والى الاعمال العديدة التي كنت تشارك فيها، كل التعازي القلبية الحارّة.

نم في سلام عزيزي كاكلان في هذه الارض الجزائرية التي أحببتها كثيراً، والتي اردتها دائما اكثر جمالا واكثر سعادة وأكثر إتحادا، والتي تبنيتها كوطن ثانٍ».

الطاهر التجيني.

5 - مؤتمر الرّواد المسلمين التونسيين

(ر.م.ت) (E.M.T) (23 - 25 سبتمبر 1949)

عقد أصدقاؤنا الرّواد المسلمون التونسيون في هذه السنة مؤتمرهم السنوي في المركز التربوي ببئر الباي على بعد ثلاث كيلومترات من حمّام الانف الذي يتكوّن من مجموعة بنايات شامخة امام شاطىء رائع الجمال، يحتوي على جميع المرافق العصرية، ويُؤلف مركزاً ممتازاً.

في هذا المنظر الساحر ناقش قادة الجمعية، الذين قُدّر عددهم بحوالي مائة والذين قدموا من جميع الآفاق التونسية، المسائل المعقّدة التي تتعلّق بالفروع الكشفية الثلاثة إضافة الى التنظيم العام.

ردّاً على دعوة اصدقائنا «الرواد» (ر.م.ت) اوفدت جمعية الكشافة الإسلامية (B.S.M.A) وفدا من اربعة أعضاء تحت رئاسة القائد العام بالنيابة، وهذا نظرا لوعيها بأهمية هذا المؤتمر. استُقبل وفدنا استقبالا أخويا وشارك في جميع اشغال المؤتمر، سواء في إطار اللّجان عندما كان الأمر يتعلق بدراسة المشاكل التقنية او خلال الجلسات العامّة عند التطرّق للمسائل العامة وتحديد وجهات الجمعية.

لاحظ وفدنا بأن الكشافة التونسية المستفيدة من الدّعم الذكي للسلطات العمومية حقّقت تقدّما ملحوظا «الرواد» (ر.م.ت) الذين بذلوا مجهودات تستحق الثناء في الفروع الثلاثة. فبرزت فيهم روح المبادرة في تحضير البرامج التي حرصوا على تكييفها مع نفسية التونسي، فهم يوجّهونها نحو غاية ليست سوى تشكيل نموذج الإنسان الذي تحتاج تونس إليه.

خلال إحدى الجلسات العامة تمّت مناقشة التقارير الأدبية والمالية بموضوعية وبروح نقدية نالتا إعجابنا. كما تم انتخاب الرئيس القائد العام في اليوم الأخير تحت رئاسة القائد العام بالنيابة للكشافة الإسلامية الجزائرية (BSMA). فقد جرت في الهدوء والكرامة، واعيد، في ظلّ هذه الأجواء، انتخاب الرّجلين اللذين كانا يُمسكان بمقاليد الجمعية وهما سي الهادي السافي والدكتور اسطمراد. تمّ ذلك بالإجماع (ناقص اربعة اصوات).

ويعبّر هذا الإجماع حول هذين الاسمين عن تقدير القادة لرئيسهم وقائدهم العام بصفة ملموسة، وكذلك عن الثقة التي عرف هذان الأخيران كيف يكتسبانها ببذل مجهودات اثمرت نتائج ملموسة.

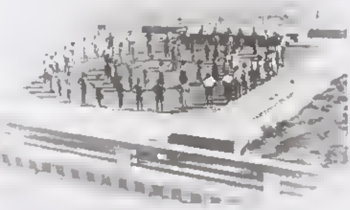
إن جمعيتنا التي تهتمّ بإعطاء الجزائر كشّافة في مستوى تطلعاتها، في ظروف صعبة، لا يمكنها إلاّ ان تسعد لرؤيتها منظمة شقيقة تكدّ من اجل نفس المثل الأعلى.

إن النجاح في الميدان التربوي يتوقف عادة على المجهودات التي لا يُرجى من بذلها شكر والمواظبة والشجاعة وروح التضحية. كل هذه الشروط موجودة عند إخواننا «الرواد» (ر.م.ت)، لذا يمكن النظر الى مستقبل المنظمة بتفاؤل كبير.

كما تحيي جمعيتنا أيضا مشاركة وفدنا في أشغال المؤتمر، إذ نرى فيه مؤشرا مبكّرا يُبشر بعلاقات صداقة فعلية على المستوين التقني والرّوحي في إطار مُثل الأخوة الكشفية تعود على المنظمتين بفائدة عظيمة.

محمد جيجلي

(C.G.A) رئيس وفد الكشافة الإسلامية الجزائرية (B.S.M.A)



مؤتمر الكشافة الإسلامية التونسية بالمركز التربوي لبير الباي (تونس) - 1949

الوثيقة رقم 1

6 - مؤتمر سطيف 1950

التقرير الأدبي للقائد العام

بقلم: الطاهر التجيني، سطيف 1950

أيّها القادة، إخواني الأعزاء،

عملا بتقليد عريق، أتحمّل عبئًا ثقيلا يتمثل في تقييم وضعية جمعيتنا أمامكم، تحديد رزنامة العمل المُحقّق بأمانة، وإحاطتكم علما خاصة بما تبقى لنا عمله كي تقوم حركتنا بالمهمة التي عزمت على إنجازها.

ينعقد أول مؤتمر وطني لنا في ظرف يتميّز بالترخيص للكشافة المسلمين الجزائريين(BSMA Boys-Scout Musulmans d'Algérie) بالنشاط في البلاد بصفة رسمية. هي رخصة مُؤرّخة بالشهر المنصرم ولم تصلنا إلا مؤخرا.

عدد مُعتبر منكم يكونون قد سمعوا نفس الكلام قبل سبع سنوات وهم يتذكرون النقاش الذي دار حول الاعتراف والترخيص خلال المجالس الفيدرالية الكشفية في 1943 و1944 و1946. ماذا يمكن أن نقوله؟ ألم يُرخص لنا من قبل بالنشاط؟ هذا هو السؤال الذي يدور في خلدكم. ألسنا ورثة الكشافة الإسلامية الجزائرية الحقيقيين والقائمين بمواصلة نشاطها؟ ألم نكن ننشط حتى اليوم ككشافة مُتمتعين بكامل حقوقنا؟ ولكن عندما أصبحنا الكشافة المسلمين الجزائريين (ف.ك.إ.ج) (BSMA) لم يعد عندنا رخصة، هناك ازدواجية الكشافة الإسلامية (ك.إ.ج) و(ف.ك.إ.ج) هذه هي الإشكالية المطروحة علينا بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر الأول. مهما كان النفور الذي ينتابني وأنا أذكر قضية سيدي فرج والانشقاق الذي نجم عنه، إلا أنني مُلزم بالحديث إليكم عنها. إنها ذكرى

محترقة للأغلبية منّا. عشر سنوات من النشاط المشترك والعمل المتواصل الذي قامت به كل الشبيبة كادت أن تذهب ادراج الرياح الى الأبد. وبلغ الأمر الى حد أن وجود الحركة الكشفية الجزائرية في حد ذاته بات مهدّدًا. كنّا بضعة عناصر مُكلفة بالتحدث باسمكم كقادة كشافة، فقلنا وبيّنا لبعض الماكرين وبعض الضّالين وللمعنيين حيثما كانوا، بأن الكشافة الإسلامية لم تكن مُستعدّة للموت.

وجدت قضيتنا آذانًا صاغية. لكن أظن انه من واجبنا المقدّس تحت الكشافة الإسلامية (ف.ك.إ.ج) أن تقول وتُكرّر وتهتف بصوت مرتفع بأن الكشافة الإسلامية كما أرادها مؤسّسوها الأوائل، كما مارسناها نحن طوال سنوات قد أنجزت مهمتها إنجازا كاملاً. مادام قد أريد تحرها باسم الوطن، ومادام الأمر قد تعلّق بالوطنية في سيدي فرج في مارس 1948، تقول والحقيقة حليفتنا قد تم الوفاء بالتزاماتها وفاء كاملا. وكل من لم تُعمه نيّته السّيئة والتعصب الضيّق لا حيلة أمامه سوى الاعتراف بذلك. رغم إمكانياتها الضعيفة، فإن الكشافة الإسلامية قد أطّرت اكبر عدد من الشباب، علّمتهم فتح آذانهم على ما يجري حولهم باهتمام، كما أنقذت عددا كبيراً من الرداءة التي كانت تسبح فيها شبيبتنا، وفتحت لهم آفاقا جديدة ووهبتهم، وهذا هو الأهم، نوعا من الوعي بحالتهم الاجتماعية. إذا كان دور الحركات والمنظمات والاحزاب السياسية يتمثل في المطالبة بالحرية لمنحنا، فإن كشافتنا قد عملت وستعمل أكثر ممّا مضى من أجل أن تُصبح شبيبتنا جديرة بهذه الحرّية وتفرض وجودها باحترام على الساحة، إذن فبفخر واعتزاز تستطيع كشافتنا تقديم نفسها للبلاد كحركة واعية برسالتها ولها فكرة واضحة عن إمكانياتها ووسائلها.

إخواننا بالأمس، خصومنا اليوم، ماداموا ينظرون إلينا بهذه الصّيغة، أرادوا أن يضعوا للكشافة أهدافا أخرى ودورا آخر. لقد بيّنت التجربة أن الحق في جانبنا. وسيتكفل المستقبل بالفصل بيننا نهائيا حول هذه النقطة. لقد ارادوا استعمال وسائل تتنافى مع روح الكشافة، وأنا أعني هنا

المكر والغدر والنّميمة التي لجؤوا إليها قبل سيدي فرج والتي مازالوا يلجؤون إليها اليوم.

أكيد أننا لم نتخلّ عن تسميتنا القديمة دون أسف، وحتى عن إشارتنا السابقة، كما لم نصل الى الانشقاق إلاّ ولم يبق سبيل لتحاشيه.

لكن أكرّر، إذ الأمر كان يتعلّق حتى بمصير وجود الكشافة الإسلامية الجزائرية ككل. بعيدا عن التحيّز والنزوات، في هدوء وبعد تفكير عميق مُدعّم بثقة عددكم الكبير كقادة، اخترنا هذا الحل الأخير وشرعنا في العمل.

هل من اللازم أن أذكّركم بأني كنت قد أطلقت صفارة الإنذار الأولى قبل سنتين خلال الأيام الدّراسية بقسنطينة، مُركّزا على ضرورة العمل مع البعض؟ قلتُ: «من الضروري أن ندرس كل شيء مع بعض لضمان استمرار وحدتنا».

منذئذ، نُشرت دراسة حول الأسباب العميقة، ومحتويات هذا الانفصال في نشرتنا الاولى، لا فائدة إذاً في الالحاح والتكرار إذ يُمكنكم الرّجوع إليها.

في سيدي فرج، كما يتذكر العديد منكم الى يومنا هذا، تفادينا السّقوط في أحداث تندم عليها في المستقبل؛ في الغد تفادينا الرّد على الشتائم التي أرادوا أن يدفعونا إليها. بقينا في الميدان التربوي البحت. بالنّسبة إلينا لا يمكن لأحد أن يكون قاضيا في هذه المسألة سوى هؤلاء الذين ضحّوا بنصيب من وقتهم وبالكثير من صحتهم. لهذا كان ردّنا على الشتائم التزام الهدوء.

أريد الاستيلاء على مقرّاتنا باللجوء وفي غالب الأحيان الى القوة. لحسن الحظ افشل قادتنا كل الدّسائس. وهناك بعض النزاعات لم يُفصل فيها بعد؛ نحن ننتظر قرار العدالة.

بالفعل الجمعية الاستثنائية التي جرت بسيدي فرج كان وراءها حزب سياسي تربطنا به الى حدّ ذلك الوقت علاقات حسن جوار، طبيعية، حدّثونا عن «الحزب الواحد»، عن كل شيء سوى عن الكشافة والطفل المسلم الجزائري الذي كان شغلنا الرئيسي. إذن فالقرارات كانت قد اتّخذت مُسبّقا. بقي آنذاك حلاّن مُمكنان: إما التخلّي عن عمل تطلب عدةّ سنوات، أو العودة مرّة

اخرى الى المعركة من أجل بعث كشافة أكثر طهارة، وتفوّق الحلّ الثاني على الأوّل، وأسس الفريق الذي ترونه أمامكم، ليستجيب لتدخلكم، «الكشافة الإسلامية الجزائرية» (BSMA Boys-Scout Musulmans d'Algérie) في يوم 17 ماي 1948.

أكيد أننا كنّا ضحايا لصدق نوايانا وارتكبنا أخطاء سنعمل على عدم تكرارها من طرف الكشافة الإسلامية (BSMA).

منذ سنتين، اضطرّ الكشافة الإسلامية (BSMA) الى بناء كل شيء من الصفر؛ والى تحرير القوانين الأساسية باستعجال؛ فيها نقائص، إننا واعون بذلك، سننظر في مراجعتها وإتمامها وتكييفها.

- مشروع قانون داخلي تمّ تقديمه لكم كي تتدارسوه، وهو ثمرة نقاش طويل داخل القيادة العامة، حرّره وسجله أميننا العام، وهو دون شك يحتاج الى الإكمال والتعديل. ولن نفترق قبل أن نتبنّاه.
- عُرضت عليكم إشارات في حجمين مختلفين، أظن انهما أعجبا الجميع. الفضل في هذا النموذج يعود الى المسؤول العام عن الخزينة. كان من الأصوب أن لا ننفذهما إلا بعد أن تتبنوهما، لكن الوقت داهمنا وكنّا بحاجة الى التحرك بسرعة.
- الاستمارات الأكثر ضرورة تم توفيرها للأفواج حتّى وإن لم تكملها جميعا، نحن على علم بذلك في القيادة العامة. لكننا توخّينا في ذلك الأخذ في الحسبان لإمكانياتنا المالية.
- نقص هذه الإمكانيات المالية لم تُمكّنا من نشر نشرتنا «الحياة» بانتظام، فاضطررنا لتقليص أهدافنا، لأسباب أخرى أيضا سيعرضها عليكم بالتأكيد خلال الأشغال القائد أيرعمران.
- كذلك دار الـ (BSMA) لم يتم إنشاؤها بعد في مدينة الجزائر، سيكون ذلك هدفنا المستعجل في الغد. وأؤكد مرّة أخرى على مطالبة الجميع ببذل التضحيات مع الجميع، جنبا الى جنب. فعليكم أن تُقرّروا وتبحثوا عن الطّرق العملية لإيجاد الأموال الضرورية لتحقيق هذه الغاية.

سيقدم لكم فيما بعد مسؤولنا العام للخزينة ميزانية الجمعية وسترون بأنها إيجابية. طوال أكثر من سنة كان جانبها المدين يُقدّر بـ: 000 200 فرنكا. ساكون قد قصّرت في واجبي، حتى ولو ادّى بي ذلك الى جرح كرامة وتواضع أعضاء قيادتنا العامة، لو سكتُّ عن المجهود الرائع الذي بذلوه جميعا أثناء تأسيس الكشافة الإسلامية (BSMA).

الافواج التي تُشاطرنا الراي مشتتة، ومعنوياتها متدهورة، ولم يكن أمل إصلاح هذه الوضعية الحرجة يُساور سوى قلة من القادة. النداءات التي وجهها القادة والأفواج الحائرة كانت وراء ردّ الفعل الأول للفريق المُسيّر الحالي. وبعد تدارس الوضعية، قام القادة بمجهودات لتصحيح الوضع وبنشاط تنظيمي أعطانا ذلك الدفع الضروري. فتنقلوا على نفقاتهم ونشطوا ووفّروا الأموال الأولى الضرورية لتحريك جهازنا الإداري. فعادت الثقة، وتطورت الجمعية، والتحق بصفوفنا عدد كبير من الافواج، وأخرى هي في طريق الشروع في العمل. كما زاد التجاوب الشعبي أكثر فاكثر مع جمعيتنا في مختلف أنحاء البلاد. إن هذه النتائج تعود الى النشاط الذي لا يعرف الكلل لعناصرنا ولانسجام أعضاء الفريق المُسيّر والى التحمّس الرزين والبنّاء لافواجنا.

وإذا كان الحد الادنى مما يجب فعله قد تمّ على المستوى الإداري، فعلى المستوى التنظيمي مازالت الأعمال تنتظر قيامنا بها. إننا نعيش وضعية مؤقتة. فالى حد الساعة لم تُحدّد بعد أقاليمنا ومناطقنا والمسؤولين عليها. فقيادتكم العامة كانت منشغلة كثيرا بالمعركة الشرسة التي كان يجب القيام بها على عدة جبهات. فعلى المستوى الخارجي انشغلت بالدفاع عن الوجود القانوني للكشافة الإسلامية (B.S.M.A). أما على المستوى الداخلي فقد عملت على إقناع المترددين وهداية الآخرين بإمكانيات جدّ محدودة بالضرورة. نشاطنا الخارجي هدفه الأول الحصول على رخصة جمعيتنا. وكان يجب ان نحصل عليها ككشافة إسلامية (BSMA) بوساطة «الكشافة الفرنسية»، وهي جمعية مرخص لها. لقد أردنا ان نسلك نفس الدّرب وبمجرّد ان اتخذت «الكشافة الفرنسية» موقفا حول

جوهر مسألة الانشقاق، قدمنا طلبا للانضمام الى هذه المنظمة. لكنها طلبت منا متسعا من الوقت للتروي في الموضوع، وعبرت عن رغبتها في الاطلاع على نشاط جمعيتنا واختبار كفاءة مسؤولينا وقادتنا. لم تكن هذه الاجراءات لتساعد على تيسير علاقاتنا. فاحتججنا ضد هذه التصرفات والمماطلة في ردّ الجواب وأكدنا على إبقاء طلب الانضمام. وبعد 15 شهرا، لم تُقرر أثناءها « كشافة فرنسا » اي شيء بخصوصنا، علمنا بانها في مشاكل مع الإدارة العليا، ليس بخصوصنا، بل بسبب الكشافة الإسلامية (SMA)، فعمدنا الى سحب طلبنا حتى لا يمسّنا أيّ إحراج ولتفادي منافسة أقلّ ما يُقال عنها إنها مصادفة سيئة. تم هذا السحب في نوفمبر 1949.

في نفس الفترة، علمنا بأن حركة كشفية جديدة، رغم انها لا تنتمي للكشافة الفرنسية. قد تحصلت على رخصتها من وزارة التربية. فأعددْنا ملفنا وقدّمنا طلبنا لنفس الوزارة، وكان ذلك امتحانا صعبا لقدرتنا على الصبر، لكننا متعوّدون على التعطيلات والمماطلات الإدارية؛ ونحن اليوم مُرخَّص لنا منذ 19 ماي 1950 بقرار من كتابة الدولة للتعليم التقني للشبيبة والرياضات. لقد قدّمت لكم نص هذا القرار. فهو يُعلّق في مادّته الثانية رخصتنا بتأسيس مؤسّسة تنسيق بين الجمعيات الكشفية في الجزائر.

فانتم مُطالبون إذن بمناقشة هذه المسألة الخطيرة ولا اريد ان تكون لي اي احكام مُسبقة حول ما ستُقررونه، لكن ما يمكنني ان اقوله منذ الآن هو انه من الواجب عليكم أن تخرجوا من مناقشاتكم وانتم جازمون رسمياً بأن كشافتنا لن تقبل بايّ شكل من اشكال الابوة مهما كانت.

نحن نمدّ يداً أخوية الى جميع الحركات الشبابية بصفة عامة، خصوصا على مستوى الحركة التربوية والكشفية. فالشباب هو الذي يصنع عالم الغد، وإحتكاكنا بهذه الحركات يُمكّننا من تطوير مناهجنا واختبار مبادئنا. لكننا غيورون على استقلاليتنا، كما سبق أن برهنا على ذلك، نريد ان نشتغل مع الجميع في إطار المساواة المطلقة. بمبادىء كهذه كان بالإمكان تفادي الكثير من مظاهر عدم التفهّم وسوء التفاهم.

لسنا ضد مؤسّسة التنسيق، التي يتحدّث عنها قرار الرّخصة، بصفة مسبقة. لكنّنا نرفض بأيّ شكل من الأشكال أن يتم التعامل معنا باحتقار.

وسيكون موقفنا تابعاً دائما من هذا المبدأ في أي فيدرالية أو منظمة سواء كانت وطنية أو دولية. وكلّما أتيحت لنا الفرصة سنُسمع صوتنا للآخرين، صوت شبيبة لم يساعدها الحظ، باستثناء الأقلية القليلة التي تُعتبرون نواتها، في التعلّم والتربية والتحرّر. لقد عبّرنا عن كل هذا باسمكم في الجمعية العالمية للشبيبة ببروكسل في أوت 1949 عندما تطرّقنا الى التعليم والعمل وإمكانيات الترقيه في البلدان. قمنا بنفس الشيء في مختلف المخيّمات الدّولية التي شارك فيها قادتنا. سنُضاعف من هذه الاتصالات وندفع الى مناقشة ودراسة مشاكل الشبيبة كُلّما تمّ طرحها، دون أية قيود. سنربط علاقات ونشارك في مناقشات مع كل حركات الشبيبة في شمال إفريقيا وخاصّة مع التونسيين الذين يقومون بعمل تربوي يستحق الثناء. وأنا أعني هنا بصفة خاصّة أصدقائنا «الرواد المسلمين التونسيين» الذين يُعتبر وجودهم اليوم بيننا ضامنا أكيدا لروابط أكثر فأكثر إثمارا. (تصفيقات).

دفعتنا الظروف داخل جمعيتنا الى بعض المرشدين. هل يتطلّب الامر أن اقوم بتعداد مُملّ لجميع نشاطاتنا؟ وهل نحن في حاجة الى القول بأن انشغالنا الأساسي تمثّل في تكوين الإطارات في مخيّمات وطنية ومخيّمات التخصّص ومخيّمات أخرى لم تُفرّط في شيء سواء لتنظيمها أو لتسهيل تنظيمها على الافواج. وإذا وُجد مجهود جدير بالتقدير داخل القيادة العامة، فإن أفواجنا من جهتها، باستثناء بعض الحالات، لم تتردّد امام أيّة تضحية من أجل الاستجابة لتوجيهاتنا. وانا اهنّئهم على ذلك.

وقع تركيز كل مخيّماتنا التكوينية بمدينة الجزائر، وفيه بعض النقائص والعيوب. فبعض قادة الأفواج خصوصا في الجهات البعيدة جداً عن العاصمة اثاروا انتباهي إليها من قبل. في المستقبل سنعمل على إنشاء مخيمات على مستوى الولايات.

مخيماتنا في العطل لقيت تجاوبا وعملنا في هذا الميدان بدأ يعطي ثماره. وطلبات المشاركة فيها ترتفع اكثر فاكثر. لكن صعوبات التمويل وندرة المحلات اللائقة لإقامتها او بُعدها والفقر المادي لعناصرنا بصفة خاصة، تجعلنا مضطرين لتحديد اهدافنا. ونحن محرومون كثيرا بالنظر الى بعض المؤسسات أو المنظمات التي لا تُمنح لها العُطل المدفوعة الأجر لمدرائها او ممرّني المصائف فحسب، بل تدفع هي نفسها اجوراً لجميع الذين يشتغلون في صفوفها دون استثناء. نحن تطلب ممّن ليهم الحق في توزيع المنح ان يمدّوا مساعدة اكثر فعالية للمنظمات التي تنقصها الإمكانيات والتي تتميز العناصر المُجنّدة بداخلها بانتمائها الى الأوساط الفقيرة، او على الأقل ان لا يتم إخضاع توزيع هذه المساعدات لشروط اخرى غير المردودية، وفعالية العمل التربوي.

في هذا المضمار، ستُعطى لكم فرصة التعبير عن اقتراحاتكم فيما يخصّ نمط توزيع الإعانات داخل جمعيتنا. فالأمر يتعلق، فيما اعتقد، ليس فقط بوضع جميع الأفواج في نفس المستوى، بل حتى بإعطاء الأفضلية للافواج الاكثر فقراً من حيث الإمكانيات. على كل حال، تقوم جمعيتكم، بمواردها الضعيفة، بتحقيق المستحيل لمساعدتكم وتسهيل العمل عليكم. وانا مُتيقّن انها قادرة على تحقيق نتائج احسن في المستقبل القريب.

لقد اهتمّت الحركات الشبانية الى يومنا هذا أكثر بالفتيان المسلمين من الفتاة المسلمة. الكشافة الإسلامية (BSMA) تفتح بمقتضى القانون الاساسي ابوابها لفتياتنا، هناك تجربة يقوم بها القائد العام بالشبابة جيجلي في قسنطينة في هذا الميدان قد بدأت تُعطي ثمارها.

عدة مخيمات صيفية نُظّمت بنجاح في مختلف الاقاليم، في عنابة، في جيجل ومناطق اخرى. فقد شاركت فيها فتياتنا وكانت لهن اتصالات نقلتهن الى الطرف الآخر من الجزائر، الى تلمسان خاصة حيث كان الانطباع الناجم عنها مُشجعا للغاية، بل كان الاكثر تشجيعا لنا من غيره. وهذا يدلّ على التعاطف الكبير مع مجهوداتنا ويُبيّن بأن آفاقا واسعة



مؤتمر سطيف - 1950

سنفتح في وجه جمعيتنا. سوف ننشيء افواجا تسوية حينما تمكننا إن الاحتياطات مهما تعددت لن تكون إلا مفيدة؛ لأن حطوة خاطئة قد تُهدّد بتحطيم كل شيء. ومهما كانت المخاطر، يجب تناول مشكلة البنت المسلمة، الإسهام في تحسين حالها، والعمل على ان تُصبح أخواتنا غداً أمهات ابنائنا في المستقبل على قدم المساواة معنا، ولن يتحرّر شعبنا دون تطوّر المرأة، والرجال وحدهم لن يستطيعوا عمل أيّ شيء. والمثل العربي يقول «اليد الواحدة لا تُصفّق».

عملنا يرمي الى:

- تنمية روابط الصداقة والأخوة التي تجمع بين مكونات الأمة الإسلامية وجعلها أكثر فعالية.
- توسيع مجال حركتنا الى ابعد ما يمكن.
- دعوة جميع الإرادات الطيّبة الى العمل جنبا الى جنب.
- يجب ان تعرف ماذا تُريد ولا تسعى إلا فيما تستطيع فعله، اي علينا ان نكون واقعيين.
- الوعي بالمشاكل، كل المشاكل التي تهمّ بلادنا والتي لها صلة بتطوّرها وتحرّرها.
- المساهمة في وضع لبنات المجهود الاجتماعي الضخم الكفيل بتمكين الجزائر من تبوأ المكانة التي تليق بها بين شعوب القرن 20.
- تقديم الخدمات لمساعدة الإخوة الاكثر حرمانا.
- بعبارة مُوجزة، العمل على ان يصبح شبابنا في المستقبل مواطنين نشطين وسُعداء. هذه هي المهام الثقيلة التي تنتظركم والتي تُشكّل اهداف جمعيةالكشافة الإسلامية (BSMA).

تحيا الكشافة الإسلامية،

وتحيا الجزائر.

الطاهر التجيني

الوثيقة رقم 2

مجلس إدارة جديد

انتخبت الجمعية العامة للكشافة الإسلامية (BSMA) المنعقدة في سطيف يوم 26 جويلية 1950 بالإجماع مجلس الإدارة الآتي:

– الرئيس: الطاهر التجيني، أستاذ، 4 شارع الرائد (Roumens)، مليانة.
– نائب الرئيس: محمد حيجلي، أستاذ، 15 شارع (Pierre loti)، قسنطينة.
– الأمين العام: بوعمران الشيخ، مُعلّم، ٥ شارع روفيغو، الجزائر.
– الأمين العام بالنيابة: صادق الفول، خبير لدى المحاكم، طريق (Adelia)، مليانة.
– المسؤول العام عن الخزينة: قاصد علي يوسف، موظف لدى مصالح الضرائب، حي حمامة، مليانة.
– نائب المسؤول العام عن الخزينة: محمد القشعي، تاجر، تيزي وزو.
– المساعدون: مصطفى علّون، إسكافي، 2 شارع تاغاست. سوق أهراس.
أحمد بن مشنة: ميكانيكي، برج منايل.
محمود بن محمود: طالب، حي المكافحين (Combattants)، سطيف.
مالك بن سي رجل آداب (Luc cleret) عبر Dreux (Eure et loire).
لخضر دومي: ممرّض، 16 شارع (Aumale) سطيف.
محمد القسيري: أستاذ، 22 شارع قسنطينة، سكيكدة.
علي بن قاضي: وكيل قضائي، فرندة.
عبد القادر ميموني: صاحب مكتبة بـ 37 شارع (Chartres)، الجزائر.
محمد مراوي: وكيل قضائي، بسكرة.
محمد نقمة: موظف بالبريد والمواصلات، شارع (Adélia) ، مليانة.

نداء «الحياة»:

سبق لي أن قلتُ بأن «الحياة» ملكية مشتركة لنا، ويتطلب ازدهارها عملاً يقوم على التعاون والثقة، فالأفكار السّليمة والملاحظات الصحيحة ليست حكرًا على المسؤولين فقط. رجاحة العقل هي الشيء الذي تشترك فيه البشر أكثر من غيره في العالم. فلنمارسه إذن مع بداية السّنة، أدعو كل الكشافة الإسلامية (BSMA) أن يُمكّنوا «الحياة» من الإثراء ومن الاشعاع. «فالحياة» هي جريدة الشباب، ويتوقف عدد قرائها وانتشارها على إرادتنا فقط، هذا المجهود يبذله كل قائد وكل جوّال، أنا مقتنع بذلك، فارسلوا إلينا إذن المقالات والبيانات والتقارير والدراسات والأشعار والأقاصيص والحكايات والألعاب والألغاز...إلخ. ولايهمّ إذا كانت محرّرة بأسلوب ضعيف، فسوف نتكفل بصقلها بما يتلاءم. شاركوا جميعا في نشاط «الحياة».

المكلف «بالحياة»: أبوعمران الشيخ

المراسلة: 5، شارع روفيغو – الجزائر.

الوثيقة رقم 3

لوائـح

أعضاء الكشافة الإسلامية (BSMA) اجتمعوا في مؤتمر بسطيف من 22 إلى 26 جويلية 1950 والذين يعتبرون بأن :

1) أحد الأهداف النبيلة للكشافة يتمثل في ربط أواصر الأخوة العالمية.

2) من واجبهم الاجتهاد في توسيع هذه الروابط الى كشافة العالم بأسره.

3) من الضروري لكشافتنا (BSMA) القيام باتصالات رسمية نافعة مع جميع الجمعيات الكشفية الدولية.

4) من واجبهم العمل على توسيع هذه الروابط المُثمرة على المستوى التربوي والعمل معاً لتنمية مناخ للتفاهم المتبادل.

يوكّلون قيادتهم العامة بإيداع طلب قبول جمعيتهم لدى المكتب الدّولي للكشافة بلندن.

الكشافة الإسلاميون الجزائريون (BSMA) الذين اجتمعوا في المؤتمر بسطيف من 22 الى 26 جويلية 1950 بعد الاطّلاع على القرار رقم: 818 المؤرّخ بتاريخ 19 ماي 1950 الموقّع من طرف السيّد الوزير كاتب الدّولة للشبيبة، والتعليم التقني والرياضات القاضي بمنح الرّخصة الوزارية لجمعية الكشافة الإسلاميين الجزائريين.

وبعد مداولات طويلة.

-يسجلون حصولهم على الرخصة بارتياح ويوجهون أحرّ تشكّراتهم إلى السيد الوزير.

- يحتجون مع ذلك على محتوى المادة الثانية من القرار التي تُعلّق الرخصة بمشروع تأسيس منظمة تنسيق بين الجمعيات الكشفية في الجزائر.

– يلاحظون التضارب بين المادة الثانية مع روح ونص المادّة الاولى.
– يعتبرون هذا الشرط تمييزا أقل ما يُقال فيه انه مفاجيء.
– يطالبون بالاجماع من السيّد الوزير، كاتب الدّولة للشبيبة، والتعليم التقني والرّياضات، إلغاء المادة الثانية من القرار المذكور اعلاه.

إن الكشافة الإسلاميين الجزائريين في اجتماعهم بمؤتمر سطيف من 22 الى 26 جويلية 1950، بعد الأطلاع على مشروع تأسيس فيدرالية جامعة للجمعيات الكشفية في الجزائر.

وبعد المداولات الطويلة.

قبل اتخاذ أيّ قرار حول جوهر المشروع المذكور، يرون انهم لا يستطيعون مناقشته طالما انه لا تسمح لهم رخصة جمعيتهم بنفس الحرية المسموح بها للجمعيات التي ستنضمّ إليها.

– يوكّلون القيادة العامة لجمعيتهم بالتدخل لدى السيّد الوزير كاتب الدّولة للشبيبة، والتعليم التقني والرياضات لبعيد النظر في نص الرُّخصة.

ويحتفظون بحق فحص المشروع بعد القرار الوزاري.

– يوجهون نداء الى روح التفهّم لدى أصحاب المشروع كي يعتبروا أن موقف الكشافة الإسلامية (BSMA) لا يشتمل على أيّ إقصاء ولم تمله عليهم سوى المصلحة العليا لجمعيتهم.

«الحياة» – أكتوبر – نوفمبر 1950

7 - بعض المخيّمات للتكوين (1951–1952)

الوثيقة رقم: 2
المخيّم المتنقل للجوالة - ربيع 1951

(من 19 الى 24 مارس 1951) في القبائل الكبرى

استغرق المخيم المتنقل للجوالة الذي يشتمل على 24 عنصراً، من الاثنين 19 مارس الى السبت 24 مارس بما فيها هذا اليوم الاخير، اي 6 ايام كاملة.

صيغة المخيّم المتنقل:

هي أوّل تجربة من نوعها منذ انطلاق نشاط الكشافة الإسلامية (BSMA) بدت ذات فائدة واضحة.

تناسب المجهود البدني، 20 الى 25 كلم مشيا على الاقدام يوميا مع حاجات وسن الشبان الاقوياء هم في طور النموّ. المخيّم المتنقل هو احسن طريقة لاكتشاف بلاد وأناس كُرماء للغاية، عكس الاحكام المسبقة المنتشرة.

جوّالة الكشافة الإسلامية (BSMA) لم يمرّوا دون صنع الحدث حينما حلّوا في منطقة القبائل إذ التّحقيقات والسّهرات الشعبية سمحت لنا بالبقاء على اتصال دائم مع الناس، وأدى ذلك الى نشوء تعاطف بيننا. وهذا ما يجب بالذات القيام به إذا رغبنا في ان تكون كشافتنا فعّالة ومحبوبة من طرف الجميع.

النشاطات:

تناولنا بالنقاش بصفة عامّة المسائل التقنية والثقافية والاقتصادية والرّوحية... الخ، انطلاقا من تحقيق حيوي وملموس. على سبيل المثال، قبل الحديث عن تصنيع البلاد، قمنا بزيارة طويلة الى المصنع الجديد الخاص بالكهرباء المائية (hydro-électrique) بسوق الجمعة. دراسة مستشفى

القديسة «أوجيني» في بني منقلات سبقت مسألة الإنقاذ على الطريق، ومكافحة الامراض. أما التطرق الى مدرسة التكوين المهني بوادي عيسي التي يتخرّج منها حرفيون مؤهّلون في التجارة والهياكل والميكانيكا والكهرباء... الخ، فقد كان نقطة انطلاق نقاش حول ورشات العمل والتوجيه المهني والبطالة.

إثر كل تحقيق وبحث، أو زيارة تُقدِّم الفرق تقريرا كتابيا يناقش في الحين في جلسات، وهذا ما نعتبره أسلوبا ممتازا لإيقاظ روح النقد ومحاربة الخمول.

وانشغالنا الدائم تمثّل في معرفة السكان ونشاطاتهم وعاداتهم. في تاوريرت ميمون، القرية الصغيرة في بني ينّي، طلب منّا الدكتور معمري أن نُركّز بصفة خاصة على العمل الإنساني والاجتماعي إثر تبادلنا النظر الذي دام وقتا طويلا. الدكتور معمري شاب يمتلىء حيوية.

المنطقة:

تمكنّا بالفعل من الوقوف على الصعوبات التي تبعث على القلق بكل خطورتها في منطقة فقيرة، ومكتظة بالسكان. كل واحد من الجوالة فهم لماذا يهاجر القبائلي، وشعر بالروح الإسلامية الضاربة بعمق لدى القبائلي رغم ما تشيعه الدّعاية الهادفة والموجّهة. الطريقة التي استُقبلنا بها، من جهة اخرى، تميّزت بدرجة عالية من الكرم جعلت كل الذين حازوا من بيننا بافكار مسبقة عديدة – يعترفون بذلك صراحة – فرجعوا متحمّسين ومتأثرين. في عدد من القرى تمت دعوتنا لتناول الشاي أو لتناول الغداء، كما أعطيت لنا هدايا رمزية. وعندما تعلق الأمر بالمبيت في جهة معيّنة، منحونا المأوى الضروري دون أية صعوبة. يُضاف الى الجانب الإنساني الجذّاب، جمال الطبيعة والخضرة ووفرة الماء والارتفاع الشاهق والليالي المُقمرة والسلم والطبيعة الجبلية كانت كلها عناصر لنجاح المخيم المتنقل.

مستوى المتربصين:

إن الجوالة وبعض قادة الفرق، الذين تربوا وسط تقاليد معينة، لم يشعروا بالارتياح في البداية. لقد طالبوا بتوسيع مجال التقنيات كما هو الشأن داخل الفرقة. (المورس، فن البحارة الخ...).

لكنهم تاقلموا شيئا فشيئا مع مناخ الجوالة. وتفطنوا الى ان التقنيات عبارة عن وسائل موجهة لغايات أسمى، روح المسؤولية والوعي بالتمية للمكلفين بالتربية والحس الاجتماعي والروحي.

إن دور القائد غير مفهوم أحيانا. فهناك من يجعله زعيما معصوما، شموليا، لايُناقش والمسؤول الفريد ما بين مرؤوسيه. عند انتهاء المخيم تم الفهم بأن القائد مُطالب بأن يكون مُقنعاً وذا نفوذ، كما يجب ان يكون مُحفّزا للمبادرات وليس خائفا لها ليجعل من تابعيه مُجرّد أدوات للتنفيذ.

خلاصة:

بصفة عامة، يمكن الجزم بنجاح المخيّم المتنقل ومن الواجب الاستمرار في هذه التجربة. الفائدة المستخلصة من هذه المحاولة، بغض النظر عن الفائدة العادية لمخيم وطني، تتمثل في اكتشاف منطقة جذابة وفي الاشعاع الذي نجم عنه بالنسبة للجمعية لدى الرأي العام الذي لم يكن يعرف، بكل صراحة، سوى القليل القليل عن الكشافة. يجب الخروج من العزلة والظهور امام أعين الناس كما نحن عليه وإشهار عملنا ومنهجيتنا والشخصيات التي التقينا بها طالبونا بذلك. وحتى مصلحتنا تقتضي ذلك. لقد اكتسبنا رضاء المنطقة، فلنواصل السير الى الأمام.

أقول في النهاية بأن مخيّم الجوالة استجاب بصفة عامة للاهداف التي حدّدت له. فالأمر يتعلق بالنسبة للمتربصين بإتمام تكوينهم من جهة والوعي من جهة أخرى بالمهام الضخمة التي تنتظر الرجال ذوي الإرادة الطيّبة كي تجعل من هذه البلاد وهذه الشبيبة الجزائرية بلاداً وشبيبة جديرتين بالالتزام بواجباتها في عالم عصري وفي إطار الأمة الإسلامية.

القائد الوطني للجوالة

أبوعمران الشيخ

الوثيقة رقم 4

المخيم الوطني للرواد - ربيع 1951 في الرياض

أقيم مخيّم مزدوج في «الرياض» من 20 الى 24 مارس 1951. في يوم الثلاثاء صباحا أتى إلينا 70 كشافا سيكونون تحت مسؤوليتنا طوال هذه الأيام.

النشاطات: الكشافة كوتوافرقة موزعة على 5 وحدات منهم 44 كشافا يقودهم القول ومراوي وسلس. كانت هذه الفرقة تحمل اسم «ابن باديس». نشطت وحدها ولم تجتمع سوى في الصبح او في اوقات الأناشيد والسهرات مع الفرقة الثانية.

قادة الفرقة ونوابهم توزعوا على مجموعات على أساس 8 أفراد لكل وحدة والقادة هم: تكفة ورمضاني من تدرومة وابن محمّود، هذه الفرقة تحمل اسم «ابن خلدون».

بصفة عامة طبقت كل البرامج في اجواء حماسية دامت طيلة مدة المخيم وكانت قيادة المخيم راضية على العمل المبذول والنتائج المُحققة.

– الزيارات: تلقّينا زيارة السيّد عباس التركي مصحوبا بحيموني، وكذلك زيارة لجنة بوفاريك بواسطة محمد اسطنبولي والشيخ محي الدين (الجمعة 23 مارس) وقائد المخيم (Chevalier) من (فرنسا) جاءنا ليدعونا الى قضاء سهرة، وجاء معه (Maian) الذي ينتمي الى المسيحيين التقدميين ورئيس الحي الجامعي (la Roberstsau) شارك في احد مجالستنا وقضى معنا إحدى السّهرات. أما زيارة السيّد المراقب العام للشبيبة في الجزائر (AGUESSE) فقد كانت مُنتظرة، ولكن لم تُحقق.

ملاحظات عامة:

- يجب أن نوكل مهمة تحضير العتاد بالنسبة للمخيمات القادمة لقائد الفوج الأقرب تفاديا لأيّ تضييع للوقت.

تحدثْت عن عدد المشاركين وكدت أقول إنه كارثة. ومع ذلك اعترف بأنه مؤشرٌ على الحيوية... المُفرطة. ورغم كل ذلك، حتى وإن انزعج المسؤول الفيدرالي للخزينة، فأنا لست غاضبا، لأن ذلك مكّننا من القيام باستعراض رائع عبر مدينة الجزائر وراية الكشافة الإسلامية (BSMA) ترفرف في الصباح وفي المساء مازال الحديث يجري حوله.

في الختام، أقول إن المخيم لقي نجاحا كبيرا، وبثّ فينا جميعا أملاً أكبر في مستقبل الكشافة الإسلامية (BSMA).

ابن محمود نائب القائد الوطني للرواد.

الوثيقة رقم 5

مؤتمر «ر.م.ت» (الرواد المسلمون التونسيون) 1952

بقلم: القائد جيجلي

عقد أصدقاؤنا الرواد المسلمون التونسيون (ك.م.ت) في هذه السنة مؤتمرهم السنوي في المركز الجميل لبئر الباي. فاشتغلت الكشافة هناك دون هوادة طوال ثلاثة أيام 20 و21 و22 سبتمبر 1952، في أجواء رائعة التقى فيها جمال البحر الذي كانت أمواجه تأتي لتندثر على مقربة من البنايات مع سحر غابة وجدنا فيها أنواعا مألوفة عند الناس.

اليومان الأولان من المؤتمر كُرِّسا للمشاكل الكشفية البحتة التي تمّ تدارسها في إطار اللجان واللجان الفرعية من طرف الفروع الثلاثة. تم تحديد الطريقة الواجب اتباعها داخل اللجان في تأنٍّ لكن بصورة أكيدة مع الأخذ في الحسبان الصعوبات والنتائج الواقعية للسنة المنصرمة. استُعرضت وجهات النظر المختلفة ونوقشت بحدّة تُعبّر عن نضج النفوس فقدّم مُمثلو جميع الأفواج بالفعل، عروضًا وافية على النشاطات، متبوعة باقتراحات وانتقادات، وهكذا اختمر ونضج شيئا فشيئا مخطط عملي للسنة المقبلة، واقعي، ومُكيّف مع الاحتياجات والظروف.

اليوم الثالث وهو الأهم خُصّص لقراءة التقارير الأدبية والمالية، وتلاها نقاش واسع شارك فيه كلّ المؤتمرين بحيث تناولوا بدقة إنجازات المسؤولين. هناك مسألتان دار حولهما نقاش ساخن: العلاقات مع الحركات الشبابية التي يتفاهم معها أصدقاؤنا التونسيون، ومسألة مهرجان «الجمبوري» الذي رفضوا المشاركة فيه، لأن حركتهم لم يعترف بها بعدُ المكتب الدّولي بلندن، الشيء الذي يُحرمهم من ظهور وفدهم في شكله القومي والرسمي والذي كانوا يُريدون أن يضفوه عليه. إن أصدقاءنا التونسيين يعتقدون بأنه لا يجب على الكشافة أن تعيش على هامش الأمة

إن سلوكهم هذا له ما يُبرّره في نظر من يعرف الأجواء السائدة حاليا في تونس، والإشكالية المطروحة بإلحاح في هذه البلاد.

هذا الموقف يطلبه أيضا على أصدقائنا كون الجمعية بإطاراتها المتكوّنة منذ فترة طويلة والعمل الجاد الذي تبذله منذ سنوات، إضافة الى الحماس الفياض لشبيبة متبصّرة، يجعلها تتبوّأ الصف الاول للمنظمات الإسلامية التونسية. لذا فمن الطبيعي أن يعتبروا أنفسهم أحد الأجنحة التقدّمية السائرة نحو الازدهار في بلادهم.

هذا الرأي أكّده لي حدثٌ هام. اعني هنا زيارة الباي الذي استُقبل بحفاوة كبيرة من طرف الكشافة بعد ظهر اليوم الثالث. هذه الزيارة تدل على عناية الحاكم بحركة تقوم بفرض نفسها أكثر فأكثر؛ كما بيّن هذا الاستقبال الحماسي تعلّق الشعب بالحاكم.

خلال فترة ما بعد زوال اليوم الأخير من المؤتمر، كان مُقرّرا أن يتم تناول مشروع وحدة فيدرالية تجمع مختلف الجمعيات التونسية بالنقاش في جلسة عامّة تجمع المؤتمرين من جميع هذه الجمعيات. لكن للأسف لم يحضر منهم سوى أعضاء (ك.م.ت)، ولم يستجب للنداء سوى مسؤولي «كشافة الأمل»(les Scouts de l'espoir)، وبعد ملاحظة التقصير المؤسف من طرف الجمعيات الأخرى، عزمت (ك.م.ت) وكشافة الأمل على العمل معا اليد في اليد، وقرّروا مضاعفة الاتّصال فيما بينهم والمبادلات من اجل تطوير إطارات الجمعية الفنية لكشافة الأمل، وكذلك مواصلة العمل المشترك لتحقيق صداقة الكشافة التونسية التي يحلم بها الجميع منذ مُدّة.

ثبّتت الانتخابات التي جرت في الليل أغلب أعضاء القيادة العامة في مناصبهم ومسؤولياتهم باستثناء الأمانة التي آلت الى القائد قبقة الطاهر الأستاذ «بالصادقية».

اختتم هذا التقرير بملاحظة تركتها عمداً الى آخر العرض. تفاجأت كثيرا وبإعجاب لحضور حوالي 20 قائدة للمؤتمر، المسألة النسوية تسير

في الطريق السليم وقد تناولها أصدقاؤنا من حيث يجب تناولها: تكوين مُكثّف وسريع للإطارات، ثم يليه تشكيل الوحدات. لنتمنّى لأصدقائنا التونسيين نجاحا كبيراً في هذا الميدان الحديد والحسّاس.

لقد عبّرت بكل ما أوتيت من قدرة على التعبير لـ: (ك.م.ت) عن السرور الذي غمرني وأنا بينهم، فقد شعرت أنني أعيش تحت نفس السّماء وفي نفس الأجواء التي تعوّدنا عليها في الجزائر، في نفس العائلة وفي أغلب الأحيان مع نفس الانشغالات. يضاف إليها الكرم الكبير والحفاوة التي استقبلنا بها المؤتمرون، وبالنسبة لأستاذ في اللغة العربية مثلي الفرحة بالجلوس مع أصدقاء في وسط يتحدث لغة عربية تقترب كثيرا من الفصحى إذا لم تتشابه معها تماماً.

من أعماق قلبي، أيها الأصدقاء التونسيون الأعزاء، أدعو الله أن يرعى حركتكم ويدفعها الى الأمام نحو الكمال إن شاء الله.

محمد جيجلي القائد العام بالنيابة.

نشرة «الحياة»، عدد رقم 5 (1951 – 1952)

8 - مؤتمر وادي عيسي (تيزي وزو 1952)

الوثيقة رقم 6

لوائح وقرارات

استعرضت الجمعية العامة للكشافة الإسلامية، المجتمعين في وادي عيسي يومي 16 و17 سبتمبر 1952، مختلف المشاكل الخاصّة بالجمعية سواء على المستوى الدّولي أو على المستوى المحلي الجزائري. تمّ تدارس مختلف المسائل الهامّة المتعلقة بمستقبل الشبيبة المسلمة الجزائرية بجدية وموضوعية. وتكلّل ذلك بلوائح تمّ تبنيها كلها بالإجماع بعد بعض التعديلات من طرف الجمعية إثر اشغال لجنة القرارات. يسرّنا أن نقدّم لقرّاء «الحياة» أهم هذه اللّوائح إيمانا منّا باهتمامهم بها عند قراءتها.

أ - تونس:

وضّحت الجمعية العامّة للكشافة الإسلامية (BSMA) مُتأثرة بالأحداث الدّامية بتونس موقفها منها مُعلنة ما يلي:

في اجتماعها في إطار جمعية عامّة بتيزي وزو يومي 19 و17 سبتمبر الكشافة الإسلامية (BSMA):

- علموا باندهاش تعليق نشاطات المنظّمات الأربع للكشافة التونسية.
- يتأسّفون بشدّة على الوضعية التي آلت إليها الأحداث.
- يوكّلون قيادتهم العامّة للحصول على كل الأخبار الكفيلة بإحاطتهم بحيثيات الوضعية التي تُعاني منها المنظمات الكشفية في تونس.
- يُعبّرون عن احتجاجهم الرّسمي ضدّ تعليق نشاطات الكشافة الإسلامية في تونس.
- يُسجّلون تعاطفهم الفعّال إزاء كل الشبيبة التونسية والحركات الكشفية بصفة خاصّة.

ب - الكشافة الدّولية:

كما نالت مسألة العلاقات الخارجية أيضا اهتمام الجمعية العامّة، بحيث تمّ التعرّض لطلبنا الانضمام الى «الأخوة الكشفية العالمية»، وتمّ تبنّي اللائحة التالية:

بعد الاستماع للقيادة العامة، وبعد إبداء القادة المسؤولين آراءهم، مع الأخذ في الحسبان الاعتراف الرّسمي بالجمعية من طرف وزارة التربية الوطنية، والكفاءة المُعترف بها لإطاراتها، تستغرب الجمعية العامّة الصّمت المستمر من طرف المكتب الدّولي بلندن إزاء مساعيها المختلفة، وتؤكّد على المجهودات المبذولة دون جدوى من اجل قبول جمعية الكشافة الإسلامية (BSMA) في «الأخوة الكشفية الدّولية»، تترك مسؤولية هذا الإجراء المتناقض مع مبادىء الكشافة الى اصحابه الذين يتحملون كل تبعاته، تُوكّل قيادتها العامّة لمتابعة المساعي المبذولة في هذا الميدان دون هوادة.

ج - الجمعية العالمية للشبيبة (W.A.Y):

من جهة أخرى، وضحنا موقفنا من الجمعية العالمية للشبيبة الديمقراطية بدقة.

وفاء لمبادئهم المتمثلة في البحث عن كل مسعى يخدم شبيبة البلاد، واهتماما دائما بفتح آفاق أكثر اتساعا للشبيبة، وتعبيرا عن رغبتهم الإسهام في إشاعة تفاهم افضل بين الشبيبة على المستوى الدّولي، تُعبّر الكشافة الإسلامية (BSMA) عن ابتهاجها لتأسيس «اللجنة الجزائرية للحركات الوطنية لـ (W.A.Y) ولمشاركتهم في إنشائها. كما تُعوّل على المسعى الإيجابي للّجنة تحسين مصير الشبيبة الجزائرية. وتؤكّد بان انخراطها في الجمعية العالمية للشبيبة (W.A.Y) لا يعني بأيّ حال من الأحوال التخلّي عن استقلاليتهم ولا عن حرّيتهم في التعاون مع منظّمات دولية أخرى.

د - الفيدرالية العالمية للشبيبة الديمقراطية (F.M.J.D):

وفاء لمبادئهم فيما يخصّ التعاون في الوضوح والكرامة مع كل حركة دولية للشباب الرّاغبة في البحث عن التفهّم الجيّد والحفاظ عليه، وكذلك عن الاحترام المتبادل مع الشباب الجزائري.

إن الكشافة الإسلامية (BSMA) تسجّل باستغراب الإقصاء المفروض على جمعيتهم من طرف المنظمين الجزائريين للتظاهرات التابعة للـ (F.M.J.D) ويُعبّرون عن معارضتهم للسلوك الذي يواجهون به من طرف حركة تدّعي أنها ديمقراطية، كما يُوكّلون قيادتهم العامة بتهيئة المناخ المناسب للتوصّل الى مسعى مُثمر مع جميع جمعيات الشباب الجزائري دون تمييز من أي نوع كان.

هـ - «الحياة»:

على المستوى الدّاخلي عانت الجمعية العامة من إزعاجات إدارية موجّهة ضدّ جمعيتنا ونشرة «الحياة» وقادتنا. فعبّرت بوضوح عن سخطها ووقوفها ضد هذه الطّريقة في التعامل مع حركة تربوية.

بعد الاستماع الى تقارير قادة الجمعية والقيادة العامة: تبعًا للتوقيفات غير المبرّرة التي يتعرّض لها لسان حال الجمعية: «الحياة»، نظرا للاجراءات المهينة التي ذهب ضحيتها بعض أعضائها، ونظرا للصعوبات التي خلقتها لنا بعض الأطراف بمناسبة تنظيم تظاهرات كشفية عبر البلاد، تقف الجمعية العامة ضدّ هذه الأساليب، وترى بأن جمعيتنا المُعترف بها من طرف وزارة التربية الوطنية جديرة بأن تلقى من طرف السلطات أكثر تفهّما مما هو عليه الآن في مسعاها التربوي.

و - حماية الطفولة الجزائرية:

لا يمكن أن نبقى غير مبالين أمام الوضعية التي تعيشها طفولتنا وأمام نقص المدارس والبؤس الفيزيولوجي المتزايد لدى شبيبتنا، سجّلت الجمعية العامة تأثرها.

نظرا للوضعية المؤسفة التي تتخبّط فيها طفولتنا، نظرا للحاجة الماسّة للحركات التربوية لترقية المستوى المادي والمعنوي لشبيبتنا، توجّه الجمعية العامة نداء الى كل أعضاء الجمعية لتنظيم مكافحة الآفات الاجتماعية: من الإدمان على الكحول والأمّية والبطالة والانحلال الخلقي... الخ.

وتوكّل قيادتها العامة بتنسيق جهود الأفواج والبحث عن سُبُل دفع هذه المكافحة بالتعاون مع منظمات شبانية أخرى.

لن نتطور وضعية شبيبتنا إلا بمسعى مشترك تُساهم فيه كل منظّمات الشبيبة.

ز - الجبهة الوطنية للشبيبة:

– بعد الاستماع الى القيادة العامة.

– بعد عرض أعضاء الجمعية العامة لآرائهم، تتلقى الكشافة الإسلامية (BSMA) بغبطة فكرة تاسيس جبهة وطنية للشبيبة. كما تُؤكد بان مشاركتنا يجب ان لا تؤدي بنا الى الانحراف عن مسعانا التربوي، وتُذكّر بان تصوّر هذه الجبهة يجب أن يخضع لمبدأ المساواة بين جميع الأعضاء. وتدعو المنظمات الاعضاء فيها الى ترك كل ما قد يؤدّي الى الشقاق والانقسام جانبا وعدم الارتباط إلاّ بما يؤدي الى الوحدة. كما تؤكد القيادة العامة بالاستمرار في المسعى الذي انطلق من أجل تحسين قدر شبيبتنا بوحدة خصبة.

ح - موقف القادة:

إزاء الأحزاب

تظرا للتقارير التي قدّمها قادة الافواج ولجان الجمعية بخصوص علاقاتهم بالحركات السياسية الوطنية، تؤكد الكشافة الإسلامية (BSMA) مرّة أخرى بقوة بأن جمعيتهم تربوية ولا تنتمي الى أيّ حزب سياسي. وبوضحون بان ليس لديهم أيّ عداء إزاء أيّ كان، وبان الجمعية ليست معادية للسياسة وبأن القادة يستطيعون، بل يجب عليهم ان يتخذوا موقفا في هذا المجال، لكن دون أن يورّطوا الجمعية في مواقفهم السياسية، وأن الكشافة الإسلامية (BSMA) يُتابعون، بتعاطف، المجهودات المبذولة لفائدة تربية شعبنا من طرف الحركات الوطنية الأخرى.

ط - العلاقات مع جمعية العلماء المسلمين:

تؤكد جمعيتنا مرّة أخرى على مبادئها الإسلامية وتُسجل تأكيدها على تطابق وجهة نظرها مع المسعى الإصلاحي الذي تقوم به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

بمُقتضى الرأي المُجمع عليه من طرف الجمعية العامة حول المبادىء الإسلامية لجمعية العلماء يُعبّر الكشافة المسلمون (BSMA) عن غبطتهم للمسعى الإيجابي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الميدان الديني والاجتماعي والثقافي والتربوي.

ويلتقون في نفس الأهداف التي تسعى إليها النشاطات الدينية لجمعية العلماء. كما يحيّون ظهور لسان حال شبيبة الجمعية الإصلاحية «الشاب المسلم»، ويتمنّون له من صميم قلوبهم كل الازدهار والعمر المديد.

ك - تهاني:

رغبة منهم في تسجيل رضاهم لانتشار وتوسّع حركتنا والتجاوب الذي يلقاه قادتنا أكثر فأكثر في البلاد، يوجه أعضاء الجمعية العامّة الى كل مسؤولي الكشافة الإسلامية (BSMA) تهانيهم على تفانيهم في خدمة القضية النبيلة المتمثلة في تربية شبيبتنا المسلمة، وكذلك الى أعضاء القيادة العامة ومجلس الإدارة.

- بمقتضى النشاط والنتائج الإيجابية المكتسبة منذ آخر جمعية عامة من طرف القيادة العامة ومجلس الإدارة.

بمقتضى الأجواء الأخوية وعلاقات الجمعية

- توجه الجمعية العامة تهانيها الى القادة المسؤولين في مختلف المستويات.
- تُعبر عن أملها في رؤية راية الكشافة الإسلامية (BSMA) ترفرف عاليا من أجل حياة أفضل لشبيبتنا.



المؤتمر الثاني لـ(BSMA) في واد عيسى 1952

9 - الرحلة الى مصر (1954)

الوثيقة رقم 7
فلتة نحو مصر

احد اصدقائنا الطلبة شارك في قافلتنا نحو مصر، يعطينا انطباعاته إثر أول احتكاك له مع الكشافة والعالم الشرقي. فنشكره على الصّراحة التي قدّم لنا بها هذه الانطباعات :

«الحياة»

إن صُدفة سعيدة جعلتني أشارك في أوّل قافلة للكشافة الجزائرية التي انطلقت من الجزائر الى مصر. هذا المشروع كان جدّ جريء بالنظر الى تواضع الإمكانيات والمسار الملحمي الذي يجب اتباعه. منذ هذه اللحظة انطلقت الخطوة الأولى لعبور الجسر الرابط بين الشقيقين المغرب والمشرق الإسلاميين، قد انطلقت. والأمل الأكبر هو أن يكتمل هذا الجسر الرّمزي ويتوطّد كي يترسخ ويصبح متينا.

لن أتكلم عن الانفعالات التي رافقت فريقا كهذا.واقصد بالانفعالات خاصّة الانطلاق نحو المجهول دون تصوّر مسبق للأتعاب أو حتى لأخطار الرّحلة. لقد كانت اندفاعة حماسية ومسابقة حقيقية نحو المغامرة.

في البداية كان عبور الجزائر، الذي نال باستمرار إعجابي من مدينة الجزائر الى تبسة، ومكّنني من اكتشاف جميع الكنوز الغلبية والكرامة التي يتحلّى بها شعبنا وارثا إياها عن السلف. على وجوه البسطاء في الإقليم القسنطيني قرأت المعالم الخالدة الشاهدة على آثار أجدادنا البواسل. وعلى كل الوجوه التي رأيتها ارتسمت صورة الإسلام العريقة. في الإنسان وفي الأرض بقيت مرسومة شهادة على التاريخ الذي لا سبيل لمحوه.

هذه المناظر الجزائرية، والترحاب الدّافىء الذي خصّنا به الناس حيثما حللنا، زادوا في ثقتنا وزوّدونا بشجاعة فياضة.

شعرنا من أعماق قلوبنا بأنّ شعبا كاملا يُرافقنا بفكره ويمدُّنا برسالته. وبمجرّد عبورنا للحدود الجزائرية لم يوجد من بين أعضاء القافلة منْ لم يشعر بتأثر عميق وبثقل مُهمّته.

ومنذ هذه اللحظات كل فتى أصبح سفيراً لعائلته، لأهل حرفته، لقرينه، على وعي بأنه أصبح شيئا أكبر من شخصه بالذات، فهيّأ نفسه من أجل تحمل عبئه الجديد.

عند خروجنا من تبسة، كانت أنغام نشيد الوداع المتردّدة في الآفاق إشارة فراق جدّ مُؤثر. كُنا نبتعد عن الجزائر التي وهبتنا أفضل ما نملك من ثرواتها ومن جمالها.. وبدأنا نشعر منذ الآن بالوحدة. وحتى بالحنين إليها.

في الواقع لم تكن تونس وليبيا بالنسبة لنا سوى فراغ رهيب. ثلاثة آلاف كيلومتر تقريبا كان يجب علينا اجتيازها لبلوغ الإسكندرية؛ الصحراء كانت تمتدّ الى ما لا نهاية مساحاتها المُقفرة، من الجنوب الجزائري والتونسي، الى ليبيا، فمصر الغربية، يوجد انسجام وتماسك طبيعي وكل شيء متشابه مع بعضه. ولا نكاد نصدّق بأن البشر رسموا حدودا حيث الطبيعة تركت الامور على سجيّتها والغت القيود والحدود.

في الأخير مصرا للوهلة الأولى، لا شيء فيها يبعث على الاندهاش.. كل شيء عادي. العلم المصري وحده يشير الى دخولنا تُرابا آخر. يجب الوصول الى الإسكندرية كي نجد نفسك وجها لوجه مع مصر الحقيقية. لكن هنا ايضا لا يوجد أيّ شيء خارق للعادة. تصوّروا مثل مدينة الجزائر كبيرة جداً، مستوية السّطح وأحسن تنظيماً، مع إشارات ولافتات باللغة العربية: هكذا، بشكل عام، ظهرت لنا مدينة الإسكندرية.

وكان الاندهاش، والإعجاب، في القاهرة. هناك القاهرة الجديدة ذات الشكل المعماري الموجود في جميع المدن الكبرى الحديثة: البنايات الضخمة والشوارع العريضة والحركة الدائمة بين ذهاب وإياب للحافلات الكهربائية. لكن هناك ايضا المدينة العتيقة التي لولاها لما بلغت القاهرة الشهرة التي بلغتها. إنها كل ما تبقى من آثار الإمبراطورية؛ إنها مدينة مكتظّة بالسكان، وكأنها خرجت من زمن الف ليلة وليلة، متراصة في ضيق حول المساجد

الجوامع ذات المآذن المُطلّة على زرقة السماء بالوانها الرمادية والوردية الشاحبة والنيل! أيستطيع أيُّ واحد منا الاّ يتعرّف على النيل؟ إنه حاضر في كل مكان بحلاله وسكونه. النيل هو الأرض والغذاء، وهو حز الوجود وماؤه... وهذا ما جعلنا نفهم لماذا كان لهذا النهر تأثير سحري على الناس فيبر بحميمهم.

عندما نتجوّل في شوارع القاهرة والإسكندرية او في ريف الدلتا، نتوصل الى القناعة بأن الشعب المصري يشعر بنفسه حرّاً في بلاده بعض النظر عن ثروته او بؤسه أو مرح الجماهير هناك. إضافة الى ذلك، فهو شعب ذو عزم، متمسك بحقوقه وبمعتقده وحريته تمسكا عميقا وشبيبته الحيوية والشهمة كُلفت بطموح عال يتجسد في التحرير الوطني وإعلاء سمعة وطنها في العالم.

هذا ما جعل للكشافة المصرية طابعا خاصّاً بها. فهي ليست حركة تربوية بحتة، بل تعتبر نفسها قومية ومناضلة. إنها مدرسة تبعث الحماس في الشبيبة.

من المفيد ان نفكّر في هذا الطابع الخاص للكشافة المصرية، والبحث فيما إذا كان على الكشافة أن تنمو وتتطوّر على هامش المجتمع، ام تساهم عملياً في الحياة العامة، وفي الكفاح المشترك، هذه المسالة هامّة. اكيد ان على الحركات الشبابية ان لا تنعزل عن الوضع الخاص لبلادها، فابناؤها من شعب تحت الاستعمار يفرض عليها التفكير والسّعي آخذة اساسا بعين الاعتبار وضعيتها السياسية.

بالنسبة لقريب العهد بالكشافة مثلي لا يوجد شيء أكثر إثارة للحماس من إبداء الحياة الكشفية للعيان سواء خلال السفر او في مصر. إذ كنتُ منذ زمن طويل من دعاة بعث فكرة الأخوة والتضامن الإسلاميين وسط شبيبتنا، استطيع ان أشهد بأن هذه الفضائل المنقذة لمجتمعنا المسكين «الاهلي»، وجدتها مُطبّقة تطبيقاً فعلياً لدى كشافتنا، وفرحت كثيرا لهذا الاكتشاف.

لكن، من المؤسف ان تبقى هذه الاعمال الكشفية شبه مجهولة عند الجماهير. والحلم الأكبر هو إشراك كشافتنا مباشرة في الحياة اليومية حتى ينفعوا محيطهم كمدرسة حقيقية مشتغلة، إن امتنا في حاجة لأخذ نفس تربوي قوي من حين لآخر. والمعجزة التي يستطيع رجال أرسلهم القدر ان يُحققوها مثل الشيخ عبد الحميد بن باديس، هي ايضاً في متناول جيش من الشباب المخلص الهادف الى مُساعدة شعبه في نهضته الاخلاقية.

إن محيطنا النسوي في حاجة أكبر الى التربية، لقد حان الوقت لبعث الكشافة النسوية، وهذا ما سيمنح فرصة أخرى لخلاص شعبنا.



الـ (BSMA) في الاحتفال بالذكرى الأولى لاستقلال مصر (القاهرة) 1954



قافلة الـ (BSMA) القاهرة 1954

10 - ندوة الإطارات (1955)

الوثيقة رقم 8 - لوائح

شارك خمسون قائدا في ندوة الإطارات التي انعقدت بحسين داي من 9 الى 11 افريل 1955. وانبثقت عن اشغال الجمعية حول وضعية ومشاكل الشبيبة المسلمة الجزائرية واتحاد الحركات الشبانية الجزائرية تم تبني عدة لوائح ذات طابع داخلي واخرى ذات صبغة خارجية.

نعيد نشر البعض منها هنا:

حالة الطوارىء:

إن الجمعية التي جمعت إطارات الكشافة الإسلامية (BSMA) ايام 9، 10، و11 افريل 1955؛

– بعد تحليلها لإعلان حالة الطوارىء في الجزائر والطابع التعسّفي للاجراءات التي يسمح بها:

– تُندّد بقوة بإقامة هذا التشريع الاستثنائي الذي سيمنع تطبيقه تقريبا كل نشاط كشفي على شبابنا؛

– ترى أن إجراءات كهذه لا يمكنها إلاّ ان تؤدّي الى إثارة عناصر السكان أكثر ضدّ بعضهم البعض وإفساد كل جهود التفهّم المتبادل؛

– تُطالب بالإلغاء التام لحالة الطوارىء في الجزائر؛

– توجّه نداء الى جميع ذوي الإرادات الحسنة للبحث معًا عن الحلول الكفيلة باستعادة السلم في البلاد.

أمام الأزمة:

إن جمعية إطارات الكشافة الإسلامية (BSMA) التي انعقدت في مدينة الجزائر ايام 9، 10 و11 افريل 1955، بعد تبادل الآراء، حول الأزمة الحالية التي تعيشها البلاد ووضعية الشبيبة الجزائرية؛

– تؤكّد مرة اخرى على استمرار تمسكها بالمبادىء التي الهمت ومازالت تلهم مساعي الكشافة الإسلامية (BSMA). وتُذكّر بانها مع بقائها حركة مستقلة تماما عن أيّ سياسية، لا تستطيع ان تكون غير مُبالية بالمشاكل التي تعيشها البلاد؛

– تُؤكد من جديد على خطورة الوضعية وضرورة التعجيل بإيجاد حلّ لها، خاصة:

1) مسالة اللغة العربية هي: اللغة الأم ولغة الدّين بالنسبة لتسعة أعشار الشعب الجزائري؛ من جهة اخرى تبقى الأمية آفة، مادام حوالي مليوني طفل مُلقى بهم في الشوارع؛

2) الفصل بين الدّيانة الإسلامية والدّولة على قدم المساواة مع الديانات الأخرى؛

3) مسالة مناصب العمل. البطالة تعصف في كل مكان والأجور المتدهورة بالنسبة للاقلية الموظّفة تتسبّب في خلق ظروف معيشية متدهورة؛ وعدم وجود التكوين المهني تقريبا، وعدم وجود مناصب العمل يُؤدّي جميعه الى هجرة مئات الآلاف من الشباب؛

– في الأخير، الوظيف العمومي لا يقدّم للشباب سوى عدد محدود جداً من مناصب العمل، كما أن شروط التوظيف تتطلب إعادة النظر فيها كليّة؛

إن جمعية الإطارات نرى بأن التماطل في حلّ هذه المشاكل زاد في خطورتها.

المهرجان (Jamboree)،

إن جمعية إطارات الكشافة الإسلامية (BSMA) المنعقدة أيام 9، 10 و11 أفريل 1955:

– بعد الاستماع الى الشروح التي قدّمتها القيادة العامة حول عدم مُشاركتها في مهرجان «الجمبوري» بكندا 1955؛

– تستغرب عدم دعوة «الكشافة» الفرنسية لها رغم أنها دعتها لمهرجان الجمبوري بالنمسا سنة 1951؛

– تُسجّل هذا السُّلوك غير الودّي المتناقض مع العلاقات التي تمّ نسجها بين مختلف الحركات الكشفية الجزائرية؛

– تُفسّر هذا السّلوك كإقصاء للكشافة المسلمين الجزائريين؛

– تُلاحظ بأن إمكانيات التعاون التي اكّدت على المستوى الجزائري يتمّ التراجع عنها بمجرّد تعلّق الامر بتظاهرة دولية؛

– تقف ضدّ كل محاولات التقسيم للشبيبة الجزائرية مهما كان مصدرها؛

– تطلب من القيادة العامة ان تستخلص العبر من ذلك بالنسبة للمستقبل.

القسم الخامس

مقالات متعلقة بالكشافة

01- مقتطفات من «صدى وهران» (L'Echo d'orao)

02- مخيم تلمسان (1944)

03- مقتطفات من الصحف

04- مقتطفات من المؤلفات التاريخية

05- تراجم المؤلفين الرئيسيين

06- توضيح

07- تكريم الشيخ عبد الحميد بن باديس

1 - مقتطف من «صدى وهران» (L'Echo d'Oran)
(3 أوت 1944)؛ مخيّم تلمسان

بقلم السيّد Capitant،
كاتب الدولة «التربية الوطنية والشبيبة»

زار مؤخّرا كاتب الدولة «للتربية الوطنية والشبيبة» مُخيّم تكوين القادة الذي نظّمته فيدرالية الكشافة الإسلامية الجزائرية بتلمسان.

عدّة مئات من الكشافة الذين لهم خبرة أو مبتدئين يقومون هنالك بالتعلم، أو تطوير قدراتهم على التحكم في التقنيات الكشفية المتميّزة ومناهجها التربوية.

استقبال رائع:

على الديكور الطبيعي الغاني لهضبة «لالّة ستّي» حيث أقيم المخيّم، نظّمت عناصر الكشافة استقبالاً رائعا لممثّلي الجمهورية الفرنسية: الكاتب المكلّف بالتربية الوطنية وبالشبيبة مرفوقا بممثّل عن الوالي العام ورئيس مصلحة الشبيبة والسيّد والي وهران ورئيس دائرة تلمسان. كما لوحظ الى جانب السيّد (Capitant)، ممثل الكشافة الفرنسية ممثل «القوات الموحّدة للشبيبة الوطنية» (F.U.J.F). تكفل القائد العام التجيني بمساعدة نائبه السيّد فارس محمد بتقديم تشريفات المخيّم كما قدّم للسلطات المتربصين الذين استقبلوهم بأناشيدهم الفيدرالية.

عرض عليهم السيّد التجيني أهداف جمعيته المتمثّلة في تربية الشباب المسلمين، بالاعتماد على المناهج الكشفية في ظلّ احترام التقاليد الأخلاقية الطاهرة واحترام دياناتهم.

كما طلب من السلطات العمومية ان تضع ثقتها في جمعيته الفتية.

السيّد (Capitant) يتحدث الى الكشافة:

ثم تحدث السيّد (Capitant) الى الكشافة المحيطين به. وحرص على وجه الخصوص، كما قال، ان يُسجّل بحضوره الثقة التي يضعها في الحركة الكشفية لإتمام التربية التي تتلقاها الشبيبة المسلمة في مدارسنا.

يؤكّد بعد الجنرال ديغول الذي لم يغفل الثناء على عظمته، بأن فرنسا خسرت معركة ولكنها لم تخسر الحرب، ستنبعث من جديد لتكون اكثر عظمة واكثر كرما من ذي قبل وسوف تجد عندها كل الشعوب المآثر التي قدّمتها دومًا للعالم.

يجب ان تلقى كل الشبيبة الفرنسية، والتابعة للإمبراطورية نفس الحب للوطن المشترك ونفس المُثل الإنسانية. إن انضمام الكشافة الإسلامية الى العائلة الكبيرة المتمثّلة في الكشافة الفرنسية التي يتمنى محافظ الشبيبة ان يتجسّد عن قريب، سوف يكون خطوة كبيرة نحو هذا الاتحاد الأخوي لكل الشبيبة الفرنسية.

عناصر الكشافة استمعت للمحافظ بتمعّن وسجّلوا رضاهم حسب أدبهم التقليدي.

تحية الحركة الكشفية الفرنسية:

بلّغ القائد (Caquelin)، ممثل الكشافة الفرنسية، تحيّة الجمعيات الكشفية الفرنسية التي يمثلها، الى الكشافة الإسلامية.

– لقد عبرت الحركة الكشفية، كما قال، ككلّ الأفكار العظيمة، جميع الحدود. فقد استقرّت في كل البلدان الحرّة، ويُمارسها الشباب من جميع الأجناس والأديان.

« إذا كانت قد نجحت في استقطاب كل هذه الشبيبة، فلأنها تستجيب لحاجتها للهو من جهة وإلى تطلّعها إلى المُثل العلياء.

ثم تطرّق القائد (Caquelin) الى المهمة النبيلة والصّعبة التي تقع على عاتق القائد الكشفي، والتي لا تختلف عن مثيلاتها في سائر الجمعيات: اي تبوّأ دور الأخ الأكبر للأطفال وتدريبهم بالقُدوة.

وفي الأخير، تقدّم ممثل «القوات الموحّدة للشبيبة الوطنية»، الذي وصل مؤخرًا فقط من فرنسا وبلّغ للشبيبة الجزائرية تحية شباب فرنسا حيث تعرّض لحياة الكفاح والحرمان اللذين يعيشونها في الجبال من اجل تحرير البلاد.

تحدّث لهم ايضا عن الشباب المسلم الذي يُكافح الى جانب زملائه من مختلف الأديان في حركات المقاومة.

– بالنسبة إلينا كشباب، قال: حيثما كُنّا، ليس هناك سوى معركة واحدة وهدف واحد، هو تحرير فرنسا.

«حيثما يرفرف علمٌ فرنسي، حيثما يُطبّق قانون فرنسي وتقاليد فرنسية، يجب علينا ان نكون المكافحين من اجل الفكر الفرنسي».

وانتهت الزيارة بمأدبة غداء تحت ظلال اشجار البلّوط وسط مزيج رائع من الأجواء الكشفية والأسلوب الشرقي.

- برقية الإبراهيمي:

محتوى البرقية التي أرسلها الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين للتجمّع الكشفي بتلمسان (سبتمبر 1944):

«اعبّر للكشافة عن كل تمنياتي الخالصة. عيد سعيد. مستقبل زاهر للعناصر الشابة المتحمسة. لكم تحياتي الإسلامية».

الشيخ الإبراهيمي.

2 - مقتطفات من الصحف

تاريخ الكشافة

«المجاهد» في 1982/1/1

بصفتي سكرتير فوج الكشافة الإسلامية الجزائرية بتلمسان، كان لي شرف التعرف على الشهيد محمد بوراس والقادة صادق الفول وبوبريط وآخرين، خلال مؤتمر الـ: (ك.إ.ج) بالحراش في جويلية 1939.

القائد بوراس هو الذي أنشأ في 23 أفريل 1939 فيدرالية الـ: (ك.إ.ج). وهو نفسه الذي عينني قائداً إقليمياً لمقاطعة وهران.

منذ ذلك الحين ناضلت معه داخل الـ: (ك.إ.ج) حتى اعتقاله في ماي 1941. قامت الشرطة الاستعمارية بالتفتيش في بيتي في هذه الفترة وفي نفس الوقت عمدت الى نفس التصرف مع القادة إدريس رضنان، محمد راشدي، سموغولي بتلمسان، وكذلك مع عدد كبير من القادة عبر الجزائر كلها. فليُعْلَم ابنه بان اباه المرحوم قد ناضل في حزب الشعب الجزائري (الذي كان ينشط في السرية)، ولم يكن آنذاك ممكنا لأيّ أحد ان يجهر بانتمائه السياسي، خصوصا إذا كان مسؤولا. اختم هذه الكلمات بالتعبير عن استغرابي لكون صديقه قداش مرّ مرور الكرام على حياة هذا الشهيد الكبير. كما أعبّر عن استيائي لملاحظة أن المؤتمر الثاني للـ: (ك.إ.ج) سنة 1970 لم يذكر سوى «استشهاد رئيسه الأول» وهو الشهيد المجهول!.

شريف غوثي (قائد وطني سابق)

عناصر من الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجهاد

«المجاهد» في 1982/1/4.

بقلم: محمد واعمر، كشاف سابق

في حوان 1956 في مركز قيادة «ناالة معالة»، لاحظنا ان المواد الكيماوية على وشك النفاد: وهي مشكلة عويصة وجب حلها مهما كان الثمن وفي اقرب وقت. طُرحت المشكلة على المجلس الإقليمي. في الحقيقة، لم تعد تسمح لنا خطورة الوضع بان نموّن انفسنا بالمواد الكيماوية لان في مدينة الجزائر قد تم تشديد اجراءات المراقبة عليها الى حدّ ان الإخوة اصحاب مؤسسة (Veuve Côte) بشارع (Maupas) بالقصبة السُّفلى، وبصفة خاصة الاخ الزبير المناضل السابق في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، الذي يشتغل في هذه المؤسسة والصديق الحميم لحسن العسكري ولقواطلي، اخبرونا بواسطة عضو الاتصال احمد بان كل منتوج كان اصبح محلّ مراقبة مُشددة مثل حامض الكبريت ومسحوق النيترات والكلورات.

في المجلس الإقليمي لجيش التحرير الوطني في ازفون، اقترحنا ان يُصبح التموين من مدينة تيزي وزو، وهو أمرٌ ممكن، لهذه المواد الكيماوية التي كنّا في أمسّ الحاجة إليها. وقد اندهش جميع اعضاء المجلس اندهاشا كبيرا عندما اقترحتُ عليهم بأن حلّ هذه المعضلة قد نجده عند احد الإخوة، رئيس سابق للكشافة الإسلامية، يُدعى سي محمد القشعي (حاليا نشط في الهلال الأحمر الجزائري). قبل الحديث عن هذا الاتصال، انا حريص على التذكير بالدّور الهام الذي لعبه هذا الأخ المناضل الطلائعي.

في ديسمبر 1954 بالضبط، لم تكن قد مرّت سوى بضعة أسابيع فقط على اندلاع الثورة انعقدت جمعية عامة استثنائية هامة للكشافة الإسلامية في سيدي فرج، خلالها قرّرت هيئات الكشافة الجزائرية، بما فيها اللجنة المديرة، إلغاء كل النشاطات على غرار المخيّمات والجولات والخرجات

الليبية بسبب غياب الأمن والخطر السائدين والخوف من الاستفزازات، التي لا مفرّ منها، التي يرتكبها الاستعمار وشرطته.

أعطيت الكلمة للرئيس، سي محمد القشعي، منذ افتتاح جلسة هذه الجمعية، أعطانا قائمة الأعضاء الحاضرين، وهم أعضاء اللجنة المديرة، الأخ الطاهر التجيني، القائد العام ونائبه الشيخ بوعمران، الشيخ عبد الصّمد بولنوار، الشيخ محمد العسيري والشيخ الحفناوي وكلاهما مُرشد في الكشافة وعضو في جمعية العلماء المسلمين بشارع بومباي بمدينة الجزائر، كذلك السيد صادق الغول، محمود ابن محمود، الأستاذ جبجلي من قسنطينة، الأخ حمادة والأخ بوقندورة من سوق اهراس، الأخ إبراهيم مبروك من فرندة، المسؤول العام للخزينة الأخ قاصد علي من مليانة وجميع القادة المحليين ومندوبي الجزائريين المتواجدين بفرنسا.

ثم الاستماع لجدول الأعمال من طرف جميع الحاضرين الذين فهموه قبل أن يقرأ علينا رسالة مُستعجلة وهامّة بُعثت لنا من طرف إخواننا في جبهة التحرير الوطني اي من مسؤولي ثورة 1 نوفمبر ونصّت على: «الأخ أوعمران المدعو «بوقروي» يدعو حركات الشبيبة أن تلتحق بصفوف المنظمة الثورية، لكن بصفة فردية وليس باسم الجمعية الكشفية». بعدها أخذ الطاهر التجيني، آنذاك أستاذ في ثانوية (Guillemin)، الكلمة وكرّر النداء مُركّزا على الصّفة الفردية لانضمام كل واحد منّا حتى لا يتضرّر مسؤولو جمعية الكشافة المسلمين الجزائريين وهذا حتى يكون كلّ شيء واضحًا بين الجمعية وأعضائها.

إن إخواننا في جبهة التّحرير الوطني في حاجة الى مشاركتكم في الكفاح التحريري للجزائر «الأرض الخالدة للرجال العدول». ثم أعطى الرئيس محمّد القشعي الكلمة للشيخ الحفناوي المرشد الديني (اعتقل وسُجن في وقت لاحق من طرف «اليد الحمراء» (La Main rouge) في نهاية 1956 بمقرّ جمعية العلماء بالجزائر العاصمة) الذي عقب بهذه العبارات: «الكشافة التي يعود تاريخها الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لعبت

دورا كبيرا في ميادين الوغى الإسلامية، إخلاصها وتضحياتها كانت كبيرة، وهذا ما دفع بادن بويل (Baden Powell) أن يستلهم مشروعه من منظمة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فيما يخصّ الرّبط والاتصالات من مخيم الى آخر بعزم.

وهكذا كان الكشاف بمثابة طليعة ومؤطّر للجيش وإذا وجهّ لنا إخواننا المجاهدون النداء، علينا أن نجيب: حاضر، لأن غايتنا هي «الموت أو العيش رجالا مستقلين، هذا هو شعارنا». واختتم الشيخ الحفناوي خطابه قائلا: «إخواني لا تظنوا أن الاستعمار سيبقى مكتوف الأيدي، سوف يحرق بيوتنا ويقتل نساءنا وأطفالنا، وسيُحاول إبادتنا، لكن سننتصر، لأن يد الله فوق النفوس الشرّيرة حتى ولو كان هذا آخر لقاء بجمعنا. رغم ذلك ثقوا في الله لأن الله لا ينسى أبدا تضحيات الرجال الذين يُكافحون ضدّ الظلم، لأن الذين سيعيشون سيقولون سلاما على شهدائنا، لذا اطلبوا الموت كي تأتيكم الحياة». الجمعية تأثرت لهذا الخطاب.

اختتم الأخ القشعي هذه الجمعية مُركّزاً على خطورة الوضع ودعا مرة أخرى كل واحد منا لتحمّل مسؤولياته شخصيا لأن ساعة الخيار قد حانت، فالحدث الذي نعيشه كبير وكل كشاف جدير بالتربية التي تلقاها، عليه أن يقوم بواجبه: الموت شهيدا أو الحياة في ظل الكرامة والشرف. رُفعت الجلسة بترديد نشيد «من جبالنا» بعد سبعة أيام من المناقشات. لقد كانت آخر جمعية عقدناها، في ديسمبر 1954.

تقنيو الجبهة المختصون في المتفجرات،

(المجاهد 1982/1/5)

إذن قرّر مجلس ناحية جيش التحرير الوطني بأزفون بعد أن أخيرناه بما سبق الحديث عنه، أن يضع ثقته في محمد القشعي لتموينتا بالمواد الكيميائية. كان يجب الاتصال به مهما كان الثمن. فتمّ تكليفنا بالقيام بذلك نظرا للروابط الأخوية، الوطنية وخاصة روابط المهنة كمُربّين للشبيبة. فأمرنا سعيد، ابن العمّ الشقيق لأغيل مهني (توفي برتبة ملازم أول في جيش التحرير الوطني خلال عملية Jumelle سنة 1958) نائب حمادي محند، المسؤول السياسي للجبهة، ليلتحق بتيزي وزو ويتصل بالقشعي ويبلّغه ما يلي: «لقد ارسلني إليك الأخ أمين الكشافة الإسلامية، فهو يُحييك ويُكلّفك بالعمل المذكور في الرسالة بين يديك، فقرأ محتواها ووافق» بعد بضعة أيام وصل الى مركز قيادتنا بغلٌ مُحمّل بصناديق من حامض الكبريت، مسحوق الكلورات والنيترات وكُرات النفتالين وورق (Craft)، والبرافين. وفرح الأعضاء المسؤولون على الناحية كثيرا بوصول الحمولة. مرّت الأيام، وتم الاتفاق على توسيع مجموعتنا، لأن ثلاثة عناصر لا يكفون لصنع المتفجّرات والمهام السياسية - العسكرية الإدارية ومنه الطبية لأن أخانا طالب (محند أكلي) كان يبذل كل معارفه لتكوين مُمرّضي الجماعات المسلحة التابعة لجيش التحرير الوطني. وهذا ما دفعنا الى التفكير في بعزيز صويلح الذي ينتمي الى عائلة كبيرة مُثقفة وهو ابن أخ الشيخ بعزيز المُحرّر في جريدة «البصائر» التابعة لجمعية العلماء المسلمين (والذي جُرح في وقت لاحق بفيلا الورود (Villa des Toses) بالأبيار أثناء معركة الجزائر)، وفي مصطفى لعجالي (توفي في الأطلس البليدي حوالي نهاية 1957)، وفي عبد الحميد مرّوبي. هؤلاء الأشخاص الثلاثة كانوا مختصّين في التشحيم. مصطفى العجالي تخصّص في فرنسا اشتغل في أحد المصانع. عبد الرحمن فورو مارس التشحيم الدقيق لدى

ورشة صياغة كبيرة كانت ملكاً ليهودي في (Bugeaud سابقا). في المستقبل سوف يلعب هؤلاء الثلاثة دوراً كبيرا في صنع هياكل المتفجرات لمساعدة حدّادي منطقة القبائل مساعدة فعّالة (مصهر للحديد (forge) في فريحة، وآخر في إغيل - مهني، وثالث في تابت - قليك).

نفّذ الحدّادون التّعليمات حسب المواصفات المطلوبة للهياكل، وزوّدوا بالتجهيزات المناسبة من أجل إتقان العمل. وما سهّل الأمور هو كون عمليات بيع المطائل وأعواد التشحيم لم تكن خاضعة للمراقبة. واستقبل حدّادو الحيل مساعدة المتطوّعين من العاصمة بصدر رحب. وهكذا نجحنا في صنع متفجرات على درجة من الفتك وكأنها خرجت من المصانع رغم أننا لم تكن تملك سوى وسائل محدودة جداً، فقد زرعت الهلع في صفوف العدوّ. فتمكنت حميّتنا وعزمنا من تعويض النقص الذي عانيناه على مستوى الإمكانيات المادّية والمالية، السّهرات كنّا نقضيها في المناقشات السياسية والتقارير الأدبية. الشيخ عيّة مُحمّد (المدعو سي بشير) كان مشتعلا جدًا بالأحداث التي كانت تجري في فرنسا وخاصّة في باريس. في بدايتها زادت منظمة جبهة التحرير الوطني الثورية في يقظتها وحذرها بخصوص بعض النشاطات كجمع الاشتراكات. على هذا النّحو، كل جزائري بفرنسا مُلزم بدفع نصيبه من الاشتراك لدى دشرته الأصلية حتى لا تشعر مصالح استخبارات العدو وخاصة رجال المكتب الثاني (2e bureau) ولا تتمكن من التدخل لعرقلة هذه العملية. لكن وللأسف تدهورت الوضعية بخطورة مع مرور الوقت. اعترف لاكوست (Lacoste) بأن جبهة التحرير الوطني (ج.ت.و) كانت فريدة من نوعها في العالم فيما يخص هيكلتها ولا يشبهها أيّ تنظيم آخر، لذلك راح يتذرع بذلك ليُطالب بتدعيم ترسانته العسكرية في الجزائر وبالتالي امتلاك «الصّلاحيات الخاصة» المشهورة. بالطبع، لاكوست لم يأخذ في الحسبان أنه لا جدوى من الجري وراء فارين ابيضين لأن ما كان بحاجة إليه هو «رجال أقوياء لأمّة قويّة»، لكن الرجال الأقوياء والأمة القوية كانت تتمثل، والحالة هذه، في (ج.ت.و)

المشكلة من رجال مُغرمين بالحرّية، وهي نفس تلك الحرية التي تعلّمناها على مقاعد المدارس الفرنسية مع الأخلاق «الفولتيرية» التي تمّت خيانتها.

وهكذا بيّن مسؤولو الكفاح المسلّح للسيد روبيرت لاكوست أنه عندما تقتضي الضرورة يصبح عزمهم وقوتهم قادرين على سحق سياسته الديماغوجية خاصّة وأن أعضاء الـ: 61 المنتخبين في الجمعية الجزائرية كانت لديهم شجاعة الرد بـ: «لا» للجزائر الفرنسية والمطالبة بالهوية الجزائرية. قال شاعر جزائري في «دعوى شحّاذ القصبة»: «يا فرنسا، تُزيّنين النفق الطويل بالمتاعب. أليس في الأماكن الأكثر صحرية والأكثر فقراً تنمو الورود الأكثر جمالا والأشجار الأكثر فتنة؟» نعم، بالفعل، لا تظير لتنظيم جبهة التحرير الوطني في جميع أنحاء العالم، وذلك بفضل كفاءة ونزاهة الذين قادوها بتفان وجدارة. في الأخير من أجل استمرارية الكفاح المسلح، وزّعنا على كل مسؤول يحمل معه وثائق، قنينة من البنزين، ولاعة، أو علبة كبريت ضرورية كلها لإتلاف الوثائق في اللحظات الحرجة، وذلك تفاديا لوقوع هذه الوثائق بين أيدي العدوّ في حالة إلقاء القبض على حاملها. استمر تحضير المتفجّرات بواسطة مادة الكلورات وبالتالي بالشدّيت، كما قمنا بتقطير مخزون من الحامض النيتريكي أثناء التموين من تيزي وزو. استلهم عبد الرحمن طالب المدعو مُحمّد أكلي، متفجّراته من صيغة الدّينتروتفتالين (Dinitronphtaline) التي يتم التحصّل عليها بتركيب كيميائي للحامض النيتريكي وكُرات النفْطالين. يُستعمل هذا السائل مع خليط آخر للحصول على مُتفجّرة مُماثلة لنظيرتها الفرنسية المصنوعة من مادة الشدّيت. لكن عبد الرحمن طالب كان قد اكتشف صيغة تحضير الشدّيت الألمانية، الأكثر قوة وخطورة، وتُسمّى: «شنايدريت». قُمنا بتجربة كمّية صغيرة من هذا المركب الكيميائي على صخرة في قرية «تالة» (Tala) الواقعة على النهر الموجود بالمنطقة. النتيجة المتحصّل عليها كانت في مستوى ما كُنّا نتمنّاه. فقطّرنا حامض النيتريك بكميات كافية لأربعة بطّاريات (البطّارية هي مصباح زجاجي يشتغل

بالكحول، قرنية وكرة زجاجية من الزجاج المقاوم للحرارة). وخزنّا هكذا كمية مُعتبرة من متفجّرات شنايدريت (shneiddrite) وكمية مُعتبرة من «القطن - المحروق».

اما الوقت الذي تبقّى لنا فقد كُرّس لصنع هياكل المتفجّرات، وكان هذا من الاداء الرائع للحدّادين ذوي المهارة التقليدية التي تستحق الشكر. لحماية وأمن مركز قيادتنا «بتالة مالة»، هيّأنا لوقت الحاجة الإحراق الإرادي للموقع بواسطة ضخ البنزين وتفجير الديناميت. هذا هو الأمر الذي أعطاه لنا مسؤول الناحية عيّة مُحند. قنابل متعددة الاشكال (مُربّعة ومستطيلة ومختلفة من 2 الى 4 و6 كلغ. زُوّدت بمتفجرات، مُخرجين بفتيلة (Bickford) او نظام كهربائي.

صنع المُتفجّرات كان يتم بورق (kraft) المطلي الذي نُعطي له شكل قلم رصاص ضخم بطول عشر سنتيمترات، ورغم انه لم يكن يشبه من حيث الكمال النماذج المنتوجة في مصنع «سانت إيتيان» (saint- Etienne)، إلا انها كانت نماذج على مستوى عالٍ من الفعالية والدقّة تتركّب من الـ (Fulminate)، وفي طُرقها جهزت، في حالة النظام المُسيّر عن بعد (الذي يعني بأن المفجّر مُزوّد بخيطين كهربائيين)، الذي تستطيع التصرّف فيه بواسطة خيوط وبطّارية عن بعد، فتيلة (Bick- ford) من اجل الإشعال بالنار وحسب الهدف المقصود.

القنابل التي تم صنعها وكانت جاهزة للاستعمال تم تخزينها في أماكن لا يعرفها إلاّ عدد محدود من المسؤولين. ولم تحتفظ لمركز قيادتنا إلا بقنبلة واحدة جاهزة لضمان الدفاع عن النفس ودَلْوَيْن من البنزين لإحراق المواقع المذكورة.

مُحند واعْمر.

الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج) في الجهاد»

(«المجاهد» في 1982/01/16)

في نشرتكم ليوم الاثنين 5 جانفي وعبر المقال الذي يحمل عنوان: «عناصر من الكشافة الإسلامية الجزائرية في الجبل»، تنقلون تصريحات مْحند واعمر بخصوص مساهمة الكشافة الإسلامية في تدعيم الكفاح المسلّح اثناء حرب التحرير وبصفة خاصة في تيزي وزو.

أقلّ ما يمكن أن نقوله هو أن محند واعمر بقي سطحيا جداً في شهادته، ويبدو انه يجهل المُنشّطين الرئيسيين للحركة الكشفية بتيزي وزو وبصورة أكبر هؤلاء الذين دعموا في وقت لاحق صفوف جيش التحرير الوطني وال: (O.C.F.L.N).

من خلال رواية محند واعمر نشعر ان الأمر يتعلق بفتيان الكشافة الإسلاميين الجزائريين (BSMA) أي بالعناصر التي انسحبت من ال: (ك.إ.ج) سنة 1947 بعد المهرجان الشهير (الجمبوري) الذي جرى في (Moissons). مادام الأمر يتعلّق بالكشافة، كان على كاتب المقال ان يكون اكثر دقة او على الأقل ان يذكر في ذكرياته كل الذين نشّطوا تلك الفترة، الأنواع المختلفة المعروفة التي كانت تنشط عبر التراب الوطني. إخواننا الكبار فداش، بوزوزو، لوانشي وآخرون قادرون على تقديم التوضيحات حول هذا الموضوع. أما فيما يخص تيزي وزو فاترك للذين مازالوا أحياء يُرزقون من العشيرة (clan)، والجوالة (routiers) وأشبال فوج «الهلال» أمر إتمام ما قُلته، وذكر المنشّطين الرئيسيين للفوج منذ إنشائه حتى الاستقلال. دون الرّيبة والتشكيك في الدور الفردي لهذا القائد أو ذاك (سواء إنتمى الى ال: (B.S.M.A) أو الى ال: (ك.إ.ج) في حرب التحرير الوطني، من واجبي ان اقول بان فوج «الهلال»، على غرار بقية أفواج ال: (ك.إ.ج)، كان العنصر صاحب الدّور الأكبر والأكيد في تكوين جيل المجاهدين بتيزي وزو المدينة وفي ضواحيها.

كان على مُحند واعمر ان يُشير الى ذلك في مقاله!. ولم يفعله! ومن هنا يطعو سؤالان:

1) هل ركّز بصفة مقصودة على ذكرياته الشخصية وبصفة خاصة على تلك التي أثرت أكثر فيه وفي أعمق عواطفه؟

2) هل كان يجهل الحركة الكشفية متيزي وزو الى الحدّ الذي جعله لا يتذكر من بين النشاطات الكثيرة سوى مسعى واحد؟

على اية حال، قائمة الشهداء المسجلة على النصب التذكاري للمدينة تشهد على التجنّد التام لكشافة المنطقة في الثورة التحريرية. وكما حدث في كل مكان، فإن القائمة طويلة وكل اسم عليها يُشكّل في حدّ ذاته ملحمة كاملة.

كذلك يُعتبر بقاء الكشافة الى جانب الشعب كاستمرارية للوطن، وإحدى قوى الأمة وشبيبة الجزائر دليلا بليغا على التحامهم بالثورة والبلاد سواء بصفة فردية أو كعناصر مُنتمية الى الكلّ.

محمد بن يحيى تيزي وزو.

حول تاريخ الكشافة

«المجاهد» 1986/03/03»

«(...) كتابة التاريخ هو ما كنّا ننتظره منذ زمن طويل من مؤرّخينا، لكن ليُكتب كل تاريخ بصفة تامّة وصحيحة ودون تحيّز. في النص الذي نشر في العدد المذكور أعلاه، ندعو بعض السطور الى التحقّق تجاه محتواها، وأنا اعتبر نفسي مُلزما بأن اصحّح للناس ما وقعوا فيه من اخطاء، بصفتي عضواً سابقاً في الـ: (ك.إ.ج) والـ: (BSMA). قبل كل شيء يجب أن يعلم الناس بأن الممارسة الكشفية داخل الـ: (BSMA) كانت مدرسة حقيقية للتعبئة الوطنية. نشاطنا الرئيسي تمثّل في التكوين الاجتماعي – السياسي، الدّيني والعسكري. الـ: (BSMA) كانت تحت وصاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واعتقد أنه لا حاجة لنا بالتعريف بمسؤولي هذه الجمعية.

«في كتابه، كتب السيّد درويش بأن الـ: (ك.إ.ج) كانت تُعاني من إزعاج وتقييد الإدارة الاستعمارية في حين تساهلت هذه الأخيرة مع الـ: (BSMA) (ص: 152). هذا خاطىء ومُهين، اذكّر، من أجل التذكير، ما لم يظهر في كتاب السيّد درويش هو أن المرحوم رئيس الـ: (BSMA) سي الطاهر التجيني حُكم عليه منذ 1945 بالسجن سنة نافذة بسكيكدة بعد أن خلف المرحوم محمّد بوراس، ثم حُكم عليه بعشرين سنة سجنا مع الأشغال الشاقة في 1957 من طرف المحكمة العسكرية الفرنسية بالجزائر العاصمة. شيء آخر لم ينقله السيّد درويش: الـ: (BSMA) توقفوا عن كل نشاط خلال حرب التحرير عكس الـ: (ك.إ.ج). هناك رجال مازالوا أحياء يُرزقون، مسؤولون سامون للامة، بإمكانهم تقديم شهاداتهم على ما اقول.

فيما يخصّ الكشافة النسوية داخل الـ: (ك.إ.ج)، اطرح السؤال الآتي: في أي فوج من الـ: (ك.إ.ج). وُجدت الفتيات؟ وفيما يتعلّق بالـ: (BSMA)، أترك الأمر للسيّدة التجيني، أرملة سي الطاهر، كي تُقدّم

شهادتها حول الكشافة النسوية داخل الـ: (BSMA). اما فيما يخص انشقاق الـ: (ك.إ.ج). في سنة 1948 التي تسبّبت في إنشاء الـ: (BSMA) من طرف الطاهر التجيني، فإن أسباب هذا الامر لا تمتّ بصلة الى الأسباب التي كتبها محمد درويش. في 1955، توقفت الـ: (BSMA) عن جميع النشاطات للالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني. لن أذكر اسماء الذين ماتوا، لأن القائمة ستكون طويلة جداً، كما لن أتحدّث عن نفسي ولن أقدّمها كنموذج. ليست هذه نيّتي أن يؤلف محمد درويش كتابا حول تاريخ الكشافة فهذا عمل يشكر عليه. لكن ليقوم به دون حذف ودون تشويه للأحداث، لأن هذا يتعلّق بشرف رجال ماتوا وآخرين مازالوا أحياء يرزقون».

عبد الرحمن نعماني

عنصر سابق في الـ: (ك.إ.ج) سابقا

ثم في الـ: (BSMA)

«المجاهد» في: 3 مارس 1986

بذور قومية في الكشافة

حديث مع محمد درويش * («المجاهد» في 1986/03/12)

إثر نشرنا لكتابه حول تاريخ الكشافة الجزائرية والتحقيق الذي نشرناه بخصوصه في احد اعداد جريدتنا، محمد درويش اتانا اليوم ببعض المعلومات الإضافية.

س – ما الذي دفعكم الى تأليف «تاريخ الكشافة الجزائرية»؟

ج – المؤلفات التي تهتم بتاريخ الجزائر، باللغة الفرنسية، توفر مراجع كثيرة حول الجزائر ويُلاحظ بان المؤلفين الجزائريين قليلو العدد. في «حرب الجزائر» لـ (A. Horne)، يوجد 15 مؤلّفا جزائريا مقابل 15 مؤلّفا اجنبيا: المان، انجليز، امريكيون واغلبية فرنسية.

حول الكشافة الإسلامية، حسب معلوماتي، لا يوجد أي كتاب باللغة الفرنسية ولا مجلة كشفية باستثناء بضعة صفحات مُلحقة بـ: «تاريخ رواد فرنسا من 1911 الى 1951» من تاليف: (P. François) و(M. Kergomar).

هل يجب ان ننتظر، حتى في هذا الميدان، أن يكتب لنا الأجانب ما عشناه بأنفسنا؟

لعبت الكشافة الإسلامية دوراً مُعتبراً في تربية وتكوين جزء من الشبيبة الجزائرية. فقد شاركت في بعث الصّحوة القومية في قلب هذه الشبيبة. ومن هذا المنطلق ساهمت الكشافة الإسلامية في تحضير الثورة. ويجب أن تعرف الشبيبة الحالية بهذا الأمر، وتُوسّع بالتالي معرفتها بتاريخ الجزائر.

س – لم تُقدّموا سوى حوالي عشرين فوجًا في حين كان يوجد أكثر من مائة فوج.

ج – لقد شرحتُ في المقدمة بأن دراسة الكشافة الإسلامية في الجزائر دراسة كاملة تتطلب الرّجوع الى مسيرة كل فوج كشفي، لان كل فوج كان له تاريخه وحكاياته. عمل كهذا، يتطلّب وقتا طويلا، لكن لاخذ فكرة عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي ادّت الى ميلاد «الكشافة

الإسلامية الجزائرية» يكفي ان نتعرّف على الجمعيات الكشفية الإسلامية العشرين التي تاسّست قبل تشكيل فيدرالية الـ: (ك.إ.ج) في 1939.

هناك آخرون غيري يعملون اليوم من اجل التعريف بإنجازات الكشافة في مختلف الجمعيات، انا اعرف ثلاثة يشتغلون بجدّية حول هذا الموضوع: مجموعة من قدماء الـ: (ك.إ.ج)، مجموعة من قدماء الـ: (BSMA) واحد قادة الكشافة الأوائل، محمد فارس. هذا الأخير نشر مؤخرًا مذكّرة هامّة حول الكشافة في الجزائر في «مجلة التاريخ» عدد 19، الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية (السداسي الثاني – سنة 1985).

س – في كتابكم لم تتحدثوا عن الكشافة كمنهج تربوي.

ج – المنهج الكشفي وتكييفه للوسط الجزائري يكتسي اهمّية كبيرة، ليس فقط للتعريف بقيمة التقنيات والأساليب الخاصّة، لكن للمحافظة على وسيلة النشاط والتكوين هذه المكيّفة حسب اطفال الجزائر في الماضي، والتي يُمكن ان تُستخدم من طرف حركة «الكشاف» التي تنشط حاليا في إطار الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية (UNJA).

حول هذا الموضوع اعلّم بان مسؤولا قياديا سابقا للـ: (ك.إ.ج) ورجل بيداغوجية، هو فارس علي، يقوم ببحوث بمساعدة فريق قادة الكشافة.

س – هل لديكم ما تُضيفونه حول موضوع انشقاق سنة 1948؟

ج – «الكشافة مدرسة للوطنية» هكذا يقول تاريخ الكشافة عند دراسته في محيطه الاجتماعي – السياسي لذلك الوقت ومن خلال تطوّره في علاقته بنفس المحيط الى غاية 1954.

عاشت جمعية «الكشافة الإسلامية الجزائرية» (SMA) في 1948 فترة درامية. فقادة الكشافة الذين كانوا في نفس الوقت مناضلين في حزب الشعب الجزائري قرّروا الاستيلاء على الجمعية. والقادة الذين لم يرضوا عن هذه العملية اسّسوا جمعية «الفتيان الكشافة المسلمين الجزائريين» (BSMA).

لا اريد ان استطرد هنا حول هذا الموضوع تفاديا لايّ جدال، رغم ان مُعايشتي لهذه الفترة من تاريخ الكشافة، دفعتني الى الحرص في كل مرّة

على أن أعطي للصحافة نسخة التصريحات التي يقوم بها مسؤولو الحركتين حتى أتفادى بالتالي مشاعري الشخصية.

إن تاريخ الجزائر في حاجة لمعرفة ما عاشه هؤلاء وأولئك، وهذا ما حاولتُ نقله بأقصى ما يُمكن من نزاهة مُوضحا في كل مرة مصدر مرجعيتي. في خضمّ هذه الدوّامة التي وجدتُ نفسي فيها، من الطبيعي ان لا استطيع إرضاء الجميع. البعض رأى بأني كنت قاسيا جداً بسبب ردّ فعلي العموي على مقال (A.R) وحده فقط على صفحات يومية «المجاهد» والذي لم يُكلّف نفسه عناء القراءة برويّة لكل محتوى كتابي، كما رأى البعض الآخر بانني كنتُ معتدلا فيما يخص هذه المسألة. إني أوصي هؤلاء واولئك بالرجوع الى مسؤوليهم القُدامى لتوضيح شكاواهم وبالتالي تمكين إتمام ما يمكن ان اكون قد اغفلته؛ أو تقويم الاخطاء التي تكون قد ارتكبت، كما أنه مسموح لهم ايضا بتأليف كتاب لأنه لا احد يمتلك احتكار الكتابة. لا أزعم بأنني مؤرّخ، لكنّي استخدمت وقتي ومعارفي لأعمل أقصى وأفضل ما يمكنني عمله وسوف أواصل العمل على هذا الدرب.

بطبيعة الحال، اضطررت للصّبر على الامتحان الاكثر جحوداً؛ الامتحان الذي يواجهه دائما الاوائل الذين يُبادرون بالكتابة في ايّ مجال من هذه المرحلة، إنهم الأكثر تعرضا للتهجم والتّجريح. اتمنّى انْ ينتفع من هذه التجربة كل الذين يتبعونني على هذا الدّرب، كما اتمنى ان يستفيدوا بصفة خاصّة من جميع المصادر المرجعية والوثائق المذكورة في هذا الكتاب لإنجاز ما هو أحسن منه.

رغم ذلك سررت لتلقّي الثناء الشفوي وعن طريق الرسائل من طرف مسؤولين قدماء للكشافة، سواء من الـ (BSMA) او الـ (ك.إ.ج)، وأنا اشكرهم على ذلك.

س – هل بمكنكم أن تُحدثونا عن نشاطات الـ: (ك.إ.ج) أثناء الثورة؟.

ج – تُمثل هذه الفترة من تاريخ الكشافة وحدها موضوع كتاب هو الآن في مرحلة البحث والتحضير.

صحيح أن جمعية الـ (ك.إ.ج) في الجزائر انحصرت في بضعة أفواج كشفية في الجزائر العاصمة فادة، جوالة وأناس لا علاقة لهم بالكشافة استعملوا مقرات هذه الأخيرة وتنقلاتها، والغطاء الكشفي لبعض العمليات لها علاقة مع المنطقة المستقلة ذاتيا (Zone autonome)، مع الولاية الثالثة ومع الولاية الرابعة. فهذه الفترة بالذات التي تمّ فيها اعتقال رئيس الكشافة الإسلامية الجزائرية عمر لاغا الذي تعرّض للتّعذيب ثم للإعدام من طرف المظلّيين.

في المغرب الأقصى توجد أفواج كشفية منخرطة في جمعية الـ (ك.إ.ج) للجزائر العاصمة منذ 1948، أثناء الثورة، فتحت أفواج الـ (ك.إ.ج) بالمغرب الأقصى مقراتها بالمدن والقرى المغربية على طول الحدود لاستقبال وتأطير أبناء اللاّجئين.

في تونس، جمع قادة كشافة أبناء الجزائريين المهاجرين واللاّجئين في إطار منظمة كشفية تحت اسم الكشافة الإسلامية تابعة لتنظيم جبهة التحرير الوطني: «الشبيبة الجزائرية».

في الختام، أكتفي بالقول بأن الثورة الجزائرية سمحت لكل الشبيبة، حيثما مارست الكشافة، أن تجد نفسها مع شبيبة المدن والأرياف في الكفاح المسلّح وبالتالي تم تجسيد الوطنية بالعمل الميداني.

بين الكشافة..

تعليق «المجاهد»

إثر التقديم الموجز لكتاب محمّد درويش: «الكشافة مدرسة للوطنية» (ENAL - OPU) الذي نُشر على صفحات يومية «المجاهد» بتاريخ 12 جانفي 1986، كاتبنا قرّاء أو اتصلوا بنا هاتفيا ليحتجوا على الأقوال «الكاذبة» التي وردت من طرف المؤلّف ضدّ الـ: (BSMA) ورئيسهم، الراحل الطاهر التجيني، رحمه الله.

فنحن هنا نعترف بذنبنا! لأنه كان من الأليق أن لا نكتفي بذكر عبارات محمد درويش بين حاضنتين، الذي تمّ تجريمه هنا، مادمنا قادرين على تعليقنا معبّرين «هكذا» عن تحفّظنا! خاصة وأن العبارات المذكورة قاسية جدّاً عشوائية، حسب رأي بعض قدماء مسؤولي الـ(ك.إ.ج) الذين عبّروا هم أيضا عن استنكارهم لموقف الكاتب.

الى كل هؤلاء القرّاء المغتاظين الى حد البذاءة الصّريحة أحيانا، نحرص على تذكيرهم بأن بعض جامعيينا ومسؤولينا هم من قدماء الـ (كشافة)؛ إذن فهم مؤهلون لتصحيح الافكار وردّ الأقاويل التي جاءت من محمد درويش. وإذا تجسّدت مثل هذه المبادرات، فإننا نتمنى أن تكون نزيهة وخاصة باردة الأعصاب. لكل من سمع نداءنا...

«المجاهد» – 23 فيفري 1986.

3 - نصوص من مؤلفات تاريخية

1 - شارل روبير آجرون Ageron، تاريخ الجزائر المعاصرة (1871-1954)

منشورات P.U.F، باريس، 1979، الجزء الثاني.- ص 592:

« عرفت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (MTLD) كيف تستقطب الشبيبة الحداثية خصوصا بواسطة الكشافة. وآلت الكشافة الإسلامية الجزائرية الى الانضمام الى (ح.إ.ح.د) الى درجة أن المرشد العام (بوزوزو، ثم عمر لاغا) عُيِّن بالمناسبة لتمثيل الحزب في الخارج».

- ص 582 - «اهتمّت جمعية العلماء المسلمين اهتماما كبيرا بحركة الفتيان الكشافة المسلمين الجزائريين (BSMA) والتي دفعت سرًّا تأسيسها في 1948 ضدّ الكشافة الإسلامية الجزائرية (ك.إ.ج) المسوَّمة للعناية على هواها. وكان من بين أعضاء مجلس إدارة الـ (BSMA) الشيخ البشير الإبراهيمي، مالك بن نبي، والشيخ الغسْيري، هذا الأخير كان مُرشدا. الـ(BSMA) الذين لم يكن لديهم سوى عشرين فوجًا في 1949 لم يُعترف بهم سوى في 1950 من طرف السلطات الفرنسية».

2 - م. قداش، تاريخ القومية الجزائرية.

منشورات، (ش.و.ن.ت) (SNED). الجزائر 1980 ج2.

- ص 88 - الكشافة الإسلامية الجزائرية.

«وفرت الكشافة الإسلامية الجزائرية إمكانيات كبيرة لحزب الشعب الجزائري بفضل توزعها الجغرافي عبر عدد كبير جدًّا من المدن وحتى القرى».

- ص 809: «كشفت احداث ماي 1945 عن الطابع الحقيقي للكشافة: مدرسة للوطنية الجزائرية، القمع (القمع الذي تعرّضت له الكشافة في إقليم قسنطينة ومنطقة القبائل) الذي تلا الاحداث، دعّم وحدة الحركة. تحت ضغط مناضلين شباب في حزب الشعب الجزائري (ح.ش.ج) تشدّد الـ (ك.إ.ج) في مواقفهم وأكّدوا في عدّة مناسبات الطابع الوطني

لجمعيتهم: الوعد بالوفاء للوطن الجزائري وحب العلم الجزائري، الروح الوطنية التي اتسمت بها الكشافة الإسلامية أقلقت الإدارة التي عملت على وقف تغلغل (ح.ش.ج)، في الـ (ك.إ.ج)، لكن الحزب سبق الإدارة، وفي الجمعية العامة التي انعقدت في سيدي فرج قرب الجزائر العاصمة في 1947، أغلبية المؤتمرين عبّرت عن إرادتها في البقاء متضامنة مع القادة والجوالة المنخرطين في (ح.ش.ج)، أو الذين لا يحشون التعاون معه. وبفضل مساعدة (ح.ش.ج) ورغم المصاعب المتعددة التي لا فوها، استمرت الـ (ك.إ.ج) في النشاط... على المستوى السياسي، تبنت الـ (ك.إ.ج) أطروحات (ح.ش.ج) و(ح.إ.ح.د)... قد تبنت هذه المنظمة الشبانية التابعة لـ (ح.ش.ج) انتماءها للحركة الوطنية».

3 - م. تقية، الجزائر في الحرب،

منشورات OPU الجزائر 1981.

- ص 196: «سوف نثائر المنظمات الشبانية الأخرى بمختلف الأحزاب او الجمعيات. الى جانب الـ (SMA) التي تأسست فيدراليتها في افريل 1939 من طرف عضو في (ح.ش.ج) (بوراس)، هناك الـ (BSMA) التابعين للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA)، وشبيبة الـ (UDMA) (J.U.D.M.A)، وشباب الـ (F.S.G.T)، القريبة الـ (C.G.T)».

ملاحظات نقدية حول هذه المقتطفات:

1) ش.ر. آجرون (Ageron)

- ص 592: رأي المؤرخ الفرنسي أكده م. قداش الذي يجزم كذلك بانتماء الـ (SMA) لـ (ح.ش.ج) و(ح.إ.ح.د) منذ أزمة مارس 1948.

- ص 582: هناك خطأ في هذه الصفحة: جمعية العلماء لم تدفع الى تأسيس الـ (BSMA) التي رفض أصحابها بإرادتهم التبعية لأيّ حزب سياسي مهما كان، وذلك خلال أزمة 1948. من جهة أخرى كان الشيخ البشير الإبراهيمي مرشدا شرفيا ولم ينتم الى مجلس إدارة الـ (BSMA).

2) م. قدّاش،

– ص 889: يعترف بوضوح باندماج الـ (SMA) في (ح.ش.ج) – (ح.إ.ج.د). هذا ما يُفسّر رحيل القادة الذين لم يوافقوا على هذه النقطة.

هذا النّص لا يهتم بأزمة 1948 وانسحاب القادة الذين رفضوا خضوع الكشافة الإسلامية لحزب. كيف نفسر عدم التعرّض لذلك في حين أنه حدث أساسي؟ هؤلاء القادة هم الذين أنشأوا الـ (BSMA) للحفاظ على استقلالية الحركة (بيان «من أجل كشافة إسلامية جزائرية حرّة» مليانة في أفريل 1948). من جهة أخرى، الجمعية العامّة في سيدي فرج، انعقدت في 1948 وليس في 1947 كما ذكر ذلك قدّاش.

3) م. نقية:

– ص 106: وصف الكاتب الـ (BSMA) بأنهم تابعون لـ (UDMA) (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري)، في حين يربطهم آجرون (Ageron) بجمعية العلماء! في الحقيقة، تأسيس الـ (BSMA) في حدّ ذاته قام على رفض التبعية لأيّ حزب أو حركة. ولم يكن وارداً لديهم رفض حزب للانضمام الى حزب آخر.

4 - تراجم المؤلفين الرئيسيين

1) ابن محمود (محمود) - (1927-1969)؛

- قائد كشفي ومربّ، ابن محمود وُلد في سطيف في 2 أفريل 1927. كان الابن البكر لعائلة كثيرة العدد. زاول الدّراسة الابتدائية، ثم تردّد على الثانوية حتى ماي 1945. خلال مظاهرات 8 ماي، وجد نفسه في خضم الاستعراض الشعبي بسطيف مع كشافة فوج «الحياة»، فطُرد من الثانوية الفرنسية بسبب مشاركته في الاستعراض قبل تقدّمه لامتحان البكالوريا بشهرين. فاشتغل كمُعلّم، وبعد سنوات عديدة من الجهد، تقدّم لامتحان البكالوريا الذي نجح فيه في سنة 1950. فدرّس في مسيلة وحضّر نفسه لمسابقة سوف تجعل منه مُفتّشا ابتدائيا وتسمح له بالدّخول الى (Saint-Cloud).

- ناضل في جبهة التحرير الوطني أثناء حرب التّحرير وهو يشتغل كمفتش في نفس الوقت. بعد الاستقلال، عُيّن مُفتّشا لأكاديمية عنابة الى غاية وفاته في فيفري 1969 إثر حادث مرور.

- كرّس ابن محمود كل أوقات فراغه للكشافة الإسلامية. فشغل عدّة وظائف في فوج «الحياة» بسطيف، الى جانب القادة: حسن بلكيرد (اغتيل من طرف القوات الاستعمارية اثناء الحرب)، عبد القادر يعلى، الأخضر دومي، وآخرين. بعد انشقاق 1948، التحق بالـ(BSMA) وتحمّل مسؤولية العتابة بالرّواد، ثم الجوالة، كقائد فيدرالي. شارك في العديد من المخيّمات الوطنية والدّولية؛ في هذا المجال، شارك في ميرجان (الجمبوري) بالنمسا وفي قافلة القاهرة حيث التقى القادة التجيني والعسّيري، والجنرال نجيب والرئيس عبد الناصر.

إنّ خصاله الحميدة، ووفاءه للكشافة وثقافته جلبت له احترام وصداقة الجميع، وبقي قُدوة حيّة لكلّ منْ عرفوه.

2) بوبريط مقران (معروف أكثر باسم رابح).

وُلد بوبريط في 27 أكتوبر 1915 بتيزي وزو. منذ 1931 انخرط في الكشافة في إطار «الرّواد الاتحاديين» (بعثة Rolland بتيزي وزو). وفي 1936 تعرّف على محمد بوراس وأسّس فوج الكشافة الإسلامية الجزائرية «الهلال» بتيزي وزو سنة 1938. ثم في 1939، شارك مع بوراس في إنشاء فيدرالية الـ(ك.إ.ج) وأصبح احد قياديّها الرئيسيين.

- بعد إعدام بوراس في 1941 وإثر أحداث ماي 1945، هاجر الى ألمانيا ثم الى فرنسا حيث شارك في نشاطات جبهة التحرير الوطني.

بعد استقلال الجزائر، كلّف من طرف وزارة الصحة العمومية بمديرية المستشفيات وفي 1968، انتُدب لدى الهلال الأحمر الجزائري كمدير، وبقي فيه مدة غير قصيرة.

3) أبوعمران الشيخ.

وُلد في البيّض سنة 1924، زاول دراسته بالمدرسة الابتدائية والدّروس التكميلية بقريته. ثم التحق بثانوية (Lamoriciere) بوهران لمواصلة دراسته الثانوية (1941–1944). انخرط في فوج الـ(ك.إ.ج) بوهران سنة 1941، تحت إشراف القادة حمّو بوتليليس وعبد القادر فروبشة وعبد القادر طهراوي.

في نهاية دراسته الثانوية، سجّل نفسه في جامعة الجزائر لتحضير ليسانس في الفلسفة وقام بتربّص في المدرسة للأساتذة (Ecole Normale) ببوزريعة بالعاصمة (1945). اثناء ممارسته للتعليم في البيّض، اسّس فوج «بودرقة» عملا بنصائح القائد الجهوي الشريف غوثي (تلمسان). مارس التعليم في مليانة، وبوفاريك والجزائر العاصمة، مع اهتمامه في نفس الوقت بالكشافة ومزاولة دراساته العليا. تحصّل على الأستاذية واشتغل كأستاذ في مؤسسات مختلفة.

داخل الحركة الكشفية تكفّل بنشرية «الحياة» ونشر مقالات عديدة وشارك في مهرجان (الجمبوري) بـ(Moissons) بفرنسا في 1947 وكذلك في العديد من المخيّمات الوطنية والدّولية. بعد انشقاق 1948، سيّر الجوالة كقائد فيدرالي وانخرط في فيدرالية الـ(BSMA) الى جانب النجيمي الطاهر، القشعي محمد، جيجلي محمد.

خلال حرب التحرير، كان عضوا في الشبكة الكشفية للإعلام مع التجيني وقادة كشافة آخرين (1955)، وانخرط في الاتحاد العام للعمال الجزائريين (UGTA) (1956). وبعد الاستقلال، حضر المؤتمر الكشفي للوحدة (1962)؛ وإثر انتخابه في اللجنة المدبرة، لم يمر عليه وقت كبير لينسحب ويتفرّغ للتربية.

بعد نيله لدكتوراه الدولة في جامعة « السوربون »، قام بتدريس الفلسفة في جامعة الجزائر (1965–1991) وعُيّن بالانتخاب في مؤتمر فيدرالية عمال التربية والثقافة (FTEC/UGTA) أمينا عاما (1969–1975). وفي نفس الوقت، شارك في النشاطات الثقافية وحضر كخبير، في العديد من الندوات والتجمعات التي نظمتها منظمة اليونيسكو وجامعة الدول العربية (باريس، القاهرة، داكار...). وخلال أزمة 1991 دخل الحكومة كوزير للاتصال والثقافة. له عدّة مؤلفات والعديد من المقالات، وكذلك المحاضرات التي يُذيعها على امواج الإذاعة، وفي التلفزيون، وفي العديد من مدن البلاد. الشيخ ابوعمران عضو اتحاد الكُتّاب الجزائريين والمجلس الوطني للثقافة.

4) شريف غوثي

وُلد في تلمسان في 25 نوفمبر 1913. زاول دراساته الابتدائية والثانوية في مدينته. اشتغل بالبداية في التجارة، حيث مارسها لحسابه الخاص من خلال دُكّانه. ناضل مُبكّرا في الجمعيات الثقافية وانخرط في الكشافة الإسلامية. وأثناء حرب التحرير، أعتقل وسُجن في (Bossuet) (منطقة سيدي بلعباس) من 1956 الى 1960. بعد تحرير البلاد، سيّر البلدية حتى 1964. آنذاك تراس مؤسّسة تجارية عمومية، ثم مصنعا لإنتاج الزّرابي حتى بلوغه سن التقاعد وفي المجال الكشفي، قاد الحركة في إقليم وهران حيث كان القائد الجهوي، وتعاون مع الرئيس بوراس، نظرا لخبرته وحيويته، واصبح نائب القائد العام وتكفّل بالجوالة بصفة خاصة. نظم العديد من مخيمات القادة. وشارك في المفاوضات مع الكشافة الفرنسية ودافع بصرامة عن استقلالية الكشافة الإسلامية. لقد كان معروفا ومحترما،

تمكنته هذه الصفات من تقديم دعمه الفعّال لمسيّري الحركة التي جُدّدت في السنوات الأخيرة.

ويبقى الشريف غوثي أحد الوجوه العظيمة للكشافة الإسلامية وأحد مؤسسيها الأكثر فعالية.

5) جيجلي (محمد).

وُلد في برج بوعريريج في 1916 زاول دراساته الابتدائية في قسنطينة حيث كان أبوه قاضيا، حضّر مسابقة الدخول الى المدرسة للأساتذة (Ecole- Normale) ببوزريعة - الجزائر العاصمة والتحق بالعاصمة بعد نجاحه (1933). وقام بالتدريس في مختلف المؤسّسات بالشرق والإقليم القسنطيني، ثم عاد الى قسنطينة للتدريس بمؤسسات ثانوية كأستاذ، بعد حصوله على شهادة ليسانس في الآداب العربية بالمراسلة مع جامعة الجزائر (العاصمة)، وبعدها بقليل نال شهادة الأهلية لتعليم اللغات الحيّة في باريس 1949.

- بعد احداث ماي 1945، انخرط (إ.د.ب.ج) في (UDMA) وناضل في سرية قسنطينة الى جانب الحاج سعيد وعباس علاوة وأحمد يحيى ولونيس...

انضمّ الى الكشافة في قسنطينة كمسؤول جهوي للحزيتة وشارك في المخيم الفيدرالي بتلمسان في جويلية 1944. عُيّن بعد فترة قصيرة قائدا منتدبا بالإقليم قسنطينة، وهي المسؤولية التي تحمّلها دون انقطاع داخل الحركة. تكفّل في نفس الوقت بالكشافة النّسوية التي كان له الفضل في تأسيسها ثم بعد فترة وجيزة أصبح عضوا في القيادة العامة واللجنة المديرة للفيدرالية،وهذا هو السبب الذي جعله كثير التردّد على الجزائر العاصمة، إما للمشاركة في الاجتماعات او لتسيير مخيّمات هامة. كما كانت له أحيانا رحلات الى تونس، نظرا لقربها من إقامته، لتمثيل الفيدرالية لدى رواد تونس المسلمين (E.M.T).

بعد الانشقاق، أصبح قائداً عامّاً بالنيابة للكشافة المسلمين الجزائريين (BSMA) ومسؤولا في نفس الوقت عن الكشافة النسوية.

خلال حرب التحرير، اعتُقل مع مطلع 1955 بسبب نشاطاته الكشفية التي توقفت بعد فترة قصيرة، بعد الإفراج عنه، عاد الى مهنة التعليم بثانوية قسنطينة.

بعد الاستقلال كرّس نفسه للتربية بصفة خاصّة، سواء كمفتش الأكاديمية بعنابة أو كمدير للتربية الوطنية بوزارة التربية. في وقت لاحق، كلّف بالتفتيش لدى مدارس المعلمين (Ecole- Normale) وادار مركز تكوين مفتّشي التعليم. وله العديد من المقالات حول الكشافة، والعديد من الكتب المدرسية الموجّهة لتعليم اللّغة العربية وكذلك محاولات ادبية.

6) القول (الصّادق):

هو احد مؤسّسي الكشافة الإسلامية الى جانب محمد بوراس. وُلد في مليانة في 20 ديسمبر 1911، زاول دراسته الابتدائية بالمدرسة العمومية لمدينته بصحبة بوراس. وفي 1924، تمّ توظيفه في شركة تامين وكان في نفس الوقت يواصل تكوين نفسه بنفسه، ثم اصبح عاملا مُتَقْدافي شركة جيوفيزيائية وبعدها ارتقى الى منصب مساعد – مهندس (aide-géomètre) بمدرسة المعادن بمليانة، وفي النهاية فتح مكتبا لحسابه الخاص كخبير في الهندسة (géomètre-Expert) .

أسّس فوج ابن خلدون بمليانة وشارك في المخيّم الفيدرالي في شهر جويلية 1939 بالحراش. وتأسّست فيدرالية الـ (ك.إ.ج) تحت رئاسة بوراس. القول اصبح قائداً تقنيا مع بوبريط. وعند تعيينه قائداً عامًا، خلف بوراس في 1941 إثر اعتقال وإعدام هذا الأخير؛ عندئذ قام بجولة عبر البلاد برفقة بوبريط لطمأنة قادة الكشافة وتدعيم الفيدرالية. عندما اصبح ابن زكري رئيسا للفيدرالية، توقف القول عن النشاط لفترة مُعيّنة، ثم التحق بالفيدرالية بقسنطينة في 1946. بعد انشقاق الفيدرالية عام 1948، انضمّ الى الـ (BSMA) وشغل فيها مسؤولية قائد فيدرالي. بعد الاستقلال، شارك في مؤتمر الوحدة (سبتمبر 1962)، ثم انسحب بسبب تقدّم سنّه توفي رحمه الله سنة 1995.

7) القشعي (محمد)،

وُلد في نوفمبر 1916 بتيزي وزو، وزاول بها دراسته. التحق مُبكّرا «بنجم شمال إفريقيا»، ثم بحزب الشعب الجزائري؛ طُرد مُبكّرا من المدرسة الابتدائية لنشاطاته الوطنية. وخلال تأسيس فوج «الهلال» بتيزي وزو: كرّس نفسه للحركة الكشفية وساهم في تأسيس الـ (ك.إ.ج) (1939) وأصبح قائداً جهويا، ثم قائداً فيدراليا. في 1945 اعتُقل برفقة قادة آخرين وافتيد الى السّجن العسكري بالجزائر العاصمة وإثر قانون العفو، أطلق سراحه في 1946، فواصل نشاطاته الكشفية، عندما كان قائدا مسؤولا عن الأشبال، نظمَ العديد من المخيّمات والتربّصات. وفي 1948 التحق بالـ (BSMA) وأصبح رئيسا لهذه الجمعية في وقت لاحق.

أثناء حرب التحرير، ناضل في جبهة التحرير الوطني وأصبح أحد مسؤوليها في تيزي وزو. وفي 1955، أسندت له مهمّة تجنيد الكشافة، كما أعطى لجبهة التحرير الوطني (الولاية ثلاثة) صندوق أموال الـ(BSMA) وعتادها، فانخرط القادة إثر ذلك بصفة فردية في شبكات المقاومة وتمّ إلقاء القبض عليه أثناء إضراب الثمانية أيام في 1957، ثم فُرضت عليه الإقامة الجبرية. مع بداية 1962 كُلّف بإعادة تنشيط الحركة الكشفية من طرف الولاية الثالثة.

بعد الاستقلال، ترأس لجنة الهلال الأحمر الجزائري بتيزي وزو، ثم أصبح نائب رئيس اللجنة الوطنية بالجزائر العاصمة وأنجز عدّة مهام في الداخل والخارج وخاصة بالأردن، في خدمة اللاجئين الفلسطينيين. إنه قائد محترم كثيرا لنشاطه، ولوفائه وكياسته. توفي رحمه الله سنة 1998.

8) فرج (محمد الصغير)،

اهتم محمد الصغير فرج مُبكّرا بالكشافة. وُلد في 4 فيفري 1912 بتيزي وزو. شارك في نشاطات فوج «الهلال» وحضر سنة 1939 عملية تأسيس فيدرالية الـ (ك.إ.ج) الى جانب صديقه بوراس. أصبح محافظا جهويا، ثم محافظا فيدراليا ومحافظا عامًا بالنيابة مع تكفله منذ 1945 بتجارته، الشيء الذي منحه

حرّية نسبية في التنقل. في نفس الوقت كان يُدير شعبة جمعية العلماء المسلمين بتيزي وزو وترأس لجنة مدرسة «الشبيبة» بها (1937–1938).

في 1944، انضمّ الى «احباب البيان والحرية». اعتُقل في فيفري 1945، اطلق سراحه ليُعتقل من جديد في جوان خلال احداث سطيف. كاد ان يتعرض لحكم قاسٍ من طرف المحكمة العسكرية بالجزائر العاصمة؛ لكن افرج عنه في 1946 في إطار قانون العفو. اثناء حرب التحرير، اضطرّ للهجرة الى فرنسا، ثم المغرب الأقصى.

فرج محمد الصغير شخصٌ عصامي، واصل تكوين نفسه بنفسه ثقافيا باللغة العربية واللغة الفرنسية. حبّه للتاريخ دفعه الى كتابة دراسات احادية (Monographies)حول «آل بلفاضي في منطقة جبل كوكو» و«آل بن سالم»، كمين في برج سباو»، وإشارة لتاريخ دلّس. كما نشر دراسة حول «لالة فاطمة نسومر في «مجلة تاريخ المغرب» (تونس 1979). عند توليه رئاسة جمعية الدراسات التاريخية والأثرية لولاية تيزي وزو، واصل بحوثه ونشر «تاريخ تيزي وزو ونواحيها» (محشهظ الجزائر، 1990). خبرة هذا الرجل وثقافته، آراؤه الحكيمة، تلقى احتراما كبيرا في اوساط الحركة الكشفية كما في الأوساط الوطنية.

9) التجيني (الطاهر):

إنه أحد كبار قادة الكشافة الإسلامية. وُلد في 16 مارس 1916 بعين ماضي (قُرب الاغواط) وتلقى تكوينه الأول في مدرسة مسقط راسه، ثم رحل الى المغرب الاقصى عند أخيه البكر وواصل هناك دراساته الثانوية في ثانوية الرباط وعاد بعدها الى الجزائر العاصمة لتحضير ليسانس في الآداب بالجامعة. انضمّ الى جمعية الكشافة كسكرتير اللّجنة المدبرة في 1940.

– بعد إعدام بوراس نُقل من طرف الإدارة، كعقاب له، الى مرسيليا، ليعود في 1941 الى ثانوية سكيكدة حيث مكث عدّة سنوات. ادار الفيدرالية حتى 1948، بعدما عُيّن قائداً عاما لـ(ك.إ.ج) وبعد الانشقاق، اصبح رئيسا وقائداً عاما لـ(BSMA).

– في 1955، انضم قادة الفيدرالية الى جبهة التحرير الوطني كغيرهم من اغلبية مسؤولي المنظمات الوطنية وأصبح منذ ذلك الحين عضوا في شبكة الإعلام مع أصدقائه الكشافة، وقبل أن يُلقى عليه القبض، لجأ الى المغرب الأقصى المحكمة العسكرية بالجزائر العاصمة، حكمت عليه بعشرين سنة سجنا مع الأشغال الشاقة. بعد الاستقلال، شارك في مؤتمر الوحدة الكشفية في سبتمبر 1962، ثم انسحب ليكرّس نفسه لخدمة التربية.

– اشتغل مديراً لثانوية عقبة بن نافع في الجزائر العاصمة، وشغل لفترة معيّنة وظائف عديدة منها أمين عام لوزارة الأوقاف، ثم للتربية الوطنية، مع بقائه في منصبه مديراً لثانوية عقبة حتى وفاته في 7 جانفي 1977. فدفن في بوزريعة في موكب جنائزي حضره جمع غفير من الأصدقاء والتلاميذ. النجيتي رحمه الله له العديد من المقالات نُشرت في النشريات الكشفية وترك مذكرة دراسات عُليا (Diplôme) لم تُنشر بعد وكتاباته تبقى نموذجية في الوضوح والالتزام.

10) المرشد محمد الصالح رمضان:

من مواليد 1913 بالقنطرة (ولاية باتنة ثم بسكرة) وفيها نشأ وتربى وزاول تعلمه الابتدائي الفرنسي بـ (المدرسة الفرنسية)، والعربي في (مدرسة الهدى) الحرة.

وفي أكتوبر 1934 سافر إلى قسنطينة لينضم إلى حلقات ابي النهضة العلامة الشيخ ابن باديس ومساعديه في (الجامع الأخضر) وفروعه، ثم عيّنه الشيخ ابن باديس معلما في مدرسته (التربية والتعليم الإسلامية). وخلال ذلك كان يتردد على (كشافة الرجاء وجوالة عقبة) وعيّنوه مرشداً لهم، وبقي على اتصال دائم بهم قرابة عشر سنوات اطلع فيها على الحركة الكشفية وخبر أهدافها ومراميها، وشارك في اعمالها المختلفة، مما نتج عن ذلك: نظّمَ له ديوان شعر بعنوان (ألحان الفتوة) الذي وضعه للأشبال والفتيان والجوالة في الحرب العالمية.

سافر في (رحلة كشفية إلى الأندلس في إسبانيا) سنة 1953 مع وفد صغير فيه القائدان ابو عمران وحطاب وبعض الكشافين من سوق أهراس وتيارت وتبسة وقسنطينة. ومثل الكشافة الجزائرية في (مهرجان الشباب والطلاب العالمي) بفرصوفيا في بولونيا سنة 1955.

ولما قامت الثورة المباركة عمل مناضلا في صفوف جبهة التحرير بقسمة (القبة) ابتداء من سنة 1955، وهو الآن إطار في (اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني).

وفي الاستقلال بدأ (مديراً للتعليم الديني بوزارة الأوقاف ثم بوزارة الشؤون الدينية) وذلك في اكتوبر 1962 فانشا بها (المعاهد الإسلامية) وجلب لها الاساتذة من الأزهر والزيتونة.. التحق محمد الصالح رمضان بوزارة التربية الوطنية وعمل أستاذاً للغة العربية وآدابها في (ثانوية حسيبة بالقبة) إلى ان تقاعد في آخر سنة 1979. وهو عضو مؤسس لاتحاد الكتاب وعضو المجلس الوطني للثقافة ثم مستشار لوزير الاتصال والثقافة سنة 1991.

من آثاره وأعماله: له كتابات متنوعة في مختلف الصحف والمجلات الوطنية وغيرها نظماً ونثراً وله بحوث ودراسات ومحاضرات، في الأدب والاجتماع والتاريخ والنقد، ينشط ويشارك في الملتقيات الثقافية والأدبية.

من آثاره المطبوعة:

1) الذكرى الأدبية لزيارة الفرقة القومية المصرية إلى تلمسان.

2) الناشئة المهاجرة (مسرحية).

3) ألحان الفتوة (شعر).

4) مغامرات كليب (قصة).

5) الخنساء (رواية تمثيلية).

6) النصوص الأدبية (اربعة أجزاء) بالاشتراك مع توفيق محمد شاهين.

7) جغرافية الجزائر والعالم العربي.

وله في تحقيق التراث الجزائري جمع آثار ابن باديس والعقائد الإسلامية وتفسير ابن باديس...

توضيحات
حول تاريخ الكشافة.

نشرت جريدة «المجاهد» بتاريخ 6 نوفمبر 1994 مقالا حول تاريخ الكشافة بيانة تحت عنوان «براعم نوفمبر». اهتماما منّا بإظهار الحقيقة، رأينا من واجبنا تصحيح الأخطاء التي يحتوي عليها.

ذكر بأن الكشافة نشأت في باتنة في سنوات الثلاثينات وبأنها منذ تأسيسها... وضعت نفسها تحت إشراف حزب الشعب الجزائري المحظور. في حين أن هذا الحزب لم يتشكّل إلاّ في وقت لاحق، بعد حلّ «نجم شمال إفريقيا».

ورد في المقال كذلك بأن الكشافة الإسلامية الـ (ك.إ.ج) انتقلت الى وصاية أحباب البيان والحرية (A.M.L) في ماي 1945. وهذا يُعتبر خطأ أيضا. صحيح أن الكشافة تعاونت بالفعل مع هذه الحركة، لكن مع بقائها مستقلة. ولم تُصبح الـ (ك.إ.ج) «منظّمة تابعة للحزب» إلاّ في شهر مارس 1948، وليس في 1946.

هـ هناك خطأ آخر في الأخير، يتعلّق بتأسيس الـ (BSMA) في 1948 وليس في 1950 كما ورد في المقال. وغير صحيح أيضا، على الإطلاق القول بأن هذه الجمعية أسّستها الحكومة العامة لمواجهة الـ (ك.إ.ج). إدّعاء كهذا يبدو أن مصدره كتاب درويش «الكشافة مدرسة للوطنية» الذي قدّمت جريدة «المجاهد» عرضا عنه في 12 جانفي 1986. وقد تلاحقت الى الجريدة العديد من الاحتجاجات على هذه التهمة.

إثر هذه الاحتجاجات، اعترف الصّحفي (A.R) بأنه أخطأ، وقدّم توضيحا مختصراً تحت عنوان «بين الكشافة...» في «المجاهد» يوم 23 فيفري 1986. كما نُشرت رسالة مُفصّلة في نفس الجريدة يوم 3 مارس 1986 كذّب فيها أ. نعماني أحد قدماء الـ (ك.إ.ج)، ثم الـ (BSMA) الاتهامات الموجّهة الى الـ: (B.S.M.A) ورئيسهم الطاهر التجيني.

حوار مع يومية المجاهد

في حوار مع «المجاهد» بتاريخ 12 مارس 1986، اعترف درويش نفسه بأن «قادة الكشافة الذين كانوا في نفس الوقت مناضلين في حزب الشعب الجزائري، قرّروا الاستيلاء على الجمعية» أي الـ(ك.إ.ج)، وبأن «الذين لم يوافقوهم اسّسوا جمعية فتيان الكشافة المسلمين الجزائريين (BSMA)، هذا هو السّبب الحقيقي للتصدّع الذي وقع للحركة الكشفية: البعض انضمّ الى الحزب، والبعض الآخر رفض ذلك. الولاية العامة لم تؤسّس أيّ شيء على الإطلاق».

من جهة أخرى، أثناء حرب التحرير، عانى الطّرفان ودفعا ثمنا غاليا من التضحيات؛ على سبيل المثال حُكم على الطاهر التجيني، زعيم الـ(BSMA)، بعشرين سنة سجنا مع الأشغال الشاقة كما اعتُقل رئيس هذه الجمعية محمد القشعي، دون ذكر قادة آخرين تعرّضوا للاضطهاد أو الإعدام.

إن إعادة تحريك مثل هذه الحزازات أمرٌ غريب ومناف للحقيقة. ما هي الغاية من تشويه الحقائق؟ ومن جهة أخرى، فقد أعادت الحركة الكشفية توطيد صفوفها منذ سبتمبر 1962، غداة استقلال بلادنا.

الجزائر، 17 نوفمبر 1994
الأستاذان الشيخ أبوعمران ومحمّد جيجلي،
قائدان قديمان للكشافة الـ(ك.إ.ج) ثم (B.S.M.A).

ملاحظة:

إن جريدة «المجاهد» رفضت نشر هذه التوضيحات، مخالفة في ذلك حقّ الردّ الذي يضمنه قانون الإعلام.

الفهرس

تمهيد 07

القسم الأول : لمحة تاريخية 11

الفصل الأول : من الجمعيات المحلية الى الاتحادية [1935–1939] .. 13

الفصل الثاني : الكشافة والحرب العالمية الثانية [1939–1945] ... 27

الفصل الثالث : الأزمة والانشقاق [1946–1948] 57

الفصل الرابع : النشاط المستقل للفدراليات 89

القسم الثاني : شهادات 101

01– ميلاد الحركة الكشفية – ر. بوبريط وم. فرج 103

02 – توازي – ص. الغول 111

03 – استمرارية – ط. النجيني 114

04 – تجربتي – م. الفشعي 120

05 – حياتي الكشفية – ش. غوثي 125

06 – حول الأزمة – م. جيجلي 141

07 – مبادئنا – ش.ا بوعمران 145

08– شهادة من سطيف – ل. دومي وم. سماتي 148

09 – الحركة الكشفية النسوية – م. جيجلي.......... 153
10 – ميلاد فوج «بودرقة» – ب. باقي – بلسعيد – نيون – الصافي.. 163
11 – شهادة محمد الصالح رمضان.......................... 168
12 – شهادة القائد حطاب حسناوي (مبارك)..................... 181
القسم الثالث: مقالات فكرية حول الكشافة......... 185
1– م. بن محمود.. 187
2 – ش. أبوعمران... 201
3 – م. ص. رمضان... 217
4– م. بوزوزو... 223
5– م. جيجلي.. 235
6– ط. النجيني.. 244
7 – تكريم جماعي لابن باديس................................ 281
القسم الرابع: بعض مظاهر الحياة الكشفية [1939–1955]... 303
01 – بدايات الفيدرالية [1944–1946]........................ 305
02 – الحركة الكشفية في قسنطينة [1936–1946]............... 317
03 – نشاطات 1947.. 348
04 – الجمعية العامّة بسيدي فرج (1948)....................... 355
05 مؤتمر (ر.ت.م) E.M.T – تونس 1949....................... 358
06 مؤتمر سطيف (1950)...................................... 360

07 – مخيّمات التكوين [1951–1952] 374
08 – مؤتمر وادي عبسي (1952) 382
09– الرّحلة الى مصر (1954) 387
10 – ندوة الإطارات (1955) 391
القســم الخامس: وثائق متنوعة............................ 393
1 – مقتطفات صُحفية 398
2 – مقتطفات من كتب تاريخية 415
3 – تراجم لاصاب المقالات الرئيسيين 418
4 – توضيحات 427

محتوى الكتاب*

إن الكشافة الإسلامية حركة تربوية وطنية لا يشك أحد في أهميتها وفوائدها. قد اعتنقها الشباب العربيون اعتناقا كليا وكرسوا لها حياتهم بإخلاص. غير أن الباحثين لم يعتنوا بها إلا قليلا، فاكتفى بعضهم بمحاولات ومقالات عابرة في مناسبات ولم يخصصوا لها دراسات دقيقة وشاملة تفي بالغرض بحيث تمكن القراء من تتبع تطورها وعرض مشاكلها والتعريف بروادها. وقد حان الوقت للقيام بهذا الواجب، وإن كان من الصعب العثور على كل الوثائق الأساسية والحصول على الشهادات الكافية.

ولكن اليوم توجد بعض الوثائق وهي التي سلمت أخيرا إلى دار الأرشيف الوطنية، واستعد فريق من قادة الكشافة القدامى للتأليف وتقديم صورة حية عن التجربة التي عاشوها في حركتهم الكشفية وذلك في كتاب اجتهدوا فيه اجتهادا كبيرا بحثا عن الحقيقة كما عرفوها متحلين بالموضوعية بقدر الإمكان وقصدهم في ذلك وضع مرجع بين يدي القراء يمكن الاعتماد عليه فيما يتعلق بالفترة الأولى (1935 – 1955) من تاريخ الحركة الكشفية، آملين أن يتولى فريق آخر بالبحث والدراسة الفترات الباقية التي تمتد من بداية الثورة المباركة إلى عهد الاستقلال.